مرکز القائمیة اصبهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

شرح

نهج البلاغة

تأليف

كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم

البحراني

المتوفى ٦٧٩ هـ

المجلد الثاني

منشورات

دار الثقلين

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

شرح نهج البلاغه (ابن میثم)

کاتب:

کمال الدین میثم بن علی بن میثم ابن میثم بحرانی

نشرت فی الطباعهٔ:

دار الثقلین

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

شرح نهج البلاغه (ابن میثم) المجلد ۲ ----- ۴۷

اشاره ----- ۴۷

اشاره ----- ۴۷

۲۲-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۴۹

القسم الأول ----- ۴۹

اشاره ----- ۴۹

اللغه ----- ۵۰

المعنی ----- ۵۰

اشاره ----- ۵۰

فقوله:أمّا بعد فإنّ الأمر ینزل إلی قوله:أو نقصان ----- ۵۰

و قوله:فإذا رأی أحدکم لأخیه المسلم غفیره فی أهل أو مال أو نفس فلا تکوننّ له فتنه ----- ۵۱

و قوله:فإنّ المرء المسلم.إلی قوله:و معه دینه و حسبه. ----- ۵۱

قوله:إنّ المال و البنین حرث الدنیا.إلی قوله:لأقوام. ----- ۵۴

و قوله:فإنّه من یعمل لغیر اللّه یکله اللّه لمن عمل له. ----- ۵۵

قوله:نسأل اللّه منازل الشهداء و معایشه السعداء و مرافقه الأنبیاء . ----- ۵۵

قوله:أیّها الناس.إلی قوله:یورّثه غیره. ----- ۵۵

القسم الثانی ----- ۵۷

اشاره ----- ۵۷

اللغه ----- ۵۷

المعنی ----- ۵۷

۲۳-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۶۰

اشاره ----- ۶۰

اللغه ----- ۶۰

المعنى ---- ۶۰
۲۴ و من خطبه له علیه السّلام ---- ۶۲
اشاره ---- ۶۲
اللغه ---- ۶۴
المعنی ---- ۶۵
اشاره ---- ۶۵
قوله:أما و اللّه لوددت أنّ لی بکم ألف فارس من بنی فرس بن غنم ---- ۶۸
۲۵-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۶۹
القسم الأول ---- ۶۹
اشاره ---- ۶۹
اللغه ---- ۶۹
المعنی ---- ۶۹
القسم الثانی و منها. ---- ۷۱
اشاره ---- ۷۱
اللغه ---- ۷۱
المعنی ---- ۷۲
القسم الثالث و منها: ---- ۷۳
اشاره ---- ۷۳
اللغه ---- ۷۳
المعنی ---- ۷۳
۲۶-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۷۵
اشاره ---- ۷۵
اللغه ---- ۷۷
المعنی ---- ۷۸
اشاره ---- ۷۸
فذکر من ممادح الجهاد امورا . ---- ۷۸

أحدها:أنّه باب من أبوال الجنّه. ----- ۷۸
الثانی من أوصاف الجهاد ----- ۷۹
الثالث: ----- ۸۰
۲۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۸۵
اشاره ----- ۸۵
اللغه ----- ۸۷
و اعلم انّ هذا الفصل یشتمل علی أحد عشر تنبیها : ----- ۸۷
الأوّل:علی وجوب النفار عن الدنیا و عدم الرکون إلیها. ----- ۸۷
الثانی:التنبیه علی الإقبال علی الآخره و التیقّظ للاستعداد لها ----- ۸۸
الثالث:التنبیه علی وجوب الاستعداد بذکر ما یستعدّ لأجله ----- ۸۸
الرابع:التنبیه علی التوبه قبل الموت ----- ۹۱
الخامس:التنبیه علی العمل للنفس قبل یوم البؤس ----- ۹۱
السادس:التنبیه علی وجوب التسویه للعامل بین العمل فی الرغبه و العمل فی ----- ۹۲
السابع: ----- ۹۲
الثامن : ----- ۹۳
التاسع و من لا یستقم به الهدی یجرّ به الضلال إلی الردی ----- ۹۳
العاشر: ألا و إنّکم قد امرتم بالظعن و دللتم علی الزاد ----- ۹۴
الحادی عشر:التنبیه علی أخوف الامور ----- ۹۴
۲۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۹۵
اشاره ----- ۹۵
اللغه ----- ۹۶
المعنی ----- ۹۶
۲۹-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۰۰
اشاره ----- ۱۰۰
اللغه ----- ۱۰۰
المعنی ----- ۱۰۰

۳۰-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۰۵
اشاره ---------- ۱۰۵
اللغه ---------- ۱۰۵
المعنی ---------- ۱۰۵
۳۱-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۰۸
اشاره ---------- ۱۰۸
اللغه ---------- ۱۰۹
المعنی ---------- ۱۱۰
اشاره ---------- ۱۱۰
قوله علیه السّلام إنّا قد أصبحنا.إلی قوله:حتّی تحلّ بنا ---------- ۱۱۱
قوله:فالناس علی أربعه أصناف.إلی قوله:قلّوا. ---------- ۱۱۲
اشاره ---------- ۱۱۲
فالصنف الأوّل.فهم المریدون للدنیا القادرون علیها ---------- ۱۱۲
الصنف الثانی:و هم المریدون لها غیر القادرین علیها و غیر المحتالین لها ---------- ۱۱۳
الصنف الثالث:الغیر القادرین علی الدنیا مع احتیالهم لها و إعداد أنفسهم لامور ---------- ۱۱۳
الصنف الرابع:الغیر القادرین علیها المحتالون لها المؤهّلون أنفسهم للملک ---------- ۱۱۴
الصنف الخامس:و هم المریدون للّه تعالی ---------- ۱۱۴
و قوله:فلتکن الدنیا فی أعینکم.إلی آخره ---------- ۱۱۷
۳۲-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۱۷
اشاره ---------- ۱۱۷
اللغه ---------- ۱۱۸
المعنی ---------- ۱۱۸
اشاره ---------- ۱۱۸
فقوله:إنّ اللّه بعث محمّدا.إلی قوله:صفاتهم. ---------- ۱۱۸
و قوله:فساق الناس حتّی بوّأهم محلّتهم ---------- ۱۱۹
و قوله:و استقامت قناتهم. ---------- ۱۱۹

و قوله:و اطمأنّت صفاتهم. ---------- ۱۲۰
و قوله:أمّا و اللّه إن كنت لفى ساقتها.إلى قوله:و لا جبنت. ---------- ۱۲۰
و قوله:ما عجزتما ضعفت خو لا جبنت. ---------- ۱۲۰
و قوله:و إنّ مسيرى هذا لمثلها. ---------- ۱۲۰
و قوله:ما لى و لقريش. ---------- ۱۲۲
و قوله:و اللّه لقد قاتلتهم كافرين . ---------- ۱۲۲
و قوله:و إنّى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم. ---------- ۱۲۲
و قوله:و اللّه ما آتينا.إلى آخره ---------- ۱۲۲
۳۳-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۱۲۳
اشاره ---------- ۱۲۳
اللغه ---------- ۱۲۵
المعنى ---------- ۱۲۵
اشاره ---------- ۱۲۵
و قوله:لقد سئمت عتابكم . ---------- ۱۲۵
و قوله: «أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياهِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَهِ» عوضا،و بالذلّ من العزّ خلفا . ---------- ۱۲۵
قوله إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم.إلى قوله:لا تعقلون . ---------- ۱۲۷
و قوله:غلب و اللّه المتخاذلون . ---------- ۱۲۸
و قوله:و أيم اللّه.إلى قوله:انفراج الرأس. ---------- ۱۲۸
و قوله:و اللّه إنّ امرأ.إلى قوله:إن شئت. ---------- ۱۲۹
و قوله.فأمّا أنا.إلى قوله:ما يشاء. ---------- ۱۳۰
و قوله:أيّها الناس.إلى آخره. ---------- ۱۳۰
۳۴-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۱۳۲
اشاره ---------- ۱۳۲
اللغه ---------- ۱۳۳
المعنى ---------- ۱۳۳
فقوله:الحمد للّه.إلى قوله:الجليل . ---------- ۱۳۳

و قوله:لیس معه إله غیره. ---------- ۱۳۳
و قوله:أمّا بعد.إلی قوله:الندامه . ---------- ۱۳۳
و قوله:و قد کنت أمرتکم فی هذه الحکومه أمری. ---------- ۱۳۴
و قوله:و نخلت لکم مخزون رأیی. ---------- ۱۳۴
و قوله:لو کان یطاع لقصیر أمر. ---------- ۱۳۴
و قوله:و ضنّ الزند بقدحه. ---------- ۱۳۵
۳۵-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۳۷
اشاره ---------- ۱۳۷
اللغه ---------- ۱۳۹
المعنی ---------- ۱۳۹
اشاره ---------- ۱۳۹
و قوله:قد طوّحت بکم الدار . ---------- ۱۳۹
و قوله:و احتبلکم المقدار . ---------- ۱۳۹
و قوله:کنت نهیتکم عن هذه الحکومه.إلی قوله:إلی هواکم . ---------- ۱۴۱
و قوله:و أنتم معاشر أخفّاء الهام سفهاء الأحلام . ---------- ۱۴۱
و قوله:و لم آت-لا أبالکم-نکرا و لا أردت بکم ضرّا . ---------- ۱۴۱
۳۶-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۴۱
اشاره ---------- ۱۴۱
اللغه ---------- ۱۴۲
قال بعض الشارحین:هذا الفصل فیه فصول أربعه ---------- ۱۴۲
اشاره ---------- ۱۴۲
الفصل الأوّل :فقمت بالأمر حین فشلوا.إلی قوله:برهانها. ---------- ۱۴۲
الفصل الثانی :قوله:لا تحرّکه القواصف.إلی قوله:آخذ الحقّ منه. ---------- ۱۴۴
الفصل الثالث :قوله:رضینا عن اللّه قضاؤه و سلّمنا له أمره.إلی قوله:من ---------- ۱۴۵
الفصل الرابع :قوله:فنظرت فی أمری إلی آخره. ---------- ۱۴۶
۳۷-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۴۶

اشاره ----- ۱۴۶
المعنی ----- ۱۴۷
فالفصل الأوّل إشاره إلی علّه تسمیه الشبهه شبهه،ثمّ إلی بیان حال الناس فیها. ----- ۱۴۷
و أمّا الفصل الثانی:و هو قوله:فما ینجو.إلی آخره. ----- ۱۴۷
۳۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۴۸
اشاره ----- ۱۴۸
اللغه ----- ۱۴۸
و فی الفصل مطالب : ----- ۱۴۹
الأوّل:قوله:منیت بمن لا یطیع.إلی قوله:دعوت. ----- ۱۴۹
الثانی: استفهام علی سبیل الإنکار ----- ۱۴۹
و قوله:دعوتکم.إلی قوله:الأدبر . ----- ۱۴۹
۳۹-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۵۰
اشاره ----- ۱۵۰
المعنی ----- ۱۵۰
قوله:کلمه حقّ یراد بها الباطل ----- ۱۵۰
قوله:لا حکم إلاّ للّه. ----- ۱۵۱
و قوله:یعمل فی إمرته المؤمن و یستمتع فیها الکافر. ----- ۱۵۲
و قوله:یبلّغ اللّه فیها الأجل. ----- ۱۵۲
و قوله:و یجمع به الفیء.إلی قوله:القویّ. ----- ۱۵۲
و قوله:حتّی یستریح برّ و یستراح من فاجر. ----- ۱۵۳
۴۰-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۵۳
اشاره ----- ۱۵۳
اللغه ----- ۱۵۳
المعنی ----- ۱۵۳
اشاره ----- ۱۵۳
قوله:و لا أعلم جنّه أوقی منه. ----- ۱۵۴

و قوله:و لا يغدر من علم كيف المرجع. ----- ۱۵۴
قوله:و لقد أصبحنا فى زمان.إلى قوله:الحيله ----- ۱۵۴
و قوله:ما لهم قاتلهم اللّه قد يرى.إلى آخره. ----- ۱۵۵
۴۱-و من كلام له عليه السّلام ----- ۱۵۵
اشاره ----- ۱۵۵
اللغه ----- ۱۵۶
المعنى ----- ۱۵۶
اشاره ----- ۱۵۶
قوله:ألا و إنّ الدنيا قد ولّت.إلى قوله:صابها. ----- ۱۵۷
و قوله:ألا و إنّ الآخره قد أقبلت. ----- ۱۵۷
و قوله:و لكلّ منهما بنون.إلى قوله:يوم القيامه ----- ۱۵۷
و قوله:و إنّ اليوم عمل.إلى آخر. ----- ۱۵۸
۴۲-و من كلام له عليه السّلام ----- ۱۵۸
اشاره ----- ۱۵۸
اللغه ----- ۱۶۰
المعنى ----- ۱۶۰
فقوله:إنّ استعدادى.إلى قوله:إن أرادوه . ----- ۱۶۰
و قوله:قد وقّت.إلى قوله:عاصيا . ----- ۱۶۰
و قوله:و الرأى مع الأناه. ----- ۱۶۲
و قوله:فأرودوا و لا أكره لكم الإعداد. ----- ۱۶۲
و قوله:و لقد ضربت.إلى قوله:أو الكفر. ----- ۱۶۳
قوله:فلم أر لى إلاّ القتال أو الكفر. ----- ۱۶۳
و قوله:إنّه قد كان.إلى آخره. ----- ۱۶۴
۴۳-و من كلام له عليه السّلام ----- ۱۶۵
اشاره ----- ۱۶۵
اللغه ----- ۱۶۶

المعنی ----- ۱۶۶
۴۴-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۶۷
اشاره ----- ۱۶۷
اللغه ----- ۱۶۸
المعنی ----- ۱۶۸
۴۵-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۷۱
اشاره ----- ۱۷۱
اللغه ----- ۱۷۱
المعنی ----- ۱۷۱
۴۶-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۷۳
اشاره ----- ۱۷۳
اللغه ----- ۱۷۳
المعنی ----- ۱۷۴
۴۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۷۵
اشاره ----- ۱۷۵
اللغه ----- ۱۷۵
المعنی ----- ۱۷۵
۴۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۷۶
اشاره ----- ۱۷۶
اللغه ----- ۱۷۷
.و فی هذا الفصل ----- ۱۷۷
اشاره ----- ۱۷۷
أوّلها:کونه تعالی بطن خفیّات الامور ----- ۱۷۷
و ثانیها:کونه تعالی قد دلّت علیه أعلام الظهور ----- ۱۷۷
ثالثها:إشاره إلی سلوب توجب ملاحظه ترکیبها تعظیمه تعالی. ----- ۱۷۹
و رابعها:کونه تعالی قد سبق فی العلوّ فلا شیء أعلی منه، ----- ۱۸۰

و خامسها:قربه فی الدنوّ فلا شیء أدنی منه ----- ۱۸۱
و سادسها:کونه لم تطّلع العقول علی تحدید صفته و لم یحجبها عن واجب ----- ۱۸۲
۴۹-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۸۳
اشاره ----- ۱۸۳
اللغه ----- ۱۸۴
المعنی ----- ۱۸۴
۵۰-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۸۵
اشاره ----- ۱۸۵
اللغه ----- ۱۸۵
و فی الفصل لطائف . ----- ۱۸۵
الاولی:قوله:قد استطعموکم القتال. ----- ۱۸۵
الثانیه:قوله:فأقرّوا علی مذلّه،و تأخیر محلّه.إلی قوله:الماء. ----- ۱۸۵
الثالثه: ----- ۱۸۶
الرابعه:قوله:ألا و إنّ معاویه. ----- ۱۸۶
۵۱-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۸۷
اشاره ----- ۱۸۷
اللغه ----- ۱۸۸
و اعلم أنّ مدار هذا الفصل علی امور ثلاثه: ----- ۱۸۸
اشاره ----- ۱۸۸
أمّا الأوّل: التنفیر عن الدنیا و التحذیر منها ----- ۱۸۸
و أمّا الثانی:فهو التنبیه علی عظیم ثواب اللّه و عقابه. ----- ۱۹۰
و أمّا الثالث:و هو التنبیه علی عظیم نعمه اللّه تعالی علی العباد ----- ۱۹۱
۵۲-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۹۲
اشاره ----- ۱۹۲
اللغه ----- ۱۹۲
المعنی ----- ۱۹۲

۵۳-و من كلام له عليه السّلام ۱۹۳
اشاره ۱۹۳
اللغه ۱۹۴
المعنى ۱۹۴
۵۴-و من كلام له عليه السّلام ۱۹۵
اشاره ۱۹۵
اللغه ۱۹۵
المعنى ۱۹۵
۵۵-و من كلام له عليه السّلام ۱۹۶
اشاره ۱۹۶
اللغه ۱۹۷
المعنى ۱۹۷
اشاره ۱۹۷
فقوله:و لقد كنّا.إلى قوله:أوطانه . ۱۹۷
و قوله:فلمّا رأى اللّه صدقنا.إلى قوله:النصر. ۱۹۷
و قوله:حتّى استقرّ الإسلام.إلى قوله:أوطانه. ۱۹۷
و قوله:و لعمرى لو كنّا نأتى.إلى قوله:عود. ۱۹۹
و قوله:و أيم اللّه لتحتلبنّها دما. ۱۹۹
۵۶-و من كلام له عليه السّلام ۱۹۹
اشاره ۱۹۹
اللغه ۲۰۰
المعنى ۲۰۰
۵۷-و من كلام له عليه السّلام ۲۰۲
اشاره ۲۰۲
اللغه ۲۰۳
المعنى ۲۰۳

۵۸-و قال علیه السّلام ۲۰۳
اشاره ۲۰۳
القسم الأول ۲۰۴
اشاره ۲۰۴
المعنی ۲۰۴
و قال علیه السّلام: ۲۰۴
اشاره ۲۰۴
اللغه ۲۰۵
المعنی ۲۰۵
و قال علیه السّلام: ۲۰۶
اشاره ۲۰۶
المعنی ۲۰۶
۵۹-و من کلام له علیه السّلام ۲۰۷
اشاره ۲۰۷
اللغه ۲۰۸
المعنی ۲۰۸
۶۰-و من خطبه له علیه السّلام ۲۰۹
اشاره ۲۰۹
اللغه ۲۰۹
المعنی ۲۰۹
۶۱-و من خطبه له علیه السّلام ۲۱۲
اشاره ۲۱۲
اللغه ۲۱۳
المعنی ۲۱۳
اشاره ۲۱۳
فقوله:فاتّقوا اللّه.إلی قوله:بأعمالکم ۲۱۳

فقوله:و ابتاعوا ما بقی.إلی قوله:عنکم. ---------- ۲۱۴
و قوله:فترحّلوا فقد جدّ بکم. ---------- ۲۱۴
و قوله:و استعدّوا للموت فقد أظلّکم. ---------- ۲۱۴
و قوله:و کونوا قوما صیح بهم فانتبهوا. ---------- ۲۱۴
و قوله:و علموا.إلی قوله:سدی. ---------- ۲۱۴
و قوله:ما بین أحدکم.إلی قوله:ینزل به ---------- ۲۱۵
و قوله:و إنّ غایه.إلی قوله:المدّه. ---------- ۲۱۶
و قوله:و إنّ غائبا.إلی قوله:الأوبه ---------- ۲۱۶
و قوله:و إنّ قادما.إلی قوله:العدّه ---------- ۲۱۷
و قوله:فتزوّدوا.إلی قوله:غدا ---------- ۲۱۷
و قوله:فاتّقی عبد ربّه.إلی قوله شهوته ---------- ۲۱۷
و قوله:فإنّ أجله.إلی قوله:شقوه ---------- ۲۱۸
و قوله:نسأل اللّه تعالی.إلی قوله:کأبه. ---------- ۲۱۹
۶۲-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۲۱۹
اشاره ---------- ۲۱۹
اللغه ---------- ۲۲۰
المعنی ---------- ۲۲۰
و قد اشتملت هذه الخطبه علی مباحث لطیفه من العلم إلالهیّ أیضا لا یطّلع علیها ---------- ۲۲۰
اشاره ---------- ۲۲۰
الأوّل:الّذی لم یسبق.إلی قوله:باطنا. ---------- ۲۲۰
الثانی:کلّ مسمّی بالوحده غیره قلیل. ---------- ۲۲۱
الثالث:و کلّ عزیز غیره ذلیل. ---------- ۲۲۲
الرابع:و کلّ قویّ غیره ضعیف. ---------- ۲۲۲
الخامس:و کلّ عالم غیره متعلّم. ---------- ۲۲۳
السادس:و کلّ قادر غیره یقدر و یعجز. ---------- ۲۲۳
السابع: ---------- ۲۲۳

الثامن: ----- ۲۲۵
التاسع:و كلّ ظاهر غيره باطن . ----- ۲۲۵
العاشر:و كلّ باطن غيره فهو ظاهرفهو غير ظاهر خ. ----- ۲۲۶
الحادى عشر:لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان.إلى قوله:منافر. ----- ۲۲۷
و قوله:و لكن خلايق مربوبون و عباد داخرون. ----- ۲۲۸
و قوله:لم يحلل فى الأشياء فيقال هو فيها كائن. ----- ۲۲۸
و قوله:لم يؤده خلق ما ابتدء و لا تدبير ما ذرء ----- ۲۲۸
و قوله:و لا وقف به عجز عمّا خلق. ----- ۲۲۹
و قوله:و لا ولجت عليه شبهه فيما قضى و قدّر. ----- ۲۲۹
و قوله:بلا قضاء متقن و علم محكم . ----- ۲۲۹
و قوله:و أمر مبرم . ----- ۲۲۹
و قوله:المأمول مع النقم المرهوب مع النعمالمرجوّ من النعم خ . ----- ۲۲۹
۶۳-و من كلام له عليه السّلام ----- ۲۳۱
اشاره ----- ۲۳۱
اللغه ----- ۲۳۲
المعنى ----- ۲۳۲
اشاره ----- ۲۳۲
فأوّلها: ----- ۲۳۲
الثانى: ----- ۲۳۲
الثالث:الأمر بالعضّ على النواجذ ----- ۲۳۲
الرابع:الأمر بإكمال اللأمه،و إكمال الدرع ----- ۲۳۲
الخامس:الأمر بقلقله السيوف فى الأغماد ----- ۲۳۴
السادس:الأمر بلحظ الخزر ----- ۲۳۴
السابع:الأمر بالطعن الشرز ----- ۲۳۴
الثامن:الضرب بأطراف السيوف. ----- ۲۳۴
التاسع:الأمر بوصل السيوف بالخطا. ----- ۲۳۴

العاشر:الأمر بمعاوده الكرّ. ---------- ۲۳۶
الحادی عشر قوله:و طیّبوا عن أنفسكم نفسا ---------- ۲۳۶
الثانی عشر:الأمر بالمشی إلی الموت سجحا: ---------- ۲۳۶
الثالث عشر:أمرهم بقصد عدوّهم مؤكّدا له بتكریره ---------- ۲۳۷
۶۴-و من كلام له علیه السّلام ---------- ۲۳۸
اشاره ---------- ۲۳۸
المعنی ---------- ۲۳۹
۶۵-و من كلام له علیه السّلام ---------- ۲۴۱
اشاره ---------- ۲۴۱
اللغه ---------- ۲۴۲
المعنی ---------- ۲۴۲
۶۶-و من كلام له علیه السّلام ---------- ۲۴۳
اشاره ---------- ۲۴۳
اللغه ---------- ۲۴۳
المعنی ---------- ۲۴۴
۶۷-و قال علیه السّلام ---------- ۲۴۶
اشاره ---------- ۲۴۶
المعنی ---------- ۲۴۶
۶۸-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۲۴۷
اشاره ---------- ۲۴۷
اللغه ---------- ۲۴۷
و هذا الكلام صدر عنه بعد حرب صفّین.و فیه مقصودان : ---------- ۲۴۷
الأوّل: ---------- ۲۴۷
و المقصود الثانی: ---------- ۲۴۸
۶۹-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۲۵۰
اشاره ---------- ۲۵۰

اللغه ----- ۲۵۲
و قد اشتملت هذه الخطبه على ثلاثه فصول . ----- ۲۵۲
الاوّل:فی صفات المدعوّ و تمجیده و هو اللّه سبحانه. ----- ۲۵۲
الفصل الثانی:ذکر للنبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم أحد و عشرین وصفا ----- ۲۵۳
اشاره ----- ۲۵۳
الأوّل:کونه عبدا للّه ----- ۲۵۳
الثانی:کونه رسولا له ----- ۲۵۳
الثالث:کونه خاتما لما سبق ----- ۲۵۳
الرابع:کونه فاتحا لما انغلق من سبیل اللّه قبله ----- ۲۵۳
الخامس:کونه قد أظهر الحقّ بالحقّ. ----- ۲۵۳
السادس:کونه دافعا لجیشات الأباطیل: ----- ۲۵۵
السابع: ----- ۲۵۵
الثامن:کونه حمل الرساله ----- ۲۵۵
التاسع:کونه عجلا فی رضا اللّه ----- ۲۵۵
العاشر: ----- ۲۵۵
الحادی عشر:کونه ماضی العزم ----- ۲۵۵
الثانی عشر: ----- ۲۵۵
الثالث عشر:کونه حافظا لعهده ----- ۲۵۶
الرابع عشر:کونه ماضیا على إنفاذ أمره ----- ۲۵۶
الخامس عشر: ----- ۲۵۶
السادس عشر: ----- ۲۵۷
السابع عشر: ----- ۲۵۷
الثامن عشر:کونه أمین اللّه: ----- ۲۵۷
التاسع عشر:کونه خازن علمه المخزون: ----- ۲۵۷
العشرون:کونه شهیدا یوم الدین ----- ۲۵۷
الحادی و العشرون:کونه مبعوثا بالحقّ ----- ۲۵۹

الفصل الثالث:فی تفصیل المطلوب من هذا الدعاء ----- ۲۵۹
۷۰-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۶۱
اشاره ----- ۲۶۱
اللغه ----- ۲۶۱
المعنی ----- ۲۶۱
۷۱-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۶۲
اشاره ----- ۲۶۲
اللغه ----- ۲۶۲
المعنی ----- ۲۶۲
۷۲-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۶۴
اشاره ----- ۲۶۴
اللغه ----- ۲۶۴
المعنی ----- ۲۶۴
۷۳-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۶۵
اشاره ----- ۲۶۵
اللغه ----- ۲۶۶
المعنی ----- ۲۶۶
۷۴-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۷۰
اشاره ----- ۲۷۰
المعنی ----- ۲۷۰
۷۵-و من کلمات کان یدعو بها ----- ۲۷۱
اشاره ----- ۲۷۱
اللغه ----- ۲۷۱
المعنی ----- ۲۷۱
۷۶-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۷۳
اشاره ----- ۲۷۳

اللغه ----- ۲۷۳
المعنى ----- ۲۷۳
۷۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۸۱
اشاره ----- ۲۸۱
المعنى ----- ۲۸۱
اشاره ----- ۲۸۱
فذکر نقصانهنّ من وجوه ثلاثه : ----- ۲۸۱
أحدها:کونهنّ نواقص الایمان ----- ۲۸۱
الثانی:کونهنّ نواقص حظّ ----- ۲۸۱
الثالث:کونهنّ نواقص عقول ----- ۲۸۲
و قوله:فاتّقوا شرار النساء و کونوا من خیارهنّ على حذر . ----- ۲۸۲
۷۸-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۸۳
اشاره ----- ۲۸۳
اللغه ----- ۲۸۳
المعنى ----- ۲۸۳
و أعلم أنّ قوله:أیّها الناس.إلى قوله:عند المحارم.تفسیر للزهد ----- ۲۸۳
و قوله:بعد ذلک:فإن عزب عنکم ----- ۲۸۴
و قوله:فقد أعذر إلى آخره . ----- ۲۸۴
۷۹-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۸۵
اشاره ----- ۲۸۵
اللغه ----- ۲۸۵
و قد ذکر للدنیا فی معرض ذمّها و التنفیر عنها أوصافا عشره : ----- ۲۸۵
الأوّل:کون أوّلها عناء ----- ۲۸۵
الثانی:کون آخرها فناء. ----- ۲۸۶
الثالث:کونها فی حلالها حساب. ----- ۲۸۶
الرابع:کونها فی حرامها عقاب. ----- ۲۸۷

الخامس:كونها من استغنى فيها فتن ----- ۲۸۷
السادس:كونها من افتقر فيها حزن. ----- ۲۸۷
السابع:من ساعاها فاتته. ----- ۲۸۷
الثامن:كونهامن قعد عنها و اتته. ----- ۲۸۷
التاسع:من أبصر بها بصّرته: ----- ۲۸۷
العاشر:و من أبصر إليها أعمته: ----- ۲۸۹
۸۰-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۸۹
اشاره ----- ۲۸۹
الفصل الأوّل قوله: «اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی» عَلاَ بِحَوْلِهِ... ----- ۲۸۹
اشاره ----- ۲۸۹
اللغه ----- ۲۸۹
المعنی ----- ۲۹۰
اشاره ----- ۲۹۰
و قوله:أحمده.إلی قوله:نعمه . ----- ۲۹۰
و قوله:و أومن به أوّلا بادیا. ----- ۲۹۱
و قوله:و أستهدیه قریبا هادیا. ----- ۲۹۱
و قوله:و أستعینه قاهرا قادرا . ----- ۲۹۱
و قوله:و أتوکّل علیه کافیا ناصرا . ----- ۲۹۱
و قوله:و أشهد إلی آخره . ----- ۲۹۱
الفصل الثانی:قوله: أُوصِیکُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَی اللَّهِ ----- ۲۹۳
اشاره ----- ۲۹۳
اللغه ----- ۲۹۳
المعنی ----- ۲۹۳
اشاره ----- ۲۹۳
الأول:ضرب الأمثال ----- ۲۹۳
الثانی:قوله:و وقّت لکم الآجال: ----- ۲۹۵

الثالث:کونه قد ألبسهم الریاش. ---------- ۲۹۵
الرابع:کونه قد أرفع لهم المعاش ---------- ۲۹۵
الخامس:إحاطته بهم إحصاء ---------- ۲۹۵
السادس:کونه قد أرصد لهم الجزاء. ---------- ۲۹۵
السابع:ایثارهم بالنعم السوابغ ---------- ۲۹۵
الثامن:إنذارهم بالحجج البوالغ ---------- ۲۹۵
التاسع:إحصاؤه لعددهم ---------- ۲۹۷
العاشر:توظیفه لهم المدد، ---------- ۲۹۷
الفصل الثالث قوله: فَإِنَّ الدُّنْیَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا... ---------- ۲۹۷
اشاره ---------- ۲۹۷
اللغه ---------- ۲۹۸
المعنی ---------- ۲۹۸
اشاره ---------- ۲۹۸
الأوّل:کونها رنق مشربها. ---------- ۲۹۸
الثانی: ---------- ۲۹۸
الثالث: ---------- ۲۹۸
الرابع: ---------- ۲۹۸
الخامس: ---------- ۲۹۹
السادس: ---------- ۳۰۰
السابع: ---------- ۳۰۰
الثامن: ---------- ۳۰۰
و قوله:و کذلک الخلف.إلی آخره ---------- ۳۰۲
الفصل الرابع:فی الإشاره إلی ما یلحق الناس بعد الموت من أحوال القیامه ---------- ۳۰۲
اشاره ---------- ۳۰۲
اللغه ---------- ۳۰۲
المعنی ---------- ۳۰۳

اشاره ----- ۳۰۳
فقوله:حتّی إذا تصرّمت الامور . ----- ۳۰۴
و قوله:و تقضّت الدهور . ----- ۳۰۴
و قوله:و أزف النشور . ----- ۳۰۴
و قوله:أخرجهم من ضرائح القبور . ----- ۳۰۴
و قوله:و أوکار الطیور . ----- ۳۰۵
و قوله و أوجره السباع . ----- ۳۰۶
و قوله:و مطارح المهالک . ----- ۳۰۶
و قوله:سراعا إلی أمره. ----- ۳۰۶
و قوله:مهطعین إلی معاده . ----- ۳۰۶
و قوله:رعیلا. ----- ۳۰۸
و قوله:صموتا ----- ۳۰۸
و قوله:قیاما صفوفا . ----- ۳۰۸
و قوله:ینفذهم البصر . ----- ۳۰۸
و قوله:و یسمعهم الداعی . ----- ۳۰۸
و قوله:علیهم لبوس الاستکانه و ضرع الاستسلام و الذلّه . ----- ۳۰۸
و قوله:قد ضلّت الحیل . ----- ۳۰۹
و قوله:و هوت الافئده کاظمه. ----- ۳۱۰
و قوله:و خشعت الأصوات ----- ۳۱۰
و قوله:و ألجم العرق و عظم الشفق . ----- ۳۱۰
و قوله:و ارعدت الأسماع لزبره الداعی. ----- ۳۱۰
الفصل الخامس:فی تنبیه الخلق علی أوصاف حالهم المنافیه لما هم علیه من التجبّر ----- ۳۱۰
اشاره ----- ۳۱۰
اللغه ----- ۳۱۲
المعنی ----- ۳۱۲
اشاره ----- ۳۱۲

الأوّل:كونهم مخلوقون اقتدارا ----- ۳۱۲
الثانی:كونهم مربوبون اقتسارا: ----- ۳۱۲
الثالث:كونهم مقبوضون احتضارا: ----- ۳۱۲
الرابع: ----- ۳۱۲
الخامس: ----- ۳۱۲
السادس: ----- ۳۱۳
السابع:أنّهم مدينون أجزاء ----- ۳۱۴
الثامن:أنّ من شأنهم أن يميّزوا حسابا: ----- ۳۱۴
التاسع:كونهم قد امهلوا فی طلب المخرج: ----- ۳۱۴
العاشر:كونهم قدهدوا سبيل المنهج: ----- ۳۱۴
الحادی عشر: ----- ۳۱۴
الثانی عشر:كونهم قد كشفت عنهم سدف الريب: ----- ۳۱۴
الثالث عشر: ----- ۳۱۴
الفصل السادس:فی التنبيه علی فضل موعظته و تذكيره و مدحها بالبلاغه و التعريض ----- ۳۱۶
اشاره ----- ۳۱۶
المعنی ----- ۳۱۶
فقوله:فيا لها أمثالا صايبه و مواعظ شافيه ----- ۳۱۶
و قوله:لو صادفت قلوبا زاكيه و أسماعا واعيه و آراء عازمه و ألبابا حازمه ----- ۳۱۶
و قوله:فاتّقوا اللّه.إلی قوله:مقامه ----- ۳۱۷
و قوله:فاتّقو اللّه عباد اللّه جهه ما خلقكم له. ----- ۳۱۸
و قوله:و احذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه. ----- ۳۱۸
و قوله:و استحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتنجّز لصدق ميعاده. ----- ۳۱۸
الفصل السابع قوله:جعل لكم أسماعا... ----- ۳۱۸
اشاره ----- ۳۱۸
الفصل الأوّل:فی تذكير عباد اللّه بضروب نعمته عليهم،و التنبيه علی الغايه منها، ----- ۳۲۰
اشاره ----- ۳۲۰

اللغه ----- ۳۲۱
و لنرجع إلى معنى. ----- ۳۲۱
فقوله:جعل لكم.إلى قوله:بأرفاتها ----- ۳۲۱
و قوله:و قلوب رائده.إلى قوله:سترها عنكم. ----- ۳۲۲
و قوله:و خلّف لكم عبرا. ----- ۳۲۲
و قوله:قد غودر. ----- ۳۲۳
و قوله:و الأرواح مرتهنه بثقل أعبائها. ----- ۳۲۴
و قوله:لا تستزاد من صالح عملها و لا تستعتب من سيّء زللها. ----- ۳۲۴
و قوله:أو لستم آباء القوم و الأبناء و إخوانهم و الأقرباء. ----- ۳۲۴
و قوله:تحتذون أمثلتهم. ----- ۳۲۴
و قوله:فالقلوب قاسيه عن حظّها. ----- ۳۲۴
و قوله:كأنّ المعنيّ سواها و كأنّ الرشد فى إحراز دنياها. ----- ۳۲۵
الفصل الثانى:فى التذكير بأمر الصراط و التحذير من أهواله،و الحثّ على ----- ۳۲۶
اشاره ----- ۳۲۶
اللغه ----- ۳۲۷
المعنى ----- ۳۲۷
و قوله:فاتّقو اللّه ----- ۳۲۸
و قوله:اوصيكم بتقوى اللّه. ----- ۳۳۰
و قوله:حتّى إذا استدرج قرينته و استغلق رهينته ----- ۳۳۲
و قوله:أنكر ما زيّن.إلى آخره . ----- ۳۳۲
الفصل الثامن و منها فى صفه خلق الإنسان، ----- ۳۳۲
اشاره ----- ۳۳۲
الفصل الأوّل ----- ۳۳۲
اشاره ----- ۳۳۲
اللغه ----- ۳۳۴
و فى تفصيل هذا الفصل نكت : ----- ۳۳۴

الاولی: ---------- ۳۳۴
الثانیه: ---------- ۳۳۴
الثالثه: ---------- ۳۳۶
الرابعه: ---------- ۳۳۶
الخامسه: ---------- ۳۳۶
السادسه: ---------- ۳۳۷
السابعه: ---------- ۳۳۷
الثامنه: ---------- ۳۳۷
التاسعه: ---------- ۳۳۷
العاشره: ---------- ۳۳۷
الحادی عشر: ---------- ۳۳۹
الثانیه عشر: ---------- ۳۳۹
الثالث عشر: ---------- ۳۴۱
الفصل الثانی ---------- ۳۴۲
اشاره ---------- ۳۴۲
اللغه ---------- ۳۴۲
و فی هذا ---------- ۳۴۳
الاولی: ---------- ۳۴۳
الثانیه: ---------- ۳۴۳
الثالثه: ---------- ۳۴۳
الرابعه:التذکیر بأمر القبر و تعفیر الخدّ ---------- ۳۴۳
الخامسه:التنبیه علی وقت العمل و الأحوال: ---------- ۳۴۳
السادسه قوله:و انف المشیّه: ---------- ۳۴۵
السابعه:إنظار التوبه ---------- ۳۴۵
الثامنه:و انفساح الحوبه ---------- ۳۴۵
التاسعه: ---------- ۳۴۵

العاشر:أخذه العزيز المقتدر ----- ۳۴۵
۸۱-و من كلام له عليه السّلام ----- ۳۴۵
اشاره ----- ۳۴۵
اللغه ----- ۳۴۷
و اعلم أنّ فی هذا الفصل ثلاثه فصول : ----- ۳۴۷
الأوّل ذكر دعوى عمرو فی حقّه عليه السّلام ----- ۳۴۷
الثانی:قوله:أمّا و شرّ القول إلى قوله سبّته ----- ۳۴۸
الثالث:بيان وجه فساد مدّعى عمرو فی حقّه ----- ۳۵۰
۸۲-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۳۵۰
القسم الأول ----- ۳۵۰
اشاره ----- ۳۵۰
أقول:هذا الفصل يشتمل على إثبات ثمانی صفات من صفات الجلال : ----- ۳۵۲
الاولى الوحدانيّه مؤكّده بنفی الشركاء ----- ۳۵۲
الثانيه: ----- ۳۵۲
الثالثه:إثبات كونه آخرا غير منته وجوده إلى غايه يقف عندها. ----- ۳۵۲
الرابعه:من السلوب أنّه لا تلحقه الأوهام فيقع منه على صفه. ----- ۳۵۲
الخامسه:كونه تعالى لا يعقل له كيفيّه يكون عليها ----- ۳۵۲
السادسه:كونه تعالى لا تناله التجزيه و التبعيض ----- ۳۵۲
السابعه:كونه تعالى لا تحيط به الأبصار ----- ۳۵۴
الثامنه:كونه تعالى لا يحيط به القلوب ----- ۳۵۴
القسم الثانی ----- ۳۵۴
اشاره ----- ۳۵۴
اللغه ----- ۳۵۴
المعنی ----- ۳۵۴
و فی هذا الفصل فوائد : ----- ۳۵۴
الاولى: ----- ۳۵۴

الثانیه: -- ۳۵۵

الثالثه:الأمر بالازدجار بالنذر البوالغ -- ۳۵۵

الرابعه:الأمر بالانتفاع بالذکر و المواعظ -- ۳۵۵

الخامسه: -- ۳۵۵

و قوله:و انقطعت عنکم علایق الامنیّه . -- ۳۵۵

و قوله:و دهمتکم مفظعات الامور . -- ۳۵۵

و قوله:و السیاقه إلی الورد المورود . -- ۳۵۵

و قوله:و کلّ نفس معها سائق و شهید . -- ۳۵۷

القسم الثالث و منها فی صفه الجنه: -- ۳۵۷

اشاره -- ۳۵۷

المعنی -- ۳۵۷

۸۳-و من خطبه له علیه السّلام -- ۳۵۹

اشاره -- ۳۵۹

الأوّل: -- ۳۵۹

اشاره -- ۳۵۹

و هذا الفصل یشتمل علی بعض أوصاف الحقّ سبحانه: -- ۳۵۹

الفصل الثانی -- ۳۶۰

اشاره -- ۳۶۰

المعنی -- ۳۶۲

اشاره -- ۳۶۲

قوله:و لا ترخّصوا لأنفسکم.إلی قوله:المعصیهالمصیبه خ. -- ۳۶۳

و قوله:عباد اللّه.إلی آخره إخبارات فی معنی الأوامر و النواهی -- ۳۶۴

فالأوّل:قوله:إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه -- ۳۶۴

الثانی:قوله:و إنّ أغشّهم لنفسه أعصاهم لربّه -- ۳۶۴

الثالث:قوله:و المغبون من غبن نفسه -- ۳۶۴

الرابع:قوله:و المغبوط من سلم له دینه -- ۳۶۵

الخامس:قوله:و السعید من وعظ بغیره -- ۳۶۵

السادس:و کذلک الشقیّ فی الآخره -- ۳۶۵

السابع:التنبیه علی أنّ یسیر الریاء شرک --- ۳۶۵

الثامن:قوله:و مجالسه أهل الهوی منساه للایمان و محضره للشیطان --- ۳۶۵

التاسع:الأمر بمجانبه الکذب -- ۳۶۶

العاشر:النهی عن الحسد -- ۳۶۶

الحادی عشر:النهی عن التباغض -- ۳۶۷

الثانی عشر:التنبیه علی مضارّ الأمل للدنیا -- ۳۶۸

۸۴-و من خطبه له علیه السّلام -- ۳۶۸

اشاره -- ۳۶۸

الفصل الأوّل:فی صفات المتّقین --- ۳۶۸

اشاره -- ۳۶۸

اللغه -- ۳۶۹

المعنی --- ۳۷۰

و ذکر من صفاتهم الّتی هی سبب محبّه اللّه لهم أربعین وصفا --- ۳۷۰

فالأوّل من تلک الأوصاف:کونه أعانه اللّه علی نفسه -- ۳۷۰

الثانی:أن یستشعر الحزن -- ۳۷۰

الثالث: -- ۳۷۰

الرابع: -- ۳۷۰

الخامس: --- ۳۷۰

السادس:و قرّب علی نفسه البعید. -- ۳۷۲

السابع:کونه قد هوّن الشدید. -- ۳۷۲

الثامن:کونه نظر: --- ۳۷۲

التاسع:و ذکر فاستکثر -- ۳۷۲

العاشر: --- ۳۷۲

(یا)کونه سهلت له موارده. --- ۳۷۲

(یب) فشرب نهلا ---------- ۳۷۴
(یج)کونه قد سلک سبیلا جددا: ---------- ۳۷۴
(ید) قد خلع سرابیل الشهوات ---------- ۳۷۴
(یه)و تخلّی من الهموم إلاّ همّا واحدا ---------- ۳۷۴
(یو)فخرج عن صفه العمی: ---------- ۳۷۴
(یز) فصار من مفاتیح أبواب الهدی ---------- ۳۷۴
(یح)و مغالیق أبواب الردی. ---------- ۳۷۶
(یط)قد أبصر ---------- ۳۷۶
(ک)و سلک سبیله ---------- ۳۷۶
(کا)و قد عرف مناره. ---------- ۳۷۶
(کب)قد قطع غماره ---------- ۳۷۶
(کج) و استمسک من العری بأوثقها و من الحبال بأمتنها ---------- ۳۷۶
(کد)فهو من الیقین علی مثل ضوء الشمس ---------- ۳۷۶
(که)قد نصب نفسه للّه سبحانه فی أرفع الامور من إصدار کلّ وارد علیه و تصییر ---------- ۳۷۸
(کو) مصباح ظلمات ---------- ۳۷۸
(کز)کونه کشّاف عشوات: ---------- ۳۷۸
(کح)و کذلک کونه مفتاح مبهمات: ---------- ۳۷۸
(کط)کونه دفّاع معضلات: ---------- ۳۷۸
(ل) دلیل فلوات ---------- ۳۷۸
(لا)کونه یقول فیفهم ---------- ۳۸۰
(لب)کونه یسکت فیسلم ---------- ۳۸۰
(لج)کونه قد أخلص للّه فاستخلصه ---------- ۳۸۰
(لد) فهو من معادن دینه ---------- ۳۸۰
(له)کونه من أوتاد أرضه ---------- ۳۸۰
(لو)کونه لزم نفسه العدل ---------- ۳۸۰
(لز)کونه یصف الحقّ و یعمل به ---------- ۳۸۱

(لج)کونه لا یدع للخیر غایه إلاّ أمّها ----- ۳۸۱
(لط)و کذلک هو قاصد لکلّ مظنّه له ----- ۳۸۱
(م) کونه قد أمکن الکتاب من زمامه فهو قائده.إلی آخره ----- ۳۸۱
الفصل الثانی: ----- ۳۸۱
اشاره ----- ۳۸۱
أقول:و هذا الفصل من صفات بعض الفساق فی مقابله الموصوف السابق ----- ۳۸۳
اشاره ----- ۳۸۳
الأوّل:کونه قد تسمّی عالما و لیس بعالم. ----- ۳۸۳
الثانی: ----- ۳۸۳
الثالث: ----- ۳۸۳
الرابع:قد حمل الکتاب علی آرائه ----- ۳۸۴
الخامس:و عطف الحقّ علی أهوائه ----- ۳۸۴
السادس:کونه یؤمّن من العظائم و یهوّن کبیر الجرائم ----- ۳۸۴
السابع:یقول:أقف عند الشبهات ----- ۳۸۴
الثامن:یقول أعتزل البدع: ----- ۳۸۴
التاسع:فالصوره صوره الإنسان و القلب قلب حیوان ----- ۳۸۴
العاشر:کونه لا یعرف باب الهدی فیتّبعه و لا باب الردی فیصدّ عنه ----- ۳۸۵
الفصل الثالث: ----- ۳۸۵
القسم الأول ----- ۳۸۵
اشاره ----- ۳۸۵
اللغه ----- ۳۸۶
المعنی ----- ۳۸۶
فقوله:فأین تذهبون.إلی قوله:منصوبه. ----- ۳۸۶
و قوله:فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن. ----- ۳۸۷
و قوله:وردوهم ورود الهیم العطاش. ----- ۳۸۷
و قوله:أیّها الناس.إلی قوله:ببال ----- ۳۸۷

و قوله:فلا تقولوا بما لا تعرفون . ---- ۳۸۸
و قوله:و أعذروا من لا حجّه لكم عليه و هو أنا . ---- ۳۸۹
و قوله:أ لم أعمل فيكم إلى قوله:من نفسى . ---- ۳۸۹
و قوله:و أريتكم كرايم الأخلاق من نفسى ---- ۳۸۹
و قوله:فلا تستعملوا الرأى إلى آخره . ---- ۳۸۹
القسم الثانى ---- ۳۹۰
اشاره ---- ۳۹۰
اللغه ---- ۳۹۰
المعنى ---- ۳۹۰
۸۵-و من خطبه له عليه السّلام ---- ۳۹۱
اشاره ---- ۳۹۱
اللغه ---- ۳۹۱
المعنى ---- ۳۹۱
اشاره ---- ۳۹۱
فقوله:أمّا بعد.إلى قوله:ببصير . ---- ۳۹۲
و قوله:و فى دون ما استقبلتم من عتب ---- ۳۹۲
و قوله:فما كلّ ذى قلب بلبيب.إلى قوله:ببصير . ---- ۳۹۳
و قوله:يا عجبا.إلى آخره . ---- ۳۹۳
۸۶-و من خطبه له عليه السّلام ---- ۳۹۵
اشاره ---- ۳۹۵
اللغه ---- ۳۹۶
المعنى ---- ۳۹۶
۸۷-و من خطبه له عليه السّلام ---- ۴۰۰
اشاره ---- ۴۰۰
اللغه ---- ۴۰۱
المعنى ---- ۴۰۱

و قد صدر هذا الفصل باعتبارات إضافيّه للحقّ سبحانه فی معرض تمجیده : ---- ۴۰۱
فالأوّل:کونه تعالی معروفا من غیر رؤیه ---- ۴۰۱
الثانی:کونه تعالی خالقا من غیر رویّه ---- ۴۰۱
الثالث:کونه لم یزل دائما ---- ۴۰۱
الرابع:کونه قائما. ---- ۴۰۱
الخامس:هوالقاهرلعباده المقتدر علیهم ---- ۴۰۲
السادس:کونه مبتدع الخلق ---- ۴۰۲
السابع:کونه وارثه: ---- ۴۰۲
الثامن:کونه إله الخلق ---- ۴۰۲
التاسع:کونه رازقهم ---- ۴۰۲
العاشر:کونه تعالی قسم أرزاقهم ---- ۴۰۴
الحادی عشر:کونه أحصی آثارهم. ---- ۴۰۴
الثانی عشر:هو الّذی اشتدّت نقمته علی أعدائه فی سعه رحمته و اتّسعت رحمته ---- ۴۰۴
الثالث عشر:قاهر من عازّه. ---- ۴۰۵
الرابع عشر: ---- ۴۰۵
الخامس عشر: ---- ۴۰۵
السادس عشر:و غالب من عاداه. ---- ۴۰۵
السابع عشر: ---- ۴۰۵
الثامن عشر: ---- ۴۰۵
التاسع عشر: ---- ۴۰۵
العشرون: ---- ۴۰۵
و قوله:عباد اللّه إلی آخره. ---- ۴۰۶
و قوله:و حاسبوه قبل أن تحاسبوا. ---- ۴۰۷
اشاره ---- ۴۰۷
للعارفین فی سلوک سبیل اللّه و مرابطتهم مع أنفسهم مقامات خمسه: ---- ۴۰۷
الاولی:المشارطه ثمّ المراقبه ثمّ المحاسبه ثمّ المعاتبه ثمّ المجاهده و المعاقبه. ---- ۴۰۷

الثانیه:أن لا یغفل عن مراقبتها لحظه فلحظه ----- ۴۰۸

الثالثه:ثمّ بعد الفراغ من العمل ینبغی أن یحاسبها و یطالبها بالوفاء بما شرط ----- ۴۰۸

الرابعه:المجاهده و المعاقبه، ----- ۴۰۹

الخامسه:توبیخ النفس و معاتبتها، ----- ۴۰۹

و قوله و تنفّسوا من قبل ضیق الخناق. ----- ۴۱۰

و قوله:و انقادوا قبل عنف السیاق. ----- ۴۱۰

و قوله:و اعلموا أنّه من لم یعن علی نفسه إلی آخره. ----- ۴۱۰

۸۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۴۱۰

اشاره ----- ۴۱۰

الفصل الأوّل. ----- ۴۱۱

اشاره ----- ۴۱۱

اللغه ----- ۴۱۲

و قد شرع فی وصف اللّه سبحانه باعتبارات له إلی آثاره : ----- ۴۱۲

الأوّل: ----- ۴۱۲

الثانی:و لا ینقصه عطاؤه و جوده. ----- ۴۱۲

الثالث:أنّه المنّان بفوائد النعم ----- ۴۱۳

الرابع: ----- ۴۱۳

الخامس:کونه نهج سبیل الراغبین إلیه و الطالبین ما لدیه ----- ۴۱۳

السادس:کونه لیس بما سئل بأجود منه بما لم یسئل ----- ۴۱۳

السابع: ----- ۴۱۴

الثامن:و الآخر الّذی لیس له بعد فیکون شیء بعده ----- ۴۱۴

التاسع:الرادع اناسیّ الأبصار عن أن تناله أو تدرکه ----- ۴۱۵

العاشر:کونه لم یختلف علیه دهر فیختلف علیه الحال. ----- ۴۱۵

الحادی عشر:و لا کان فی مکان فیجوز علیه الانتقال. ----- ۴۱۵

الثانی عشر:کونه لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال ----- ۴۱۵

الفصل الثانی: ----- ۴۱۶

اشاره ----- ۴۱۶
اللغه ----- ۴۱۸
المعنی ----- ۴۱۸
و صدر هذا الفصل تأدیب الخلق ----- ۴۱۸
إشاره إلی السدد المضروبه و حجب الغیوب. ----- ۴۱۹
فأقسام المحجوبین ثلاثه: ----- ۴۱۹
القسم الأوّل:المحجوبون بمجرّد الظلمه ----- ۴۲۰
القسم الثانی:المحجوبون بنور مقرون بظلمه ----- ۴۲۰
فصنف منهم ----- ۴۲۰
الاولی:عبده الأوثان ----- ۴۲۰
الثانیه:طائفه ترقّوا عن رتبه الأحجار فکانوا أدخل من عبده الأوثان فی ملاحظه ----- ۴۲۰
الثالثه:طائفه ترقّوا عن هؤلاء و قالوا:ینبغی أن یکون الربّ نورانیّا فی ----- ۴۲۰
الرابعه:طائفه ترقّوا عن ذلک فرأوا أنّ النار تطفی و تقهر فلا تصلح للإلهیّه ----- ۴۲۲
الخامسه:طائفه ترقّوا عن هؤلاء فقالوا:و إن وجب أن یکون الربّ بالصفات ----- ۴۲۲
السادسه:طائفه ترقّوا عن ذلک فقالوا:إنّ الشمس لا تتفرّد بالنور بل لغیرها ----- ۴۲۲
الصنف الثانی:المحجوبون ببعض الأنوار مقرونه بظلمه الخیال ----- ۴۲۲
الصنف الثالث:المحجوبون بأنوار الإلهیّه مقرونه بمقایسات عقلیّه فاسده مظلمه ----- ۴۲۲
القسم الثالث:المحجوبون بمحض الأنوار، ----- ۴۲۴
الأوّل:الّذین عرفوا معانی هذه الصفات و فرّقوا بین إطلاق أسمائها علی اللّه تعالی ----- ۴۲۴
الصنف الثانی:الّذین عرفوا أنّ فی السماوات ملائکه کثیره ----- ۴۲۴
الصنف الثالث:الّذین ترقّوا عن هؤلاء و قالوا:إنّ تحریک الأجسام الفلکیّه ----- ۴۲۴
و قوله:فاقتصر علی ذلک ----- ۴۲۵
و قوله:و لا تقدّر عظمه اللّه تعالی علی قدر عقلک فتکون من الهالکین. ----- ۴۲۵
و قوله.:هو القادر الّذی إذا ارتمت.إلی آخره. ----- ۴۲۶
و قوله:و هی تجوب مهاوی سدف الغیوب متخلّصه إلیه سبحانه. ----- ۴۲۷
و قوله:فرجعت إذ جبهت.إلی قوله:عزّته. ----- ۴۲۷

و قوله:الّذی ابتدع الخلق علی غیر مثال.إلی قوله:قبله. ----- ۴۲۷
و قوله:و أرانا من ملکوت قدرته.إلی قوله:معرفته. ----- ۴۲۸
و قوله:و ظهرت فی البدائع.إلی قوله:قائمه. ----- ۴۲۸
و قوله:و أشهد أنّ من شبّهک.إلی قوله:بربّ العالمین. ----- ۴۲۹
و قوله:کذب العادلون.إلی قوله:عقولهم. ----- ۴۳۰
و قوله:و أشهد أنّ من ساواک بشیء من خلقک.إلی قوله:بیّناتک. ----- ۴۳۰
و قوله:و إنّک أنت اللّه الّذی لم تتناه فی العقول.إلی قوله:مصرّفا. ----- ۴۳۱
و قوله:و مصرّفا ----- ۴۳۱
الفصل الثالث: ----- ۴۳۱
اشاره ----- ۴۳۱
اللغه ----- ۴۳۲
المعنی ----- ۴۳۲
فقوله:قدّر ما خلق فأحکم تقدیره . ----- ۴۳۲
و قوله:و دبّره فألطف تدبیره ----- ۴۳۲
و قوله:و وجّهه لوجهته.إلی قوله:إلی غایته ----- ۴۳۲
و قوله:و لم یستعصب إذ امر بالمضیّ علی إرادته ----- ۴۳۲
و قوله:و کیف و إنّما صدرت الامور عن مشیئته ----- ۴۳۳
و قوله:المنشیء أصناف الأشیاء.إلی قوله:عجائب الامور. ----- ۴۳۳
و قوله:فأتتمّ خخلقه و أذعن لطاعته و أجاب إلی دعوته. ----- ۴۳۳
و قوله:و لم یعترض دونه ریث المبطئ و لا أناه المتلکّیء. ----- ۴۳۳
و قوله:فأقام من الأشیاء أودها.إلی قوله:و الهیئات. ----- ۴۳۴
و قوله و فرّقها أجناسا مختلفات فی الحدود و الأقدار و الغرائز و الهیئات. ----- ۴۳۴
و قوله:بدا یا خلایق أحکم صنعها و فطرها علی ما أراد و ابتدعها. ----- ۴۳۴
الفصل الرابع منها فی صفه السماء: ----- ۴۳۴
اشاره ----- ۴۳۴
اللغه ----- ۴۳۵

و هذا الفصل یشتمل علی کیفیّه خلق السماء ----- ۴۳۵
فقوله:و نظم بلا تعلیق.إلی قوله:انفراجها ----- ۴۳۵
و قوله:و وشّج بینها و بین أزواجها. ----- ۴۳۶
و قوله:و ذلّل للهابطین بأمره.إلی قوله:انفراجها. ----- ۴۳۶
و قوله:و ناداها بعد إذ هی دخان فالتحمت عری أشراجها و افتتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها. ----- ۴۳۷
و قوله:و أقام رصدا من الشهب الثواقب علی نقابها. ----- ۴۳۷
و قوله:و أمسکها من أن تمور فی خرق الهواء بأیده و أمرها أن تقف مستسلمه لأمره. ----- ۴۳۸
و قوله:و جعل شمسها آیه مبصره لنهارها و قمرها آیه ممحوّه من لیلها. ----- ۴۳۸
و قوله:فأجراهما فی مناقل مجراهما و قدّر سیرهما فی مدارج درجهما. ----- ۴۳۹
و قوله:لیمیّز بین اللیل و النهار.إلی قوله:بمقادیرهما. ----- ۴۳۹
و قوله:ثم علّق فی جوّها فلکها. ----- ۴۳۹
و قوله:و ناط بها زینتها من خفیّات دراریها و مصابیح کواکبها. ----- ۴۴۰
و قوله:و أجراها علی إذلال تسخیرها. ----- ۴۴۰
الفصل الخامس و منها فی صفه الملائکه: ----- ۴۴۱
اشاره ----- ۴۴۱
اللغه ----- ۴۴۴
و اعلم أنّ هذا الفصل یشتمل علی وصف الملائکه ----- ۴۴۴
اشاره ----- ۴۴۴
الأوّل:ثمّ خلق سبحانه إلی قوله:من الملائکه ----- ۴۴۴
الثانی: ----- ۴۴۵
الثالث: ----- ۴۴۵
الرابع: ----- ۴۴۵
الخامس: ----- ۴۴۶
السادس: ----- ۴۴۶
السابع: ----- ۴۴۶
الثامن: ----- ۴۴۶

التاسع: ۴۴۶
العاشر: ۴۴۸
الحادی عشر: ۴۴۸
الثانی عشر: ۴۴۸
الثالث عشر: ۴۴۸
الرابع عشر: ۴۴۸
الخامس عشر: ۴۴۸
السادس عشر: ۴۴۹
السابع عشر: ۴۴۹
الثامن عشر: ۴۴۹
التاسع عشر: ۴۴۹
العشرون: ۴۵۱
الحادی و العشرون: ۴۵۱
الثانی و العشرون: ۴۵۱
الثالث و العشرون: ۴۵۲
الرابع و العشرون: ۴۵۲
الخامس و العشرون ۴۵۲
السادس و العشرون: ۴۵۳
السابع و العشرون: ۴۵۳
الثامن و العشرون: ۴۵۳
التاسع و العشرون: ۴۵۳
الثلاثون: ۴۵۴
الحادی و الثلاثون: ۴۵۴
الثانی و الثلاثون: ۴۵۴
الثالث و الثلاثون: ۴۵۴
الرابع و الثلاثون: ۴۵۵

الخامس و الثلاثون: ---------- ۴۵۵
السادس و الثلاثون: ---------- ۴۵۵
السابع و الثلاثون: ---------- ۴۵۶
الثامن و الثلاثون: ---------- ۴۵۶
الفصل السادس و منها فی صفه الأرض و دحوها علی الماء. ---------- ۴۵۶
اشاره ---------- ۴۵۶
اللغه ---------- ۴۶۱
و اعلم أنّ هذا الفصل یشتمل علی فصول : ---------- ۴۶۳
الفصل الأوّل:فی تمجید اللّه تعالی باعتبار خلقه للأرض فی الماء و جمله من أحوالها ---------- ۴۶۳
البحث الأوّل:فی الاستعارات و التشبیهات و أبحاث لفظیّه. ---------- ۴۶۳
الأوّل: ---------- ۴۶۳
الثانی: ---------- ۴۶۳
الثالث: ---------- ۴۶۳
الرابع: ---------- ۴۶۴
الخامس: ---------- ۴۶۴
السادس: ---------- ۴۶۵
السابع: ---------- ۴۶۵
الثامن: ---------- ۴۶۵
التاسع: ---------- ۴۶۵
العاشر: ---------- ۴۶۵
الحادی عشر: ---------- ۴۶۵
الثانی عشر: ---------- ۴۶۵
الثالث عشر: ---------- ۴۶۵
الرابع عشر: ---------- ۴۶۵
الخامس عشر: ---------- ۴۶۶
السادس عشر: ---------- ۴۶۶

السابع عشر: ----- ۴۶۷
الثامن عشر: ----- ۴۶۷
التاسع عشر: ----- ۴۶۷
العشرون: ----- ۴۶۷
البحث الثانی:أن مقتضی الکلام أنّ اللّه خلق الماء قبل الأرض ثمّ دحاها فیه ----- ۴۶۷
البحث الثالث:أنّه اشیر إلی کونها مدحوّه فی القرآن الکریم أیضا ----- ۴۶۷
البحث الرابع:الإشاره إلی خلق الجبال فیها و کونها سببا لسکونها ----- ۴۶۹
البحث الخامس:فی تفجیر ینابیع العیون فی الجبال و غیرها ----- ۴۶۹
البحث السادس:أنّه أعدّ الهواء لساکنها ----- ۴۶۹
البحث السابع:فی إخراجه تعالی أهل الأرض إلیها بعد تمام مرافقها ----- ۴۷۰
البحث الثامن:فی تمجیده تعالی باعتبار إنشائه للسحاب و البرق ----- ۴۷۱
البحث التاسع:فی تمجیده باعتبار تخریقه للفجاج فی آفاقها: ----- ۴۷۲
الفصل الثانی:فی تمجیده تعالی باعتبار خلقه لآدم ----- ۴۷۲
الفائده الاولی: ----- ۴۷۲
الفائده الثانیه: ----- ۴۷۲
الفائده الثالثه: ----- ۴۷۲
الفائده الرابعه ----- ۴۷۵
الفائده الخامسه: ----- ۴۷۶
الفائده السادسه: ----- ۴۷۶
الفائده السابعه: ----- ۴۷۶
الفائده الثامنه: ----- ۴۷۶
الفائده التاسعه: ----- ۴۷۷
الفائده العاشره: ----- ۴۷۷
الفصل الثالث:فی تمجیده سبحانه باعتبار کونه عالما بالأشیاء ----- ۴۷۸
الفصل الرابع:فی تمجیده خطابا له و دعاء و طلبا لجزاء ما سبق من ثنائه ----- ۴۸۰
و فیه إشارات: ----- ۴۸۰

الاولی: ---------- ۴۸۰
الثانیه: ---------- ۴۸۰
الثالثه: ---------- ۴۸۰
الرابعه ---------- ۴۸۱
۸۹-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۴۸۱
اشاره ---------- ۴۸۱
المعنی ---------- ۴۸۱
اشاره ---------- ۴۸۱
قوله فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب ---------- ۴۸۲
و قوله:و إنّ الآفاق قد أغامت و المحجّه قد تنكّرت. ---------- ۴۸۲
و قوله:و اعلموا.إلی قوله:عتب العاتب. ---------- ۴۸۲
و قوله:و إن ترکتمونی إلی آخره. ---------- ۴۸۲
۹۰-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۴۸۳
اشاره ---------- ۴۸۳
المعنی ---------- ۴۸۵
اللغه ---------- ۴۸۵
اشاره ---------- ۴۸۵
فقوله:فأنا فقأت عین الفتنه ---------- ۴۸۵
و قوله:و لم یکن لیجترئ علیها أحد غیری ---------- ۴۸۵
و قوله:فاسئلونی.إلی قوله:و من یموت منهم موتا . ---------- ۴۸۷
و قوله:و لو قد فقدتمونی.إلی قوله:المسئولین. ---------- ۴۸۷
و قوله:ذلک. ---------- ۴۸۷
و قوله:إذا قلصت حربکم ---------- ۴۸۸
و قوله:حتّی یفتح اللّه لبقیّه الأبرار منکم. ---------- ۴۸۸
و قوله:إنّ الفتن إذا أقبلت تشبّهتشبّهت خ. ---------- ۴۸۸
و قوله:ینکرن مقبلات و یعرفن مدبرات. ---------- ۴۸۸

و قوله:و يحمن حومحول خالرياح. ---------- ۴۸۸
و قوله:ألا إنّ أخوف الفتن عندی إلی آخر. ---------- ۴۸۸
و قوله:نحن أهل البیت منها بمنجاه و لسنا فیها بدعاه ---------- ۴۹۱
و قوله:ثمّ یفرّجهایفرج خاللّه کتفریج الأدیم.إلی قوله:إلاّ الخوف. ---------- ۴۹۱
و قوله:حتّی تودّ قریش إلی آخره. ---------- ۴۹۱
۹۱-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۴۹۲
القسم الأول ---------- ۴۹۲
اشاره ---------- ۴۹۲
المعنی ---------- ۴۹۲
اشاره ---------- ۴۹۲
و قوله:الّذی لا یبلغه بعد الهمم و لا یناله حدس الفطن. ---------- ۴۹۲
و قوله:الأوّل إلی آخره. ---------- ۴۹۲
القسم الثانی ---------- ۴۹۳
اشاره ---------- ۴۹۳
اللغه ---------- ۴۹۳
المعنی ---------- ۴۹۴
و قوله،و استودعهم.إلی قوله:خلف . ---------- ۴۹۴
و قوله:کلّما مضی منهم سلف قام بدین اللّه منهم خلف. ---------- ۴۹۴
و قوله:حتّی أفضت کرامه اللّه إلی محمّد صلی اللّه علیه و آله و سلّم.إلی قوله:امناءه. ---------- ۴۹۴
و قوله:عترته خیر العتر و اسرته خیر الاسر. ---------- ۴۹۵
و قوله:و شجرته خیر الشجز. ---------- ۴۹۵
و قوله:فهو إمام من اتّقی.إلی قوله:لمعه ---------- ۴۹۵
و قوله:سیرته القصد. ---------- ۴۹۶
و قوله:أرسله علی حین فتره من الرسل و هفوه من العمل. ---------- ۴۹۶
و قوله:اعملوا رحمکم اللّه علی أعلام بیّنه. ---------- ۴۹۶
و قوله:و الطریق نهج «یَدْعُوا إِلی دارِ السَّلامِ» . ---------- ۴۹۶

و قوله:و أنتم فی دار مستعتب. ---------- ۴۹۶
و قوله:و الصحف منشوره إلی آخره. ---------- ۴۹۷
۹۲-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۴۹۸
اشاره ---------- ۴۹۸
أقول:الفصل لتقریر فضیله الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم ---------- ۴۹۸
اشاره ---------- ۴۹۸
و قوله:قد استهوتهم الأهواء. ---------- ۴۹۸
و قوله:حیاری فی زلزال من الأمر و بلاء من الجهل. ---------- ۴۹۹
و قوله:فبالغ إلی آخره. ---------- ۴۹۹
۹۳-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۴۹۹
القسم الأول ---------- ۴۹۹
اشاره ---------- ۴۹۹
المعنی ---------- ۴۹۹
القسم الثانی منها فی ذکر الرسول صلی الله علیه و آله و سلّم ---------- ۵۰۰
اشاره ---------- ۵۰۰
اللغه ---------- ۵۰۰
المعنی ---------- ۵۰۰
۹۴-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۵۰۱
اشاره ---------- ۵۰۱
اللغه ---------- ۵۰۳
المعنی ---------- ۵۰۳
۹۵-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۵۰۸
اشاره ---------- ۵۰۸
اللغه ---------- ۵۰۸
المعنی ---------- ۵۰۸
فهرست أهمّ مطالب ما فی هذا الجزء ---------- ۵۱۰

شرح نهج البلاغه (ابن میثم) المجلد ۲

اشاره

ص :۱

اشاره

«بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» نحمد اللّه على ما فتح لنا أبواب المعرفه،و نشكره على ما ألهمنا من شكر النعمه.و نصلّى و نسلّم على من بعثه إلى عباده ليتلو عليهم الكتاب و الحكمه،و على آله المعصومين الكرام البرره.و نسأله أن يسعد حظّنا و يثبّت أقدامنا لليسر فى سبيله و للسعى وراء مرضاته،و أن يجعل صحائف أعمالنا بسعد الجدّ متواليه،و بصالح الأعمال متواصله.إنّه بعباده رؤف رحيم.

و بعد فهذا هو الجزء الثانى من كتاب شرح نهج البلاغه للعلاّمه المحقّق الحكيم:ميثم بن علىّ البحرانى على حسب ما رتّب كتابه،مبتدئا فى شرح الثانيه و العشرين من الخطب و ما يجرى مجراها على حسب ما جمعه الشريف الرضّى-جزاهما اللّه أحسن الجزاء-.

و هى:

ص:2

* تتمه باب المختار من الخطب

۲۲–و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ- كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا- مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ- فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَهً- فِی أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ- فَلاَ تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَهً- فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَهً تَظْهَرُ- فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَ يُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ- كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِی يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَهٍ- مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ وَ يُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ- وَ كَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِیءُ مِنَ الْخِيَانَهِ- يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ- إِمَّا دَاعِیَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ- وَ إِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَ مَالٍ- وَ مَعَهُ دِينُهُ وَ حَسَبُهُ- إِنَّ الْمَالَ وَ الْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا- وَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَهِ- وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ- فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ- وَ اخْشَوْهُ خَشْيَهً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ- وَ اعْمَلُوا فِی غَيْرِ رِيَاءٍ وَ لاَ سُمْعَهٍ- فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ- نَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَ مُعَايَشَهَ السُّعَدَاءِ

ص: ۳۰

وَ مُرَافَقَهَ الْأَنْبِيَاءِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لاَ يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ- وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ وَ دِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ- وَ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَهً مِنْ وَرَائِهِ وَ أَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ- وَ أَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَهٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ- وَ لِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ- خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُوَرِّثُهُ غَيْرَهُ

اللغه

أقول: الغفيره : الكثره و الزياده.و روى عفوه بكسر العين،و عفوه كلّ شىء صفوته.

و غرى يغرى بالأمر إذا ولع به ،و أغريته به : إذا حثثت له الدخول فيه .و الفالج : الفائز .

و الياسر : اللاعب بالميسر.و سنذكر كيفيّته .و القداح : سهام الميسر الّتى يلعب بها ،و التعذير اظهار العذر ممّن لا عذر له فى الحقيقه ،و عشيره الرجل : قبيلته و المعاشرون له ،و الحيطه بالكسر : الحفظ و الرعايه ،و اللمّ : الجمع .و الشعث : تفرّق الأمر و انتشاره .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّ مدار هذا الفصل على تأديب الفقراء بترك الحسد و نحوه أوّلا،و على تأديب الأغنياء بالشفقه على الفقراء و مواساتهم بالفضل من المال و تزهيدهم جمعه ثانيا .

فقوله:أمّا بعد فإنّ الأمر ينزل إلى قوله:أو نقصان

فقوله: أمّا بعد فإنّ الأمر ينزل إلى قوله: أو نقصان .صدر الخطبه.أورده ليبنى عليه غرضه،و حاصله الإشاره إلى أنّ كلّ ما يحدث من زياده أو نقصان و يتجدّد فيما يكون به صلاح حال الخلق فى معاشهم و معادهم من صحّه أو مال أو علم أو جاه أو أهل فإنّه صادر عن القسمه الربّانيّه المكتوبه بقلم القضاء الإلهىّ فى اللوح المحفوظ الّذى هو خزانه كلّ شىء.و المراد بالأمر حكم القدره الإلهيّه على الممكنات بالوجود و هو المعبّر عنه بقوله تعالى:

«كُنْ» :فى قوله: «إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ» و بنزوله نسبه حصوله إلى كلّ نفس بما قسّم لها و هى النسبه المسمّاه بالقدر فى قوله تعالى «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ»(1) و استعاره-حقيقت المراد بالسماء سماء الجود الإلهىّ و بالأرض عالم الكون و الفساد على سبيل استعاره هذين اللفظين للمعنيين المعقولين من المحسوسين،و وجه الاستعاره فى الموضعين

1- ۲۱-۱۵.

مشاركه المعنيين المذكورين للسماء و الأرض فى معنيى العلوّ و الاستفال كلّ بالنسبه إلى الآخر،و إنّما لم تكن الحقيقه مراده لأنّ الأمر النازل ليس له جهه هى مبدء نزوله و إلاّ لكان الأمر فى جهته-تعالى اللّه عن ذلك-و يحتمل أن يراد حقيقه السماء و الأرض على معنى أنّ الحركات الفلكيّه لمّا كانت شرائط معدّه يصدر بواسطتها ما يحدث فى الأرض كانت السماء مبادئ على بعض الوجوه لنزول الأمر . تشبيه فأمّا تشبيهه بقطر المطر فوجه التشبيه أنّ حصول الرزق و الأهل و نحوهما لكلّ نفس و قسمها منها مختلف بالزياده و النقصان كما أنّ قطر المطر بالقياس إلى كلّ واحده من البقاع كذلك.و هو تشبيه للمعقول بالمحسوس .

و قوله:فإذا رأى أحدكم لأخيه المسلم غفيره فى أهل أو مال أو نفس فلا تكونن له فتنه

و قوله: فإذا رأى أحدكم لأخيه المسلم غفيره فى أهل أو مال أو نفس فلا تكوننّ له فتنه.

شروع فى تأديب من حصل فى حقّه النقصان فى أحد الامور المذكوره بالنهى لهم عن الافتتان بحال من حصلت له الزياده و النفاسه فى أحدها:من المال أو الأهل أو النفس.قال بعض الشارحين:إنّه أراد بالنهى عن الفتنه هاهنا النهى عن الحسد.و التحقيق أن يقال:

إنّ الفتنه هى الضلال عن الحقّ بمحبّه أمر ما من الامور الباطله،و الاشتغال به عمّا هو الواجب من سلوك سبيل اللّه.و لمّا كان حال الفقراء من أحد الامور المذكوره بالنسبه إلى من عرضت له الزياده فى أحدها،فمنهم من يؤهّل نفسه لتلك الزياده فيرى أنّه أحقّ بها ممّن عرضت له فيعرض له أن يحسده،أو يرى أنّه يستحقّ مثلها فيعرض له أن يغبطه،و منهم من يقصّر نفسه عن ذلك لكن يميل بطبعه إلى خدمه من له تلك الزياده،و ينجذب بكلّيته إلى موالاتهم ككثير من الفقراء الّذين يميلون بطباعهم إلى خدمه الأغنياء،و يخلصون السعى لهم ليس لأمر سوى ما حصلوا عليه من مال أو جاه أو نحو ذلك.و لعلّ تلك الغايه يشوبها توهّم الانتفاع بهم ممّا حصلوا عليه.و لمّا كانت هذه الامور و نحوها أعلى الحسد و الغبطه،و الميل إليهم لأجل ما حصلوا عليه من الزياده فى أحد الامور المذكوره رذائل أخلاق مشغله عن التوجّه إلى اللّه تعالى و مقبله عن سواء السبيل كان المنهىّ عنه فى الحقيقه هو الضلال بأحد الرذائل ه هاهنا .

و قوله:فإنّ المرء المسلم.إلى قوله:و معه دينه و حسبه.

و قوله : فإنّ المرء المسلم. إلى قوله: و معه دينه و حسبه.

أقول:إعراب هذا الفصل أنّ ما هاهنا بمعنى المدّه.و كالفالج خبر أنّ و تظهر صفه

لدناءه و قوله فیخشع إن حملنا الخشوع علی المعنی اللغوی و هو غضّ الطرف مثلا و التطأمن.

کان عطفا علی یظهر،و إن حملناه علی المعنی العرفیّ و هو الخضوع للّه و الخشیه منه فالفاء للابتداء.و الیاسر صفه للفالج.و إذا للمفاجاه.إذا عرفت ذلک.

تشبیه فاعلم أنّه علیه السّلام لمّا نهی عن الفتنه بأحد الامور المذکوره و الشغل بها أراد أن یتبّه علی فضیله الانتهاء عنه فتبّه علی کونها دنایا بقوله: ما لم یغش دناءه ،ثمّ عقّب بالتنفیر عن الدناءه و الترغیب فی التنزّه عنها بما ذکره.و معناه أنّ المسلم مهما لم یرتکب أمرا خسیسا یظهر عنه فیکسب نفسه خلقا ردیئا،و یلزمه بارتکابه الخجل من ذکره بین الخلق إذا ذکر و الحیاء من التعییر به،و یغری به لئام الناس و عوامّهم فی فعل مثله.و قیل:

فی هتک ستره.فإنّه یشبه الفالج الیاسر.هذا إن حملنا الخشوع علی معناه اللغویّ،و إن حملناه علی المعنی العرفی الشرعیّ کان المراد أنّه ما لم یغش دناءه فیخشع لها:أی بل یخشع للّه و یخضع له عند ذکرها و یتضرّع إلیه هربا من الوقوع فی مثلها و خوفا من وعیده علی المعاصی فیکون کالفالج الیاسر.

فلنشرت أوّلا إلی کیفیّه اللعب المسمّی میسرا لیتّضح به وجه التشبیه.فنقول:إنّ الخشبات المسمّیات قداحا و هی الّتی کانت لایسار الجزور سبعه:أوّلها:الفذّ بالذال المعجمه و فیه فرض واحد.و ثانیها:التوأم.و فیه فرضان.و ثالثها:الضریب بالضاد المعجمه و فیه ثلاثه فروض.و رابعها:الحلس بکسر الحاء،و نقل أحمد بن فارس فی المجمل:الحلس بفتح الحاء و کسر اللام.و فیه أربعه فروض.و خامسها:النافس و فیه خمسه فروض.و سادسها:

المسیل.و هی ستّه فروض.و سابعها:المعلّی و له سبعه فروض.و لیس بعده قدح فیه شیء من الفروض،إلاّ أنّهم یدخلون مع هذه السبعه أربعه اخری تسمّی أوغادا.لا فروض فیها.و إنّما تثقل به القداح.و أسماءها:المصدر،ثمّ المضعف،ثمّ المنبح،ثمّ الصفیح.فإذا اجتمع أیسار الحیّ أخذ کلّ منهم قدحا:و کتب علیه اسمه أو علّم بعلامه،ثمّ أتوا بجزور فینحرها صاحبها و یقسّمها عشره أجزاء:علی الورکین،و الفخذین،و العجز،و الکاهل،و الزور، و الملحاء،و الکتفین.ثمّ یعمد إلی الطفاطف و حرز الرقبه فیقسّمها علی تلک الأجزاء بالسویّه.فإذا استوت و بقی منها عظم أو بضعه لحم انتظر به الجازر من أراده ممّن

بفوز قدحه فإن أخذه عيّر به و إلاّ فهو للجازر،ثمّ يؤتى برجل معروف أنّه لم يأكل لحما قطّ بثمن إلاّ أن يصيبه عند غيره و يسمّى الحرضه.فيجعل على يديه ثوب، و تعصّب رءوس أصابعه بعصابه كيلا يجد مسّ الفروض،ثمّ يدفع إليه القداح،و يقوم خلفه رجل يقال له الرقيب.فيدفع إليه قدحا قدحا منها من غير أن ينظر إليها.فمن خرج قدحه أخذ من أجزاء الجزور بعدد الفروض الّتى فى قدحه،و من لم يخرج قدحه حتّى استوفيت أجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كأجزاء تلك الجزور من جزور اخرى لصاحب الجزور الّذى نحرها.فإن اتّفق أن خرج المعلّى أوّلا-فأخذ صاحبه سبعه أجزاء من الجزور،ثمّ خرج المسيل فلم يجد صاحبه إلاّ-ثلاثه أجزاء أخذها،و غرم له من لم يفز قدحه ثلاثه أجزاء من جزور اخرى.و أمّا القداح الأربعه الأوغاد فليس فى خروج أحدها غنم،و لا-فى عدم خروجه غرم.و المنقول عن الأيسار أنّهم كانوا يحرّمون ذلك اللحم على أنفسهم،و يعدّونه للضيافه.إذا عرفت ذلك.

فاعلم أنّ وجه الشبه هو ما ذكره عليه السّلام و ذلك أنّ الفائز الياسر الّذى ينتظر قبل فوزه أوّل فوزه من قداحه أوجب له فوزه المغنم و نفى عنه المغرم فكذلك المسلم البرىء من الخيانه الضابط لنفسه عن ارتكاب مناهى اللّه لمّا كان لا بدّ له فى انتظاره لرحمه اللّه و صبره عن معصيته أن يفوز بإحدى الحسنيين:و هى إمّا أن يدعوه اللّه إليه بالقبض عن الشقاء فى هذه الدار .فما عند اللّه ممّا أعدّه لأوليائه الأبرار خير له .فيفوز إذن بالنعيم المقيم.و لمّا كان فوزه مستلزما لعدم خسرانه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج فى فوزه المستلزم لعدم غرمه.و يحتمل أن يريد بداعى اللّه لا الموت،بل الجواذب الإلهيّه، و الخواطر الربّانيّه الّتى تسنح له فتجذبه إلى طرف الزهد الحقيقىّ و الالتفات عن خسائس هذه الدار إلى ما وعد به المتقوّن،و إمّا أن يفتح اللّه عليه أبواب رزقه فيصبح و قد جمع اللّه له بين المال و البنين مع حفظ الحسب و الدين.فيفوز الفوز العظيم و يأمن العقاب الأليم.فالتشبيه أيضا هاهنا واقع موقعه،و كلا الوصفين أفضل عند العاقل من الفتنه بالغير،و الالتفات عن اللّه تعالى،و تدنيس لوح النفس برذائل الأخلاق من الحسد و نحوه.و كما أنّ الفصل مستلزم للنهى عن الحسد و نحوه من الفتن المضلّه كذلك

هو مستلزم للأمر بالصبر على بلاء اللّه و انتظار رحمته .

قوله:إنّ المال و البنين حرث الدنيا.إلى قوله:لأقوام.

قوله: إنّ المال و البنين حرث الدنيا. إلى قوله: لأقوام .

أقول:لمّا بيّن فيما سبق من التشبيه و غيره أنّ تارك الرذائل المذكوره و نحوها المنتظر للحسنى من اللّه فائز.أردف ذلك بالتنبيه على تحقير المغشيات الّتى ينشأ منها التنافس،و منها الرذائل المذكوره.فذكر أعظمها و أهمّها عند الناس و هو المال و البنون.

فإنّهما أعظم الأسباب الموجبه لصلاح الحال فى الحياه الدنيا و أشرف القينات الحاضره.

كما قال اللّه تعالى «الْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَهُ الْحَياهِ الدُّنْيا» و نبّه على تحقيرهما بالنسبه إلى العمل بكونهما من حرث الدنيا و العمل الصالح حرث الآخره .و المقدّمه الاولى من هذا الاحتجاج صغرى كبراه ضمير تقديرها و حرث الدنيا حقير عند حرث الآخره.فينتج أنّ المال و البنين حقيران بالنسبه إلى حرث الآخره.و قد ثبت فى المقدّمه الثانيه أنّ حرث الآخره هو العمل الصالح.فإذن المال و البنون حقيران بالنسبه إلى العمل الصالح.

أمّا المقدّمه الاولى فظاهره إذ لا حصول للمال و البنين فى غير الدنيا.

و أمّا بيان الثانيه فمن وجهين:أحدهما:قوله تعالى «فَما مَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا فِی الْآخِرَهِ إِلاّ قَلِیلٌ» و ظاهر أنّه لا يريد قلّه الكميّه،بل المراد حقارته بالنسبه إلى متاع الآخره و لذّتها.الثانى:أنّ حرث الدنيا من الامور الفانيه،و حرث الآخره من الامور الباقيه الموجبه للسعاده الأبديّه،و الفانيات الصالحات ظاهره الحقاره بالنسبه إلى الباقيات الصالحات كما قال تعالى «وَ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلاً» ثمّ نبّه السامعين بقوله: و قد يجمعهما اللّه لأقوام .على وجوب الالتفات إلى اللّه تعالى و التوكّل عليه.و ذلك أنّ الجمع بين حرث الدنيا و الآخره لمّا كان فى طباع كلّ عاقل طلب تحصيله،و كان حصوله إنّما هو من اللّه دون غيره لمن يشاء من عباده.ذكر عليه السّلام ذلك ليفرغ الطالبون للسعاده إلى جهه تحصيلها و هو التقرّب إلى اللّه بوجوه الوسائل، و الإعراض عمّا لا يجدى طائلا من الحسد و نحوه ،ثمّ أكّد ذلك الجذب بالتحذير ممّا حذّره اللّه من نفسه،و الأمر بالخشيه الصادقه البريئه من التعذير المستلزمه لترك محارمه،و لزوم حدوده الجاذبه إلى الزهد الحقيقى،ثمّ أردف ذلك بالأمر بالعمل للّه

البرىء من الرياء و السمعه و هو إشاره إلى العباده الخالصه للّه،و المستلزم لتطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه،و قد ثبت فى علم السلوك إلى اللّه تعالى أنّ الزهد و العباده كيف يوصلان إلى السعاده التامّه الأبديّه .

و قوله:فإنّه من يعمل لغير اللّه يكله اللّه لمن عمل له.

و قوله: فإنّه من يعمل لغير اللّه يكله اللّه لمن عمل له.

تعليل لوجوب ترك الرياء و السمعه فى العمل.فإنّ العامل للرياء و السمعه قاصد أن يراه الناس و يسمعوا بحاله ليعود إليه منهم ما يتوّقعه من مال أو جاه و نحوه من الأغراض الباطله و الأعراض الزائله.و قد علمت أنّ التفات النفس إلى شىء من ذلك شاغل لها عن تلقّى رحمه اللّه و الاستعداد لها،محجوبه به عن قبول فضله.و لمّا كان هو مسبّب الأسباب و منتهى سلسله الممكنات لا جرم كانت المطالب منه لا من غيره فجرى منه التحديد بالوكول إلى من سواه ممّن عمل له العاملون لاستلزامه الخيبه و الحرمان.

و خسر العاملون إلاّ له،و خاب المتوكّلون إلاّ عليه.و قد سبق منّا بيان معنى كون العامل لغير اللّه موكولا إلى نفسه و إلى من عمل له فى الفصل الّذى ذمّ فيه عليه السّلام من يتصدّى للحكم بين الامّه و ليس من أهله.

قوله:نسأل اللّه منازل الشهداء و معايشه السعداء و مرافقه الأنبياء .

قوله: نسأل اللّه منازل الشهداء و معايشه السعداء و مرافقه الأنبياء.

لمّا كانت همّته عليه السّلام مقصوره على طلب السعاده الاخرويّه طلب هذه المراتب الثلاث.و فى ذلك جذب للسامعين إلى الاقتداء به فى طلبها و العمل بها.و بدء عليه السّلام بطلب أسهل المراتب الثلاث للإنسان،و ختم بأعظمها.فإنّ من حكم له بالشهاده غايته أن يكون سعيدا،و السعيد غايته أن يكون فى زمره الأنبياء رفيقا لهم.و هذا هو الترتيب اللائق من المؤدّب الحاذق.فإنّ المرتبه العاليه لا تنال دفعه دون نيل ما هو أدون منها .

قوله:أيّها الناس.إلى قوله:يورّثه غيره.

قوله: أيّها الناس .إلى قوله: يورّثه غيره.

أقول:لمّا أشار إلى تأديب الفقراء عن التعرّض للأغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد و نحوه أردف ذلك بتأديب الأغنياء و استدراجهم فى حقّ الفقراء ذوى الأرحام و أهل القبيله و نحوهم من الأصحاب بالأمر بالمواساه فى المال و المئونه لهم لينتظم شمل المصلحه من الطرفين.فاستدرجهم بأمرين:

أحدهما:ببيان أنّهم لا يستغنون عنهم و إن كانوا أصحاب ثروه.فإنّ الرجل لا يستغنى بماله عن أعوان له يذبّون عنه بأيديهم صوله قبائل،و يدفعون عنه بألسنتهم مسبّه قائل،بل من المعلوم أنّ أشدّ الناس حاجه إلى الأعوان و الأصحاب و المعاضدين هم أكثر الناس ثروه،و انظر إلى الملوك و المتشبّهين بهم من أرباب الأموال.و أحقّ الناس بعدم الاستغناء عنهم عشيره الرجل و أصحابه.فإنّهم أعظم الناس شفقه عليه، و أشدّهم دفاعا عنه و حفظا لجانبه ،و ألمّهم لشعثه أى أشدّهم جمعا لمتفرّق حاله، و أعطفهم عليه إن نزلت به نازله من فقر و نحوه.و ذلك أنّ قربهم منه باعث لدواعى الشفقه عليه.

الثانى:التنبيه بذكر غايتى إنفاق المال و جمعه،و تفضيل أحدهما على الآخر.

و ذلك قوله: و لسان الصدق يجعله اللّه للمرء إلخ.فلسان الصدق هو الذكر الجميل بين الناس و هو من غايات البذل و الانفاق،و غايه جمع المال هى توريثه للغير.و أمّا أفضليّه البذل على الجمع فظاهره من تصوّر هاتين الغايتين.و إنّما رغّب عليه السّلام فى البذل بما يستلزمه من غايه الذكر الجميل بين الناس و إن لم يكن مقصوده من الحثّ على البذل إلاّ مصلحه الفقراء و سداد خلّتهم،و تأديب الأغنياء و تعويدهم بالبذل و النزول عن محبّه المال.

لأنّ توقّع الذكر الجميل من الناس أدعى إلى البذل و أكثر فعلا فى النفوس من الغايات الّتى يقصدها عليه السّلام.و ذلك من الاستدراجات الحسنه.حتّى إذا انفتح باب البذل و تمرّنت النفوس عليه وجدت أنّ أولى المقاصد الّتى يصرف فيها المال هى المقاصد الّتى يقصدها الشارع و يحّث عليها من سدّ خلّه الفقراء الّتى ينتظم بها شمل المصلحه و يتّحد الناس بعضهم ببعض خصوصا العشيره.فإنّه من الواجب فى السيره العادله الّتى بها صلاح حال الإنسان فى الدارين أنّه لمّا كان لا غناء له عن عشيرته و أصحابه،و كان إكرامهم و مواساتهم بالمال هو الّذى يؤكّد الانتفاع بهم و يستحقّونه فى مقابله حفظهم لجانبه و حياطتهم له فبالحرىّ أن يجب مواساتهم و إكرامهم بما ينتظم أحوالهم من فضل المال،و كفى بذكر غايه جمع المال و هى توريث الغير المستلزمه لذكر هادم اللذّات باعثا على بذل المال و النزول عن محبّته و جمعه لمن لمح بعين بصيرته عاقبه أمره.و باللّه التوفيق.

القسم الثانی

اشاره

و منها أَلَا لَا یَعْدِلَنَّ أَحَدُکُمْ عَنِ الْقَرَابَهِ یَرَی بِهَا الْخَصَاصَهَ- أَنْ یَسُدَّهَا بِالَّذِی لَا یَزِیدُهُ إِنْ أَمْسَکَهُ- وَ لَا یَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَکَهُ- وَ مَنْ یَقْبِضْ یَدَهُ عَنْ عَشِیرَتِهِ- فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ یَدٌ وَاحِدَهٌ- وَ تُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَیْدٍ کَثِیرَهٌ- وَ مَنْ تَلِنْ حَاشِیَتُهُ یَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّهَ قال الشریف:أقول:الغفیره ههنا الزیاده و الکثره،من قولهم للجمع الکثیر:الجم الغفیر،و الجماء الغفیر.و یروی«عفوه من أهل أو مال» و العفوه الخیار من الشیء،یقال:أکلت عفوه الطعام،أی:خیاره،و ما أحسن المعنی الذی أراده علیه السّلام بقوله:«و من یقبض یده عن عشیرته إلی تمام الکلام»فإن الممسک خیره عن عشیرته إنما یمسک نفع ید واحده- فإذا احتاج إلی نصرتهم و اضطر إلی مرافدتهم- قعدوا عن نصره و تثاقلوا عن صوته- فمنع ترافد الأیدی الکثیره و تناهض الأقدام الجمه

اللغه

أقول: العدول : الانحراف ،و الخصاصه : الفقر و الحاجه ،و حاشیه الرجل : جانبه و حاشیته:أیضا أخدامه و أتباعه الّذین هم حشو بیته ،و قوله: یری .فی موضع النصب علی الحال، و أن یسدّها.فی موضع الجرّ بدلا من القرابه.

المعنی

و اعلم أنّ المقصود بهذا الفصل هو ما ذکرناه قبله،و لو وصلناه به لصلح تتمّه.له.و حاصله إلی قوله:أید کثیره .النهی عن العدول عن سدّ خلّه الأقرباء و اولی الأرحام ذوی الحاجه بالفضل من المال،و صرفه فی غیر وجهه من المصارف الغیر المرضیّه للّه سبحانه، استعاره بالکنایه و کنّی بالسدّ الّذی هو حقیقه فی منع جسم لجسم عن المنع المعقول و هو منع الاختلال فی حال الإنسان کنایه بالمستعار.

و قوله: لا یزیده إن أمسکه و لا ینقصه إن أهلکه .علی ظاهره إشکال فإنّه یحتمل أن یقال:کلّ

جزء من المـال فـإنّ بقائه زياده فيه و عـدمه نقصان منه.و جوابه من وجهين:أحـدهما أن يقال إنّه عليه السّـلام لم يرد هاهنا مطلق الزيـاده و النقصـان فى المـال بالنسـبه إلى المال.فـإنّ الضـميرين المنصوبين فى يزيـده و ينقصه عايـدان إلى الشـخص المعبّر عنه بأحـدكم المأمور بالإنفاق،و إنّما أراد الزياده و النقصان فيه الّذين لا يعتبر تأثيرهما فى صـلاح حال الإنسان و عـدم صـلاحه،فإنّ الفضل الزائـد فى مال الإنسان على القـدر الّذى يدفع ضـرورته بحسب الشـريعه ليس زيادته معتبره فى صـلاح حاله،و لا نقصانه معتبرا فى فساد حاله فلا يزيده إذن إن أمسكه،و لا ينقصه إن أهلكه.و هذا كما يقول الإنسان لمن يريد أن يسّهل عليه أمرا حقيرا يتشدّد فى طلبه:إنّ هذا الأمر لا يضرّك إن تركته و لا ينفعك إن أخذته أى بالنسبه إلى صلاح حالك.الثانى أنّه يحتمل أن يريد الزياده و النقصان فى الثواب و الأجر فى الآجل،و الثناء و الذكر فى العاجل أى لا يزيده صلاح حال عند اللّه، و عند الناس يكون سببا لفساد حاله:أمّا عند اللّه فلأنّ إمساك الفضل من المال عمّن له إليه ضروره من عباد اللّه سبب للشقاء العظيم و العذاب الأليم فى الآـخره لقوله تعـالى «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الـذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَـذابٍ أَلِيمٍ» (۱)و أمّا عند الناس فعليك بمطالعه مقالاتهم فى ذمّ البخل و البخلاء.و كذلك لا ينقصه أى لا المعطى ينقص من صـلاح حاله:أمّا عند اللّه فلمّا وعد به أهـل الإنفـاق فى سبيله من الأـجر الجميـل و الثواب الجزيـل كقوله تعالى «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لاـ أَذىً» الآيه (۲)و نحوها،و أمّا عنـد الناس فلمّا اتّفقوا عليه من مـدح أهل الكرم و السـخاء و ملاؤا به الصـحف من النظم و النثر فيهم.فأمّا قوله : و من يقبض يده عن عشـيرته .إلى آخره.فمعناه ما ذكره السـيّد الرضـىّ و هو أنّ الممسك خيره عن عشيرته إنّما يمسك عنهم نفع يد واحده،فإذا احتاج إلى نصرتهم قعدوا عن نصرته و تثاقلوا عنه.فمنع ترافد الأيدى الكثيره،إلّا أنّ هذا البيان يحتاج إلى تقرير،و هو أنّ الإنسان لمّا كان انتفاعه بالأيدى الكثيره أتمّ و أولى بصـلاح حاله،و أكثر من النفع الحاصـل له بقبض يده عن النفع بها.وجب عليه أن يستجلب بمدّ يده بالنفع مدّ الأيدى الكثيره إلى

۱- ۱) ۳۴-۹

۲- ۲) ۲۶۴-۲

نفعه و إلّا لكان بسبب طلبه لنفع ما من إمساك يده الواحده عنهم المستلزم لإمساك أيديهم الكثيره عنه مضيّعا على نفسه منافع عظيمه فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيّعا لما هو أعظم منه فيكون مناقضا لغرضه،و ذلک جهل و سفه.و قوله : و من تلن حاشيته يستدم من قومه المودّه .من تمام تأديب الأغنياء بما يعود عليهم منافعه و ينتظم به شمل المصلحه فى العالم من التواضع و لين الجانب للخلق فاستدرجهم إلى التواضع بذكر ثمرته اللازمه عنه الّتى هى مطلوبه لكلّ عاقل،و هى استدامه مودّه الناس المستلزمه لنفعهم و لعدم نفرتهم المستلزمين لصلاح حال التواضع فيما يقصده،و بمثل ذلک أدّب اللّه تعالى نبيّه صلى اللّه عليه و آله و سلم حيث قال: «وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و قد عرفت أنّ سرّ ذلک استجلاب الالفه لهم و المحبّه بينهم عند سكونهم إليه ليجتمعوا على قبول أقواله،و ظهر أنّ شيئا من ذلک لا يحصل عند جفاوه الخلق و التكبر كما قال اللّه تعالى «وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ» (۱)و إن حمل لفظ الحاشيه على الأتباع و الأخدام كان ذلک تأديبا لهم بالتواضع من جهه اخرى،و ذلک أنّ حاشيه الرجل و خاصّته هم حرسه عرضه و ميزان عقله و عليهم يدور تدبير صلاح حاله فبحسب شدّتهم و غلظتهم و لينتهم و تواضعهم للناس يكون قرب الناس و بعدهم منه،و بغضهم و محبّتهم له،و انسهم و نفارهم عنه.و قال بعض الحكماء:إنّ سبيل الخدم و القوم من الإنسان سبيل الجوارح من الجسد،فحاجب الرجل وجهه،و كاتبه قلبه و رسوله لسانه،و خادمه يده و رجله و عينه.لأنّ من كفاه تعاطى كلّ واحد من الأفعال المحتاج إليها فقد قام مقامه فيها،و كما يلحقه الذمّ من العقلاء بترک إصلاح أفعاله الصادره عن أحد جوارحه كذلک يلحقه الذمّ منهم على ترک إصلاح من يقوم مقامه فى تلک الأفعال بتوليته إيّاها،و كما يستديم مودّه إخوانه و يستجلب مودّه الناس بتواضعه بنفسه و لين جانبه لهم كذلک يستديمها بتأديب حاشيته و خدمه بالآداب المتّفق على حسنها بين الناس.و أهمّها و أنفعها فى ذلک لين الجانب و ترک الكبر المنفّر فإنّ أوهام الخلق حاكمه بنسبه كلّ خير و شرّ يجرى من حاشيه الرجل إليه.و إن كان صدق هذا الحكم

ص:۱۳

۱- ۱) ۳-۱۵۳

اکثریّا،و باللّه التوفیق.

۲۳-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

وَ لَعَمْرِی مَا عَلَیَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَ خَابَطَ الْغَیَّ - مِنْ إِدْهَانٍ وَ لاَ إِیهَانٍ- فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ فِرُّوا إِلَی اللَّهِ مِنَ اللَّهِ- وَ امْضُوا فِی الَّذِی نَهَجَهُ لَکُمْ- وَ قُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِکُمْ- ؟فَعَلِیٌّ؟ ضَامِنٌ لِفَلْجِکُمْ آجِلًا إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا

اللغه

أقول: الإدهان و المداهنه : المصانعه ،و الإیهان مصدر أوهنه أی أضعفه ،و خابط الغیّ بلفظ المفاعله : یخبط کلّ منهما فی الآخر.و قد مرّ أنّ الخبط:هو المشی علی غیر استقامه ،و الغیّ : الجهل .و نهجه : أی أوضحه .و عصبه بکم أی علقه بکم و ربطه .و الفلج الفوز ، و المنحه : العطیّه

المعنی

.و فی هذا الفصل ردّ لقول من قال إنّ متابعته علیه مخالفیه و مداهنتهم أولی من محاربتهم فردّ ذلک بقوله: لعمری ما علیّ إلی قوله: و لا إیهان .أی لیس مصانعتهم بواجبه علیّ من طریق المصلحه الدینیّه،و لیسوا بمضعفین لی،و لا علیّ فی قتالهم عجز.

و فی ذکره علیه السّلام لهم بصفه مخالفه الحقّ و مخابطه الغیّ و البغی تنبیه للسامعین و استدراج لهم لقیام عذره فی قتالهم إذ کانت مقاتله من هذه صفته واجبه فلا یمکن إنکار وقوعها منه.

ثمّ أردف ذلک بأوامر:

أوّلها :الأمر بتقوی اللّه،و قد علمت أنّ تقوی اللّه هی خشیته المستلزمه للإعراض عن کلّ مناهیه المبعّده عنه و هو الزهد الحقیقی کما سبقت الإشاره إلیه.

الثانی:الأمر بالفرار إلی اللّه و هو أمر بالإقبال علی اللّه و توجیه وجه النفس إلی کعبه وجوب وجوده،و اعلم أنّ فرار العبد إلی اللّه تعالی علی مراتب:

فاولیها:الفرار عن بعض آثاره إلی بعض کما یفرّ من أثر غضبه إلی أثر رحمته کما قال تعالی حکایه عن المؤمنین فی التضرّع إلیه «رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَهَ لَنا بِهِ وَ اعْفُ»

«عَنّا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا» (۱)فکأنّهم لم یروا إلاّ اللّه و أفعاله ففرُّوا إلی اللّه من بعضها إلی بعض.

الثانیه:أن یفنی العبد عن مشاهده الأفعال و یترقّی فی درجات القرب و المعرفه إلی مصادر الأفعال،و هی الصفات فیفرّ من بعضها إلی بعض کما ورد عن زین العابدین علیه السّلام،اللّهم اجعلنی اسوه من قد أنهضته بتجاوزک من مصارع المجرمین فأصبح طلیق عفوک من اسر سخطک،و العفو و السخط صفتان فاستعاذ بإحدیهما من الاخری.

الثالثه:أن یترقّی عن مقام الصفات إلی ملاحظه الذات فیفرّ منها إلیها کقوله تعالی «لا مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاّ إِلَیْهِ» (۲)و کالوارد فی الدعاء فی القیام إلی الصلاه:منک و بک و لک و إلیک.أی منک بدء الوجود،و بک قیامه،و لک ملکه،و إلیک رجوعه.ثمّ أکّد ذلک بقوله لا ملجأ و لا منجأ و لا مفرّ منک إلاّ إلیک.و قد جمع الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم هذه المراتب حین امر بالقرب فی قوله تعالی «وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ» (۳)و قال فی سجوده:أعوذ بعفوک من عقابک.و هو کلام من شاهد فعل اللّه فاستعاذ ببعض أفعاله من بعض،و العفو کما یراد به صفه العافی کذلک قد یراد به الأثر الحاصل عن صفه العفو فی المعفوّ عنه کالخلق و الصنع،ثمّ لمّا قرب فغنی عن مشاهده الأفعال و ترقّی إلی مصادرها و هی الصفات قال:و أعوذ برضاک من سخطک و هما صفتان،ثمّ لمّا رأی ذلک نقصانا فی التوحید اقترب و ترقّی عن مقام مشاهده الصفات إلی ملاحظه الذات فقال:و أعوذ بک منک،و هذا فرار إلیه منه مع قطع النظر عن الأفعال و الصفات،و هو أوّل مقام الوصول إلی ساحل العزّه.ثمّ للسباحه فی لجّه الوصول درجات اخر لا تتناهی.و لذلک لمّا ازداد صلی اللّه علیه و آله و سلّم قربا قال:لا احصی ثناء علیک.فکان ذلک حذفا لنفسه عن درجه الاعتبار فی ذلک المقام و اعترافا منه بالعجز عن الإحاطه بما له من صفات الجلال و نعوت الکمال،و کان قوله بعد ذلک:أنت کما أثنیت علی نفسک.کمالا للإخلاص و تجریدا للکمال المطلق الّذی به هو هو أجلّ من أن یلحقه لغیره حکم و همیّ أو عقلیّ.إذا عرفت ذلک ظهر أنّ مقصوده علیه السّلام بقوله: و فرّو إلی اللّه من اللّه .أمر بالترقّی إلی المرتبه الثالثه من المراتب المذکوره .

۱- ۱) ۲۸۶-۲

۲- ۲) ۱۱۹-۹

۳- ۳) ۱۹-۹۶

الثالث:الأمر بالمضىّ فيما نهجه لهم من السبيل الواضح العدل الّذى هو واسطه بين طرفى الإفراط و التفريط،و الصراط المستقيم المدلول عليه بالأوامر الشرعيّه.و قد علمت أنّ الغرض من سلوك هذا السبيل و امتثال التكاليف الّتى الزم الإنسان بها و عصبت به إنّما هو تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه بحيث تصير مؤتمره لها و متصرّفه تحت حكمها العقلىّ منقاده لها عن الانهماك فى ميولها الطبيعيّه و لذّاتها الفانيه.و حينئذ تعلم أنّ هذه الأوامر الثلاثه هى الّتى عليها مدار الرياضه و السلوك إلى اللّه تعالى، فالأمر الأوّل و الثالث أمر بما هو معين على حذف الموانع عن الالتفات إلى اللّه تعالى، و على تطويع النفس الأمّاره،و الأمر الثانى أمر بتوجيه السير إلى اللّه.و قد تبيّن فيما مرّ أنّ هذه الامور الثلاثه هى الأغراض الّتى يتوجّه نحوها الرياضه المستلزمه لكمال الاستعداد المستلزم للوصول التامّ.و لذلك قال عليه السّلام :فعلىّ ضامن لفلحكم آجلا إن لم تمنحوه عاجلا .أى إذا قمتم بواجب ما امرتم به من هذه الأوامر كان ذلك مستلزما لفوزكم فى دار القرار بجنّات تجرى من تحتها الأنهار الّتى هى الغايات الحقيقيه و لمثلها يعمل العاملون و فيها يتنافس المتنافسون إن لم يتمّ تأهّلكم للفوز فى الدار العاجله فمنحوه فيها،و قد يتمّ الفوز بالسعادتين العاجليّه و الآجليّه لمن وفت قوّته بالقيام بهما و كمل استحقاقه لذلك فى علم اللّه.و لمّا كان حصول السعاده و الفوز عن لزوم الأوامر المذكوره أمرا واجبا واضح الوجوب فى علمه عليه السّلام لا جرم كان ضامنا له.فإن قلت:فما وجه اتّصال هذه الأوامر بصدر هذا الفصل قلت:لمّا كان مقتضى صدر الفصل إلى قوله :و لا إيهان .هو الإعذار إلى السامعين فى قتال مخالفى الحقّ،و كان مفهوم ذلك هو الحثّ على جهادهم و التنفير عمّا هم عليه من الطريق الجائر كان تعقيب ذلك بذكر الطريق الواضح المأمور بسلوكه و لزوم حدود اللّه فيه لهو اللايق الواجب.و باللّه التوفيق.

۲۴ و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و قد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاويه على البلاد و قدم عليه عاملاه على اليمن،و هما عبيد اللّه بن عباس و سعيد بن نمران لما غلب

عليهما بسر بن أبی أرطاه،فقام علیه السّلام على المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له فی الرأی،فقال :

مَـا هِیَ إِلاَّ؟الْکُوفَهُ؟ أَقْبِضُـهَا وَ أَبْسُـطُهَا- إِنْ لَمْ تَکُونِی إِلاَّ أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِـیرُکِ فَقَبَّحَکِ اللَّهُ- وَ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ- لَعَمْرُ أَبِیکَ الْخَیْرِ یَا؟عَمْرُو؟ إِنَّنِی عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِیلِ

ثُمَّ قَـالَ ع أُنْبِئْتُ؟بُسْـراً؟ قَـدِ اطَّلَعَ؟الْیَمَنَ؟- وَ إِنِّی وَ اللَّهِ لَـأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَـیُدَالُونَ مِنْکُمْ- بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَ تَفَرُّقِکُمْ عَنْ حَقِّکُمْ- وَ بِمَعْصِیَتِکُمْ إِمَامَکُمْ فِی الْحَقِّ وَ طَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِی الْبَاطِلِ- وَ بِأَدَائِهِمُ الْأَمَانَهَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَ خِیَانَتِکُمْ- وَ بِصَلَاحِهِمْ فِی بِلَـادِهِمْ وَ فَسَادِکُمْ- فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَـدَکُمْ عَلَى قَعْبٍ- لَخَشِـیتُ أَنْ یَـذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ- اللَّهُمَّ إِنِّی قَـدْ مَلِلْتُهُمْ وَ مَلُّونِی وَ سَـئِمْتُهُمْ وَ سَئِمُونِی- فَأَبْـدِلْنِی بِهِمْ خَیْراً مِنْهُمْ وَ أَبْـدِلْهُمْ بِی شَـرّاً مِنِّی- اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ کَمَا یُمَاثُ الْمِلْحُ فِی الْمَاءِ- أَمَا وَ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِی بِکُمْ أَلْفَ فَارِسٍ- مِنْ؟بَنِی فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ؟- هُنَالِکَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاکَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِیَهِ الْحَمِیمِ

ثم نزل علیه السّلام من المنبر

ص:۱۷

قال الشريف أقول:الأرميه جمع رمى و هو السحاب،و الحميم ههنا:

وقت الصيف،و إنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا و أسرع خفوفا لأنه لا ماء فيه.و إنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء،و ذلك لا يكون فى الأكثر إلا زمان الشتاء،و إنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعه إذا دعوا،و الإغاثه إذا استغيثوا،و الدليل على ذلك.

قوله هنا لك لو دعوت أتاك منهم أقول:السبب:أنّ قوما بصنعاء كانوا من شيعه عثمان يعظّمون قتله فبايعوا عليّا عليه السّلام على دغل.فلمّا اختلف الناس عليه بالعراق،و كان العامل له يومئذ على صنعاء عبيد اللّه بن عباس،و على الجند بها سعيد بن نمران.ثمّ قتل محمّد بن ابى بكر بمصر و كثرت غارات أهل الشام.تكلّم هؤلاء و دعوا إلى الطلب بدم عثمان فأنكر عليهم عبيد اللّه ابن عباس فتظاهروا بمنابذه علىّ عليه السّلام فحبسهم فكتبو إلى أصحابهم:الجند.فعزلوا سعيد بن نمران عنهم و أظهروا أمرهم فانضمّ إليهم خلق كثير إراده منع الصدقه.فكتب عبيد اللّه و سعيد إلى أمير المؤمنين عليه السّلام يخبر انه الخبر فكتب إلى أهل اليمن و الجند كتابا يهدّدهم فيه و يذكّرهم اللّه تعالى فأجابوه بأنّا مطيعون إن عزلت عنّا هذين الرجلين:عبيد اللّه و سعيدا.ثمّ كتبوا إلى معاويه فأخبروه فوجّه إليهم بسر بن أرطاه و كان فظّا سفّاكا للدماء فقتل فى طريقه بمكّه داود و سليمان ابنى عبيد اللّه بن عباس،و بالطائف عبد اللّه بن المدان و كان صهرا لابن عبّاس ثمّ انتهى إلى صنعاء و قد خرج منها عبيد اللّه و سعيد،و استخلفا عليها عبد اللّه بن عمرو بن أراكه الثقفىّ فقتله بسر،و أخذ صنعاء فلمّا قدم ابن عبّاس و سعيد على علىّ عليه السّلام بالكوفه عاتبهما على تركهما قتال بسر فاعتذرا إليه بضعفهما عنه.فقام عليه السّلام إلى المنبر ضجرا من مخالفه أصحابه له فى الرأى فقال :ما هى إلّا الكوفه .الفصل.

إذا عرفت ذلك فنقول

اللغه

:

الإعصار : ريح تهّب فتثير التراب .و الوضر:بفتح الضاد الدرن الباقى فى الإناء بعد الأكل،و يستعار لكلّ بقيّه من شىء يقلّ الانتفاع بها .و الأناء:بالفتح

ص:۱۸

شجر حسن المنظر مرّ الطعم .و اطّلع اليمن : أى غشيها . سيدالون أى:يصير الأمر إليهم و الدوله لهم .و القعب : القدح الضخم .و ماث الشىء أذابه .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّ الضمير فى قوله ما هى إلاّ-الكوفه و إن لم يجر لها ذكر فى اللفظ إلاّ-أن تضجّره من أهلها قبل ذلك و خوضه فى تدبيرها مرارا،و حضورها فى ذهنه يجرى مجرى الذكر السابق لها،و أقبضها خبر ثان لمبتدأ محذوف تقديره:أنا،و يحتمل أن يكون هى ضمير القصّه و أقبضها خبر عن الكوفه.

و نظيره فى الاحتمالين قوله تعالى «كَلّا إِنَّها لَظى نَزّاعَةً لِلشَّوى» (۱)و يفهم من هذا الكلام حصر ما بقى له من البلاد الّتى يعتمد عليها فى الحرب و مقابله العدوّ فى الكوفه.و هو كلام فى معرض التحقير لما هو فيه من أمر الدنيا و ما بقى له من التصرّف الحقّ بالنسبه إلى ما لغيره من التصرّف الباطل.و كنايه أقبضها و أبسطها كنايتان عن وجوه التصرّف فيها أى إنّ الكوفه و التصرّف فيها بوجوه التصرّف حقير بالنسبه إلى سائر البلاد الّتى عليها الخصم.فما عسى أصنع بتصرّفى فيها،و ما الّذى أبلغ به من دفع الخصم و مقاومته.

و هذا كما يقول الرجل فى تحقير ما فى يده من الماء القليل إذا رام به أمرا كبيرا:إنّما هو هذا الدينار فما عسى أبلغ به من الغرض ، التفات و قوله. إن لم تكونى إلاّ أنت تهّب أعاصيرك.

عدول من الغيبه إلى الخطاب ،و الضمير بعد إلاّ تأكيد للّذى قبلها و الجمله الفعليّه بعده فى موضع الحال،و خبر كان محذوف. حقيقت-استعاره و لفظ الأعاصير يحتمل أن يحمل على حقيقته فإنّ الكوفه معروف بهبوب الأعصار فيها،و يحتمل أن يكون مستعارا لما يحدث من آراء أهلها المختلفه الّتى هى منبع الغدر به،و التثاقل عن ندائه.و وجه المشابهه ما يستلزمه المستعار منه و له من الأذى و الإزعاج.و تقدير الكلام فإن لم تكونى إلاّ أنت عدّه لى و جنّه ألقى بها العدوّ،و حظّا من الملك و الخلافه مع ما عليه حالك من المذامّ فقبحا لك.و هو ذمّ لها بعد ذكر وجه الذمّ .و لأجل استصغاره لأمرها تمثّل بالبيت :لعمر ابيك.الخبر.و معنى تمثيله به أنّى على بقيّه من هذا الأمر كالوضر القليل فى الإناء،و هو تمثيل على وجه الاستعاره فاستعار لفظ الإناء للدنيا و لفظ الوضر القليل فيه للكوفه،و وجه المشابهه ما يشرك فيه الكوفه و الوضر من الحقاره بالنسبه إلى ما استولى عليه خصمه من الدنيا و ما اشتمل عليه

۱- ۱) ۱۵-۷۰

الإنـاء من الطعـام،و من روى الأناء فإنّما أراد أنّى على بقيّه من هـذا الأمر كالقـدر الحاصل لناظر الأناء من حسن المنظر مع عـدم انتفاعه منه بشىء آخر،و يكون قد استعار لفظ الأناء لسائر بلاد الإسلام،و لفظ الوضر لما فى يده هو من حسن المنظر استعاره فى الـدرجه الثـانيه، و إنّما خصّـص الكوفه دون البصـره و غيرها لأنّ جمهور من كان يعتمـد عليه فى الحرب إذن هم أهل الكوفه ،و قوله انبئت بسـرا .إلى قوله: منكم .شروع فى استنفارهم إلى الجهاد.فأعلمهم أوّلا بحال بسر و خروج اليمن من أيديهم،ثمّ خوّفهم بما حكم به من الظنّ الصادق أن سيـدال القوم منهم،ثمّ أعقب ذلك بذكر أسـباب توجب وقوع ما حكم به و هى الإمارات الّتى عنها حكم،فذكر أربعه امور من قبلهم هى أسـباب الانقهار،و أربعه امور من قبل الخصم مضادّه لها هى أسـباب القهر،و رتّب كلّ أمر عقيب ضدّه ليظهر لهم المناسبه بين أفعالهم و أفعال خصومهم فيدعوهم داعى الدين و المروّه إلى الفرار من سوء الرأى.

فالأـول من أفعـال الخصم:الاجتمـاع و التوازر و إن كـانوا على الباطل و هو التصـرّف الغير الحقّ فى البلاد،و الأوّل من أفعالهم ما يضادّ ذلك:و هو تفرّقهم عن حقّهم أى تصرّفهم المستحقّ لهم بإذن ولىّ الأمر:

الثانى من أفعال الخصم:الطاعه للإمام الجائر فيما يأمر به من الباطل،و من أفعالهم:

معصـيه إمام الحقّ فى أمره بالحقّ الثالث للخصم :تأديتهم للأمانه إلى صاحبهم و هى لزوم عهده و الوفاء ببيعته،و من أفعالهم:ضدّ ذلك من الغدر و الخيانه فى العهد بتركهم لموازرته فى القتال و عصيانهم لأمره حتّى صار الغدر مثلا لأهل الكوفه الرابع :صلاح القوم فى بلادهم أى انتظام امورهم فيها الناشى عن طاعه إمامهم، و من إفعالهم:ما يضادّ ذلك من فسادهم فى بلادهم لخروجهم عن طاعه إمامهم.و ظاهر أنّ الامور الأربعه المذكوره من أفعال الخصم من أسباب صلاح الحال و انتظام الدوله و الغلبه و القهر،و أنّ الاـمور الأـربعه المضادّه لها من أفعالهم من أقوى الأسـباب الموجبه للانقلاب و الانقهار، كنايه و قوله : و لو ائتمنت أحـدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته .مبالغه فى ذمّهم بالخيانه على سبيل الكنايه عن خيانتهم لأمانتهم فى عهده على

قبول أوامر اللّه .و قوله : اللهمّ إنى قد مللتهم و ملّونى .شكايه إلى اللّه سبحانه منهم و عرض لما فى ضميره و ضمائرهم بحسب ما شهدت به قرائن أحوالهم،و الملال و السأم مترادفان.

و حقيقته إعراض النفس عن شىء إمّا لفتور القوى البدنيّه و كلالها عن كثره الأفاعيل، و إمّا لاعتقاد النفس عن دليل و إماره يتبيّن لها أنّ ما يطلبه غير ممكن لها.و هذان السببان كانا موجودين:أمّا سأمه عليه السّلام من أفعالهم(أفعاله خ)فإنّه لم يشك منهم و لم يدع عليهم حتّى عجزت قواه عن التطلّع إلى وجوه إصلاحهم و انصرفت نفسه عن معالجه أحوالهم لاعتقاد أنّ تقويمهم غير ممكن له،و أمّا سأمهم منه فإمّا لاعتقادهم أنّ مطلوباتهم الّتى كانوا أرادوه لها غير ممكنه منه،أو لكثره تكرار أوامره بالجهاد و الذبّ عن دين اللّه و المواظبه على أوامر اللّه و زيادتها على قواهم الضعيفه الّتى هى مع ضعفها مشغوله بغير اللّه.فلذلك تنصرف نفوسهم عن قبول قوله و امتثال أوامره،ثم أردف تلك الشكايه بالتضرّع إلى اللّه تعالى فى الخلاص منهم،ثمّ الدعاء عليهم فدعا اللّه لنفسه أوّلا أن يبدله خيرا منهم أمّا فى الدنيا:

قوما صالحين ينظرون بنور اللّه نعمه عليهم فيخلصوا له الدين،و أمّا فى الآخره:قوما غرقوا فى مطالعه أنوار كبرياء اللّه فأعطاهم أعلى منازل جنّته و أسنى مراتب كرامته:قوما «أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً» .و طلبه الخير منهم فى الدنيا هو الأرجح فى الذهن.لما يتمنّاه بعد من فوارس بنى فرس.ثمّ دعا اللّه عليهم أن يبدلهم شرّا منه.فإن قلت:إنّ صدور مثل هذا الدعاء منه عليه السّلام مشكل من وجهين:

أحدهما:أنّه يقتضى أن يكون هو ذا شرّ.و قد ثبت أنّه كان منزّها عن الشرور،الثانى أنّه كيف يجوز منه أن يدعو بوجود الشرور و وجود الأشرار.قلت:الجواب عن الأوّل من وجهين:أحدهما:أنّ صيغه أفعل التفصيل كما ترد لإثبات الأفضليه كذلك قد ترد لإثبات الفضيله.و حينئذ يحتمل أن يكون مراده من قوله: شرا منّى :أى أبدلهم بمن فيه شرّ غيرى،الثانى:أن يكون شرّا منّى على عقائدهم أنّ فيه شرّا عليهم.و اعتقادهم أنّه ذو شرّ لا يوجب كونه كذلك،و عن الثانى من وجهين:أحدهما:أنّه لمّا كان فى دعاء اللّه أن يبدلهم من هو شرّ منه مصلحه تامّه حسن منه ذلك،و بيان المصلحه من وجهين:أحدهما:

أنّ ذلك الدعاء منه عليهم بمشهد منهم و مسمع من أعظم الأسباب المخوّفه الجاذبه لأكثرهم

إلى اللّه تعالى و ذلك مصلحه ظاهره،الثانى أنّ نزول الأمر المدعوّ به عليهم بعده مما ينبّههم على فضله،و يذكّرهم أنّه لم يصبهم ذلك إلاّ لتركهم أوامر اللّه تعالى و خروجهم عن طاعته فيتقهقروا عن مسالك الغىّ و الفساد إلى واضح سبيل الرشاد،و يكون ذلك بلاء من اللّه لهم.الثانى:لعلّه إنّما دعا عليهم لعلمه أنّه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لأجله ممّا يدعوهم إليه.و من لا يرجى صلاح حاله مع فساد نظام العالم بوجوده و لزومه لما يضادّ مطلوب اللّه منه فعدمه أولى من وجوده.فكان دعاءهم عليهم إذن مندوبا إليه.و على ذلك يحمل أيضا دعائه عليهم :اللهمّ مث قلوبهم كما يماث الملح فى الماء .و نحوه.و ذلك تأسّ منه عليه السّلام بالسابقين من الأنبياء عليهم السّلام فى التضجّر من قولهم و الشكايه منهم إلى اللّه تعالى و دعائهم عليه كنوح عليه السّلام إذ قال: «رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَ نَهاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاّ فِراراً» إلى قوله «إِنَّهُمْ عَصَوْنِي» ،ثمّ ختم بالدعا على من لم يرج له صلاح،فقال: «رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيّاراً» الآيه.و كلوط إذ قال لقومه: «إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ» ،و غيرهما من الأنبياء كنايه و المراد بالميث المدعوّ به يشبه أن يكون ما يحصل فى القلب من الانفعال عن الغمّ و الخوف و نحوهما،و ذلك أنّ الغمّ إذا وقع لزمه تكاثف الروح القلبى للبرد الحادث عند انطفاء الحراره الغريزّيه لشدّه انقباض الروح و اختناقه فيحسّ فى القلب بانفعال شبيه بالعصر و المرس.و ذلك فى الحقيقه ألم أو مستلزمه له فيحسن أن يكون مرادا له،و يحتمل أن يكون كنايه عن أسبابه من الغمّ و الخوف فكأنّه طلب من اللّه أن يقتصّ له منهم إذ ماثوا قلبه بفساد افعالهم ،و يروى أنّ اليوم الّذى دعا عليهم فيه ولد فيه الحجّاج بن يوسف، و روى أنّه ولد بعد اليوم بأوقات يسيره.و فعل الحجّاج بأهل الكوفه ظاهر،و دماره لها مشهور .

قوله:أما و اللّه لوددت أنّ لى بكم ألف فارس من بنى فرس بن غنم

و قوله: أما و اللّه لوددت أنّ لى بكم ألف فارس من بنى فرس بن غنم.

يصلح تعيينه لمن ذكر بيانا للخير منهم الّذى طلبه أوّلا من اللّه مجملا عوضا بهم.و بنو فرس حىّ من تغلب أبوهم غنم بفتح الغين و سكون النون،و هو غنم بن تغلب بن وائل،و إنّما خصّ هذا البطن لشهرتهم بالشجاعه و الحميّه و سرعه إجابه الداعى،و أمّا البيت:هنالك لو دعيت.

فمعناه ما ذكره السيّد الرضىّ-رضوان اللّه عليه-و وجه تمثيله عليه السّلام بهذا البيت أنّ

هؤلاء القوم الّذين ودّ أنّهم كانوا له عوضا عن قومه هم بصفه الفوارس الّذين أشار إليهم الشاعر فى المبادره إلى إجابه الداعى و الاجتماع على دفع الضيم عنهم و نصره حقّهم فلذلك تمنّاهم عوضا،و مقصوده فى جميع ذلك ذمّهم و توبيخهم و تحقيرهم بتفضيل غيرهم عليهم تنفيرا لطباعهم عمّا هى عليه من التثاقل عن دعوته للذبّ عن دين اللّه،و باللّه التوفيق و العصمه.

۲۵-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ؟مُحَمَّداً ص؟ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ- وَ أَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ- وَ أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَ فِي شَرِّ دَارٍ- مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَ حَيَّاتٍ صُمٍّ- تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَ تَأْكُلُونَ الْجَشِبَ- وَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ تَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ- الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَ الْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ

اللغه

أقول: الإناخه : المقام بالمكان .و الحيّه الصمّاء : هى الّتى لا تنزجر بالصوت كأنّها لا تسمع،و ربّما يراد بها الصلبه الشديده .و الجشب : هو الطعام الغليظ الخشن،و يقال:

هو الّذى لا إدام معه ،و معصوبه : مشدوده .

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام اقتصّ امورا وقعت ليحسن مدحها و ذمّها .فبدأ بذكر النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و ذكر بعض أسباب غايه البعثه فإنّه.لمّا كانت الغايه منها هو جذب الخلق عن دار الغرور إلى الواحد الحقّ و كان ذلك الجذب تاره بالنذاره و تاره بالبشاره.و ذكر هنا النذاره،و خصّها بالذكر لأنّها السبب الأقوى فى الردع فإنّ عامّه الخلق و جمهورهم قلّما يلتفتون إلى ما وعدوا به فى الآخره إذا قابلوا ذلك بلذّاتهم الحاضره فإنّ تلك امور غير متصوّره لهم إلّا بحسب الوصف الّذى إنّما ينكشف لهم عن امور محسوسه تشبه ما هم فيه أو أضعف عندهم.ثمّ إنّ نيلها مشروط بشرائط صعبه فى الدنيا تكدّر

عليهم ما هم فيه من حاضر لذّتهم مع براءتها عن الشروط و التكاليف الشاقّه فلذلك قلّما يلتفتون إلى الوعد عمّا هم فيه.فكان السبب الأقوى فى الردع و الالتفات إلى اللّه إنّما هو الإنذار و التخويف فإذا انضمّ إليه الوعد أفاد المجموع الغايه.و لمّا كان مقصوده عليه السّلام فى هذا الموضع التوبيخ المطلق للعرب و ترقيق قلوبهم المشتمله على الفظاظه و القسوه كان الأليق هاهنا ذكر إنذار النبىّ للعالمين ليتذكّروا بذلك تفصيل الإنذارات الوارده فى القرآن و السنّه،ثمّ أردف ذلك بذكر كونه أمينا على التنزيل ليتذكّروا أنّ الإنذارات الوارده هى من عند اللّه تعالى أتى بها الرسول غير خائن فيها بتبديل أو زياده أو نقصان فيتأكّد فى قلوبهم ما قد علموه من ذلك ليكون أدعى لهم إلى الانفعال عن أقوله،ثمّ شرع بعده فى اقتصاص أحوالهم الّتى كانوا عليها ،و الواو فى قوله: و أنتم.

للحال أى حال ما كنتم بهذه الصفات بعث محمّدا،و ذكر أحوالهم فى معرض الذمّ لهم.

فذكر أنّهم كانوا على شرّ دين ،و هو عباده الأصنام من دون اللّه.و أعظم بذلك افتضاحا لمن عقل منهم أسرار الشريعه و عرف اللّه سبحانه.فلا أحسبه عند سماع هذا التوبيخ إلاّ خجلا ممّا فرّط فى جنب اللّه و يقول: «يا لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَداً» ،ثمّ أردف ذلك بتذكيرهم ما كانوا فيه من شرّ دار .و أراد نجد أو تهامه و أرض الحجاز،و بيّن كونها شرّا ببيان فساد أحوالهم،أمّا فى مساكنهم فبانا ختهم بين الحجاره السود الخشن الّتى لا نداوه بها و لا نبات، و الحيّات الصمّ الّتى لا علاج لسمومها.و وصفها بالصمّ.لأنّ حيات تلك الأرض على غايه من القوّه و حدّه السموم لاستيلاء الحراره و اليبس عليها ،و أمّا فى مشربهم فلأنّ الغالب على المياه الّتى يشربونها أن يكون كدره لا يكاد غير المعتاد بها أن يقبل عليها مع العطش إلاّ عند الضروره،و السبب الغالب فى ذلك عدم إقامتهم بالمكان الواحد بل هم أبدا فى الحلّ و الارتحال،و لا يحتفرون المياه و يصلحونها إلاّ ريثماهم عليها.فربما كان بعضهم يحتفر و بعضهم يشرب.و مشاهدتهم توضح ذلك،و أمّا فى مأكلهم فجشوبتها ظاهره فإنّك تجد عامّتهم يأكل ما دبّ من حيوان،و سئل بعض العرب أىّ الحيوانات تأكلون فى الباديه؟فقال:نأكل كلّ ما دبّ و درج إلاّ امّ حيين(امّ جبين خ)فقال السائل:ليت تدرى أمّ حيين السلامه.قال صاحب الجمل:و أمّ جبين:دويبه قدر كفّ الإنسان.و بعضهم يخلط الشعر بنوى التمر و يطحنها

و يتخدّ منهما خبزا،و روى أنّهم كانو فى أيّام المجاعه يلوّثون أوبار الإبل بدم القراد و يجفّفونها فإذا يبست و قوها و صنعوها طعاما،و أمّا فى سفكهم الدماء بعضهم لبعض و قطع أرحامهم فظاهر أيضا فإنّ الولد كان يقتل أباه و بالعكس ،و أمّا نصبهم للأصنام و عصب الآثام بهم فى جاهليّتهم فغنى عن البيان، استعاره و لفظ العصب مستعار للزوم الآثام لهم فى تلك الحال عن معناه الأصلى و هى استعاره لفظ للنسبه بين محسوسين للنسبه بين معقولين أو بين معقول و محسوس ،و إنّما ذكرهم عليه السّلام بهذه الأحوال ليتبّههم لنسبه ما كانو عليه فى الجاهليّه إلى ما هم عليه فى تلك الحال من أضداد ذلك كلّه.إذ بدّلوا ممّا كانوا فيه من فساد أحوالهم فى الدنيا إلى صلاح حالهم فيها ففتحو المدن و كسروا الجيوش و قتلوا الملوك و غنموا أموالهم كما قال تعالى فى المنّه عليهم و تذكيرهم أنواع ما أنعم عليهم به «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها» و جعل لهم الذكر الباقى و الشرف الثابت.كلّ ذلك زياده على هدايته لهم إلى الإسلام الّذى هو طريق دار السلام و سبب السعاده الباقيه.

و إنّما كان ذلك لسبب مقدم محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم إليهم و اعلم أنّ سياق هذا الكلام يقتضى مدح النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم فيما حذف من الفصل بعده ليبنى عليه مقصودا له،و فيه تنبيه على دوام ملاحظه السامعين لنعماء اللّه عليهم فيلاحظوا استحقاقه لتمام العباده عامّه أحوالهم،و يكونون فى و جل من خوفه و فى و شوق إليه. «وَ اللّهُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» .

القسم الثانى و منها.

اشاره

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِى مُعِينٌ إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِى- فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ- وَ أَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وَ شَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا- وَ صَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ- وَ عَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ

اللغه

أقول: ضننت بكسر النون : أى بخلت،و نقل الفرّاء بالفتح أيضا .و أغضيت على كذا:

أى اطبقت عليه جفنى .و القذى : ما يسقط فى العين فيؤذيها .و الشجى : ما يعرض فى الحلق عند الغبن و نحوه لا يكاد يسيغ الإنسان معه الشراب،و قد مرّ تفسيرهما .و أخذ بكظمه:

أى بمجرى نفسه ،و العلقم : شجر بالغ المراره،و يصدق بالعرف على كلّ مرّ .

المعنی

و اعلم أنّ هذا الفصل یشمل علی اقتصاص صوره حاله بعد وفاه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم فی أمر الخلافه و هو اقتصاص فی معرض التظلّم و الشکایه ممّن یری أنّه أحقّ منه بالأمر.فأشار إلی أنّه فکّر فی أمر المقامه و الدفاع عن هذا الحقّ الّذی یراه أولی فرأی أنّه لا ناصر له إلاّ أهل بیته و هم قلیلون بالنسبه إلی من لا یعینه و من یعین علیه.فإنّه لم یکن له معین یغلب علی الظنّ إلاّ بنی هاشم کالعبّاس و بنیه و أبی سفیا بن الحرث بن عبد المطلب و من یخصّهم،و ضعفهم و قلّتهم عن مقاومه جمهور الصحابه ظاهر،فضنّ بهم علی الموت لعلمه أنّهم لو قاوم بهم لقتلوا ثمّ لا یحصل علی مقصوده،و لمّا ضنّ بهم عن الموت لزمه ما ذکر من الامور و هی الإغضاء علی القذی، استعاره بالکنایه و کنّی بالإغضاء علی القذی عن صبره عن المقاومه کنایه بالمستعار،و وجه المشابهه بینهما استلزامهما للألم البالغ،و بالقذی عمّا یعتقده ظلما فی حقّه ،و کذلک قوله: و شربت علی الشجی .ملاحظه لوجه الشبه بین ما یجری له من الامور الّتی توجب له الغضب و الغبن و بین الماء الّذی یشرب علی الشجی و هو استلزامهما الأذی و عدم التلذّذ و الاساغه.و لذلک استعار له لفظه الشرب ،و کذلک قوله و صبرت علی أخذ الکظم و علی أمرّ من طعم العلقم .فیه استعارات حسنه للفظ أخذ الکظم کنّی بها عن أخذ الوجوه علیه و تضییق الأمر فیما یطلبه،و لفظ المراره الّتی هی حقیقه فی الکیفیّه المخصوصه للأجسام لما یجده من التألّم بسبب فوت مطلوبه،و وجه المشابهه فی هاتین الاستعارتین لزوم الأذی أیضا ،و أمّا أنّ الّذی وجده أمرّ من العلقم فظاهر إذ لا نسبه للألم البدنیّ فی الشدّه إلی الألم النفسانیّ.و أعلم أنّه قد اختلف الناقلون لکیفیّه حاله بعد وفاه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم فروی المحدّثون من الشیعه و غیرهم أخبارا کثیره ربما خالف بعضها بعضا بحسب اختلاف الأهواء:منها و هو الّذی علیه جمهور الشیعه أنّ علیّا علیه السّلام امتنع من البیعه لأبی بکر بعد وفاه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم و امتنع معه جماعه بنی هاشم کالزبیر و أبی سفیان بن الحرث و العبّاس و بنیه و غیرهم و قالوا:لا نبایع إلاّ علیّا علیه السّلام و أنّ الزبیر شهر سیفه فجاء عمر فی جماعه من الأنصار فأخذ سیفه فضرب به الحجر فکسره و حملت جماعتهم إلی أبی بکر فبایعوه و بایع معهم علیّ إکراها،و قیل:إنّ علیّا علیه السّلام اعتصم ببیت فاطمه علیها السّلام و علموا أنّه مفرد فترکوه،و روی نضر بن مزاحم فی کتاب صفّین أنّه کان

يقول.لو وجدت أربعين ذوى عزم لقاتلت،و منها و هو الّذى عليه جمهور المحدّثين من غير الشيعه أنّه امتنع من البيعه ستّه أشهر حتّى ماتت فاطمه فبايع بعد ذلك طوعا،و فى صحيحى مسلم و البخارى:كانت وجوه الناس مختلف إليه و فاطمه لم تمت بعد فلمّا ماتت انصرفت وجوه الناس عنه.فخرج و بايع ابا بكر،و على الجمله فحال الصحابه فى اختلافهم بعد وفاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و ما جرى فى سقيفه بنى ساعده و حال علىّ فى طلب هذا لأمر ظاهر،و العاقل إذا طرح العصبيّه و الهوى عن نفسه و نظر فيما نقله الناس فى هذا المعنى علم ما جرى بين الصحابه من الاختلاف و الاتّفاق،و هل بايع علىّ طوعا أو كرها و هل ترك المقاومه عجزا أو اختيارا.و لمّا لم يكن غرضنا إلاّ تفسير كلامه كان الاشتغال بغير ذلك تطويلا و فضولا خارجا عن المقصود.و من رام ذلك فعليه بكتب التواريخ.

القسم الثالث و منها:

اشاره

وَ لَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَهِ ثَمَناً- فَلاَ ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ وَ خَزِيَتْ أَمَانَهُ الْمُبْتَاعِ- فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا وَ أَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا- فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَ عَلاَ سَنَاهَا- وَ اسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ

اللغه

أقول: خزيت : أى ذلّت و هانت ،و الاهبه : الاستعداد ،و اعدّوا : أى هيّؤوا ،و عدّه الحرب :

ما يعدّ لها من الآلات و السلاح .و شبّ لظاها : أى أوقدت نارها و اثيرت،و روى شبّ بالبناء للفاعل أى ارتفع لهبها .و السنا مقصورا : الضؤ .و الشعار : ما يلى الجسد من الثياب، و يلازمه .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الكلام اقتصاص ذكر عليه السّلام فيه حال عمرو بن العاص مع معاويه.فذكر أنّه لم يبايعه حتّى شرط أن يؤتيه على بيعته ثمنا،و ذلك أنّه لمّا نزل عليه السّلام بالكوفه بعد فراغه من أمر البصره كتب إلى معاويه كتابا يدعوه فيه إلى البيعه فأهمّه ذلك.فدعا قوما من أهل الشام إلى الطلب بدم عثمان فأجابوه و أراد الاستظهار فى أمره فأشار عليه أخوه عتبه بن أبى سفيان بالاستعانه بعمرو بن العاص و كان بالمدينه فاستدعاه فلمّا قدم عليه و عرف حاجته إليه تباعد عنه و جعل يمدح عليّا عليه السّلام فى وجهه و يفضّله

ليخدعه عمّا يريد منه.فمن ذلك أنّ معاويه قال له يوما:يا أبا عبد اللّه إنى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الّذى عصى اللّه و شقّ عصا المسلمين و قتل الخليفه و أظهر الفتنه و فرّق الجماعه و قطع الرحم.فقال عمرو:من هو؟.قال:علىّ.فقال:و اللّه يا معاويه ما أنت و علىّ حملى بعير،ليس لك هجرته و لا سابقته و لا صحبته و لا جهاده و لا علمه و اللّه إنّ له مع ذلك لحظّا فى الحرب ليس لأحد غيره.و لكنّى قد تعوّدت من اللّه إحسانا و بلاء جميلا.فما تجعل لى إن بايعتك على حربه و أنت تعلم ما فيه من الغرور و الخطر؟قال له:حكمك.قال له:

مصر الطعمه.فلم يزل معاويه يتلكّأ عليه و يماطله و هو يمتنع عن مساعدته حتّى رضى معاويه أن يعطيه مصر.فعاهده على ذلك و بايع عمر و معاويه،و كتب له بمصر كتابا.

فذلك معنى قوله عليه السّلام: و لم يبايع معاويه حتّى شرط أن يؤتيه على البيعه ثمنا ، ثمّ أردف ذلك بالدعاء على البايع لدينه و هو عمرو بعدم الظفر فى الحرب أو بالتمن بقوله : فلا ظفرت يد البايع ،و ألحقه بالتوبيخ و الذّم للمبتاع بذكر هو ان أمانته عليه و هى بلاد المسلمين و أموالهم الّتى أفاءها اللّه عليهم ، اسناد مجازى و يحتمل أن يكون إسناد الخزى إلى الأمانه إسنادا مجازّيا أو على سبيل إضمار الفاعل يفسّره المبتاع أى و الخزى المبتاع فى أمانته بخيانته لها،و ذهب بعض الشارحين إلى أنّ المراد بالبايع معاويه و بالمبتاع عمرو.

و هو ضعيف.لأنّ الثمن إذا كان مصرا فالمبتاع هو معاويه.ثمّ لمّا ظهرت دعوه معاويه لأهل الشام و مبايعه عمرو له كان ذلك من دلائل الحرب فلذلك أمر عليه السّلام أصحابه بالتأهّب لها و إعداد عدّتها ، استعاره بالكنايه-استعاره مرشحه و كنّى عمّا ذكرناه من إمارات وقوعها بقوله: و قد شبّ لظاها و علا سناها .كنايه بالمستعار.و وجه المشابهه بين لهب النار و سناها و أمارات الحرب كونها علامات على أمرين هما مظنّه الهلاك و محلّ الفتنه،و يحتمل أن يكون إطلاق لفظ السنا ترشيحا للاستعاره ،ثمّ أردف ذلك بالأمر بالصبر فى الحرب و استشعاره إمّا أن يراد به اتّخاذه شعارا على وجه استعارته من الثوب لملازمته الجسد،أو يراد اتّخاذه علامه لأنّ شعار القوم علامتهم أيضا،و يحتمل أن يكون اشتقاقه من الشعور أى ليكن فى شعوركم الصبر و إن كان الأشتقاقيّون يردّون الشعار بالمعنى الثانى إلى الشعور .

و قوله: فإنّ ذلك أدعى إلى النصر .بيان لفائده اتّخاذ الصبر شعارا أو علامه،أمّا

إن كان المقصود ألزموا أنفسكم الصبر فظاهر أنّ لزوم الصبر من أقوى أسباب النصر،و إن كان المقصود اتّخذوه علامه فلأنّ من كان الصبر فى الحرب علامه له يعرفه الخصم بها كان الخصم يتصوّرها منه أدعى إلى الانقهار فكان المستشعر لتلك العلامه أدعى إلى القهر و النصر، و إن كان المراد إخطاره بالبال فلأنّه سبب لزومه.و باللّه التوفيق.

۲۶-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّه- فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّهِ أَوْلِيَائِهِ و هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى- و دِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَهُ و جُنَّتُهُ الْوَثِيقَهُ- فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَهً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ و شَمِلَهُ الْبَلَاءُ- و دُيِّثَ بِالصَّغَارِ و الْقَمَاءَهِ- و ضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ- و أُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ- و سِيمَ الْخَسْفَ و مُنِعَ النَّصَفَ أَلَا و إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ- لَيْلًا و نَهَاراً و سِرّاً و إِعْلَاناً- و قُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ- فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا- فَتَوَاكَلْتُمْ و تَخَاذَلْتُمْ- حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ- و مُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ- و هَذَا أَخُو؟غَامِدٍ؟ و قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ؟الْأَنْبَارَ؟- و قَدْ قَتَلَ ؟حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ؟- و أَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا- و لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ- عَلَى الْمَرْأَهِ الْمُسْلِمَهِ و الْأُخْرَى الْمُعَاهِدَهِ- فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا و قُلُبَهَا و قَلَائِدَهَا و رُعُثَهَا- مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ و الِاسْتِرْحَامِ- ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ- مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ و لَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ- فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ

مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً- مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِی جَدِیراً- فَیَا عَجَباً وَ اللَّهِ یُمِیتُ الْقَلْبَ وَ یَجْلِبُ الْهَمَّ- مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ عَلَی بَاطِلِهِمْ- وَ تَفَرُّقِکُمْ عَنْ حَقِّکُمْ- فَقُبْحاً لَکُمْ وَ تَرَحاً حِینَ صِرْتُمْ غَرَضاً یُرْمَی- یُغَارُ عَلَیْکُمْ وَ لاَ تُغِیرُونَ- وَ تُغْزَوْنَ وَ لاَ تَغْزُونَ وَ یُعْصَی اللَّهُ وَ تَرْضَوْنَ- فَإِذَا أَمَرْتُکُمْ بِالسَّیْرِ إِلَیْهِمْ فِی أَیَّامِ الْحَرِّ- قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَّةُ الْقَیْظِ- أَمْهِلْنَا یُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ- وَ إِذَا أَمَرْتُکُمْ بِالسَّیْرِ إِلَیْهِمْ فِی الشِّتَاءِ- قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ- أَمْهِلْنَا یَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ- کُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَ الْقُرِّ- (۱)فَأَنْتُمْ وَ اللَّهِ مِنَ السَّیْفِ أَفَرُّ- یَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَ لاَ رِجَالَ- حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَ عُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ- لَوَدِدْتُ أَنِّی لَمْ أَرَکُمْ وَ لَمْ أَعْرِفْکُمْ مَعْرِفَةً- وَ اللَّهِ جَرَّتْ نَدَماً وَ أَعْقَبَتْ سَدَماً- قَاتَلَکُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِی قَیْحاً- وَ شَحَنْتُمْ صَدْرِی غَیْظاً- وَ جَرَّعْتُمُونِی نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً- وَ أَفْسَدْتُمْ عَلَیَّ رَأْیِی بِالْعِصْیَانِ وَ الْخِذْلاَنِ- حَتَّی لَقَدْ قَالَتْ؟قُرَیْشٌ؟- إِنَّ؟ابْنَ أَبِی طَالِبٍ؟ رَجُلٌ شُجَاعٌ- وَ لَکِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ- لِلَّهِ أَبُوهُمْ- وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَ أَقْدَمُ فِیهَا مَقَاماً مِنِّی- لَقَدْ نَهَضْتُ فِیهَا وَ مَا بَلَغْتُ الْعِشْرِینَ- وَ هَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَی السِّتِّینَ- وَ لَکِنْ لاَ رَأْیَ لِمَنْ لاَ یُطَاعُ

۱- ۱) فإذا کنتم من الحر و البرد تفرون ن خ

أقول:هذه الخطبه مشهوره ذكرها أبو العباس المبرّد و غيره،و السبب المشهور لها أنّه ورد عليه علج من أهل الأنبار فأخبره أنّ سفيان بن عوف الغامدىّ قد ورد فى خيل المعاويه إلى الأنبار و قتل عامله حسّان بن حسّان البكرىّ.فصعد عليه السّلام المنبر و خطب الناس و قال:إنّ أخاكم البكرىّ قد اصيب بالأنبار و هو مغترّ لا يخاف ما كان،و اختار ما عند اللّه على الدنيا.فانتدبوا إليهم حتّى تلاقوهم فإن أصبتم منهم طرفا انكلتموهم عن العراق أبدا ما بقوا.ثمّ سكت رجاء أن يجيبوه بشىء فلم يفه أحد منهم بكلمه.فلمّا رأى صمتهم نزل و خرج يمشى راجلا حتّى أتى النخيله و الناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم و قالوا:ترجع يا أمير المؤمنين و نحن نكفيك.فقال:ما تكفوننى و لا تكفون أنفسكم.فلم يزالوا به حتّى ردّوه إلى منزله.فبعث سعيد بن قيس الهمدانى فى ثمانيه آلاف فى طلب سفيان بن عوف فخرج حتّى انتهى إلى أدانى أرض قنّسرين و قد فاتوه.فرجع و كان علىّ عليه السّلام فى ذلك الوقت عليلا فلم يقو على القيام فى الناس بما يريده من القول.

فجلس بباب السدّه الّتى تصل إلى المسجد و معه الحسن و الحسين عليهما السّلام و عبد اللّه بن جعفر،و دعى سعدا مولاه فدفع إليه كتابا كتب فيه هذه الخطبه و أمره أن يقرأها على الناس بحيث يسمع عليه السّلام و يسمعون،و فى روايه المبرّد أنّه لمّا انتهى إليه ورود خيل معاويه الأنبار و قتل حسّان بن حسّان خرج مغضبا فجرّ ردائه حتّى أتى النخيله و معه الناس فرقى رباوه من الأرض فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ قال الخطبه.

و روايه المبرّد أليق بصوره الحال و أظهر،و روى أنّه قام إليه رجل فى آخر الخطبه و معه ابن أخ له فقال:يا أمير المؤمنين:إنّى و ابن أخى هذا كما قال تعالى «رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاّ نَفْسِي وَ أَخِي» (1)فمرنا بأمرك فو اللّه لننهيّن إليه و لو حال بيننا و بينه جمر الغضا و شوك القتاد فدعا لهما بخير،و قال:و أين أنتما مما اريد.

اللغه

و لنرجع إلى التفسير فنقول: الجنّه : ما استترت به من سلاح أو غيره ،و دّيث : أى ذلّل،و منه الديوث:الّذى لا غيره له .و الصغار : الذلّ و الضيم ،و القماء ممدود مصدر قمأ قمأه فهو قمىء : الحقاره و الذلّ،و روى الراوندى القما بالقصر و هو غير معروف ،و اسدل الرجل بالبناء للمفعول إذ ذهب عقله من أذى يلحقه .و اديل الحقّ من فلان أى غلبه عليه عدوّه ،

ص:31

1- 1) 28-5

و سامه خسفا بضمّ الخاء و فتحها : أى أولاه ذلّا و كلّفه المشقّه ،و النصف بكسر النون و سكون الصاد : الاسم من الانصاف،و ضمّ النون لغه فيه ،و عقر الشىء : أصله ،و التواكل : أن يكل كلّ واحد منهم الأمر إلى صاحبه و يعتمد عليه فيه .و شنّ الغاره و أشنّها : فرّقها عليهم من كلّ وجه .و غامد : قبيله من اليمن و هى من الأزد ازد شنوءه ،و المسالح جمع مسلحه و هى الحدود الّتى ترتّب فيها ذوو الأسلحه مخافه عاديه العدوّ كالثغر ،و المعاهده : الذميّه ،و الحجل بكسر الحاء و فتحها : الخلخال ،و القلب السوار المصمت ،و الرعاث جمع رعثه بفتح الراء و سكون العين و فتحها:و هى القرط،و الرعاث أيضا:ضرب من الخرز و الحلى ،و الاسترجاع قول: «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» ،و الاسترحام : مناشده الرحم ،و الوافر : التامّ ،و الكلم :

الجرح .و الترح : الحزن .و الغرض : الهدف ،و حمارّه القيظ بتشديد الراء : شدّه حرّه :

و سبخ الحرّ : فتر،و خفّ ،و صبارّه القرّ بتشديد الراء أيضا:شدّه البرد ،و ينسلخ : ينقضى ، و ربّات الحجال : النساء ،و الحجال جمع حجله:و هى بيت العروس يزّين بالستور و الثياب ، و السدم : الحزن عن الندم ،و القيح : ما يكون فى القرحه من المدّه و الصديد ،و شحنتم :

ملأتم و النغب جمع نغبه بضم النون و هى الجرعه ،و التهمام بالفتح التهمّ ،و المراس العلاج،و بتشديد الراء أى زدت .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّ قوله: أمّا بعد .إلى قوله: و منع النصف .صدر الخطبه بيّن فيه غرضه إجمالا و هو الحثّ على الجهاد،فإنّه ممّا ذكر من أمر الجهاد و تعظيمه و خطأ من قصر عنه علم أنّه يريد أن يحثّ السامعين على جهاد عدوّهم

فذكر من مادح الجهاد امورا .

أحدها:أنّه باب من أبواب الجنّه.

و بيانه أنّ الجهاد تاره يراد به جهاد العدوّ الظاهر كما هو الظاهر هاهنا،و تاره يعنى به جهاد العدوّ الخفىّ و هو النفس الأماره بالسوء.

و كلاهما بابان من أبواب الجنّه،و الثانى منهما مراد بواسطه الأوّل إذ هو لازمه له،و ذلك أنّك علمت أنّ لقاء اللّه سبحانه و مشاهده حضره الربوبيّه هى ثمره الخلقه و غايه سعى عباد اللّه الأبرار،ثمّ.قد ثبت بالضروره من دين محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم أنّ الجهاد أحد العبادات الخمس،و ثبت أيضا فى علم السلوك إلى اللّه أنّ العبادات الشرعيّه هى المتمّه و المعينه على تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه،و أنّ التطويع كيف يكون

وسیله إلی الجنّه الّتی وعد المتّقون.فیعلم من هذه المقدّمات أنّ الجهاد الشرعیّ باب من أبواب الجنّه إذ منه یعبر المجاهد السالک إلی اللّه إلی الباب الأعظم للجنّه و هو الریاضه و قهر الشیطان.و من وقوفک علی هذا السرّ تعلم أنّ الصلاه و الصوم و سائر العبادات کلّها أبواب للجنّه إذ کان امتثالها علی الوجه المأمور بها مستلزما للوصول إلی الجنّه.فإنّ باب کلّ شیء هو ما یدخل إلیه منه و یتوصّل به إلیه.و نحوه قول الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم فی الصلاه:إنّها مفتاح الجنّه،و فی الصوم إنّ للجنّه بابا یقال له الریّان لا یدخله إلاّ الصائمون .

الثانی من أوصاف الجهاد

:أنّه باب فتحه اللّه لخاصّه أولیائه.و المراد بخواصّ الأولیاء المخلصون له فی المحبّه و العباده.و ظاهر أنّ المجاهده للّه لا لغرض آخر من خواصّ الأولیاء، و ذلک أنّ المرء المسلم إذا فارق أهله و ولده و ماله و أقدم علی من یغلب علی ظنّه أنّه أقوی منه کما امر المسلمون بأن یثبت أحدهم لعشره من الکفّار،ثمّ یعلم أنّه لو قهره لقتله و استباح ذرّیته و هو فی کلّ تلک الأحوال صابر شاکر و معترف بالعبودیّه للّه مسلّم أمره إلی اللّه فذلک هو الولیّ الحقّ الّذی قد أعرض عن غیر اللّه رأسا،و قهر شیطانه قهرا،و آیسه أن یطیع له أمرا.

فإن قلت:إذا کان الغرض من العبادات هو جهاد الشیطان و الإخلاص للّه و کان التخصیص بالوصفین المذکورین لاستلزامه ذلک المعنی لم یبق حینئذ لسائر العبادات مزیّه علیه فما معنی قول الصحابه و قد رجعوا من جهاد المشرکین:رجعنا من الجهاد الأصغر إلی الجهاد الأکبر؟.

قلت:یحتمل معنیین:

أحدهما:أنّ الجهاد الظاهر لیس کلّ غرضه الذاتیّ هو جهاد النفس،بل ربّما کان من أعظم أغراضه الذاتیّه هو قهر العدوّ الظاهر لیستقیم الناس علی الدین الحقّ، و ینتظم أمرهم فی سلوکه.و لذلک دخل فیه من أراد منه إلاّ ذلک کالمؤلّفه قلوبهم و إن کانوا کفّارا.و ذلک بخلاف سائر العبادات إذ غرضها لیس إلاّ جهاد النفس و لا شکّ أنّه هو الجهاد الأکبر:أمّا أوّلا فباعتبار مضرّه العدّوین فإنّ مضرّه العدّو الظاهر مضرّه دنیاویّه فانیه،و مضرّه الشیطان مضرّه اخرویّه باقیه.و من کانت مضرّته أعظم کان جهاده

أکبر و أهمّ،و أمّا ثانیا فلأنّ مجاهده الشیطان مجاهده عدوّ لازم و مع ذلک فلا یزال مخادعا غرّارا لا ینال غرضه إلّا بالخروج فی ذیّ الناصحین الأصدقاء،و لا شکّ أنّ الاحتراز من مثل هذا العدّو أصعب،و جهاده أکبر من جهاد عدوّ مظهر لعداوته یقاتله الإنسان فی عمره مرّه أو مرّتین.فحسن لذلک تخصیص الجهاد بالأصغر،و مجاهده النفس بالأکبر.

المعنی الثانی:أنّا و إن قلنا:إنّ الغرض من الجهاد الأصغر هو جهاد النفس إلّا أنّ جهادها فی حال جهاد العدوّ الظاهر قد یکون أسهل و ذلک أنّ القوی البدنیّه کالغضب و الشهوه یثوران عند مناجزه العدّو طلبا لدفعه،و تصیران مطیعین للنفس الإنسانیّه فیما تراه و تأمر به فلا یکون علیها کثیر کلفه فی تطویع تلک القوی.بخلاف سائر العبادات فإنّ طباع تلک القوی معاکسه فیها لرأی النفس.فلذلک کان جهادها فی سائر العبادات أصعب و أکبر من جهادها فی حال الحرب.و اللّه أعلم .

الثالث:

استعاره کونه لباس التقوی،و درع اللّه الحصینه،و جنّته الوثیقه .و استعار لفظ اللباس و الدرع و الجنّه ثمّ رشّح الاستعارتین الأخیرتین بوصفی الحصانه و الوثاقه.

و وجه المشابهه أنّ الإنسان یتّقی شرّ العدوّ أو سوء العذاب یوم القیامه کما یتّقی بثوبه ما یؤذیه من حرّ أو برد،و بدرعه و جنّته ما یخشاه من عدوّه ،ثمّ أردف علیه السّلام مادح الجهاد بتوعید من ترکه رغبه عنه من غیر عذر یوجب تخلّفه بامور منفور عنها طبعا:

منها:أنّه یستعدّ بالترک لأن یلبسه اللّه ثوب الذلّ.و استعار لفظ الثوب للذلّ و لفظ اللباس لشموله له.و وجه المشابهه إحاطه الذلّ به إحاطه الصفه بالموصوف کإحاطه الثوب بملابسه ، و أن یشمله بلاء العدوّ فیذلّله بالصغار و القماء،و أن یضرب علی قلبه بالأسهاب أی یذهب وجه عقله العملیّ فی تدبیر مصالحه:أمّا لحوق الذلّ به فذلک أنّ کثره غارات العدوّ و تکرّرها منه موجب لتوهّم قهره و قوّته و ذلک ممّا ینفعل عنه النفس بالانقهار و الذلّ.

و حینئذ تذعن لشمول بلائه،و تذهب وجه عقلها فی استخراج وجوه المصالح فی دفعه و مقاومته إمّا لقلّه اهتمامها بذلک عن عدم طمعها فی مقاومته أو لتشویشها لخوفه عن ملاحظه وجه المصلحه .

استعاره و فی إطلاق لفظ الضرب علی قلبه استعاره کقوله تعالی «وَ ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ الذِّلَّهُ وَ الْمَسْکَنَهُ» (۱)

۱- ۱) ۵۸-۲

و وجه الشبه فيها إحاطه القبّه المضروبه بمن فيها،أو لزوم قلّه العقل له كلزوم الطين المضروب على الحائط .و يحتمل أن يراد بالأسهاب كثره الكلام من غير فائده فإنّ الإنسان حال الخوف و الذلّ كثيرا ما يخبط فى القول و يكثر من غير إصابه فيه.و كذلك لحوق باقى الامور به كإداله الحقّ منه،و غلبه العدوّ له،و عدم انتصافه منه أمر ظاهر عن ترك جهاد عدوّه مع التمكن من ذلك.و هى امور منفور عنها طبعا و مضرّه بحال من تلحقه فى الدارين.و قد ورد فى التنزيل الإلهىّ من فضل الجهاد و الحثّ عليه امور كثيره كقوله تعالى «لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً» إلى قوله «فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً» (۱)و قوله «وَ جاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ» (۲)و قوله «وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ» (۳)و نحو ذلك.

قوله : ألا و إنّى قد دعوتكم .إلخ.لمّا ذكر صدر الخطبه أردفه بتفصيل غرضه ممّا أجمله فيه و هو حثّهم على الجهاد و توبيخهم على تركه.فتبّهم أوّلا على ما كان دعاهم إليه قبل من قتال معاويه و أصحابه مرارا كثيره،و ذكّرهم نصيحه السابقه لهم فى أمرهم بغزو عدوّهم قبل أن يغزوهم،و يذكّرهم بما كان أعلمهم أوّلا من القاعده الكلّيّه المعلومه بالتجربه و البرهان و هو أنّه ما غزى قوم قطّ فى عقر دارهم إلاّ ذلّوا .و قد أشرنا إلى علّه ذلك:و هو أنّ للأوهام أفعالا عجيبه فى الأبدان تاره بزياده القوّه و تاره بنقصانها حتّى أنّ الوهم ربّما كان سببا لمرض الصحيح لتوهّمه المرض،و بالعكس.فكان السبب فى ذلّ من غزى فى داره و إن كان معروفا بالشجاعه هو الأوهام:إمّا أوهامهم فلأنّها تحكم بأنّها لم تقدم على غزوهم إلاّ لقوّه غازيهم،و اعتقادهم فيهم الضعف بالنسبه إليهم.

فينفعل إذن نفوسهم عن تلك الأوهام و تنقهر عن المقاومه و تضعف عن الانبعاث و تزول غيرتها و حميّتها.فتحصل على طرف رذيله الذلّ،و إمّا أوهام غيرهم فلأنّ الغزو الّذى يلحقهم يكون باعثا لكثير الأوهام على الحكم بضعفهم و محرّكا لطمع كل طامع فيهم فيثى لهم أحكاما وهميه بعجزهم عن المقاومه .ثم إنّه أردف ذلك بما قابلوا به نّصيحته من

ص:۳۵

۱- ۱) ۹۷-۴

۲- ۲) ۷۷-۲۳

۳- ۳) ۵-۲۹

تـواكلهم و تخاذلهم عن العمـل بمقتضـى أمره إلى غـايه ظهـور العـدوّ عليهم و تفريق الغـارات من كـلّ جـانب على أوطـانهم و حـدودهم.ثمّ عقّب ذكر العـدوّ المطلق بـذكره فى شـخص معيّن مشاهـد،و نبّههم عليه ليكونوا إلى التصـديق بظهور العدوّ عليهم أقبل،و قصّ عليهم ما أحـدث من ورود خيله ديارهم و قتله لعاملهم و إزاله خيلهم عن ثغورهم و مسالحهم و هتك المسـلمات و المعاهدات و سلب أموال المسلمين و سائر ما عدّده على الوجه المذكور ممّا هو مستغن عن الايضاح .ثمّ ختم ذلك القصص بما الأولى أن يلحق المسـلم الحقّ ذا الغيره و الحميّه للّه من الأسف و الحزن المميت له بسـبب ما يشاهـد من الأحوال المنكره الواقعه بالمسـلمين مع تقصـيرهم عن مقاومه عدوّهم.كلّ ذلك التقرير ليمهّد قانونا يحسن معه توبيخهيم و ذمّهم على التقصير فيما ينبغى لهـم مـن امتثـال أمره و قبـول شـوره فيمـا هـو الأولى و الأصـحّ لهم.ثـم أردف ذلـك بـالتعجّب مـن حـالهم تأكيـدا لـذلك التمهيـد.فنادى:العجب من حالهم منكّرا ليحضـر له كأنّه غير متعيّن فى حال ندائه،ثمّ تعيّن بندائه و حضـر فكرّره ليصـفه بالشدّه.و نصـبه على المصدر كأنّه لمّا حضـر و تعيّن قال عجبت عجبا من شأنه كذا.و نحو هذا المنادى قوله تعالى: «يا بُشْرى» فى قراءه من قرء بغير إضافه،و يحتمل أن يكون العجب الأوّل نصبا على المصدر أيضا و الثانى للتأكيد أو لما ذكرناه،و يكون المنادى محذوفا تقديره يا قوم أو نحوه ، مجاز و أمّا وصـفه له بأنّه يميت القلب و يجلب الهمّ :فاعلم أنّ السـبب فى التعجّب من الامور عدم اطّلاع النفس على أسبابه لغموضها مع كونه فى نفسه أمرا غريبا.

و لـذلك وضع أهـل اللغه قولهم مـا أفعله صـيغه للتعجّب كقولـك مـا أحسن زيـدا،و علمت أن التقـدير فيها السؤال عن أسـباب حسنه.و كلّما كان الأمر أغرب و أسبابه أخفى كان أعجب.فإذا كان أمرا خطرا مهمّا و انبعثت النفس فى طلب سببه فقد تعجز من تحصيله و تكلّ القوّه المتخيلّه عن تعيينه فيحدث بسبب عدم الاطّلاع على سببه همّ و غمّ لأنّه كالمرض الّذى لا يمكن علاجه إلاّ بالوقوف على سـببه فيسـمّى ذلك الهمّ موتا للقلب تجوّزا بلفظ الموت فى الهمّ و الغمّ تسـميه للشـىء باسم ما يؤول إليه،و إطلاقا لاسم المسبّب على السبب.

إذا عرفت ذلك فنقول:إنّ حال قومه عليه السّلام فى تفرّقهم عن حقّهم مع علمهم بحقيّته،

و حال اجتماعهم على باطلهم مع اشتراكهم فى الشجاعه و كون قومه واثقين برضاء اللّه لو امتثلوا أمره من العجب المميت للقلب الّذى لا يهتدى بسببه.

و أمّا أنّه يجلب الهمّ فظاهر إذ كان حاله عليه السّلام معهم كحال طبيب لمرضى الزم بعلاجهم مع خطر أمراضهم و عدم لزومهم لما يأمر به من حميه أو شرب دواء.و ظاهر أنّ تلك الحال ممّا يجلب همّ الطبيب.ثمّ لمّا أظهر لهم التعجّب و وصفه بالشدّه أعقبه بذكر الأمر المتعجّب منه ليكون فى نفوسهم أوقع.ثمّ أردف ذلك المتعجّب بالدعاء عليهم بالبعد عن الخير و بالحزن بسبب تفريطهم ،و أعقبه بالتوبيخ لهم و التبكيت بما يأنف منه أهل المروّه و الحميّه و يوجب لهم الخجل و الاستحياء من صيرورتهم بسبب تقصيرهم غرضا للرماه يغار عليهم و قد كان الأولى بهم أن يغزوا،و يغزون و قد كانوا هم أولى بأن يغزوا،و يعصى اللّه مع رضاهم بذلك .ثمّ حكى صور أعذارهم فى التخلّف عن أمره و هى تاره شدّه الحرّ و تاره شدّه القرّ و نحوها من الأعذار الّتى يذوق العاقل منها طعم الكسل و الفتور،و أنّه لم يكن لهم بها مقصود الاّ المدافعه.ثمّ تسلّم تلك الأعذار منهم و استثبتها و جعلها مهادا للاحتجاج عليهم بقوله : فأنتم و اللّه من السيف أفرّ .و ذلك أنّ الفارّ من الأهون فارّ من الأشدّ بطريق الأولى إذ لا مناسبه لشدّه الحرّ و البرد مع القتل و المجالده بالسيف.ثمّ أردف ذلك التبكيت بالذمّ لهم بثلاثه أوصاف:

أحدها:أنّه نفى عنهم صفه الرجوليّه.لاستجماعها ما ينبغى من صفات الكمال الأنسا نّى كالشجاعه و الأنفه و الحميّه و الغيره.و عدم هذه الكمالات فيهم و إن كانوا بالصوره المحسوسه للرجال الموجبه لشبههم بهم.و ذلك قوله : يا أشباه الرجال و لا رجال.

تشبيه و ثانيها:أنّه وصفهم بحلوم الأطفال .و ذلك أنّ ملكه الحلم ليس بحاصل للطفل و إن كانت قوّه الحلم حاصله له لكن قد يحصل لهم ما يتصوّر بصوره الحلم كعدم التسرّع إلى الغضب عن خيال يرضيه و أغلب أحواله أن يكون ذلك فى غير موضعه، و ليس تحصل له ملكه تكسب نفسه طمأنينه كما فى حقّ الكاملين.فهو إذن نقصان.

و لمّا كان تاركوا أمره عليه السّلام بالجهاد قد تركو المقاومه حلما عن أدنى خيال

كتركهم الحرب بصفّين عن خدعه أهل الشام لهم بالمسالمه و طلب المحاكمه إلى كتاب اللّه و رفع المصاحف فقالوا:إخواننا فى الدين فلا يجوز لنا قتالهم.كان ذلك حلما فى غير موضعه حتّى كان من أمرهم ما كان.فأشبه رضى الصبيان فأطلق اسمه عليه.

و ثالثها :إلحاق عقولهم بعقول النساء.و ذلك للمشاركه فى النقصان و عدم عقليّتهم لوجوه المصالح المختصّه بتدبير المدن و الحرب.ثمّ عرّفهم محبّته لعدم رؤيتهم و عدم معرفتهم لاستلزامها ندمه على الدخول فى أمرهم و الحزن من تقصيرهم فى الذّب عن الدين لأنّ المتولّى لأمر يغلب على ظنّه استقامته حتّى إذا دخل فيه و طلب انتظامه و وجده غير ممكن له لا بدّ و أن يندم على تضييع الوقت به،و يحزن على عدم إمكانه له.و هذه حاله عليه السّلام مع أصحابه.و لذلك حزنت الأنبياء عليه السّلام على تقصير اممهم حتّى عاتبهم اللّه تعالى على ذلك كقوله لمحمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم «وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ» . «لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلاّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» . مجاز ثمّ عاد إلى الدعاء عليهم و الشكايه منهم،و ذلك قاتلكم اللّه .إلى آخره.و أعظم بما دعا عليهم به فإنّ المقاتله لمّا كانت مستلزمه للعداوه،و العداوه مستلزمه لأحكام كاللعن و الطرد و البعد من الشفقه و الخير من جهه العدوّ،و كان إطلاق المقاتله و العداوه على اللّه بحسب حقيقتهما غير ممكن كان إطلاق لفظ المقاتله و العداوه مقصودا به لوازمهما كالإبعاد عن الرحمه مجازا .قال المفسّرون:معنى قول العرب:قاتلكم اللّه:أى لعنكم.و قال ابن الأنبارى:

المقاتله من القتل.فإذا أخبر اللّه بها كان معناها اللعنه منه لأنّ من لعنه اللّه فهو بمنزله المقتول الهالك.

مجاز و قوله: لقد ملأتم قلبى قيحا إشاره.إلى بلوغ الغايه فى التألّم الحاصل له من شدّه الاهتمام بأمرهم مع تقصيرهم و عدم طاعتهم لأوامره.فعبّر بالقيح عن ألم قلبه مجازا من باب إطلاق اسم الغايه على ذى الغايه.إذ كان غايه ألم العضو أن يتقيّح.و كذلك إطلاق لفظ الشحن على فعلهم المولم لقلبه مجاز لأنّ الشحن حقيقه فى نسبه بين جسمين، و كذلك قوله : و جرّعتمونى نغب التهمام أنفاسا :أى جلبتم لى الهمّ وقتا فوقتا.مجاز لأنّ التجريع عباره عن إدخال الماء أو نحوه فى الحلق.و طريان الهمّ على نفسه و ما

يلزم الهمّ من الآلام البدنيّه على بدنه،و تكرار ذلك منهم يشبه طريان المشروب و تجريعه.و قوله: أنفاسا .مجاز فى الدرجه الثانيه فإنّ النفس حقيقه لغويّه فى الهواء الداخل و الخارج فى الحيوان من قبل الطبيعه.ثمّ استعمل عرفا لمقدار ما يشرب فى مدّه إدخال الهواء بقدر الحاجه إطلاقا لاسم المتعلّق على المتعلّق،ثمّ استعمل هاهنا فى كلّ مقدار من الهمّ يرد عليه من قبل أصحابه وقتا فوقتا و هى درجه ثانيه من المجاز.

و قوله : و أفسدتم رأيى بالعصيان .من تمام شكايته منهم.و معنى إفسادهم له خروجه بسبب عدم التفاتهم إليه عن أن يكون منتفعا به لغيرهم حتّى قالت قريش:إنّه و إن كان رجلا شجاعا إلاّ أنّه غير عالم بالحرب.فإنّ الخلق إذا رأوا من قوم سوء تدبير أو مقتضى رأى فاسد كان الغالب أن ينسبوه إلى رئيسهم و مقدّمهم و لا يعلمون أنّه عليه السّلام الألمعيّ الّذى يرى الرأى كأن قد رأى و قد سمع،و أنّ التقصير من قومه.ثمّ أردف ذلك نسبتها له إلى قلّه العلم بالحرب بقوله : للّه أبوهم .إلى آخره.

و هى كلمه من ممادح العرب.ثمّ سألهم عن وجود من هو أشدّ للحرب معالجه أو أقدم منه فيها مقاما سؤالا على سبيل الإنكار عليهم،و نبّه على صدقه بنهوضه فى الحرب و معاناه أحوالها عامّه عمره و هو من قبل بلوغ العشرين إلى آخر عمره.ثمّ بيّن أنّ السبب فى فساد حال أصحابه ليس ما تخيّله قريش فيه من ضعف الرأى فى الحرب كما يزعمون،بل عدم طاعتهم له فيما يراه و يشير عليهم به و ذلك قوله : و لكن لا رأى لمن لا يطاع .فإنّ الرأى الّذى لا يقبل بمنزله الفاسد و إن كان صوابا.و المثل له عليه السّلام.

۲۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَ آذَنَتْ بِوَدَاعٍ- وَ إِنَّ الْآخِرَهَ قَدْ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ- أَلَا وَ إِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَ غَداً السِّبَاقَ- وَ السَّبَقَهُ الْجَنَّهُ وَ الْغَايَهُ النَّارُ- أَ فَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ- أَ لَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ

بُؤْسِهِ- أَلاَ وَ إِنَّكُمْ فِی أَیَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ- فَمَنْ عَمِلَ فِی أَیَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ- فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَ لَمْ یَضْرُرْهُ أَجَلُهُ- وَ مَنْ قَصَّرَ فِی أَیَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ- فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَ ضَرَّهُ أَجَلُهُ- أَلاَ فَاعْمَلُوا فِی الرَّغْبَهِ کَمَا تَعْمَلُونَ فِی الرَّهْبَهِ- أَلاَ وَ إِنِّی لَمْ أَرَ کَالْجَنَّهِ نَامَ طَالِبُهَا وَ لاَ کَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا- أَلاَ وَ إِنَّهُ مَنْ لاَ یَنْفَعُهُ الْحَقُّ یَضُرُّهُ الْبَاطِلُ- وَ مَنْ لاَ یَسْتَقِیمُ بِهِ الْهُدَی یَجُرُّ بِهِ الضَّلاَلُ إِلَی الرَّدَی- أَلاَ وَ إِنَّکُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ وَ دُلِلْتُمْ عَلَی الزَّادِ- وَ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَیْکُمُ اتِّبَاعُ الْهَوَی وَ طُولُ الْأَمَلِ- فَتَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْیَا- مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَکُمْ غَداً قال الشریف:أقول:لو کان کلام یأخذ بالأعناق إلی الزهد فی الدنیا و یضطر إلی عمل الآخره لکان هذا الکلام،و کفی به قاطعا لعلائق الآمال،و قادحا زناد الاتعاظ و الازدجار،و من أعجبه قوله علیه السّلام«ألا و إنّ الیوم المضمار و غدا السّباق و السّبقه الجنّه و الغایه النّار»فإن فیه-مع فخامه اللفظ،و عظم قدر المعنی،و صادق التمثیل،و واقع التشبیه-سرا عجیبا،و معنی لطیفا، و هو قوله علیه السّلام:«و السبقه الجنه،و الغایه النار»فخالف بین اللفظین لاختلاف المعنیین،و لم یقل«السبقه النار»کما قال«السبقه الجنه»،لأن الاستباق إنما یکون إلی أمر محبوب،و غرض مطلوب،و هذه صفه الجنه و لیس هذا المعنی موجودا فی النار نعوذ باللّه منها،فلم یجز أن یقول«و السبقه

النار»بل قال «و الغايه النار» ،لأن الغايه ينتهى إليها من لا يسره الانتهاء و من يسره ذلك،فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا،فهى فى هذا الموضع كالمصير و المآل،قال اللّه تعالى: «قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النّارِ» و لا يجوز فى هذا الموضع أن يقال:سبقتكم-بسكون الباء-إلى النار،فتأمل ذلك فباطنه عجيب و غوره بعيد.و كذلك أكثر كلامه عليه السّلام،و فى بعض النسخ،و قد جاء فى روايه أخرى«و السبقه الجنه»-بضم السين-و السبقه عندهم:اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض،و المعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم،و إنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود.

أقول:هذا الفصل من الخطبه الّتى فى أوّلها الحمد للّه غير مقنوط من رحمته.

و سيجىء بعد،و إنّما قدّمه الرضىّ عليها لما سبق من اعتذاره فى خطبه الكتاب أنّه لا يراعى التتالى و النسق فى كلامه عليه السّلام.

اللغه

و قوله: قد أدبرت أى ولىّ دبره .و آذنت أى أعلمت .و أشرفت أى أطّلعت ،و المضمار : المدّه الّتى يضمر فيها الخيل للمسابقه أى تعلف حتّى تسمن ثمّ تردّ إلى القوت و المدّه أربعون يوما،و قد يطلق على الموضع الّذى يضمر فيه أيضا .و السباق : مصدر مرادف للمسابقه و هو أيضا جمع سبقه كنظفه و نظاف،أو سبقه كحجله و حجال،أو سبق كجمل و جمال .و الثلاثه اسم لما يجعل للسابق من مال أو غرض ،و المنيّه : الموت ،و البؤس : شدّه الحاجه ،و تحرزون : تحفظون .

و اعلم انّ هذا الفصل يشتمل على أحد عشر تنبيها :

الأوّل:على وجوب النفار عن الدنيا و عدم الركون إليها.

و ذلك بقوله: استعاره بالكنايه ألا و إنّ الدنيا قد أدبرت و آذنت بوداع .و أشار بإدبار الدنيا و إعلامها بالوداع إلى تقضّى الأحوال الحاضره بالنسبه إلى كلّ شخص من الناس من صحّه و شباب و جاه و مال و كلّ ما يكون سببا لصلاح حال الإنسان،و أنّ كلّ ذلك فى هذا الحياه الدنيا لدنوّها

من الإنسان.و لمّا كانت هذه الامور أبدا فى التغيّر و التقضّى المقتضى لمفارقه الإنسان لها و بعدها عنه لا جرم حسن إطلاق اسم الإدبار على تقضّيها و بعدها استعاره تشبيها لها بالحيوان فى إدباره.فقيل لكلّ أمر يكون الإنسان فيه من خير و شرّ إذا كان فى أوّله:

أقبل،و إذا كان فى آخره و بعد تقتضيّه:أدبر،و كذلك اسم الوداع فإنّ التقضّى لمّا استلزم المفارقه و كانت مفارقه الدنيا مستلزمه لأسف الإنسان عليها و وجده لها أشبه ذلك ما يفعله الإنسان فى حقّ صديقه المرتحل عنه فى وداعه له من الأسف على فراقه و الحزن و البكاء و نحوه.فاستعير اسم الوداع له،و كنّى بإعلامها بذلك عن الشعور الحاصل بمفارقتها من تقضّيها شيئا فشيئا،أو هو إعلام بلسان الحال .

الثانی:التنبیه على الإقبال على الآخره و التیقّظ للاستعداد لها

بقوله: مجاز ألا و إنّ الآخره-قد أقبلت-و أشرفت باطّلاع .و لمّا كانت الآخره عباره عن الدار الجامعه للأحوال الّتى يكون الناس عليها بعد الموت من سعاده و شقاوه و ألم و لذّه،و كان تقضّى العمر مقرّبا للوصول إلى تلك الدار و الحصول فيما يشمل عليه من خير أو شرّ حسن إطلاق لفظ الإقبال عليها مجازا .ثمّ نزّلها لشرفها على الدنيا فى حال إقبالها منزله حال عند سافل.فأسند إليها لفظ الإشراف.و لأجل إحصاء الأعمال الدنيويّه فيها منزله عالم مطّلع.

فأطلق عليها لفظ الاطّلاع،و يحتمل أن يكون إسناد الإشراف بكيفيّه الاطّلاع إلى ربّ الآخره،و إنّما عبّر بالآخره عنه تعظيما لجلاله كما يكنّى عن الرجل الفاضل بمجلسه و حضرته و يكون كيفيّه الاطّلاع قرينه ذلك .

الثالث:التنبیه على وجوب الاستعداد بذكر ما یستعدّ لأجله

و هو السباق ،و ذكر ما يستبق إليه و ما هو غايه المقصّر المتخلّف عن نداء اللّه.و ذلك قوله: كنايه و إنّ اليوم المضمار.

إلى قوله: و الغايه النار .كنّى باليوم عن عمر الإنسان الباقيه له و أخبر بالمضمار عنها.

و اعلم أنّه قد ورد المضمار و السباق مرفوعين و منصوبين:فأمّا رفع المضمار فلأنّه خبر أنّ.و اليوم اسمها،و إنّما اطلق اسم المضمار على تلك المدّه لما بينهما من المشابهه فإنّ الإنسان فى مدّه عمره يستعدّ بالتقوى و يرتاض بالأعمال الصالحه لتكميل قوّته فيكون من السابقين إلى لقاء اللّه و المقرّبين فى حضرته كما يستعدّ الفرس بالتضمير

ص:۴۲

لسبق مثله،و أمّا نصبه ففيه شكّ.إذ يحتمل أن يقال:إنّ المضمار زمان و اليوم زمان فلو أخبرنا عنه باليوم لكان ذلك إخبارا بوقوع الزمان فى الزمان فيكون الزمان محتاجا إلى زمان آخر.و ذلك محال.و جوابه:لا نسلّم أنّ الإخبار بوقوع الزمان فى الزمان محوج للزمان إلى زمان آخر.فإنّ بعض أجزاء الزمان قد يخبر عنها بالزمان بمعنى أنّها أجزاؤه و الجزء فى الكلّ لا بمعنى أنّها حاصله فى زمان آخر.و إن كان إنّما يحسن الإخبار عنها به إذا قيّدت بوصف و اشتملت على أحداث يتخصّص بها كما تقول:

أنّ مصطبح القوم اليوم.فكذلك المضمار لمّا كان وقتا مشتملا على التضمير و هو حدث صحّ الإخبار عنه باليوم.و أمّا نصب السباق فلأنّه اسم إنّ أى كنايه-استعاره و إنّ غدا السباق و كنّى بغد عمّا بعد الموت ،و أمّا رفعه فلا وجه له إلاّ أن يكون مبتدأ خبره غدا و يكون اسم إنّ ضمير الشأن.و قال بعض الشارحين:يجوز أن يكون خبر إنّ.و هو ظاهر الفساد لأنّ الحكم بشىء على شىء إمّا بمعنى أنّه هو هو كما يقال:الإنسان هو الضحّاك.و هو ما يسمّيه المنطقيّون حمل المواطاه،أو على أنّ المحكوم عليه ذو المحكوم به كما يقال:الجسم أبيض أى ذو بياض.و هو ما يسمّونه حمل الاشتقاق.و لا واحد من المعنيين بحاصل فى الحكم بالسباق على غد.فيمتنع أن يكون خبر إنّ،اللّهم إلاّ على تقدير حذف المضاف و إقامه المضاف إليه مقامه:أى و إنّ غدا وقت السباق.لكن لا يكون السباق هو الخبر فى الحقيقه.

ثمّ إن قلنا:إنّ السباق مصدر.كان التقدير ضمّروا أنفسكم اليوم فإنّكم غدا تستبقون.

و تحقيق ذلك أنّ الإنسان كلّما كان أكمل فى قوّتيه النظريّه و العمليّه كان وصوله إلى حضره القدس قبل وصول من هو أنقص منه و لمّا كان مبدء النقصان فى هاتين القوّتين إنّما هو محبّه ما عدا الواحد الحقّ،و اتّباع الشهوات،و الميل إلى أنواع اللذّات الفانيه، و الإعراض بسبب ذلك عن تولّى القبله الحقيقيّه.و مبدء الكمال فيهما هو الإعراض عمّا عدا الواحد الحقّ من الامور المعدوده،و الإقبال عليه بالكلّيه.و كان الناس فى محبّه الدنيا و فى الإعراض عنها و الاستكمال بطاعه اللّه على مراتب مختلفه و درجات متفاوته كان كون اليوم هو المضمار و غدا السباق متصوّرا جليّا.فإنّ كلّ من كان أكثر استعدادا و أقطع لعلائق الدنيا عن قلبه لم يكن له بعد الموت عائق يعوقه عن الوصول إلى اللّه

و ما أعـدّ له فی الجنّه من الثواب الجزیل،بل کان خفیف الظهر ناجیا من ثقل الوزر کما أشار إلیه الرسول صـلی اللّه علیه و آله و سلّم بقوله:نجا المخفّفون.و کما سـبق من إشاره علیّ علیه السّـلام إلی ذلک بقوله :تخفّفوا تلحقوا .فیکون بعد الموت سابقا ممّن کـان أضـعف اسـتکمالا منـه،و ممّن لسـعت عقـارب الهیئـات البـدنیّه و الملکـات الردیئه قلبه و أثقلت الأـوزار ظهره و أوجب له التخلّف عن درجه السابقین الأوّلین.و کذلک یکون سبق هذا بالنسبه إلی من هو أقلّ استعدادا منه و أشدّ علاقه للدنیا بقلبه.فکان معنی المسابقه ظاهرا إن کان استعاره من السباق المتعارف بین العرب.و إن قلنا:إنّ السباق جمع سبقه:اسم لمّا یستبق إلیه و یجعل للسابق.فـالمعنی أیضـا ظـاهر فـإنّ مـا یسـتبق إلیه إنّمـا یکمل الوصول إلیه بعـد المفارقه، و یکون الاسـتباق إمّا قبل المفارقه و هو السـعی فی درجـات الریاضات کما أشار إلیه سـبحانه بقوله «سابِقُوا إِلی مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُـها کَعَرْضِ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا» (۱)الآیه،و قوله «فَاسْـتَبِقُوا الْخَیْراتِ» .أو بعد المفارقه کما أشـرنا إلیه.و یکون قوله بعد ذلک: و السـبقه الجنّه .تعیینـا للمسـتبق إلیه بعـد التنبیه علیه إجمالا و أمّا قوله: و الغایه النار .فالّـذی ذکره الرضـیّ-رضوان اللّه علیه-فی تخصـیص الجنّه بالسبقه و النار بالغایه حسن و کاف فی بیان مراده علیه السّلام إلاّ أنّه یبقی هاهنا بحث و هو أنّ هذه الغایه من أیّ الغایات هی؟و هل هی غایه حقیقیّه أو لازمه لغایه؟ فنقول:إنّ ما ینتهی إلیه قـد یکون بسوق طبیعیّ،و قـد یکون بسوق إرادیّ.و کلّ واحد منهما قـد یکون ذاتیّا،و قـد یکون عرضـیّا.فالسوق الـذّاتی منهمـا یقـال له غایه إمّا طبیعیّه کاسـتقرار الحجر فی حیّزه عن حرکته بسوق طبیعته له إلیه و إمّـا إرادیّه کغایـات الإنسـان من حرکـاته المنتهی إلیهـا بسوق إرادته.و أمّا المنتهی إلیه بالسوق العرضـیّ فهو من لوازم إحـدی الغـایتین و قـد یسـمّی غـایه عرضـیّه.فاللازم عن الطبیعیّه کمنع الحجر غیره أن یحـلّ بحیث هو فإنّ ذلک من لوازم استقراره فی حیّزه،و عن الإرادیّه کاستضاءه الجار بسراج جاره فإنّ ذلک من لواحق استضاءته و کهلاک الطائر فی حبائل الصیّاد عن المیل إلی التقاط حبّه.إذا عرفت ذلک فنقول:إنّ کون النار غایه بهذا المعنی الرابع.

۱- ۱) ۲۱-۵۷

و بیانه:أن محبّه الدنیا و المیل إلیها و الانهماک فی مشتهیاتها.سواء کان معها مسکه للإنسان باللّه تعالی أو لم یکن فإنّ من لوازمها الانتهاء إلی النار إلاّ أن یشاء اللّه کما قال تعالی «مَنْ کانَ یُرِیدُ حَرْثَ الدُّنْیا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِی اَلْآخِرَهِ مِنْ نَصِیبٍ» (۱)و کان المقصود الأوّل للإنسان هو تناول اللذّات الحاضره لکن لمّا کان من لوازم الوصول إلی تلک اللذّات و الإقبال علیها دخول النار و الانتهاء إلیها کانت عرضیّه .

الرابع:التنبیه علی التوبه قبل الموت

و هو قوله: أفلا تائب من خطیئه قبل منیّته.

و لا شکّ أنّها یجب أن تکون مقدّمه علی الأعمال لأنّک علمت أنّ التوبه هی انزجار النفس العاقله عن متابعه النفس الأمّاره بالسوء لجاذب إلهیّ اطّلعت معه علی قبح ما کانت علیه من اتّباع شیاطینها و هو من مقام الزهد و التخلّی.و قد علمت فی بیان کیفیّه السلوک إلی اللّه تعالی أنّ مقام التخلیه مقدّم علی مقام التحلیه.فکان الأمر بها مقدّما علی الأمر بسایر الطاعات .

الخامس:التنبیه علی العمل للنفس قبل یوم البؤس

،و الإشاره إلی ما بعد الموت من العذاب اللازم للنقصان اللازم عن التقصیر فی العمل إذ الواصل إلی یوم بؤسه علی غیر عمل أسیر فی ید شیاطینه.و قد علمت أن غایه الاسترسال فی ید الشیطان دخول النار و الحجب عن لقاء ربّ العالمین.و لمّا کان العمل هو المعین علی قهر الشیاطین و المخلص من أسره نبّه علیه،ثمّ أردفه بالتنبیه علی وجود الزمان الّذی یمکنهم فیه العمل و هو أیّام آمالهم للعمل و غیره علی أنّ ذلک الزمان منقطع بلحوق الأجل،ثمّ أردفه ببیان فایده العمل فی ذلک الزمان و هی المنفعه بالثواب فی الآخره و ما یلزمها من عدم مضرّه الأجل، و استعاره بیان ثمره التقصیر فی العمل فیه و هی خسران العمل المستلزم لمضرّه الأجل.و أحسن باستعارته علیه لفظ الخسران لفوات العمل فإنّ الخسران فی البیع لمّا کان هو النقصان فی رأس المال أو ذهاب جملته،و کان العمل هو رأس مال العامل الّذی یکتسب الکمال و السعاده الاخرویّه لا جرم حسنت استعاره لفظ الخسران لعدم العمل، و أمّا استلزام المنفعه لعدم مضرّه الموت و استلزام الخسران لمضرّته فهو أمر ظاهر إذ کان الکامل فی

۱- ۱) ۱۹-۴۲

قوّتیه المعرض عن متاع الدنیا غیر ملتفت إلیها بعد المفارقه فلم یحصل له بسببها تعذیب.

فکانت المضرّه منفیّه عنه.و کان المقصّر عن الاستکمال فیهما من ضروره طباعه المیل إلی اللذّات الحسّیه.فإذا قصر عن العمل و التعلّق بطاعه اللّه الجاذبه إلیه فلا بدّ و أن یستضرّ بحضور الأجل إذ کان الأجل قاطعا لزمان الاستکمال و حائلا بین الإنسان و بین ما هو معشوق له من حاضر اللذّات .

السادس:التنبیه علی وجوب التسویه للعامل بین العمل فی الرغبه و العمل فی

الرهبه .

و فیه شمیمه التوبیخ للعبد علی غفلته عن ذکر اللّه و إعراضه عن عبادته فی حال صفاء اللذّات الحاضره له،و لجأه إلیه و فزعه عند نازله إن نزلت به.فإنّ ذلک لیس من شأن العبودیّه الصادقه للّه.و إلی مثل هذا التوبیخ أشار التنزیل الإلهیّ بقوله «وَ إِذا مَسَّکُمُ الضُّرُّ فِی الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّ إِیّاهُ فَلَمّا نَجّاکُمْ إِلَی الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ کانَ الْإِنْسانُ کَفُوراً» (۱)و غیره من الآیات،بل من شأن العابد للّه القاصد له أن یتساوی عبادته فی أزمان شدّته و رخائه.فیقابل الشدّه بالصبر،و الرخاء بالشکر،و أن یعبده لا لرغبه و لا رهبه و أن یعبده فیهما من غیر فرق .

السابع:

تشبیه قوله: ألا ـ و إنّی لم أر کالجنّه نام طالبها و لا ـ کالنار نام هاربها .و اعلم أنّ الضمیر فی طالبها و هاربها یعود إلی المفعول الأوّل لرأیت المحذوف المشبّه فی الموضعین و التقدیر لم أر نعمه کالجنّه نام طالبها و لا نقمه کالنار نام هاربها،و نام فی محلّ النصب مفعولا ـ ثانیا.و مغزی هذا الکلام أنّه نفی علمه بما یشبه الجنّه و ما یشبه النار و لم ینف علمه بذات التشبیه بل علمه من جهه الشبه و هی نوم الطالب و الهارب.و لذلک استدعت أری بمعنی أعلم هنا مفعولین أی لم أر نعمه کالجنّه بصفه نوم الطالب لها.فنبّه علی وجه الشبه بقوله: نام طالبها ،ثمّ نفی التشبیه من تلک الجهه.و کذلک قوله: و لا کالنار بصفه نوم هاربها .و المفعول الثانی فی الجملتین صفه جاریه علی غیر من هی له.و هی تنبیه للموقنین بالجنّه و النار علی کونهم نائمین فی مراقد الطبیعه لینتبهوا منها و یتفطّنوا[یتّعظوا خ]للاستعداد بالعمل التامّ لما ورائهم

ص:۴۶

۱- ۱) ۶۹-۱۷

من مرغوب و مرهوب.و فيه شميمه التعجّب من جمع الموقن بالجنّه و النار بين علمه بما فى الجنّه من تمام النعمه و تقصيره عن طلبها بما يؤدّى إليها من الأعمال الصالحه، و جمع الموقن بالنار بين علمه بما فيها من عظيم العذاب و بين تقصيره و غفلته عن الهرب إلى ما يخلص منها.

الثامن :

قوله ألا و إنّه من لم ينفعه الحقّ يضرّه الباطل .فالضمير فى إنّه ضمير الشأن.و أراد بالحقّ الإقبال على اللّه بلزوم الأعمال الصالحه المطابقه للعقايد المطابقه، و بالباطل الالتفات عنه إلى غير ذلك ممّا لا يجدى نفعا فى الآخره.و هو تنبيه على استلزام عدم منفعه الحقّ لمضرّه الباطل فى صوره شرطيّه متّصله،و بيان الملازمه فيها ظاهر فإنّ وجود الحقّ مستلزم لمنفعته فعدم منفعته إذن مستلزم لعدمه و عدمه مستلزم لوجود الباطل لأن اعتقاد المكلّف و عمله إمّا أن يطابقا أوامر اللّه تعالى،أو ليس.

و الأوّل هو الحق،و الثانى هو الباطل.و ظاهر أنّ عدم الأوّل مستلزم لوجود الثانى.ثمّ إنّ وجود الباطل مستلزم لمضرّته.فيظهر بهذا البيان أنّ عدم منفعه الحقّ مستلزم لوجود مضرّه الباطل.و إذا ثبت ذلك فنقول:مراده عليه السّلام بلزوم الحقّ ما هو المستلزم لمنفعته و بنفى الباطل ما هو المستلزم لعدم مضرّته.فإنّ لزوم الطاعه للّه بامتثال أوامره و الإقبال عليه مستلزم للوصول إلى جواره المقدّس،و الالتفات إلى ما عداه المعبّر عنه بالباطل مستلزم للنقصان الموجب للتخلّف عن السابقين و الهوى فى درك الهالكين.و ذلك محض المضرّه.فظهر أذن سرّ قوله:عليه السّلام من لم ينفعه الحقّ يضرره الباطل .و من غفله بعض من يدّعى العلم عن بيان هذه الملازمه ذهب إلى أنّ الوعيدات الوارده فى الكتب الإلهيّه إنما جاءت للتخويف دون أن يكون هناك شقاوه للعصاه.

محتجّا على ذلك بتمثيلات خطابيّه عن مشهورات فى بادىء الرأى إذا تعقّبها النظر زالت شهرتها .

التاسع و من لا يستقم به الهدى يجرّ به الضلال إلى الردى

:و من لا يستقم به الهدى يجرّ به الضلال إلى الردى .أراد بالهدى نور العلم و الإيمان،و بالضلال الجهل و الخروج عن أمر اللّه.و المعنى أنّ من لم يكن الهدى دليله القائد له بزمام عقله فى سبيل اللّه و يستقيم به فى سلوك صراطه المستقيم

فلا بدّ و أن ينحرف به الضلال عن سواء الصراط إلى أحد جانبى التفريط و الإفراط.

و ملازمه هذه الشرطيّه أيضا ظاهره.لأنّ وجود الهدى لمّا استلزم وجود استقامه بالإنسان على سواء السبيل كان عدم استقامه الهدى به مستلزما لعدم الهدى المستلزم لوجود الضلال المستلزم للجرّ بالإنسان إلى مهاوى الردى،و العدول به عن الصراط المستقيم إلى سواء الجحيم .

العاشر: ألا و إنّكم قد امرتم بالظعن و دللتم على الزاد

استعاره قوله: ألا-و إنّكم قد امرتم بالظعن و دللتم على الزاد .و هو تنبيه على ملاحظه الأوامر الوارده بالظعن كقوله تعالى «فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» (١)و كقوله تعالى «سابِقُوا إِلى مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ» (٢)على الأمر باتّخاذ الزاد كقوله تعالى «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» (٣)و أحسن باستعارته الظعن للسفر إلى اللّه و استعاره الزاد لما يقرّب إليه.و وجه درجه الاستعاره الاولى:أنّ الظعن لمّا كان عباره عن قطع المراحل المحسوسه بالرجل و الجمل و نحوه فكذلك السفر إلى اللّه عباره عن قطع المراحل المعقوله بقدم العقل،و وجه الثانيه أنّ الزاد لمّا كان إنّما يعدّ لتقوى به الطبيعه على الحركه الحسّيه و كانت الامور المقربه إلى اللّه تعالى ممّا تقوى به النفس على الوصول إلى جنابه المقدّس كان ذلك من أتمّ المشابهه الّتى يقرّب معها اتّحاد المتشابهين.و بحسب قوّه المشابهه يكون قوّه حسن الاستعاره .

الحادى عشر:التنبيه على أخوف الامور

الّتى ينبغى أن تخاف لتجتنب و هو الجمع بين اتّباع الهوى و طول الأمل.و سيذكر عليه السّلام هذا الكلام فى موضع آخر مع ذكر علّه التحذير من هذين الأمرين،و سنوضح معناه هناك.و يكفى هاهنا أن يقال:

إنّما حذّر منهما عقيب التنبيه على الظعن و الأمر باتّخاد الزاد لكون الجمع بينهما مستلزما للإعراض عن الآخره فيكون مستلزما لعدم الظعن و عدم اتّخاذ الزاد.فخوّف منهما ليجتنبا.فيحصل مع اجتنابهما الإقبال على اتّخاذ الزاد و الاهبّه للظعن و لذلك أردف التخويف منهما بالأمر باتّخاذ الزاد .و فى قوله: من الدنيا فى الدنيا لطف.فإنّ الزاد الموصل إلى اللّه تعالى إمّا علم أو عمل و كلاهما يحصلان من الدنيا:أمّا العمل

١- ١) ۵۰-۵

٢- ٢) ۲۱-۵۷

٣- ٣) ۱۹۳-۲

فلا شكّ أنّه عباره من حركات و سكنات تستلزم هيئات مخصوصه إنّما تحصل بواسطه هذا البدن و كلّ ذلك من الدنيا فى الدنيا،و أمّا العلم فلأنّ الاستكمال به إنّما يحصل بواسطه هذا البدن أيضا إمّا بواسطه الحواسّ الظاهره و الباطنه،أو بتفطّن النفس لمشاركات بين المحسوسات و مباينات بينها و ظاهر أنّ ذلك من الدنيا فى الدنيا و أشار بقوله: ما تحرزون أنفسكم به غدا .أنّ كلّ زاد عدّ به الإنسان نفسه للوصول إلى جوا اللّه فقد تدرع به من غدا به و حفظ به نفسه «يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ» .و قد اشتمل هذا الفصل على استدراجات لطيفه لانفعالات عن أوامر للّه و زواجره،و إذا تأمّلت اسلوب كلامه عليه السّلام،و راعيت ما فيه:من فخامه الألفاظ،و جزاله المعانى المطابقه للبراهين العقليّه،و حسن الاستعارات و التشبيهات و مواقعها،و صحّه ترتيب أجزائه.و وضع كلّ مع ما يناسبه.وجدته لا يصدر إلّا عن علم لدنيّ و فيض ربّانيّ.و أمكنك حينئذ الفرق بين كلامه عليه السّلام و كلام غيره و التمييز بينهما بسهوله.و باللّه العصمه و التوفيق.

۲۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَهُ أَبْدَانُهُمْ- الْمُخْتَلِفَهُ أَهْوَاؤُهُمْ- كَلاَمُكُمْ يُوهِی الصُّمَّ الصِّلاَبَ- وَ فِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الْأَعْدَاءَ- تَقُولُونَ فِی الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَ كَيْتَ- فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حِيدِی حَيَادِ- مَا عَزَّتْ دَعْوَهُ مَنْ دَعَاكُمْ- وَ لاَ اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ- أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ دِفَاعَ ذِی الدَّيْنِ الْمَطُولِ- لاَ يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ- وَ لاَ يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلاَّ بِالْجِدِّ- أَیَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ- وَ مَعَ أَیِّ إِمَامٍ بَعْدِی تُقَاتِلُونَ- الْمَغْرُورُ وَ اللَّهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ- وَ مَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَ اللَّهِ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ- وَ مَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ-

أَصْبَحْتُ وَ اللَّهِ لاَ أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ- وَ لاَ أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ- وَ لاَ أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ- مَا بَالُكُمْ مَا دَوَاؤُكُمْ مَا طِبُّكُمْ- الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ- أَ قَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ- وَ غَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ- وَ طَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ أقول:روى أنّ السبب فى هذه الخطبه هو غاره الضحّاك بن قيس بعد قصّه الحكمين و عزمه على المسير إلى الشام.و ذلك أنّ معاويه لمّا سمع باختلاف الناس على علىّ عليه السّلام،و تفرّقهم عنه،و قتله من قتل من الخوارج بعث الضحّاك بن قيس فى نحو من أربعه آلاف فارس و أوعز عليه بالنهب و الغاره.فأقبل الضحّاك يقتل و ينهب حتّى مرّ بالثعلبيّه.فأغار على الحاجّ فأخذ أمتعتهم.و قتل عمرو بن عميس بن مسعود ابن أخى عبد اللّه بن مسعود صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و قتل معه ناسا من أصحابه.فلمّا بلغ عليّا عليه السّلام ذلك استصرخ أصحابه على أطراف أعماله و استشارهم إلى لقاء العدوّ فتلكّؤوا.

و رأى منهم تعاجزا و فشلا.فخطبهم هذه الخطبه.و لنرجع إلى المتن.

اللغه

فالأهواء : الآراء ،و الوهى : الضعف ، كنايه و كيت و كيت :كنايه عن الحديث .و حاد عن الأمر : عدل عنه.قال الجوهرى:قولهم حيدى حياد كقولهم:فيحى فياح،و نقل أنّ فياح اسم للغاره كقطام.فحياد أيضا اسم لها.و المعنىّ:اعزلى عنّا[عنها خ]أيّتها الحرب، و يحتمل أن يكون حياد من أسماء الأفعال كنزال.فيكون قد أمر بالتنحّى مرّتين بلفظين مختلفين .و أعاليل و أضاليل : جمع أعلال و أضلال و هما جمع علّه:اسم لما يتعلّل به من مرض و غيره ،و ضلّه : اسم من الضلال بمعنى الباطل ،و المطول : كثير المطال و هو تطويل الوعد و تسويفه ،و الجدّ : الاجتهاد ،و الأخيب : أشدّ خيبه و هى الحرمان ، الأفوق : السهم المكسور الفوق و هو موضع الوتر منه ،و الناصل : الّذى لا نصل فيه .

المعنى

و المقصود أنّه عليه السّلام نبّههم على ما يستقبح فى الدين،و مراعاه حسن السيره من أحوالهم و أقوالهم و أفعالهم:أمّا أحوالهم فاجتماع أبدانهم مع تفرّق آرائهم الموجب لتخاذلهم عن الذبّ عن الدين و المفرّق لشمل مصالحهم.و أمّا أقوالهم فكلامهم الّذى يضعف عند

سماعه القلوب الصلبه الثابته و يظنّ سامعه أن تحته نجده و ثباتا و هو قولهم مثلا فى مجالسهم:إنّه لا محلّ لخصومنا،و إنّا سنفعل بهم كذا،و سيكون منّا كذا.و أمثاله.

استعاره و استعار لفظى الصمّ الصلاب من أوصاف الحجاره للقلوب الّتى تضعف من سماع كلامهم كما شبّه القرآن الكريم بها: «فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» .و أمّا أفعالهم فهو تعقيب هذه الأقوال عند حضور القتال و دعوتهم إلى الحرب بالتخاذل و عدم التناصر و التقاعد عن إجابه داعى اللّه و كراهيّه الحرب و الفرار عن مقاتله العدوّ، كنايه و كنّى بقوله : قلتم حيدى حياد .عن ذلك،و هى كلمه كانت تستعملها العرب عند الفرار. ثمّ أردف ذلك بما العاده أن يأنف منه من يطلب الانتصار به على وجه التضجّر منهم عن كثره تقاعدهم عن صوته .و ذلك قوله: ما عزّت دعوه من دعاكم .المستلزم للحكم بذلّه داعيهم ،و لا استراح قلب من قاساكم .المتلزم للحكم بتعبه ،و قوله: أعاليل بأضاليل .خبر مبتدأ محذوف أى و إذا دعوتكم إلى القتال تعلّلتم بأعاليل هى باطله ضلالا عن سبيل اللّه و سألتمونى التأخير و تطويل المدّه دفاعا ، تشبيه-استعاره و قوله: دفاع ذى الدين المطول .يحتمل أن بكون تشبيها لدفاعهم له بدفاع ذى الدين فيكون منصوبا محذوف الجار،و يحتمل أن يكون قد استعار دفاع ذى الدين المطول لدفاعهم فيكون مرفوعا،و وجه الاستعاره أنّ المدين المطول أبدا مشتهى لعدم المطالبه و تودّ نفسه أن لا يراه غريمه فكذلك فهم عليه السّلام منهم أنّهم كانوا يحبّون أن لا يعرض لهم بذكر القتال و لا يطالبهم به.فاستعار لدفاعهم الدفاع المذكور لمكان المشابهه ،ثمّ نبّههم على قبح الذلّ ليفيؤوا إلى فضيله الشجاعه بذكر بعض لوازمه المنفره و هو أنّ صاحبه لا يتمكّن من رفع الضيم عن نفسه،و على قبح التوانى و التخاذل بأنّه لا يدرك الإنسان حقّه إلاّ بضدّ ذلك و هو الجدّ و التشمير فى طلبه،ثمّ أعقب ذلك بالسؤال على جهه الإنكار و التقريع عن تعيين الدار الّتى ينبغى لهم حمايتها بعد دار الإسلام الّتى لا نسبه لغيرها إليها فى العزّ و الكرامه عند اللّه و وجوب الدفع عنها و الّتى هى موطنهم و محلّ دولتهم .كذلك قوله: و مع أىّ إمام بعدى تقاتلون .و فيه تنبيه لهم على أفضليّته و ما وثق به من إخلاص نفسه للّه فى جميع حركاته،و تثبيت لهم على طاعته إذ كان عليه السّلام يتوهّم فى بعضهم الميل إلى معاويه و الرغبه

فیما عنده من الدنیا.ثمّ أردف ذلک بذمّ من اغترّ بکلامهم و نسبه إلی الغرور و الغفله.

ثمّ بالإخبار عن سوء حال من کانوا حزبه و من یقاتل بهم :

أمّا الأوّل:فهو قوله: المغرور و اللّه من غرّرتموه .و المقصود بالحقیقه ذمّهم و توبیخهم علی خلف المواعید و المماطله بالنفار إلی الحرب لأنّه إنّما ینسب من وثق بهم إلی الغرور بعد خلفهم فی وعدهم له بالنهوض معه.و جعل المغرور مبتدأ و من خبره أبلغ فی إثبات الغرّه لمن اغترّ بهم من العکس لاقتضاء الکلام إذن انحصار المغرور فی من اغترّ بهم.و لا کذلک لو کان من مبتدأ .

و أمّا الثانی:فهو استعاره-مجاز فهو قوله: و من فاز بکم فقد فاز بالسهم الأخیب و من رمی بکم فقد رمی بأفوق ناصل .و قد شبّه نفسه و خصومه باللاعبین بالمیسر،و لا حظ شبه حصولهم فی حقّه.بخروج أحد السهام الخائبه الّتی لا غنم لها أو الأوغاد الّتی فیها غرم کالّتی لم یخرج حتّی استوفیت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم و خیبه.فلأجل ملاحظه هذا الشبه استعار لهم لفظ السهم بصفه الأخیب،و إطلاق الفوز هنا مجاز فی حصولهم له من باب إطلاق اسم أحد الضدّین علی الآخر کتسمیه السیّئه جزاء.کذلک لاحظ المشابهه بین رجال الحرب و بین السهام فی کون کلّ منهما عدّه للحرب و دفع العدوّ و لاحظها أیضا بین إرسالهم فی الحرب و بین الرمی بالسهام.فلأجل ذلک استعار أوصاف السهم من الأفوق و الناصل،و استعار لفظ الرمی لمقاتلته بهم ثمّ خصّصهم بأردء أوصاف السهم الّتی یبطل معها فائدته لمشابتهم ذلک السهم فی عدم الانتفاع بهم فی الحرب.و کأنّه أیضا خصّص بعثه لهم إلی الحرب باستعاره الرمی بالسهم الموصوف لزیاده الشبه و هی عدم انبعاثهم عن أمره.و تجاوزهم أوطانهم کالرمی بالسهم الّذی لا فوق له و لا نصل فإنّه لا یکاد یتجاوز عن القوس مسافه.و هی من لطائف ملاحظات المشابهه و الاستعاره عنها.و المعنی أنّ من حصلتم فی حربه فالخیبه حاصله له فیما یطلب بکم،و من قاتل بکم عدوّه فلا نفع له فیکم .ثمّ أردفه بالإخبار عن نفسه بامور نشأت عن إساءه ظنّه بهم و عدم وثوقه بأقوالهم بکثره خلفهم و مواعیدهم الباطله بالنهوض معه و هی أنّه لا یصدّقهم لأنّه من أکثر من شیء عرف به.و من أمثالهم:إنّ الکذوب

لا یصدّق و أنّه لا یطمع فی نصرهم و أنّه لا یوعد بهم عدوّهم إذ کان وعیده بهم مع طول تخلّفهم و شعور العدوّ بذلک ممّا یوجب جرأته و تسلّطه و أمانه من المقاومه. استفهام انکاری ثمّ أردفه بالاستفهام علی سبیل الاستنکار و التقریع عن حالهم الّتی توجب لهم التخاذل و التصامم عن ندائه و هو قوله: ما بالکم .ثمّ عن دوائهم الصالح للمرض الّذی هم فیه .

ثمّ عن کیفیّه علاجهم منه بقوله :ما دوائکم ما طبّکم .و قیل أراد بقوله ما طبّکم أی ما عادتکم و الأوّل أظهر و ألیق.ثمّ نبّههم علی ما عساهم یتوهّمونه من قوّه خصومهم و بأسهم بأنّهم رجال أمثالکم فی الرجولیّه الّتی هی مظنّه الشجاعه و البأس فلا مزیّه لهم علیکم فلا معنی للخوف منهم.ثمّ عاد إلی سؤالهم علی جهه التقریع و نبّههم به علی امور لا ینبغی،منفور عنها،مستقبحه فی الشریعه و العاده .

فأوّلا:عن قولهم ما لا یفعلون و هو إشاره إلی ما یعدون به من النهوض إلی الحرب ثمّ لا یفعلون و ذلک بقوله: أ قولا بغیر عمل ؟تذکیرا لهم بما یستلزم ذلک من المقت عند اللّه کما اشیر إلیه فی القرآن الکریم «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ» (۱)و علی الروایه الثانیه و هی أ قولا بغیر علم؟أی أ تقولون بألسنتکم ما لیس فی قلوبکم و لا تعتقدونه و تجزمون به من أنّا سنفعل کذا.و یحتمل أن یکون معناه أ تقولون إنّا مخلصون للّه و إنّا مسلمون و لا تعلمون شرائط الإسلام و الایمان.

و ثانیا :عن غفلتهم الّتی لیست عن ورع و هی عدم تعقّلهم للمصالح الّتی ینبغی أن یکونوا علیها و هی طرف التفریط من فضیله الفطانه.و هذه بخلاف الغفله مع الورع.

فإنّ تلک نافعه فی المعاد إن کان الورع عباره عن لزوم الأعمال الجمیله المستعدّه فی الآخره فالغفله معه عن الامور الدنیویّه و المصالح المتعلّقه بجزئیّاتها لیست بضارّه،بل ربما کانت سببا للخلاص من عذاب ما فی الآخره.

و ثالثا :عن طمعهم فی غیر حقّ أی فی أن یمنحهم ما لا یستحقّونه لینهضوا معه و یجیبوا دعوته،و کأنّه علیه السّلام عقل من بعضهم أنّ أحد أسباب تخلّفهم من ندائه

۱- ۱) ۳-۶۱

إنّما هو طمعهم فی أن یوفر عطیّاتهم و یمنحهم زیاده علی ما یستحقّون کما فعل غیره مع غیرهم فأشار إلی ذلک و نبّههم علی قبحه من حیث إنّه طمع فی غیر حقّ.

و اللّه أعلم.

۲۹-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فی معنی قتل عثمان

:لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَکُنْتُ قَاتِلًا- أَوْ نَهَیْتُ عَنْهُ لَکُنْتُ نَاصِراً- غَیْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لاَ یَسْتَطِیعُ أَنْ یَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ- وَ مَنْ خَذَلَهُ لاَ یَسْتَطِیعُ أَنْ یَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَیْرٌ مِنِّی- وَ أَنَا جَامِعٌ لَکُمْ أَمْرَهُ اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَهَ- وَ جَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ- وَ لِلَّهِ حُکْمٌ وَاقِعٌ فِی الْمُسْتَأْثِرِ وَ الْجَازِعِ

اللغه

أقول: المستأثر بالشیء : المستبدّ به

المعنی

.و مقتضی هذا الفصل تبرّؤه علیه السّلام من الدخول فی دم عثمان بأمر أو نهی کما نسبه إلیه معاویه و غیره .

و قوله: لو أمرت به لکنت قاتلا .قضیّه شرطیّه بیّن فیها لزوم کونه قاتلا لکونه آمرا.و هذا اللزوم عرّفی.إذ یقال فی العرف للآمر بالقتل قاتل.و الآمر شریک الفاعل و إن کان القاتل فی اللغه هو المباشر للفعل و الّذی صدر عنه.و کذلک بیّن فی قوله:

أو نهیت عنه لکنت ناصرا لزوم کونه ناصرا لکونه ناهیا.و هو ظاهر،و قد عرفت أنّ استثناء نقیض اللازم یستلزم نقیض الملزوم،و اللازمان فی هاتین القضیّتین هما القتل و النصره، و معلوم أنّ القتل لم یوجد منه علیه السّلام بالاتّفاق فإنّ غایه ما یقول الخصم أنّ قعوده عن نصرته دلیل علی إرادته لقتله.و ذلک باطل.لأنّ القعود عن النصره قد یکون لأسباب اخری کما سنبیّنه.ثمّ لو سلّمنا أنّ القعود عن النصره دلیل إراده القتل لکن إراده القتل لیس بقتل.فإنّ کلّ أحد یحبّ قتل خصمه لکن لا یکون بذلک قاتلا.و کذلک

ظاهر كلامه يقتضى أنّ النصره لم توجد منه،و إذا انتقى اللازمان استلزم نفى أمره بقتله و نهيه عنه.و يحتمل أن يريد فى القضيّه الثانيه استثناء عين مقدّمها لينتج تاليها:أى لكنّى نهيت عنه فكنت ناصرا.لا يقال:لا يخلو إمّا أن يكون مرتكب المنكر هو عثمان أو قاتليه و على التقديرين فيجب على علىّ عليه السّلام القيام و الإنكار إمّا على عثمان بالمساعده عليه إن كان هو مرتكب المنكر،أو على قاتليه بالإنكار عليهم و نصرته.فقعوده عن أحد الأمرين يستلزم الخطأ،لكنّه لم يخطأ فلم يكن تاركا لأحد الأمرين.فلا يثبت التبرّء.و الجواب البرىء من العصبيّه فى هذا الموضع:أنّ عثمان أحدث امورا نقمها جمهور الصحابه عليه،و قاتلوه أحدثوا حدثا يجب إنكاره:أمّا أحداث عثمان فلم ينته فى نظر على عليه السّلام إلى حدّ يستحقّ بها القتل و إنّما استحقّ فى نظره أن يتبّه عليها.فلذلك ورد فى النقل أنّه أنكرها عليه و حذّره من الناس غير مرّه كما سيجىء فى كلامه عليه السّلام.فإن صحّ ذلك النقل ثبت أنّه أنكر عليه ما أحدثه لكنّه لا يكون بذلك داخلا فى دمه لاحتمال أنّه لمّا حذّره الناس و لم ينته اعتزله.و إن لم يثبت ذلك النقل فالإنكار ليس من فروض الأعيان بل هو من فروض الكفايات إذا قام به البعض سقط عن الباقين،و قد ثبت أنّ جمهور الصحابه أنكروا تلك الأحداث من عثمان فلا يتعيّن وجوب الإنكار على علىّ عليه السّلام،و أمّا حدث قاتليه فهو قتله.فإن ثبت أنّه عليه السّلام ما أنكر عليهم.قلنا:إنّ من جمله شروط إنكار المنكرات أن يعلم المنكر أو يغلب على ظنّه قبول قوله،أو تمكّنه من الدفع بيده فلعلّه عليه السّلام علم من حالهم أنّه لا يفيد إنكاره معهم.و ظاهر أنّ الأمر كان كذلك:أمّا عدم فائده إنكاره بالقول معهم فلأنّه نقل عنه عليه السّلام أنّه كان يعد الناس بإصلاح الحال بينهم و بين عثمان و إزالته عمّا نقموه عليه و تكرّر منه وعده لهم بذلك و لم يتمكّن منه،و ظاهر أنّهم بعد تلك المواعيد لا يلتفتون إلى قوله،و أمّا إنكاره بيده فمعلوم بالضروره أنّ الإنسان الواحد أو العشره لا يمكنهم دفع الجمع العظيم من عوامّ العرب و دعاتهم خصوصا عن طباع ثارت و تألّفت و جمعها أشدّ جامع و هو ما نسبوه إليه حقّا و باطلا.ثمّ من المحتمل من تفرّقه مال المسلمين الّذى هو

قوام حياتهم سواء كان ما نسبوه إليه حقّا أم لا أن يكون قد غلب على ظنّه أنّه لو قام فى نصرته لقتل معه و لا يجوز للإنسان أن يعرض نفسه للأذى و القتل فى دفع بعض المنكرات الجزئيّه.و أمّا إن ثبت أنّه أنكر عليهم كما نقلنا حملنا ذلك النهى على نهيه لهم حال اجتماعهم لقتله قبل حال قتله،و قوله : و لو نهيت عنه لكنت ناصرا.

على عدم المنع من قتله حال قتله لعدم تمكّنه من ذلك و عدم إفاده قوله.قال بعض الشارحين:هذا الكلام بظاهره يقتضى أنّه ما أمر بقتله و لا نهى عنه.فيكون دمه عنده فى حكم الامور المباحه الّتى لا يؤمر بها و لا ينهى عنها.قلت:هذا سهو لأنّ التبرّء من الأمر بالشىء و النهى عنه غايه ما يفهم منه عدم الدخول فيه و السكوت عنه و لا يلزم من ذلك الحكم بأنّه من الامور المباحه لاحتمال أنّ اعتزاله هذا الأمر كان لأحد ما ذكرناه.و بالجمله فإنّ أهل التحقيق متّفقون على أنّ السكوت على الأمر لا يدلّ على حال الساكت بمجرّده و إن دلّ بقرينه اخرى.

و ممّا يدلّ على أنّه كان متبرّئا من الدخول فى دم عثمان بأمر أو نهى ما نقل عنه لمّا سئل:أساءك قتل عثمان أم سرّك؟فقال:ما ساءنى و لا سرّنى.و قيل:أرضيت بقتله؟فقال:لم أرض.فقيل:أسخطت قتله.فقال:لم أسخط.و هذا كلّه كلام حقّ يستلزم عدم التعرّض بأمره فإنّ من أعرض عن شىء و لم يدخل فيه يصدق أن يقول:

إنّى لم أسخط به و لم أرض و لم أسأ به و لم أسرّ،فإنّ السخط و الرضا و الإساءه و السرور حالات تتوارد على النفس بأسباب تتعلّق بها فخالع تلك الأسباب عن نفسه فى أمر من الامور كيف يعرض له أحد هذه الحالات فيه.فإن قلت:إن كان قتل عثمان منكرا كان مستلزما لسخطه عليه السّلام و مساءته منه و قد نقل عنه أنّه لم يسخط له و ذلك يقتضى أحد الأمرين:أحدهما أنّه عليه السّلام لا يسخط للمنكر و هو باطل بالاتّفاق،و الثانى أن قتل عثمان لم يكن عنده منكرا،و التقدير أنّه منكر.

قلت:إنّ قتل عثمان يستلزم سخطه لكن لا من حيث إنّه قتل عثمان بل من جهه كونه منكرا،و المنقول أنّه لم يسخط لقتل عثمان و لا سائه ذلك أى من جهه كونه قتل عثمان و ذلك لا ينافى أن يسوئه و يسخطه من جهه كونه منكرا.و فى الجواب

غموض.فليتفّطن.و لأجل اشتباه الحال خبط الجهّال.و فيها يقول شاعر أهل الشام:

و ما فى علىّ لمستعتب مقال سوى صحبه المحدثينا

و ايثاره اليوم أهل الذنوب و رفع القصاص عن القاتلينا

إذا سئل عنه حدا شبهه و عمّى الجواب على السائلينا

و ليس براض و لا ساخط و لا فى النهاه و لا الآمرينا

و لا هو سائه و لا[هو]سرّه و لا بدّ من بعض ذا أن يكونا

فأمّا تفصيل الاعتراضات و الأجوبه فى معنى قتل عثمان و ما نسب إلى علىّ عليه السّلام من ذلك فمبسوط فى كتب المتكلّمين كالقاضى عبد الجبّار و أبى الحسين البصرىّ و السيّد المرتضى و غيرهم فلا نطول بذكرها،و ربّما أشرنا إلى شىء من ذلك فيما بعد.

و قوله : غير أنّ من نصره لا يستطيع.إلى قوله:خير منّى .فأعلم أنّ هذا الفصل ذكره عليه السّلام جوابا لبعض من أنكر بحضرته قعود من قعد عن نصره عثمان و جعلهم منشأ الفتنه،و قال:إنّهم لو نصروه و هم أكابر الصحابه لما اجترىء عليه طغام الامّه و جهّالها،و إن كانوا رأوا أنّ قتله و قتاله هو الحقّ فقد كان يتعيّن عليهم أن يعرّفوا الناس ذلك حتّى يرتفع عنهم الشبهه،و فهم عليه السّلام أنّ القائل يعنيه بذلك.فأجابه بهذا الكلام تلويحا لا تصريحا.إذ كان فى محلّ يلزمه التوقّى.فقرّر أوّلا أنّه ما أمر فى ذلك بأمر و لا نهى ثمّ عاد إلى الاستثناء فقرّرها فى هاتين القضيّتين:

إنّ الّذين خذلوه كانوا أفضل من الناصرين له إذ لا يستطيع ناصروه كمروان و أشباهه أن يفضّلوا أنفسهم على خاذليه كعلىّ عليه السّلام بزعم المنكر و كطلحه و سائر أكابر الصحابه إذا العقل و العرف يشهد بأفضليّتهم،و كذلك لا يستطيع الخاذلون أن يفضّلوا الناصرين على أنفسهم اللّهمّ إلاّ على سبيل التواضع.و ليس الكلام فيه.فكأنّه عليه السّلام سلّم تسليم جدل أنّه دخل فى أمر عثمان و كان من الخاذلين له.

ثمّ أخذ فى الردّ على المنكر بوجه آخر فقال:غير أنّى لو سلّمت أنّى ممّن خذله

لكنّ الخاذلون له أفضل من الناصرين و أثبت المقدّمه بهاتين القضيّتين و حذف التاليه للعلم بها،و تقديرها:و الأفضل يجب على من عداه اتّباعه و الاقتداء به، فينتج هذا القياس أنّه كان يتعيّن على من نصره أن يتبع من خذله.و هذا عكس اعتقاد المنكر.و قال بعض النقّاد:إنّ هذه كلمه قرشيّه،و أراد بذلك أنّه عمّى على الناس فى كلامه.قال:و لم يرد التبرّء من أمره.و إنّما أراد أنّ الخاذلين لا يلحقهم المفضوليّه بكونهم خاذلين له،و إنّ الناصرين له لا يلحقهم الأفضليّه بنصرته.و الّذى ذكره بعيد الفهم من هذا الكلام.و يمكن أن يحمل على وجه آخر و ذلك أنّه إنّما قرّر أفضليّه الخاذلين على الناصرين ليسلم هو من التخصيص باللائمه فى القعود عن النصره فكأنّه قال:و إذا كان الخاذلون له أفضل ممّن نصره.تعيّن عليهم السؤال عن التخلّف،و أن يستشهد عليهم بحال الناصرين له مع كونهم مفضولين.فلم خصّصت باللائمه من بينهم و المطالبه بدمه؟لو لا الأغراض الفاسده.

و قوله : و أنا جامع لكم أمره.إلى قوله:الأثره.

أشار عليه السّلام فى هذا اللفظ الوجيز إجمالا إلى أنّ كلّ واحد.من عثمان و قاتليه كانا على طرف الإفراط من فضيله العداله:أمّا عثمان فاستيثاره و استبداده برأيه فيما الامّه شركاء فيه و الخروج فى ذلك إلى حدّ الإفراط الّذى فسد معه نظام الخلافه عليه و أدّى إلى قتله،و أمّا قاتلوه فلخروجهم فى الجزع من فعله إلى طرف التفريط عمّا كان ينبغى لهم من التثبّت و انتظار صلاح الحال بينهم و بينه بدون القتل،حتّى استلزم ذلك الجزع ارتكابهم لرذيله الجور فى قتله.فلذلك كان فعله إساءه للاستيثار، و فعلهم إساءه للجزع،و قيل:أراد أنّكم أسأتم الجزع عليه بعد القتل.و قد كان ينبغى منكم ذلك الجزع له قبل قتله و قوله : و للّه حكم واقع فى المستأثر و الجازع.

المفهوم من ذلك أنّه يريد بالحكم الواقع للّه فى المستأثر هو الحكم المقدّر اللاحق لعثمان بالقتل المكتوب بقلم القضاء الإلهىّ فى اللوح المحفوظ،و فى الجازع هو الحكم اللاحق لقاتليه من كونهم قاتلين،أو قالين و جازعين.و فى نسبه هذه الأحكام إلى اللّه تنبيه على

تبرّئه من الـدخول فی أمر عثمـان و قاتلیه بعـد الإشاره إلی السـبب المعـدّ لوقوعها فی حقّهم و هو الاسائه فی الاستیثار و الجزع،و یحتمل أن یرید الحکم فی الآخره اللاحق للکلّ:من ثواب أو عقاب عمّا ارتکبه.و باللّه التوفیق و العصمه.

۳۰-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لابن العباس لما أرسله إلی الزبیر یستفیئه إلی طاعته قبل حرب الجمل

لاَ تَلْقَیَنَّ؟طَلْحَهَ؟- فَإِنَّکَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ کَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ- یَرْکَبُ الصَّعْبَ وَ یَقُولُ هُوَ الـذَّلُولُ- وَ لَکِنِ الْقَ؟الزُّبَیْرَ؟ فَإِنَّهُ أَلْیَنُ عَرِیکَهً- فَقُلْ لَهُ یَقُولُ لَکَ ابْنُ خَالِکَ- عَرَفْتَنِی؟بِالْحِجَازِ؟ وَ أَنْکَرْتَنِی؟بِالْعِرَاقِ؟- فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا قال الشریف:أقول:هو أول من سمعت منه هذه الکلمه،أعنی«فما عدا مما بدا»

اللغه

أقول: یسـتفیئه : أی یسـترجعه مـن فـاء إذا رجع.و فی روایـه إن تلقه تلقـه مـن الفیئه علی کـذا إذا وجـدته علیـه .و العقص : الاعوجـاج،و عقص الثور قرنیه:بالفتـح متعـدّ،و عقص قرنه:بالکسـر لازم .و الصـعب : الـدابّه الجموح السـغبه .و الـذلول: السـهله الساکنه .

و العریکه : فعیل بمعنی مفعول و التاء لنقل الاسم من الوصفیّه إلی الاسمیّه الصرفه، و أصل العرک دلک الجلد بالدباغ و غیره .و عدا : جاوز .و بدا : ظهر .

المعنی

استعاره بالکنایه-تشبیه و اعلم أنّه علیه السّلام لمّا نهی ابن عبّاس عن لقاء طلحه بحسب ما رأی فی ذلک من المصلحه نبّهه علی علّه وجه عنه بقوله: فإنّک إن تلقه تجده کذا .و قد شبّهه بالثور، و أشار إلی وجه الشبه بعقص القرن.استعار لفظ القرن و کنّی به عن شجاعته،و لفظ العقص لما یتبع تعاطیه بالقوّه و الشجاعه من منع الجانب و عـدم الانقیاد تحت طاعه الغیر اللازم عن الکبر و العجب بـالنفس الّـذی قـد تعرض للشـجاع.و وجه الاسـتعاره الاولی أنّ القرن آله للثور بهـا یمنع مـا یراد به عن نفسه.و کـذلک الشجاعه یلزمها الغلبه و القوّه و منع الجانب.و وجه الاستعاره الثانیه أنّ الثور عند إراده الخصام یعقص قرنیه

ص:۵۹

أی يرخی رأسه و يعطف قرنيه ليصوّبهما إلی جهه خصمه.و يقارن ذلک منه نفح صادر عن توهّم غلبته لمقاومه و شدّته عليه و أنّه لا قدر له عنده كذلک المشبّه هينها علم منه عليه السّلام أنّه عند لقاء ابن عباس له يكون مانعا جانبه،متهيّئا للقتال،مقابلا للخشونه و عدم الانقياد له الصادر عن عجبه بنفسه و غروره لشجاعته.فذلک حسن التشبيه،و يحتمل أن يكون وجه الشبه هو التواء طلحه فی آرائه و انحرافه عنه عليه السّلام الشبيه بالتواء القرن.

و هو تشبيه للمعقول بالمحسوس .و يقال:إنّ الكبر الّذی تداخل طلحه لم يكن فيه قبل يوم احد.و إنّما حدث به فی ذلک اليوم و ذلک أنّه أبلی فيه بلاء حسنا.ثم أشار إلی بن عبّاس بلقاء الزبير،و أشار إلی وجه الرأی فی ذلک،و هو كونه استعاره بالكنايه ألين عريكه ، و يكنّی بالعريكه عن الطبع و الخلق كنايه بالمستعار.فيقال:فلان ليّن العريكه إذا كان سهل الجانب لا يحتاج فيما يراد منه إلی تكلّف و مجاذبه قويّه كالجلد اللّيّن الّذی يسهل عركه.و فلان شديد العريكه:إذا كان بالضدّ بذلک.و ظاهر أنّ الزبير كان سهل الجانب .فلأجل ذلک أمره بلقائه لما عهد من طبيعته أنّها أقبل للاستدراج،و أقرب إلی الانفعال عن الموعظه،و تذكّر الرحم.و أحسن بهذه الاستماله له بذكر النسب المستلزم تصوّره للميل و الانعطاف من الطبايع السليمه:و نحوه قوله تعالی حكايه قول هرون لموسی عليه السّلام «يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِی وَ لا بِرَأْسِی» قال يا «ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِی» فإنّ فيه من الاستماله و الاسترقاق بتذكيره حقّ الاخوّه ممّا يدعو إلی عطفه عليه ممّا لم يوجد فی كلام آخر.و أمّا كون علیّ عليه السّلام ابن خال الزبير فإنّ أبا طالب وصفيّه امّ الزبير من أولاد عبد المطلب بن هاشم.

و قوله : فما عدا ممّا بدا.

قال ابن أبی الحديد.عدا بمعنی صرف.و من:هينها بمعنی عن.و معنی الكلام فما صرفک عمّا كان بدا منک أی ظهر:أی ما الّذی صدّک عن طاعتی بعد إظهارک لها، و حذف الضمير المفعول كثير كقوله تعالی «وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ» أی أرسلناه.

و قال القطب الراوندی:له معنيان:أحدهما:ما الّذی منعک ممّا كان قد بدا منک من البيعه قبل هذه الحاله،الثانی:ما الّذی عاقک من البداء الّذی يبدو للإنسان،و

یکون المفعول الثانی لعدا محذوفا یدلّ علیه الکلام أی ما عداک.یرید ما شغلک و ما منعک عمّا کان بدا لک من نصرتی.

قال ابن أبی الحدید:لیس فی الوجه الثانی ممّا ذکره القطب زیاده علی الوجه الأوّل إلاّ زیاده فاسده،أمّا أنّه لا زیاده.فلأنّه فسّر عدا فی الوجهین بمعنی منع، و فسّر قوله ممّا کان بدا منک فی الوجهین أیضا بتفسیر واحد.فلم یبق بینهما تفاوت، و أمّا الزیاده الفاسده فظنّه أنّ عدا یتعدّی إلی مفعولین و هو باطل باجماع النحاه.

و أقول:الوجه الّذی ذکره ابن أبی الحدید هو الوجه الأوّل من الوجهین اللذین ذکرهما الراوندی لأنّ الصرف و المنع لا کثیر تفاوت بینهما و إن کان قد یفهم أنّ المنع أعمّ.و أمّا اعتراضه علیه بأنّه لا فرق بین الوجهین اللّذین ذکرهما فهو سهو.لأنّ معنی بدا فی الوجه الأوّل ما ظهر للناس منک من البیعه لی.و مراده به فی الثانی ما ظهر لک فی الرأی من نصرتی و طاعتی.و فرق بین ما یظهر.من الإنسان لغیره،و بین ما یظهر له من نفسه أو من غیره،و أمّا ما ذکره من أنّه زیاده فاسده فالأظهر أنّ لفظه الثانی فی قوله المفعول الثانی زیاده من قلمه أو قلم الناسخ سهوا،و یؤیّده إظهاره للمفعول الأوّل تفسیرا لقوله و یکون المفعول لعدا محذوفا.

ثمّ أقول:و هذه الوجوه و إن احتملت أن یکون تفسیرا إلاّ أنّ فی کلّ واحد عدولا عن الظاهر من وجه:أمّا الوجه الّذی ذکره المدائنی فلأنّه لمّا حمل عدا علی حقیقتها و هی المجاوزه،و حمل ما بدا علی الطاعه السابقه.احتاج أن یجعل من بمعنی عن.و هو خلاف الظاهر.و أمّا الراوندی فإنّه فسّر عدا بمعنی منع أو عاق و شغل،و حمل ما بدا علی الطاعه السابقه أو علی البیعه.و لا یتمّ ذلک إلاّ أن یکون من بمعنی عن.

و الحقّ أن یقال:إنّ عدا بمعنی جاوز.و من لبیان الجنس.و المراد ما الّذی جاوز بک عن بیعتی ممّا بدا لک بعدها من الامور الّتی ظهرت لک.و حینئذ یبقی الألفاظ علی أوضاعها الأصلیّه مع استقامه المعنی و حسنه.و روی عن الصادق جعفر بن محمّد علیهما السّلام عن أبیه عن جدّه قال:سألت ابن عباس-رضوان اللّه علیه-عن تلک الرساله فقال:بعثنی فأتیت الزبیر فقلت له.فقال:إنّی ارید ما یرید.کأنّه یقول:الملک.و لم یزدنی علی

ذلک.فرجعت إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فأخبرته.و عن ابن عباس أیضا أنّه قال:قلت الکلمه لزبیر فلم یزدنی علی أن قال:أنا مع الخوف الشدید لنطمع.و سئل ابن عباس عمّا یعنی الزنیر بقوله هذا.فقال:یقول:أنا علی الخوف لنطمع أن نلی من الأمر ما ولّیتم،و قد فسرّ غیره ذلک بتفسیر آخر.فقال:أراد أنا مع الخوف الشدید من اللّه نطمع أن یغفر لنا هذا الذنب.

۳۱-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

أَیُّهَا النَّاسُ- إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِی دَهْرٍ عَنُودٍ وَ زَمَنٍ کَنُودٍ یُعَدُّ فِیهِ الْمُحْسِنُ مُسِیئاً- وَ یَزْدَادُ الظَّالِمُ فِیهِ عُتُوّاً- لاَ نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَ لاَ نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا- وَ لاَ نَتَخَوَّفُ قَارِعَهً حَتَّی تَحُلَّ بِنَا- وَ النَّاسُ عَلَی أَرْبَعَهِ أَصْنَافٍ- مِنْهُمْ مَنْ لاَ یَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِی الْأَرْضِ- إِلاَّ مَهَانَهُ نَفْسِهِ وَ کَلاَلَهُ حَدِّهِ- وَ نَضِیضُ وَفْرِهِ- وَ مِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَیْفِهِ وَ الْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ- وَ الْمُجْلِبُ بِخَیْلِهِ وَ رَجِلِهِ- قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَ أَوْبَقَ دِینَهُ- لِحُطَامٍ یَنْتَهِزُهُ أَوْ مِقْنَبٍ یَقُودُهُ- أَوْ مِنْبَرٍ یَفْرَعُهُ- وَ لَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَی الدُّنْیَا لِنَفْسِکَ ثَمَناً- وَ مِمَّا لَکَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضاً- وَ مِنْهُمْ مَنْ یَطْلُبُ الدُّنْیَا بِعَمَلِ الْآخِرَهِ- وَ لاَ یَطْلُبُ الْآخِرَهَ بِعَمَلِ الدُّنْیَا- قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ- وَ قَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَ شَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ- وَ زَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَهِ- وَ اتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِیعَهً إِلَی الْمَعْصِیَهِ- وَ مِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْکِ ضُئُولَهُ نَفْسِهِ- وَ انْقِطَاعُ سَبَبِهِ فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَی حَالِهِ- فَتَحَلَّی بِاسْمِ الْقَنَاعَهِ-

وَ تَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَهِ- وَ لَيْسَ مِنْ ذَلِکَ فِی مَرَاحٍ وَ لاَ مَغْدًى- وَ بَقِیَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِکْرُ الْمَرْجِعِ- وَ أَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ- فَهُمْ بَیْنَ شَرِیدٍ نَادٍّ- وَ خَائِفٍ مَقْمُوعٍ وَ سَاکِتٍ مَکْعُومٍ- وَ دَاعٍ مُخْلِصٍ وَ ثَکْلاَنَ مُوجَعٍ- قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِیَّهُ وَ شَمِلَتْهُمُ الذِّلَّهُ- فَهُمْ فِی بَحْرٍ أُجَاجٍ- أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَهٌ وَ قُلُوبُهُمْ قَرِحَهٌ- قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا- وَ قُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا وَ قُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا- فَلْتَکُنِ الدُّنْیَا فِی أَعْیُنِکُمْ- أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَهِ الْقَرَظِ- وَ قُرَاضَهِ الْجَلَمِ- وَ اتَّعِظُوا بِمَنْ کَانَ قَبْلَکُمْ- قَبْلَ أَنْ یَتَّعِظَ بِکُمْ مَنْ بَعْدَکُمْ- وَ ارْفُضُوهَا ذَمِیمَهً- فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ کَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْکُمْ قال الشریف:أقول:هذه الخطبه ربما نسبها من لا علم له إلی معاویه،و هی من کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام الذی لا یشک فیه،و أین الذهب من الرغام،و العذب من الأجاج؟و قد دل علی ذلک الدلیل الخرّیت،و نقده الناقد البصیر عمرو بن بحر الجاحظ،فإنه ذکر هذه الخطبه فی کتاب البیان و التبیین،و ذکر من نسبها إلی معاویه،ثم قال:هی بکلام علی علیه السّلام أشبه و بمذهبه فی تصنیف الناس،و بالإخبار عما هم علیه من القهر و الإذلال،و من التقیه و الخوف-ألیق قال:و متی وجدنا معاویه فی حال من الأحوال یسلک فی کلامه مسلک الزهاد،و مذاهب العباد؟؟!!

اللغه

أقول: عنود : جائر .و کنود : کفور .و العتوّ : الکبر .و القارعه : الخطب العظیم .

و مهانه النفس : حقارتها .و کلّ حدّ السیف و غیره : إذا وقف عن القطع .و نضیض وفره :

ص:۶۳

قلّه ماله .و المصلت بسيفه : الماضى فى الامور بقوّته .و المجلب . المستعين على الأمر بالجمع .و الرجل : جمع راجل .و أشرط نفسه لكذا : أى أعلمها و أعدّها له .و أوبق دينا:

أى أهلكه .و الحطام : متاع الدنيا،و أصله ما تكسر من اليبس .و الانتهار : الاختلاس و الاستلاب بقدر الامكان .و المقنب بكسر الميم و فتح النون : الجمع من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين .و فرع المنبر يفرعه : أى علاه .و طأمن من شخصه : أى خفض، و الاسم الطمأنينه .و شمّر من ذيله : إذا رفعه .و زخرف : أى زيّن و نمّق .و ضؤوله نفسه:

حقارتها . المراح : المكان الّذى يأوى إليه الماشيه بالليل .و المغدى : هو الّذى يأوى إليه بالغداه .و الشريد . المشرّد:و هو المطرود .و النادّ : الذاهب على وجهه .و القمع : الإذلال .

و المكعوم : الّذى لا يمكنه الكلام كأنّه سدّ فوه بالكعام،و هو شيء يجعل فى فم.

البعير عند الهياج .و الثكل : الحزن على فقد بعض المحابّ .و اخملتهم : أى اسقطتهم و أرذلتهم بين الناس .و التقيّه و التقوى : الخوف .و الاجاج : الملح .و الضامز.بالزاء :

الساكته .و الحثاله الثفل .و القرظ ، ورق السلم يدبغ به .و الجلم : المقراض تجزّ به أوبار الإبل ،و قراضته ما تساقط من قرضه .

المعنى

اشاره

و أعلم أن نسبه الخير إلى بعض الأزمنه و الشرّ إلى بعض آخر،و تفضيل بعض الأزمنه على بعض نسبه صحيحه لما أنّ الزمان من الأسباب المعدّه لحصول ما يحصل فى هذا العالم من الامتزاجات و ما يتبعها ممّا يعدّ خيرا أو شرّا.و قد يتفاوت الأزمنه فى الإعداد لقبول الخير و الشرّ ففى بعضها يكون بحسب الاستقراء ما يعدّ شرا كثيرا فيقال:زمان صعب و زمان جائر.و خصوصا زمان ضعف الدين و النواميس الشرعيّه الّتى هى سبب نظام العالم و بقاؤه و سبب الحياه الأبديّه فى الدار الآخره، و فى بعضها يكون ما يعدّ خيرا كثيرا فيقال:زمان حسن و زمان عادل،و هو الزمان الّذى يكون أحوال الخلق فيه منتظمه صالحه خصوصا زمان قوّه الدين و ظهوره و بقاء ستر ناموس الشريعه مسدولا.هذا.و إن كنّا إذا اعتبرنا أجزاء الخير و أجزاء الشرّ الواقعه فى كلّ العالم بحسب كلّ زمان لم يكن هناك كثير تفاوت بين الأزمنه فيما يعدّ خيرا فيها و شرّا.و لذلك قال أفلاطون:الناس يتوهّمون بكلّ زمان أنّه آخر

ص:۶۴

الأزمنه و يثبتون تقصيرا عمّا تقدّمه و ليس يوفون الزمان الماضى و المقيم حقّيهما من التأمّل.و ذلك أنّهم يقيسون الأحداث فى الزمان المقيم إلى من تناهت سنّه و تجاريبه فى الزمان الماضى،و ينظرون إلى قصور المروّات فى الزمان المقيم و اتّساعها فى الماضى من غير أن ينظروا إلى الأغراض فى الزمانين و ما يوجبه كلّ واحد منهما.و إذا تتّبع هذا بعدل و استقصى تصريف الزمانين من القوى و الجدات،و الأمن و الخوف،و الأسباب و الأحوال كانا متقاربين.إذا عرفت هذا فتقول:

قوله عليه السّلام إنّا قد أصبحنا.إلى قوله:حتّى تحلّ بنا

قوله عليه السّلام إنّا قد أصبحنا. إلى قوله: حتّى تحلّ بنا.

ذمّ للزمان بوصفى الجور و الشدّه لمّا أعدله ممّا عدّد فيه من الأوصاف المعدوده شرّا بالقياس إلى نظام العالم و بقائه.و ذكر من تلك الأوصاف خمسه:

أوّلها:أنّه يعدّ فيه المحسن مسيئا .و ذلك من حساب المسيئين الكسالى عن القيام بطاعه اللّه فيعدّون إنفاق المحسن لما له رياء و سمعه أو خوفا أو رغبه فى مجازاه،و كذلك ساير فضايله رذايل.كلّ ذلك طعنا فى فضيلته و حسدا أن ينال رتبه أعلى.فيلحقونه بدرجاتهم فى الإساءه.

و ثانيها:أنّه يزداد الظالم فيه عتوّا .و ذلك أنّ منشأ الظلم هو النفس الأمّاره بالسوء و هى فى زمان العدل تكون مقهوره دائما أو فى أكثر الأحوال.و ثورانها فى ذلك الوقت طالبه للظلم يكون فلته و انتهاز فرصه.فالظالم فى زمان العدل إن ظلم أو تجاوز حدّه فكالسارق الّذى لا يأمن فى كلّ لحظه أن يقع به المكروه فكذلك الظالم فى زمن العدل مقموع بحرسه الشريعه مرصود بعيون طلايعها.أمّا فى زمان ضعف الشريعه فالظالم فيه كالناهب معط لقوّته سؤلها،غير ملتفت إلى وازع الدين فلا جرم كان عتوّه فيه أزيد.و قد كان فى زمانه بالنسبه إلى عهد الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم كذلك.

و ثالثها :أنّه لا ينتفع أهله فيه بما علموا.و هو توبيخ للمقصّرين فى أعمال الآخره على وفق ما علموا من الشريعه ممّا ينبغى أن يعمل لها إذ الانتفاع بالعلم إنّما يكون إذا وافقه العمل،و إليه الإشاره بقوله عليه السّلام فى موضع آخر :العلم مقرون بالعمل،و العلم يهتف بالعمل فإن أجابه و إلاّ ارتحل .فإنّ المراد بارتحال العلم

ص:۶۵

هو عدم الانتفاع به و بهتفه بالعمل اقتضاؤه ما ينبغى من مقارنه العمل له.

و رابعها :أنّهم لا يسئلون عمّا جهلوا.و هو توبيخ للمقصّرين فى طلب العلم بعدم السؤال عمّا جهلوا منه،و قلّه الالتفات لقصور أفهامهم عن فضيلته،و اشتغالهم بحاضر اللذّات الحسيّه.

و خامسها :كونهم لا يتخوّفون قارعه حتّى تحلّ بهم.و ذلك لعدم فكرهم فى عواقب امورهم و اشتغالهم بحاضرها عن الالتفات إلى مصالحهم و تدبيرها و هو توبيخ للمقصّرين فى أمر الجهاد و تنبيه لهم بذكر القارعه و حلولها بهم.و كلّ هذه امور مضادّه لمصلحه العالم.فلذلك عدّ الزمان الواقعه فيه عنودا و شديدا .

قوله:فالناس على أربعه أصناف.إلى قوله:قلّوا.

اشاره

قوله: فالناس على أربعه أصناف.إلى قوله:قلّوا .

أقول:وجه هذه القسمه أنّ الناس إمّا مريدون للدنيا أو للّه.و المريدون لها فإمّا قادرون عليها أو غير قادرين.و غير القادرين إمّا غير محتالين لها،أو محتالون.

و المحتالون إمّا أن يؤهّلوا نفوسهم للإمره و الملك،أو لما هو دون ذلك.فهذه أقسام خمسه مطابقه لما ذكره عليه السّلام من الأوصاف الأربعه الّذين عرضهم للذمّ مع الصنف الخامس الّذين أفردهم بالمدح .

فالصنف الأوّل.فهم المريدون للدنيا القادرون عليها

المشار إليه فى القسم الثانى من قسمته كنايه بقوله: و منهم المصلت لسيفه و المعلن بشرّه.إلى قوله:يفرعه .و المقصود بهذا الصنف القادرون على الدنيا المطلقون لعنان الشهوه و الغضب فى تحصيل ما يتخيّل كمالا من القينات الدنيويّه.فإصلات السيف كنايه عن التغلّب و تناول ما أمكن تناوله بالغلبه و القهر و إعلان الشرّ و المجاهره بالظلم و غيره من رذائل الأخلاق.و الإجلاب بالخيل و الرجل كنايه عن جمع أسباب الظلم و الغلبه و الاستعلاء على الغير .و إشراط نفسه:تأهيلها و إعدادها للفساد فى الأرض.و ظاهر أنّ من كان كذلك فقد أوبق دينه و أفسده استعاره و قوله: لحطام ينتهزه أو مقنب يقوده أو منبر يفرعه.

إشاره إلى بعض العلل الغائيّه للصنف المذكور من كونهم بالأوصاف المذكوره.

و استعار لفظ الحطام للمال.و وجه المشابهه أنّ اليبس من النبات كما أنّه لا نفع له

بالقياس إلى ما يبقى خضرته و نضارته أو يكون ذا ثمره كذلك المال بالنسبه إلى الأعمال الصالحه الباقى نفعها فى الآخره،و إنّما خصّ هذه الامور الثلاثه لأنّها الأغلب فيما يسعى أهل الدنيا لأجله إذ الغالب أنّ السعى فيها إمّا لجمع المال أو لرياسه دنيويّه باقتناء الخيل و النعم،أو دينيّه كافتراع المنابر و الترأس بناموس الدين مع قصد الدنيا.

استعاره و قوله : و لبئس المتجر. إلى آخره.

تنبيه لهذا الصنف من الناس على خسرانهم فى أفعالهم الشبيهه بالتجاره الخاسره فإنّ طالب الدنيا المحصّل لها كيف ما اتّفق هالك فى الآخره.فهو كالبائع لها بما حصل له من دنياه،و المعتاض بما له عند اللّه من الأجر الجزيل لو أطاعه حطاما تفنى عينه و تبقى تبعته.و لذلک استعار لفظ التجاره لها .

الصنف الثانى:و هم المريدون لها غير القادرين عليها و غير المحتالين لها

و هو المشار إليه بقوله: منهم من لا يمنعه من الفساد[فى الأرض]إلّا مهانه نفسه و كلاله حدّه و نضيض وفره . كنايه و كنّى بقوله: كلاله حدّه .عن عدم صراحته فى الامور و ضعفه عنها.و ظاهر أنّ المريد للدنيا المعرض عن اللّه لو خلّى عن الموانع المذكوره و وجد الدنيا لم يكن سعيه فيها إلّا فسادا .

الصنف الثالث:الغير القادرين على الدنيا مع احتيالهم لها و إعداد أنفسهم لامور

دون الملكك

و هو المشار إليه بقوله: و منهم من يطلب الدنيا بعمل الآخره و لا يطلب الآخره بعمل الدنيا .إلى آخره.

و قوله: يطلب الدنيا بعمل الآخره إشاره إلى الحيله للدنيا كالرياء و السمعه.

و قوله: و لا يطلب الآخره الدنيا إشاره إلى أنّه مريد للدنيا فقط.

قوله :قد طأمن من شخصه .إلى آخره.

تفصيل لكيفيّه الحيله فإنّ خضوع الإنسان و تطأمن شخصه و المقاربه بين خطوه و تشمير ثوبه و زخرفته لنفسه بما هو شعار الصالحين من عباد اللّه و ستر اللّه الّذى حمى به أهل التقوى أن يردوا موارد الهلكه يقع من صنف من الناس التماسا لدخولهم فى عيون أهل الدنيا و أرباب أهل القينات ليسكنوا إليهم فى الأمانات و نحوها و يجعلون

ذلک ذریعه لهم إلی ما أمّلوه من الدنیا الفانیه فیکونون قد اتّخذوا ستر اللّه و ظاهر دینه وسیله إلی معصیته .

الصنف الرابع:الغیر القادرین علیها المحتالون لها المؤهّلون أنفسهم للملک

و الإمره

،و هم المشار إلیهم بقوله:

و منهم من أقعدهم عن طلب الملک ضؤوله نفسه .إلی آخره.و ذکر من موانع هذا الصنف عمّا رامه مانعین:أحدهما ضؤوله نفسه و قصورها عن المناواه و تخیّلها العجز عن طلب الملک و إن کان مطلوبا له،الثانی سبب ذلک الضعف و هو انقطاع سببه من قلّه المال و عدم الأعوان و الأنصار فی الطلب.فلذلک وقفت به حال القدر علی حالته الّتی لم یبلغ معها ما أراد،و قصّرته علیها.فعدل لذلک إلی الحیله الجاذبه لرغبات الخلق إلیه من التحلّی بالقناعه و التزیّن بلباس أهل الزهاده من المواظبه علی العبادات و لزوم ظواهر أوامر اللّه و إن لم یکن ذلک عن أصل و اعتقاد قاده إلیه.

و قوله : و لیس[هو]من ذلک فی مراح و لا مغدی .کنایه عن أنّه لیس من القناعه و الزهد فی شیء أصلا،و یحتمل أن یکون هذا الصنف من غیر القادرین و غیر المحتالین.

الصنف الخامس:و هم المریدون للّه تعالی

و هم المشار إلیهم بقوله علیه السّلام:و بقی رجال .إلی آخره.و ذکر لهم أوصافا:

الأوّل:کونهم قد غضّ أبصارهم ذکر المرجع .و ذلک أنّ المرید للّه إذا التفت إلی جنابه المقدّس و استحضر أنّه راجع إلیه بل مایل بین یدیه.فلا بدّ أن یعرض عن غیره حیاء منه و ابتهاجا بمطالعه أنواره و خوفا أن یحمّج به بصره عن صعود مراتب الأملاک إلی مهاوی الهلاک،و لأنّ الحسّ تابع للقلب فإذا کان بصر القلب مشغولا غریقا فی جلال اللّه کان مستتبعا للحسّ فلم یکن له التفات من طریقه إلی أمر آخر.

و هو المراد بالغضّ.

الثانی:کونهم قد أراق دموعهم خوف المحشر.

و اعلم أنّ خوف الخائفین قد یکون لامور مکروهه لذاتها،و قد یکون لامور

مكروهه لأدائها إلى ما هو مكروه لذاته،و أقسام القسم الثانى كثيره كخوف الموت قبل التوبه،أو خوف نقض القربه،أو خوف الانحراف عن القصد فى عباده اللّه،أو خوف استيلاء القوى الشهوانيّه بحسب مجرى العاده فى استعمال الشهوات المألوفه،أو خوف تبعات الناس عنده،أو خوف سوء الخاتمه،أو خوف سبق الشقاوه فى علم اللّه تعالى.و كلّ هذه و نحوها مخاوف عباد اللّه الصالحين.و أغلبها على قلوب المتّقين خوف الخاتمه فإنّ الأمر فيه خطر،و أعلى الأقسام و أدّلها على كمال المعرفه خوف السابقه لكون الخاتمه تبعا لها و مظهره لما سبق فى اللوح المحفوظ.و قد مثّل من له خوف السابقه و من له خوف الخاتمه برجلين وقع لهما ملك بتوقيع يحتمل أن يكون لهما فيه غناء أو هلاك فتعلّق قلب أحدهما بحال نشر التوقيع و ما يظهر فيه من خير أو شرّ،و تعلّق قلب الآخر بما خطر للملك حاله التوقيع من رحمه أو غضب.و هذا التفات إلى السبب.فكان أعلى.فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلىّ الّذى جرى بتوقيعه القلم الإلهىّ فى اللوح المحفوظ أعلى من الالتفات إلى الأبد.و إلى ذلك أشار الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم حيث كان على المنبر فقبض كفّه اليمنى ثمّ قال:هذا كتاب اللّه كتب فيه أهل الجنّه بأسمائهم و أسماء آبائهم لا يزاد فيه و لا ينقض.

و ليعمل أهل السعاده بعمل أهل الشقاوه حتّى يقال:كأنّهم منهم بل هم ثمّ يستخرجهم (يستنقذهم خ)اللّه قبل الموت و لو بفواق ناقه،و ليعمل أهل الشقاوه بعمل أهل السعاده حتّى يقال:كأنّهم منهم بل هم هم ثمّ يستخرجهم اللّه قبل الموت و لو بفواق ناقه.السعيد من سعد بقضاء اللّه،و الشقىّ من شقى بقضاء اللّه،و الأعمال بالخواتيم.و أمّا أقسام القسم الأوّل فمثل أن يتمثّل فى نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت و شدّته،أو سؤال منكر و نكير،أو عذاب القبر،أو هول الموقف بين يدى اللّه تعالى و الحياء من كشف السرّ و السؤال عن النقير و القطمير،أو الخوف من الصراط و حدّته و كيفيّه العبور عليه،أو من النار و أغلالها و أحوالها،أو من حرمان الجنّه،أو من نقصان الدرجات فيها،أو خوف الحجاب من اللّه تعالى.و كلّ هذه الأسباب مكروهه فى نفسها و مختلف حال السالكين إلى اللّه فيها،و أعلاها رتبه خوف الفراق و الحجاب عن اللّه تعالى و هو خوف العارفين،و ما قبل ذلك و هو خوف العابدين و الصالحين و الزاهدين و من لم تكمل معرفته بعد.

إذا عرفت ذلک فنقول:الخوف الّذی أشار إلیه علیه السّلام من هذا القسم إذ خوف المحشر یشمل ما ذکرناه من أقسامه.

الثالث:کونهم بین شرید نادّ .أی مشرّد فی البلاد مطرود إمّا لکثره إنکاره المنکر أو لقلّه صبره علی مشاهده المنکر استعاره ،و خائف مقموع و ساکت مکعوم :أی کأنّ التقیّه سدّت فاه عن الکلام.و هو من باب الاستعاره ،وداع مخلص للّه و ثکلان موجع إمّا لمصابه فی الدین أو من کثره أذی الظالمین.و هذا تفصیل حال آحاد المتّقین، و یحتمل أن یکون ذلک تفصیلا لحالهم بالنسبه إلی خوف المحشر أی أنّ خوف المحشر أراق دموعهم و فعل بکلّ واحد منهم ما ذکر عنه من الحاله الّتی هو علیها .

الرابع:کونهم قد أخملتهم التقیّه :أی تقیّه الظالمین و هو تأکید لما سبق .

الخامس:کونهم قد شملتهم الذلّه :أی بسبب التقیّه .

السادس: استعاره کونهم فی بحر اجاج ،و استعار لفظ البحر بوصف الاجاج لما فیه من أحوال الدنیا الباطله.و وجه المشابهه أنّ الدنیا کما لا تصلح للاقتناء و الاستمتاع بها بل یکون سببا للعذاب فی الآخره کذلک البحر لا یمکن سابحه و إن بلغ به جهد العطش مبلغه شربه و التروّی به .

و قوله: أفواههم ضامره و قلوبهم قرحه.

أی إنّهم لمّا فطموا أنفسهم عن لذّاتها و مخالطه أهلها فیما هم فیه من الانهماک فیها لا-جرم کانت أفواههم ضامره لکثره صیامهم بعیده العهد بالمضغ،و قلوبهم قرحه جوعا أو خوفا من اللّه أو عطشا إلی رحمته و رضوانه أو لما یشاهدونه من کثره المنکرات و عدم تمکّنهم من إنکارها.و من روی ضامزه بالزای المعجمه أراد سکوتهم و قلّه کلامهم.

السابع:کونهم قد وعظوا حتّی ملّوا:

أی ملّوا وعظ الخلق لعدم نفعه فیهم.

الثامن:کونهم قد قهروا حتّی ذلّوا.

التاسع: مجاز در اسناد کونهم قد قتلوا حتّی قلّوا :أی قتلهم الظالمون لعدم سلکهم فی انتظامهم فان قلت:کیف یقال قتلوا مع بقائهم.قلت:إسناد الفعل إلی الکلّ لوجود القتل فی

البعض مجازا من باب إسناد حكم الجزء إلى الكلّ،و لأنّ الكلّ لمّا كان مقصودا بالقتل كان كونهم مقتولين علّه غائيّه فجاز إسناد القتل إليهم و إن كان المقتول بعضهم .

و قوله:فلتكن الدنيا فى أعينكم.إلى آخره

و قوله: فلتكن الدنيا فى أعينكم .إلى آخره.

أمر للسامعين باستصغار الدنيا و احتقارها إلى حدّ لا يكون فى أعينهم ما هو أحقر منها فإنّ حثاله القرظ و قراضه الجلم فى غايه الحقاره،و المراد من هذا الأمر.

و غايته الترك لها فإنّ استحقار الشيء و استصغاره يستتبع تركه و الإعراض عنه،ثمّ أمرهم بالاتّعاظ بالامم السابقه فإنّ فى الماضين عبره لاولى الأبصار،و محلّ الاعتبار ما كانوا فيه من نعيم الدنيا و لذّاتها و المباهاه بكثره قيناتها ثمّ مفارقتهم لذلك كلّه بالموت و بقاء الحسره و الندامه للمستكثرين منها حجبا حايله بينهم و بين الوصول إلى حضره جلال اللّه ،و نبّههم بقوله: قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم .على أنّهم مضطرّون إلى مفارقه ما هم فيه و سيصيرون عبره لغيرهم،و فايده الأمر بالاتّعاظ أيضا الإعراض عنها و الاقلاع و الاغترار بها ،ثمّ لمّا أمرهم بهذه الأوامر الّتى ليست صريحه فى الترك أردف ذلك بالأمر الصريح بالترك فقال :و ارفضوها ذميمه :أى أتركوا ما حاله الحقاره و الذمامه،ثمّ نبّه بعده على ما يصلح علّه لتركها و هو عدم دوام صحبتها و ثباتها لمن كان أحبّ منهم لها:أى و لو دام سرورها و نعيمها لأحد لدام لأحبّ الخلق لها و أحرصهم على المحافظه عليها فلمّا لم تدم لمن هو أشدّ حبّا لها منكم فبالأولى أن لا تدوم لكم،و إذا كان طباعها رفض كلّ محبّ فالأحرى بذى المروّه اللبيب الترفّع و الإعراض عمّن لا تدوم صحبته و لا تصفو محبّته.و باللّه التوفيق.

۳۲-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

عند خروجه لقتال أهل البصره

قال عبد اللّه بن العباس:دخلت على أمير المؤمنين عليه السّلام بذى قار و هو يخصف نعله فقال لى:ما قيمه هذه النعل؟فقلت:لا قيمه لها.فقال

عليه السّلام:و اللّه لهى أحب إلى من إمرتكم إلا أن أقيم حقا،أو أدفع باطلا، ثم خرج فخطب الناس فقال:- إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ؟مُحَمَّداً ص؟- وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَ لاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً- فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ- وَ بَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ- فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَ اطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ- أَمَا وَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا- حَتَّى وَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا ضَعُفْتُ وَ لاَ جَبُنْتُ- وَ إِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا- فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ- مَا لِي وَ؟لِقُرَيْشٍ؟- وَ اللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ- وَ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ- وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ

اللغه

أقول: ذوقار : موضع قريب من البصره،و هو الموضع الّذى نصرت فيه العرب على الفرس قبل الإسلام .و يخصف نعله : أى يخرزها .و بوّأهم : أسكنهم .و المخلّه:

المنزله .و المنجاه : موضع النجاه .و القناه : الرمح،و عمود الظهر المنتظم للفقار .

و الصفاه : الحجر الأملس المنبسط .و الساقه : جمع سائق .و تولّت بحذافيرها : أى بأسرها .

و البقر : الشقّ .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّه عليه السّلام قدّم لنفسه مقدّمه من الكلام أشار فيها إلى فضيله الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم فى مبعثه و هو سوقه للخلق إلى الدين الحقّ ليبنى عليها فضيله نفسه.و كانت غايته من ذلك توبيخ من خرج من قريش و الاستعداد عليهم .

فقوله:إنّ اللّه بعث محمّدا.إلى قوله:صفاتهم.

فقوله: إنّ اللّه بعث محمّدا.إلى قوله:صفاتهم.

صدر الكلام.أشار فيه إلى فضيله الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم.و الواوان الداخلتان على حرفى النفى للحال.فإن قلت:كيف يجوز أن يقال إنّه لم يكن أحد من العرب فى ذلك

الوقت يقرأ كتابا و كانت اليهود يقرءون التوراه و النصارى الإنجيل.قلت:إنّ الكتاب الّذى تدعيّه اليهود و تسميّه فى ذلك الوقت التوراه ليس هو الكتاب الّذى انزل على.موسى عليه السّلام فإنّهم كانوا حرّفوه و بدلوه فصار كتابا آخر بدليل قوله تعالى «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِى جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَ هُدىً لِلنّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيراً» (۱)و ظاهر أنّه من حيث هو مبدّل و محرّف ليس هو المنزّل على موسى عليه السّلام،و أمّا الكتاب الّذى تدّعى النصارى بقاءه فى أيديهم فغير معتمد على نقلهم فيه لكونهم كفّارا بسبب القول بالتثليث،و أمّا النافون للتثليث فهم فى غايه القلّه فلا يفيد قولهم:إنّ ما فى أيديهم هو إنجيل عيسى.علم فإذن لا يكون المقرّ و لهم حال مبعث محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم كتابا هو من عند اللّه.سلّمناه لكن يحتمل أن يريد بالعرب جمهورهم فإنّ أكثرهم لم يكن له دين و لا كتاب و إنّما كان بعضهم يتمسّك بآثار من شريعه إسماعيل و بعضهم برسوم لهم .

و قوله:فساق الناس حتّى بوّأهم محلّتهم

و قوله: فساق الناس حتّى بوّأهم محلّتهم .

الإشاره بسوقه لهم إلى سوقه العقلىّ لأذهانهم بحسب المعجزات إلى تصديقه فيما جاء به بحسب ما جاءهم من القرآن الكريم و السنّه النبويّه و إلى معرفه سبيل اللّه،ثمّ بحسب الترغيب لبعضهم و الترهيب للبعض إلى سلوك تلك السبيل.فأصبحوا و قد تبوّؤوا محلّتهم:أى منزلتهم و مرتبتهم الّتى خلقوا لأجلها،و كانت هى مطلوب العنايه الأزليّه بوجودهم فى هذا الدار و هى لزوم القصد فى سبيل اللّه المسمّى إسلاما و دينا و إيمانا و هو فى الحقيقه المنجاه الّتى لا خوف على سالكها و لا سلامه للمنحرف عنها،و ذلك معنى قوله: و بلّغهم منجاتهم.

و قوله:و استقامت قناتهم.

مجاز من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب و قوله: و استقامت قناتهم.

و المراد بالقناه:القوّه و الغلبه و الدوله الّتى حصلت لهم مجازا و هو من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب فإنّ الرمح أو الظهر سبب للقوّه و الشدّه،و معنى إسناد الاستقامه إليها انتظام قهرهم و دولتهم.

ص:۷۳

۱- (۱) ۹۱-۶

و قوله:و اطمأنّت صفاتهم.

استعاره و قوله: و اطمأنّت صفاتهم.

استعاره للفظ الصفاه لحالهم الّتى كانوا عليها،و وجه المشابهه أنّهم كانوا قبل الإسلام فى مواطنهم و على أحوالهم متزلزلين لا يقرّ بعضهم بعضا فى موطن و لا-على حال بل كانوا أبدا فى الغاره و النهب و الجلاء.فكانوا كالواقف على حجر أملس متزلزل مضطرب.فاطمأنّت أحوالهم و سكنوا فى مواطنهم.كلّ ذلك بسبب مقدم محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم .

و قوله:أمّا و اللّه إن كنت لفى ساقتها.إلى قوله:و لا جبنت.

و قوله: أمّا و اللّه إن كنت لفى ساقتها. إلى قوله: و لا جبنت.

تقرير لفضيلته.فأثبت لنفسه أنّه كان من ساقتها إلى أن تولّت بأسرها من غير عجز اعتراه و لا جبن،و الضمير فى ساقتها لكتائب الحرب و إن لم يجر لها ذكر صريح بل ما يحصل منه معنى الذكر و هو الناس فكأنّه قال:فساق الناس و هم يومئذ كتائب عليه فكنت فى ساقتها حتّى تولّت تلك الكتائب بأسرها لم يبق منها من يغالبه، و قد علمت أنّ السوق قد يكون سوق طرد و هزيمه،و الأوّل هو غايته عليه السّلام من السوق الثانى إذ لم يكن مقصوده من حروبه إلاّ السوق إلى الدين،و لمّا لم يمكن حصول الهدايه للخلق إلاّ-بوجود النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم،و إيضاح سبيل الحقّ كان ذبّه و طرده الكتائب حتّى تولّت بحذافيرها حمايه عن النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و عن حوزه الدين أمرا واجبا لا لذاته لكن لغرض تمام الهدى الّذى هو غايه وجود النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

و قوله:ما عجزتما ضعفت خو لا جبنت.

و قوله: ما عجزت[ما ضعفت خ]و لا جبنت.

تمام لإثبات الفضيله المذكوره له،و تقرير لما علم من شجاعته،و تأكيد لعدم العجز و الجبن الّذى هو طرف التفريط من فضيله الشجاعه .

و قوله:و إنّ مسيرى هذا لمثلها.

و قوله: و إنّ مسيرى هذا لمثلها.

أى لمثل تلك الحال الّتى كنت عليها معهم زمان كفرهم من سوق كتائبهم و طردها من غير جبن و لا ضعف.و هو فى معنى التهديد الّذى عساه أن يبلغ خصومه و تقوى به نفوس أوليائه، استعاره و كذلك قوله:و لأبقرنّ الباطل حتّى أخرج الحقّ من خاصرته.

أيضا فى معنى التهديد،و تنبيه على ما عليه خصومه من الباطل.و استعار هنا لفظ الخاصره للباطل و البقر لتفريق الباطل و تمييز الحقّ منه تشبيها له فى استتار الحقّ فيه و عدم

تمییزه منه بحیوان ابتلع جوهرا ثمینا أعزّ منه قیمه و أتمّ فایده فاحتیج إلی شقّ بطنه فی استخلاص ما ابتلع .

و قوله:ما لی و لقریش.

استفهام علی سبیل الإنکار و قوله: مالی و لقریش.

استفهام علی سبیل الإنکار لما بینه و بینهم ممّا یوجب الاختلاف و جحد فضیلته، و حسم لاعذار هم فی حربه.

و قوله:و اللّه لقد قاتلتهم کافرین .

و قوله: و اللّه لقد قاتلتهم کافرین.

إظهار للمنّه علیهم بسوقه لهم إلی الدین أوّلا و تعییر لهم بما کانوا علیه من الکفر لیعترفوا بفضیلته و نعمه اللّه علیهم به و لیخجلوا من مقابلته بالباطل و هو إظهار الإنکار علیه إذ کانوا أولی باتیان المنکر منه و هو أولی بردّهم عنه آخرا کما کان أوّلا.و کذلک قوله: و قاتلتهم مفتونین .علی أحد الروایتین،و أمّا علی روایه و لاقاتلنّهم مفتونین فهو تهدید بأن یوقع بهم القتال علی فتنتهم و ضلالتهم علی الدین.و کافرین و مفتونین نصبا علی الحال،و فی ذکر هذین الحالین تنبیه علی علّه قتاله لهم فی الحالتین و هو طلبه لاستقامتهم علی الدین و رجوعهم إلی الحقّ عن الضلال و إغراء السامعین بهم .

و قوله:و إنّی لصاحبهم بالأمس کما أنا صاحبهم الیوم.

و قوله: و إنّی لصاحبهم بالأمس کما أنا صاحبهم الیوم.

إشاره إلی أنّه لم تتغیّر حالته الّتی بها قاتلهم کافرین،و فائدته تذکیر الخصم الان بابتلاء الکفّار به فی ذلک الوقت لیتقهقروا عن محاربته إذ فی تذکّر وقایعه فی بدو الإسلام و شدّه بأسه ما تطیر منه القلوب و تقشعرّ منه الجلود.و قد نقلت فی تمام هذه الخطبه فی بعض النسخ:

لتضجّ قریش ضجیجها إن تکن فینا النبوّه و الخلافه،و اللّه ما أتینا إلیهم إلّا أنّا اجترأنا علیهم.

و ذلک إشاره إلی السبب الأصلیّ لخروج طلحه و الزبیر و غیرهما من قریش علیه.

و هو الحسد و المنافسه إن تکن الخلافه و النبوّه فی بنی هاشم دونهم. کنایه و الضجیج :الصراح القوّی.و هو کنایه عن أشد مخاصماتهم و منافراتهم معه علی هذا الأمر.

و قوله:و اللّه ما آتینا.إلی آخره

و قوله: و اللّه ما آتینا .إلی آخره.

تأكيد لما نسبه إليهم من سبب الخروج بالقسم البارّ على أنّه لم يكن الباعث لهم على قتاله أو على حسده و البغى عليه أمرا من قبله سوى الاجتراء عليهم أى الشجاعه و الإقدام عليهم فى منعهم عمّا يريدون من قول أو فعل لا تسوّغه الشريعه فإنّه لمّا لم يكن ذلك فى الحقيقه إساءه فى حقّهم يستحقّ بها المكافاه منهم بل إحسان و ردع عن سلوك طرق الضلال تعيّن أنّ السبب فى الخروج عليه و نكث بيعته هو الحسد و المنافسه و باللّه التوفيق.

۳۳-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فى استنفار الناس إلى أهل الشام

أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ- «أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياهِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَه» عِوَضاً- وَ بِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً- إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ- كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِى غَمْرَهٍ- وَ مِنَ الذُّهُولِ فِى سَكْرَهٍ- يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِى فَتَعْمَهُونَ- فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَهٌ فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلُونَ- مَا أَنْتُمْ لِى بِثِقَهٍ سَجِيسَ اللَّيَالِى- وَ مَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ- وَ لاَ زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ- مَا أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا- فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ- لَبِئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سُعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ- تُكَادُونَ وَ لاَ تَكِيدُونَ- وَ تُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلاَ تَمْتَعِضُونَ- لاَ يُنَامُ عَنْكُمْ وَ أَنْتُمْ فِى غَفْلَهٍ سَاهُونَ- غُلِبَ وَ اللَّهِ الْمُتَخَاذِلُونَ- وَ ايْمُ اللَّهِ- إِنِّى لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى- وَ اسْتَحَرَّ الْمَوْتُ- قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ؟ابْنِ أَبِى طَالِبٍ؟ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ- وَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ

عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ- يَعْرُقُ لَحْمَهُ وَ يَهْشِمُ عَظْمَهُ- وَ يَفْرِی جِلْدَهُ لَعَظِیمٌ عَجْزُهُ- ضَعِیفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَیْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ- أَنْتَ فَکُنْ ذَاکَ إِنْ شِئْتَ- فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِیَ ذَلِکَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِیَّهِ- تَطِیرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ- وَ تَطِیحُ السَّوَاعِدُ وَ الْأَقْدَامُ- «وَ یَفْعَلُ اللّهُ» بَعْدَ ذَلِکَ «ما یَشاءُ» أَیُّهَا النَّاسُ- إِنَّ لِی عَلَیْکُمْ حَقّاً وَ لَکُمْ عَلَیَّ حَقٌّ- فَأَمَّا حَقُّکُمْ عَلَیَّ فَالنَّصِیحَهُ لَکُمْ- وَ تَوْفِیرُ فَیْئِکُمْ عَلَیْکُمْ- وَ تَعْلِیمُکُمْ کَیْلاَ تَجْهَلُوا وَ تَأْدِیبُکُمْ کَیْمَا تَعْلَمُوا- وَ أَمَّا حَقِّی عَلَیْکُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَیْعَهِ- وَ النَّصِیحَهُ فِی الْمَشْهَدِ وَ الْمَغِیبِ- وَ الْإِجَابَهُ حِینَ أَدْعُوکُمْ وَ الطَّاعَهُ حِینَ آمُرُکُمْ أقول:روی أنّه علیه السّلام خطب بهذه الخطبه بعد فراغه من أمر الخوارج و قد کان قام بالنهروان فحمد اللّه و أثنی علیه و قال:أمّا بعد فإنّ اللّه تعالی قد أحسن بنا نصرتکم فتوجّهوا من فورکم هذا إلی عدوّکم من أهل الشام.فقالوا له:قد نفدت نبالنا و کلّت سیوفنا ارجع بنا إلی مصرنا لنصلح عدّتنا،و لعلّ أمیر المؤمنین یزید فی عددنا مثل من هلک منّا لنستعین به.فأجابهم «یا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَهَ الَّتِی کَتَبَ اللّهُ لَکُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلی أَدْبارِکُمْ» (۱)الآیه فتلکّؤوا علیه و قالوا:إنّ البرد شدید.فقال:إنّهم یجدون البرد کما تجدون افّ لکم ثمّ تلا قوله تعالی «قالُوا یا مُوسی إِنَّ فِیها قَوْماً جَبّارِینَ» (۲)الآیه.فقام منهم ناس و اعتذروا بکثره الجراح فی الناس و طلبوا أن یرجع بهم إلی الکوفه أیّاما.ثمّ یخرج بهم.فرجع بهم غیر راض و أنزلهم نخیله.و أمرهم أن یزمّلوا معسکرهم و یوّطنوا علی الجهاد أنفسهم و یقلّوا زیاره أهلهم.فلم یقبلوا و جعلوا

۱- ۱) ۲۴-۵

۲- ۲) ۲۵-۵

يتسلّلون و يدخلون الكوفه حتّى لم يبق معه إلاّ القليل منهم.فلمّا رأى ذلك دخل الكوفه فخطب الناس.فقال:أيّها الناس استعدّوا لقتال عدوّ فى جهادهم القربه إلى اللّه و درك الوسيله عنده قوم حيازى عن الحقّ لا ينصرونه،موزعين بالجور و الظلم لا يعدلون به.

جفاه عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون فى الطغيان،و يتسكّعون فى غمره الضلال ف «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ» و تَوَكَّلُواْ «عَلَى اللّهِ وَ كَفى بِاللّهِ وَكِيلاً» قال:فلم ينفروا.فتركهم أيّاما ثمّ خطبهم هذه الخطبه فقال :افّ لكم .الفصل.

اللغه

افّ : كلمه تضجّر من الشىء .و غمرات الموت : سكراته الّتى يغمر فيها العقل.

و الذهول : النسيان و السهو .و يرتج عليكم : أى يفلق .و الحوار . المخاطبه .و تعمهون:

تتحيّرون و تتردّدون .و المألوس : المجنون و المختلط العقل .و سجيس الليالى و سجيس الأوجس : أى أبدا مدى الليالى .و الزوافر : جمع زافره،و زافره الرجل أنصاره و عشيرته .

و سعر : جمع ساعر،و إسعار النار تهييجها و إلهابها .و الامتعاض : الغضب .و حمس الوغى : اشتداد الحرب و جلبه الأصوات .و عرقت اللحم أعرقه : إذا لم أبق على العظم منه شيئا .و المشرّفيه : سيوف منسوبه إلى مشارف:قرى من أرض العرب تدنوا من الريف .

و فراش الهام : العظام الرقيقه تلى القحف .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّه عليه السّلام لمّا أراد استنفارهم إلى الحرب.و كانوا كثيرا ما يتثاقلون عن دعوته استقبلهم بالتأنيف و التضجّر بما لا يرتضيه من أفعالهم.

و قوله:لقد سئمت عتابكم .

و قوله: لقد سئمت عتابكم.

تفسير لبعض ما تأنف منه.

و قوله: «أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياهِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَهِ» عوضا،و بالذلّ من العزّ خلفا .

استفهام على سبيل الإنكار و قوله: أرضيتم بالحياه الدنيا من الآخره عوضا،و بالذلّ من العزّ خلفا.

استفهام على سبيل الإنكار عليهم يستلزم الحثّ على الجهاد فإنّ الجهاد لمّا كان مستلزما لثواب الآخره و لعزّه الجانب،و خوف الأعداء،و القعود عنه يستلزم فى الأغلب السلامه فى الدنيا و البقاء فيها لكن مع طمع العدوّ فيهم و ذلّتهم له كانوا بقعودهم عنه كمن اعتاض الدنيا من الآخره،و استخلف الذلّ من العزّه.و ذلك ممّا لا يرضى به ذو عقل سليم .و عوضا و خلفا منصوبان على التميز.

ص:٧٨

قوله إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم.إلى قوله:لا تعقلون .

قوله: إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم. إلى قوله: لا تعقلون.

تبكيت لهم و توبيخ برذائل تعرض لهم عند دعائه لهم إلى الجهاد.

الاولى: تشبيه بأنّه تدور أعينهم حيره و تردّدا و خوفا من أحد أمرين:إمّا مخالفه دعوته،أو الإقدام على الموت.و فى كلا الأمرين خطر.ثمّ شبّه حالتهم تلك فى دوران أعينهم و حيرتهم بحال المغمور فى سكرات الموت،الساهى فيها عن حاضر أحواله،المشغول بما يجده من الألم.و نحوه قوله تعالى «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» (١).

الثانيه:أنّه يرتج عليهم حواره، و يرتج فى موضع الحال و تعمهون عطف عليه أى يرتج عليكم فيتحيّرون.ثمّ شبّه حالهم عند دعائه إلى الجهاد تشبيها ثانيا بحال من اختلط عقله أى أنّهم فى حيرتهم و تردّدهم فى جوابه كمختلط العقل ما يفقه ما يقول .

الثالثه:أنّهم ليسوا له بثقه أبدا.و هو وصف لهم برذيله الخلف و الكذب المستلزم لعدم ثقته بأقوالهم .

الرابعه: استعاره كونهم ليسوا بركن يميل به المستند إليه فى خصمه.يقال:فلان ركن شديد.استعاره له من ركن الجبل و هو جانبه لما بينهما من المشاركه فى الشدّه و امتناع المعتصم به.و نحوه قوله تعالى «لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ» (٢)أى قوىّ يمنعنى منكم و هو وصف بالتخاذل و العجز .

الخامسه:و لا زوافر عزّ يفتقر إليهم.و هو وصف لهم برذيله الذلّ و الحقاره .

السادسه: تشبيه تشبيههم بإبل ضلّ رعاتها ،و الإيماء إلى وجه الشبه و هو أنّها كلّما جمعت من جانب انتشرت من جانب.إشاره إلى أنّهم ضعيفوا العزوم متشتّتوا الآراء لا يجتمعون على مصلحه بها يكون نظام أحوالهم فى الدارين.و قد علمت أنّ ذلك من نقصان القوّه العلميّه فكانوا منها على رذيله البله .

السابعه: استعاره كونهم ليسوا بسعر نار الحرب :أى ليسوا من رجالها.و ذلك أنّ مدار الحرب على الشجاعه و الرأى.و قد سبقت منه الإشاره إلى ذمّهم بالفشل و ضعف الرأى.

١- ١) ١٩-٣٣

٢- ٢) ٢٨-١١

فإذن ليسوا من رجال الحرب،و لمّا استعار لهيجان الحرب لفظ النار لما يستلزمانه من الأذى الشديد رشّح تلك الاستعاره بذكر الإسعار و وصف رجالها به .

الثامنه:كونهم يكادون و لا يكيدون:أي يخدعون و يمكر بهم عدوّهم فى ايقاع الحيله،و ليس لهم قوّه المكر و الحيله به.و ذلك أيضا من رذيله ضعف الرأى .

التاسعه:كونهم تنقص أطرافهم فلا يمتعضون:أى يغار العدوّ فى كلّ وقت على بعض بلادهم فيحوزها فلا يشقّ ذلك عليكم و لا يدرككم منه أنفه و لا حميّه،و هو وصف لهم برذيله المهانه .

العاشره:كونهم فى غفله ساهون مع انتباه عدوّهم.و هو وصف لهم برذيله الغفله أيضا عمّا يراد بهم،و قلّه عقليّتهم لمصالح أنفسهم،و كلّ هذا التوبيخ تثقيف لهم و تنبيه لنفوسهم الراقده فى مراقد طبائعها على ما ينبغى لهم من المصالح الّتى يكون بها نظام أحوالهم على قانون الدين.

و قوله:غلب و اللّه المتخاذلون .

و قوله: غلب و اللّه المتخاذلون.

تنبيه على أنّهم بتخاذلهم سيغلبون.و أورد الغلب المطلق بعلّه التخاذل لأنّهم للحكم العامّ أشدّ قبولا منهم له على أنفسهم إذ لو خصّصهم به فقال غلبتم و اللّه أو تخاذلتم لم يكن وقعه فى الذوق كوقعه عامّا .

و قوله:و أيم اللّه.إلى قوله:انفراج الرأس.

و قوله: و أيم اللّه.إلى قوله:انفراج الرأس.

أقسم أنّه ليظنّ بهم أنّهم عند اشتداد الحرب و حراره الموت ينفرجون عند انفراج الرأس:أى يتفرّقون أشدّ تفريق.و انفراج الرأس مثل.قيل:أوّل من تكلّم به أكثم بن صيفى فى وصيّه له:يا بنىّ لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس فإنّكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ.و فى معناه أقوال.

أحدها:قال ابن دريد:معناه أنّ الرأس إذا انفرج عن البدن لا يعود إليه و لا يكون بعده اتّصال و ذلك أشدّ انفراج.

الثانى:قال المفضّل،الرأس اسم رجل ينسب إليه قريه من قرى الشام يقال لها بيت الرأس و فيها يباع الخمر.قال حسّان:كان سبيه من بيت رأس يكون مزاجها

عسلا و ماء و هذا الرجل قد انفرج عن قومه و مكانه فلم يعد إليه فضرب به المثل فى المباينه و المفارقه.

الثالث:قال بعضهم:معناه أنّ الرأس إذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان ذلك بعيد الالتيام و العود إلى الصحّه.

الرابع:قال بعضهم:معناه انفرجتم عنّى رأسا أى بالكلّيّه.

الخامس:قيل معناه:انفراج من يريد أن ينجو برأسه.

السادس:قيل معناه:انفراج المرأه عن رأس ولدها حاله الوضع فإنّه يكون فى غايه من الشدّه و تفرّق الاتّصال و الانفراج.و نحوه قوله عليه السّلام فى موضع آخر: انفراج المرأه عن قبلها ،و على كلّ تقدير فمقصوده شدّه انفصالهم و تفرّقهم عنه لهم أحوج ما يكون إليهم، مجاز و استحرار الموت يحتمل أن يراد به شدّته الشبيهه بالحراره مجازا كما سبق، و يحتمل أن يراد به خلوصه و حضوره فيكون اشتقاقه من الحريّه،و الجمله الشرطيه خبر أن المخفّفه من المثقّله.و اسمها الضمير الشأن و هى مع اسمها و خبرها قائمه مقام مفعولى ظنّ،توبيخ لهم على التقصير البالغ فى حقّه إلى حدّ أن يظنّ بهم الظنّ المذكور .

و قوله:و اللّه إنّ امرأ.إلى قوله:إن شئت.

و قوله: و اللّه إنّ امرأ. إلى قوله: إن شئت.

من لطيف الحيله فى الخطاب الموجب للانفعال عنه،و ذلك أنّه صوّر لهم أفعالهم من التخاذل على العدوّ و الضعف و سائر أفعالهم المذمومه الّتى الفوا التوبيخ و التعنيف بعباره تريهم إيّاها فى أقبح صوره و أشدّها كراهه إليهم و أبلغها نكايه فيهم و هو تمكينهم للعدوّ من أنفسهم فإنّ أفعالهم من التخاذل و نحوه.و هى بعينها تمكين للعدوّ فيما يريد بهم و إعداد له و تقويه لحاله، استعاره بالكنايه و لمّا كان من عاده ظفر العدوّ احتياج المال و القتل و تفريق الحال كنّى عن الأوّل بقوله: يعرق لحمه ،و وجه استعاره عرق اللحم لسلب المال بكلّيّته ظاهر،و كذلك كنّى عن القتل و سائر أسباب الهلاك من فعل العدوّ بهشم العظم ،و عن تمزيق الحال المنتظم بفرى الجلد .ثمّ لمّا كان من البيّن أنّ تخاذلهم تمكين لعدوّهم منهم و كان تمكين الإنسان لعدوّ من نفسه يفعل به الأفعال المنكره لا يكون إلاّ

عن عجز عظيم و ضعف فى القلب عن مقاومته لا جرم أثبت العجز و ضعف القلب لامرء مكّن عدوّه من نفسه و أكدّ ذلك بأنّ،و بالقسم البارّ،و كنّى بضعف القلب عن الجبن و أتى بذلك الإثبات على وجه عامّ لكلّ امرء فعل ذلك و لم يخصّهم بالخطاب و لا نسب تمكين العدوّ إليهم صريحا و إن كانوا هم المقصودين بذلك رجاء لنفارهم عن الدخول تحت هذا العموم بالانقياد لأمره و الجهاد.ثمّ أردفه بالأمر أن يكونوا ذلك المرء الّذى وصفه بما وصفه أمرا على سبيل التهديد و التنفير،و ذلك قوله: أنت فكن ذاك إن شئت.

أى ذاك المرء الموصوف بالعجز و الضعف.خطاب للشخص المطلق الصادق على أىّ واحد منهم كان و أمر له أن يكون بصفه المرء الموصوف أوّلا تنفيرا له عمّا ذكره ممّا يلزم الإنسان من الأحوال الرديئه عند تمكينه عدوّه من نفسه.و روى:أنّه خاطب بقوله:

أنت فكن ذاك .الأشعث بن قيس.فإنّه روى:أنّه قال و هو يخطب و يلوم الناس عن تقاعدهم عن الحرب:هلاّ فعلت فعل ابن عفان فقال عليه السّلام له:إنّ فعل ابن عفان مخزاه على من لا دين له و لا وثيقه معه،و إنّ امرء أمكن عدوّه من نفسه يهشم عظمه و يفرى جلده لضعيف رأيه ما فوق عقله أنت فكن ذاك إن شئت.الفصل .

و قوله.فأمّا أنا.إلى قوله:ما يشاء.

كنايه و قوله. فأمّا أنا. إلى قوله: ما يشاء.

لما خيّرهم أن يكونوا ذلك المرء على سبيل التهديد أردف ذلك بالتبرّء من حال المرء المذكور ليكون لهم به عليه السّلام اسوه فى النفار عن تمكين العدوّ من أنفسهم إلاّ بعد بذل النفس فى الجهاد أى على تقدير اختيار المخاطب تلك الحال فإنّه هو لا يختار ذلك الحال بل دون أن يعطى عدوّه من نفسه ذلك التمكين ضرب بالمشرّفيه يطير منه الهام و تطيح منه السواعد و الأقدام،و كلّ ذلك كنايه عن أشدّ المجاهده،و يفعل اللّه بعد ذلك الجهاد و المناجزه ما يشاء من تمكين العدوّ أو عدم تمكينه فإنّ إليه مصير الامور و عواقبها .

و قوله:أيّها الناس.إلى آخره.

و قوله: أيّها الناس .إلى آخره.

ذكر ما لهم عليه من الحقّ و ما له عليهم منه ليعرفهم أنّه أدّى ما عليه من الواجب لهم فينبغى لهم أن يخرجوا إليه من واجب حقّه الّذى فرض اللّه عليهم فبدء ببيان حقّهم

عليه أدبا و استدراجا لطباعهم فإنّ البداءه بحقّ الغير قبل حقّ النفس أليق بالأدب و هم لسماعه أقبل.فذكر منها أربعه امور بها يكون صلاح حالهم فى الدارين.

أحدها :النصيحه لهم و هى حثّهم على مكارم الأخلاق و جذبهم إلى ما هو الأليق بهم فى معاشهم و معادهم.

الثانى :توفير فيئهم عليهم بترك ظلمهم فيه و تفريقه فى غير وجوهه ممّا ليس بمصلحه لهم كما نسبوه إلى من كان قبله.

الثالث :تعليمهم كيلا يجهلوا.و إنّما لم يقل كيما يعلموا لأنّ ظهور المنّه عليهم بذكر نفى الجهل عنهم أشدّ من ظهورها فى ذكر عرض إيجاد العلم لهم و لذلك كان تأذّى الرجل و أنفته من أن يقال له:يا جاهل.أشدّ بكثير من نفار من يقال له:لست بعالم.

الرابع :تأديبهم كيما يعملوا.فهذه الامور الأربعه هى الواجبه على الإمام للرعيّه واحد منها يرجع إلى صلاح أبدانهم و قوامها:و هو توفير فيئهم عليهم بضبطه،و عدم التصرف فيه لغير وجوه مصالحهم.و إثنان يرجعان إلى صلاح حال نفوسهم إمّا من جهه إصلاح القوّه النظريّه:و هو التعليم لغرض العلم أو من جهه إصلاح القوّه العمليّه و هو التأديب لغرض العمل.و واحد مشترك بين مصلحتى البدن و النفس و نظام أحوالهما و هو النصيحه لهم .ثمّ أردف ذلك بيان حقّه عليه السّلام و ذكر أيضا أربعه.

الأوّل:الوفاء بالبيعه و هى أهمّ الامور إذ بها النظام الكلّىّ الجامع لهم معه.

الثانى :النصيحه له فى غيبته و حضوره و الذبّ عنه إذ بذلك نظم شمل المصلحه بينهم و بينه أيضا.

الثالث :إجابته حين يدعوهم من غير تثاقل عن ندائه فإنّ للتثاقل عن دعوته ما علمت من قهر العدوّ.و غلبته عليهم و فوات مصالح عظيمه.

الرابع :طاعتهم له حين يأمرهم،و ظاهر أنّ شمل المصلحه لا ينتظم بدون ذلك.

و أنت تعلم بأدنى تأمّل أنّ هذه الامور الأربعه و إن كانت حقوقا له عليهم إلاّ أنّه إنّما يطلبها منهم لما يعود عليهم به من النفع فى الدنيا و الآخره فإنّ الوفاء ملكه تحت العفّه و النصيحه له سبب لانتظام امورهم به و إجابه دعوته إجابه لداعى اللّه الجاذب

إلی الخیر و المصلحه،و کذلک طاعه أمره طاعه لأمر اللّه إذ هو الناطق به،و قد علمت ما تستلزمه إطاعه اللّه من الکرامه عنده.و باللّه التوفیق و العصمه.

۳۴-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

بعد التحکیم

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَ إِنْ أَتَی الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ- وَ الْحَدَثِ الْجَلِیلِ- وَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِیکَ لَهُ- لَیْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَیْرُهُ- وَ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ص أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِیَهَ النَّاصِحِ الشَّفِیقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ- تُورِثُ الْحَیرَهَ وَ تُعْقِبُ النَّدَامَهَ- وَ قَدْ کُنْتُ أَمَرْتُکُمْ فِی هَذِهِ الْحُکُومَهِ أَمْرِی- وَ نَخَلْتُ لَکُمْ مَخْزُونَ رَأْیِی- لَوْ کَانَ یُطَاعُ؟لِقَصِیرٍ؟ أَمْرٌ- فَأَبَیْتُمْ عَلَیَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِینَ الْجُفَاهِ وَ الْمُنَابِذِینَ الْعُصَاهِ- حَتَّی ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وَ ضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ- فَکُنْتُ أَنَا وَ إِیَّاکُمْ کَمَا قَالَ أَخُو؟هَوَازِنَ؟ أَمَرْتُکُمْ أَمْرِی؟بِمُنْعَرَجِ اللِّوَی؟ فَلَمْ تَسْتَبِینُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَی الْغَدِ

أقول:روی أنّ عمرو بن العاص و أبا موسی الأشعریّ لمّا التقیا بدومه الجندل و قد حکما فی أمر الناس کان علیّ یومئذ قد دخل الکوفه ینتظر ما یحکمان به.فلمّا تمّت خدعه عمرو لأبی موسی و بلغه ذلک علیه السّلام اغتمّ له غمّا شدیدا و وجم منه و قام فخطب الناس.فقال:الحمد للّه.الفصل.و زاد بعد الاستشهاد ببیت درید فی بعض الروایات:

ألا إنّ هذین الرجلین اللذین اخترتموهما قد نبذا حکم الکتاب و أحییا ما أمات

ص:۸۴

و اتّبع كلّ واحد منهما هواه و حكم بغير حجّه و لا ـ بيّنه ماضيه و اختلفا فيما حكما فكلاهما لم يرشدا للّه.فاستعدّوا للجهاد و تأهّبوا للمسير و أصبحوا فى معسكر كم يوم كذا.و أمّا قصّه التحكيم و سببها فمذكور فى التواريخ.

اللغه

و الخطب : الأمر العظيم .و فدحه الأمر : إذا عاله و أبهظه .و الجافى : خشن الطباع الّذى ينبوا طبعه عن المؤانسه فيقاطع و يباين .

المعنى

فقوله:الحمد للّه.إلى قوله:الجليل .

فقوله: الحمد للّه. إلى قوله: الجليل.

قد عرفت نسبه الخير و الشرّ إلى الدهر على أىّ وجه هى،و مراده أحمد اللّه على كلّ حال من السرّاء و الضرّاء.و إن هنا للغايه.و يفهم من هذا الصدر وقوع الخطب الفادح و هو ما وقع من أمر الحكمين.و حمد اللّه عليه .

و قوله:ليس معه إله غيره.

و قوله: ليس معه إله غيره.

تأكيد لمعنى كلمه التوحيد و تقرير لمقتضاها.

و قوله:أمّا بعد.إلى قوله:الندامه .

و قوله: أمّا بعد .إلى قوله: الندامه.

القيود الأربعه الّتى ذكرها من صفات المشير معتبره فى حسن الرأى و وجوب قبوله:أمّا كونه ناصحا فلأنّ الناصح يصدق الفكر و يمحض الرأى و غير الناصح ربّما يشير بفطير الرأى فيوقع فى المضرّه،و أمّا كونه شفيقا فلأنّ الشفقه تحمل على النصح فتحمل على حسن التروّى فى الأمر و ايقاع الرأى فيه من تثبّت و اجتهاد.

و الباعث على هذين أعنى النصح و الشفقه إمّا الدين أو محبّه المستشير،و أمّا كونه عالما ففائدته إصابته لعلمه وجه المصلحه فى الأمر فإنّ الجاهل أعمى لا يبصر وجه المصلحه فيه.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم:استرشدوا العاقل ترشدوا و لا تعصوه فتندموا،و قال عبد اللّه بن الحسن لابنه محمّد:احذر مشوره الجاهل و إن كان ناصحا كما تحذر عداوه العدوّ العاقل فإنّه كما يوشك أن يقع بك مكر العاقل كذلك يوشك أن يورّطك شور الجاهل، و أمّا كونه مجرّبا فلأنّه لا يتمّ رأى العالم ما لم ينضمّ إليه التجربه.و ذلك أنّ العالم و إن علم وجه المصلحه فى الأمر إلاّ أنّ ذلك الأمر قد يشتمل على بعض وجوه المفاسد لا يطّلع عليه إلاّ بالتجربه مرّه و مرّه فالمشوره من دون تجربه مظنّه الخطاء،و قيل

فی منثور الحکم:کلّ شیء محتاج إلی العقل و العقل محتاج إلی التجارب.و إذا عرفت أنّ طاعه المشیر الموصوف بالصفات المذکوره مستلزمه فی أغلب الأحوال للسرور بحسن ثمره رأیه و الفوز بها لا جرم کان معصیته و مخالفه رأیه مستلزمه للحسره مستعقبه للندامه .

و قوله:و قد کنت أمرتکم فی هذه الحکومه أمری.

و قوله: و قد کنت أمرتکم فی هذه الحکومه أمری.

لمّا قدّم أنّ معصیه المشیر المذکور تعقّب الحسره و الندامه أردف ذلک ببیان أنّه هو المشیر و أنّه أشار علیهم فخالفوه لیتّضح لهم أنّهم عصوا مشیرا قد استکمل شرائط الرأی فیتوقّعوا الندم علی معصیته .

و قوله:و نخلت لکم مخزون رأیی.

استعاره و قوله: و نخلت لکم مخزون رأیی.

استعاره للفظ النخل لاستخلاص أسدّ آرائه و أجودها لهم بحسب اجتهاده،و وجه المشابهه أنّ أجود ما ینتفع به ممّا ینخل من دقیق و نحوه هو المنخول کذلک الرأی أجوده و أنفعه ما استخلص وصفی من کدورات الشهوه و الغضب .

و قوله:لو کان یطاع لقصیر أمر.

و قوله: لو کان یطاع لقصیر أمر.

مثل.و قصیر هذا هو قصیر بن سعد اللخمیّ مولی جذیمه الأبرش بعض ملوک العرب.و أصل المثل أنّ جذیمه کان قتل أبا الزباء ملکه الجزیره فبعثت إلیه عن حین لیتزوّج بها خدعه و سألته القدوم فأجابها إلی ذلک،و خرج فی ألف فارس و خلّف باقی جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدّی،و کان قصیر أشار إلی جذیمه أن لا یتوجّه إلیها فلم یقبل رأیه فلمّا قرب جذیمه من الجزیره استقبله جنود الزباء بالعدّه و لم یر منهم إکراما له فأشار علیه قصیر بالرجوع عنها،و قال:إنّها امرأه و من شأن النساء الغدر.

فلم یقبل.فلمّا دخل إلیها غدرت به و قتلته.فعندها قال قصیر:لا یطاع لقصیر أمر.

فذهبت مثلا لکلّ ناصح عصی و هو مصیب فی رأیه.و قد یتوهّم أنّ جواب لو هاهنا متقدّم،و الحقّ أنّ جوابها محذوف و المعنی یتّضح بترتیب الکلام،و التقدیر إنّی کنت أمرتکم أمری فی هذه الحکومه و نصحت لکم فلو اطعتمونی لفعلتم ما أمرتکم به و محّضت لکم النصیحه فیه،فقولنا:لفعلتم هو تقدیر الجواب،و ممّا یتبّه علیه أنّ قوله :

فأبیتم علیّ إباء المخالفین الجفاه و المنابذین العصاه .و هو فی تقدیر استثناء نقیض ذلک

التـالى،و تقـديره لكنّكم أبيتم علىّ إبـاء من خالف الأمر و جفا المشـير و عصاه حتّى شكّ فى نصـحه هل كان صوابا أو خطاء.و هذا الحكم حقّ فإنّ المشير بالرأى الصواب إذ اكثر مخالفوه فيه قد يتّهم نفسه فى صحّه ذلك الرأى و صوابه لأنّ استخراج وجه المصـلحه فى الأـمر أمر اجتهـادىّ يغلب على الظنّ بكثره الأمـارات اللايحه للمشـير فإذا جوّز المشـير أن يكون خلاف ما رآه هو المصلحه فلا مانع إذن أن يعرض لغيره.

أمـارات اخرى يغلب على ظنّه أنّ مـا رآه هو ليس بمصـلحه فيعـارض بهـا مـا رآه الأـوّل حقّا و يخالفه فى رأيه فإذا كثرت تلك المخـالفه من جمع عظيم جـاز أن يتشـكّك الإنسـان فيما ظنّه من المصـلحه أنّه ليس بمصـلحه و أنّ الأمارات الّتى اقتضت ذلك الظنّ غير صـحيحه فلـذلك قـال عليه السّـلام :حتّى ارتـاب الناصـح بنصـحه .و عنى بالناصـح نفسه أو من رأى رأيه لإطباق أكثر أصـحابه على مخالفتهم،و قال بعض الشارحين:يحمل ذلك على المبالغه لأنّه عليه السّـلام منزّه عن أن يشكّ فيما يراه صوابا بعد شوره به .

و قوله:و ضنّ الزند بقدحه.

و قوله: و ضنّ الزند بقدحه.

قيل:هو مثل يضـرب لمن يبخل بفوائده إذا لم يجد لها قابلا عارفا بحقّها أو لم يتمكّن من إفادتها فإنّ المشير إذا اتّهم و استـغّش أو خطىء فى رأيه ربما لا ينقدح له بعد ذلك رأى صالح لحكم الغضب عليه من جهه مخالفته و عدم قبول رأيه.

و لمّا كان غرضه أن يقرّر عليهم الندامه فى مخالفه رأيه و يريهم ثمره عصـيان أمره الصادر عن معاينه وجه المصلحه كما هو قال :فكنت و إيّاكم كما قال اخو هوازن:أمرتهم أمرى .البيت،و هو لدريد بن الصمه من قصيده له فى الحماسه أوّلها:

نصحت لعارض و أصحاب عارض و رهط بنى السوداء و القوم سهّد

و قصّـته فى هـذه القصـيده أنّ أخـاه عبـد اللّه بن الصـمه غزا بنى بكر بن هوازن بن غطفـان فغنم منهم و اسـتاق إبلهم فلمّـا كـان بمنعرج اللوى قال:لا و اللّه لا أبرح حتّى أنحر البقيعه و هى ما ينحر من النهب قبل القسمه،و احيل السهام.فقال له أخوه دريد:

لا تفعل.فإنّ القوم فى طلبك.فأبى عليه و أقام و أنحر البقيعه و بات فلمّا أصبح هجم القوم عليه و طعن عبد اللّه بن صمه فاستغاث بأخيه دريد فنهنه عنه القوم حتّى طعن هو

أیضا و صرع و قتل عبد اللّه و حال اللیل بین القوم فنجا درید بعد طعنات و جراح حصل له فقال القصیده، مجاز و إنّما قال علیه السّلام :أخو هوازن .لنسبته إلیهم فإنّ دریدا ابن الصمه بن بنی جشم بن معاویه بن بکر بن هوازن.و نحوه قوله تعالی «وَ اذْکُرْ أَخا عادٍ» لنسبته فیهم و کذلک قال لهم أخوهم لوط و یکفی فی إطلاق لفظ الأخوّه مجازا مجرّد الاتّصال بهم و الملابسه لهم و قد عرفت ذلک ،و وجه تمثّله علیه السّلام بالبیت:إنّی کنت و إیّاکم فی نصیحتی و نهیی من الحکومه و مخالفتکم أمری المستلزمه لندامتکم علی التفریط کهذا القائل مع قومه حیث نصح لهم فعصوه فلحقهم من الندامه و الهلاک.

و اعلم أنّ الّذی کان أشار به علی أصحابه:هو ترک الحکومه و الصبر علی قتال أهل الشام.و مجمل السبب أنّ أمارات الغلبه لیله الهرّیر کانت لائحه علی أهل الشام فلمّا عاینوا الهلاک استشار معاویه بعمرو بن العاص فی کیفیّه الخلاص فقال عمرو:إنّ رجالک لا تقوم لرجاله،و لست مثله إنّه یقاتلک علی أمر و أنت تقاتله علی غیره و أنت ترید البقاء و هو یرید الفناء،و أهل العراق یخافون منک إن ظفرت بهم و أهل الشام لا یخافون علیّا إن ظفر بهم،و لکن ألق إلی القوم أمرا إن قبلوه اختلفوا و إن ردّوه اختلفوا:ادعهم إلی کتاب اللّه حکما فیما بینک و بینهم فإنّک بالغ به حاجتک فإنّی لم أزل ادّخر هذا الأمر لوقت حاجتک إلیه فعرف معاویه ذلک فلمّا أصبحوا رفعوا المصاحف علی أطراف الرماح و کان عددها خمس مائه مصحف و رفعوا مصحف المسجد الأعظم علی ثلاثه رماح مشدوده یمسکها عشره رهط و نادوا بأجمعهم:اللّه اللّه معشر العرب فی النساء و البنات اللّه اللّه دینکم هذا کتاب اللّه بیننا و بینکم.فقال علیه السّلام:اللّهمّ إنّک تعلم أنّهم ما الکتاب یریدون فاحکم بیننا و بینهم إنّک أنت الحکم الحقّ المبین،و حینئذ اختلف أصحابه فقالت طائفه:القتال القتال،و قال أکثرهم:المحاکمه إلی الکتاب و لا یحلّ لنا الحرب و قد دعینا إلی حکم الکتاب و تنادوا من کلّ جانب الموادعه فقال علیه السّلام فی جوابهم:أیّها الناس إنّی أحقّ من أجاب إلی کتاب اللّه و لکن معاویه و عمرو بن العاص و ابن أبی معیط لیسوا بأصحاب دین و لا قرآن إنّی أعرف بهم منکم صحبتهم صغارا و رجالا فکانوا شرّ صغار و شرّ رجال و یحکم إنّها کلمه حقّ یراد بها

الباطل إنّهم ما رفعوها إنّهم يعرفونها و لا يعلمون بها و لكنّها الخديعه و المكيده و الوهن أعيرونى سواعدكم و جماجمكم ساعه واحده فقد بلغ الحقّ مقطعه و لم يبق إلاّ أن يقطع دابر القوم الظالمين،فجاءه عشرون ألفا من أصحابه و نادوه باسمه دون إمره المؤمنين:

أجب اليوم إلى كتاب اللّه إذا دعيت و إلاّ قتلناك كما قتلنا عثمان.فقال عليه السّلام:و يحكم أنا أوّل من أجاب إلى كتاب اللّه،و أوّل من دعا إليه فكيف لا أقبله و إنّما قاتلتهم ليدينو بحكم القرآن و لكنّى قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم و ليس العمل بالقرآن يريدون.

فقالوا:ابعث إلى الأشتر يأتيک.و قد كان الأشتر صبيحه ليله الهرير قد أشرف على عسكر معاويه ليدخله و لاح له الظفر فبعث إليه فرجع على كره منه و وقع بينه و بين من أجاب إلى الحكومه من أصحاب علىّ عليه السّلام مسابّ و مجادلات على ما اختاروا من ترک الحرب و تنادوا من كلّ جانب رضى أمير المؤمنين بالتحكيم و كتبوا عهدا على الرضا به، و سنذكر كيفيّته إجمالا إنشاء اللّه تعالى.و باللّه التوفيق.

۳۵–و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

(فى تخويف أهل النهروان)

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهَرِ- وَ بِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ- وَ لاَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ- قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ وَ احْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ- وَ قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَهِ- فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ- حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ- وَ أَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ- سُفَهَاءُ الْأَحْلاَمِ وَ لَمْ آتِ لاَ أَبَا لَكُمْ بُجْراً- وَ لاَ أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً أقول:الخطاب للخوارج الّذين قتلهم عليه السّلام بالنهروان،و قد كان القضاء الالهىّ

سبق فيهم بما كان منهم من الخروج.روی فی صحیح الأخبار أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم بینا هو یقسم قسما جاءه رجل من بنی تمیم یقال له ذو الخویصره فقال:اعدل یا محمّد فقال صلی اللّه علیه و آله و سلّم:

قد عدلت.فقال له ثانیه:اعدل یا محمّد فإنّک لم تعدل.فقال صلی اللّه علیه و آله و سلّم:ویلک من یعدل إذا لم أعدل.فقام عمر و قال:یا رسول اللّه ائذن لی فی ضرب عنقه.فقال:دعه فسیخرج من ضئضئ هذا قوم یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیه یخرجون علی خیر فرقه من الناس تحتقر صلاتکم عند صلاتهم و صومکم عند صومهم یقرءون القرآن لا یجاوز تراقیهم فیهم رجل أسود مخدج الید إحدی یدیه کأنّها ثدی امرأه أو بضعه یقتله أولی الفریقین بالحقّ.و فی مسند أحمد عنه عن مسروق قال:قالت لی عایشه:إنّک من ولدی و أحبّهم إلیّ فهل عندک علم من المخدج.فقلت:نعم قتله علیّ بن أبی طالب علی نهر یقال لأعلاه تأمر و لأسفله النهروان بین لخاقیق و طرفاء.فقالت:ایتنی علی ذلک بیّنه.فأقمت علی ذلک رجالا شهدوا عندها بذلک ثمّ قلت لها:سألتک بصاحب القبر ما الّذی سمعت منه فیهم.فقالت:سمعته یقول:إنّهم شرّ الخلق و الخلیقه یقتلهم خیر الخلق و الخلیقه،و أقربهم عند اللّه وسیله.فأمّا سبب خروج هؤلاء القوم فهو أنّه علیه السّلام لمّا قهره أصحابه علی التحکیم و أظهروا عنه الرضی به بعد أنّ حذّرهم و وعظهم فلم یلتفوا کتبوا کتاب التحکیم و أخذه الأشعث بن قیس فطاف به علی أصحاب معاویه فرضوا به، و طاف به علی أصحاب علیّ فرض را به حتّی مرّ برایات عنزه و کان مع علیّ علیه السّلام منهم بصفّین أربعه آلاف فارس فلمّا قرء الکتاب علیهم قال فتیان منهم:لا حکم إلاّ للّه ثمّ حملا علی أصحاب معاویه فقتلا فهما أوّل من حکم،ثمّ مرّ علی مراد،ثمّ علی رایات بنی راسب،ثمّ علی بنی تمیم فکلّ فرقه فرأه علیهم قالوا:لا حکم إلاّ للّه لا نرضی و لا نحکّم الرجال فی دین اللّه فرجع الأشعث فأخبر علیّا علیه السّلام بذلک فاستصغر أمرهم و ظنّ أنّهم قلیلون،فلمّا بلغهم أمر الحکمین ما راعه إلاّ و الناس یتنادون من کلّ جانب لا-حکم إلاّ للّه الحکم للّه یا علیّ لا لک و قد کنّا أخطأنا حین رضینا بالحکمین فرجعنا إلی اللّه و تبنا فارجع أنت و تب إلی اللّه کما تبنا و إلاّ برئنا منک.فأبی علیه السّلام الرجوع،و قال:و یحکم أبعد العهد نرجع فما نصنع بقوله تعالی «أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ» (۱)الآیه و أبت الخوارج إلاّ تضلیل التحکیم

---

(۱) -۱ ۹۳-۱۶

و الطعن فيه فبرئوا من علیّ و بریء منهم ثمّ کان اجتماعهم بحرور فسمّاهم علیه السّلام لذلک الحروریّه فناظرهم بها فرجع منهم ألفان ثمّ مضوا إلی النهروان و کان أمیرهم یومئذ عبد اللّه بن الکوّا،و حین القتال عبد اللّه بن وهب الراسبی فسار إلیهم فخطبهم و قال:نحن أهل بیت النبوّه و موضع الرساله و مختلف الملائکه و عنصر الرحمه و معدن العلم و الحکمه أیّها القوم إنّی نذیر لکم.الفصل،و روی أنّه علیه السّلام لمّا قتلهم طلب ذو الثدیه فیهم طلبا شدیدا فلم یجده فجعل یقول:و اللّه ما کذب و لا کذبت اطلبوا الرجل و إنّه لفی القوم.

فلم یزل یطلبه حتّی وجده فی وهده من الأرض تحت القتلی و هو رجل مخدج الید کأنّها ثدی فی صدره و علیها شعرات کسبال الهرّه فکبّر علیّ علیه السّلام و کبّر الناس معه و سرّوا بذلک.

اللغه

الأهضام : جمع هضم و هو المطمئنّ من الوادی .و الغائط : ما سفل من الأرض .

و طوّحت بکم : أی توّهتکم فی امورکم و رمت بکم المرامی .و احتبلکم : أوقعکم فی الحباله .و النکر : المنکر،و یروی بحرا.و البحر:الأمر العظیم و الداهیه، و یروی هجرا:و هو الساقط من القول،و یروی عرّا.و العرّ و المعرّه:الإثم،و العرّ أیضا:داء یأخذ الإبل فی مشافرها و یستعار للداهیه .

المعنی

اشاره

و اعلم أنّ حاصل هذا الفصل تحذیر للقوم من الهلاک و هم علی غیر بیّنه من ربّهم و لا حجّه واضحه یحتجّون بها علی ما یدّعونه حقّا و یقاتلون علیه و ذلک ممّا یجب الحذر منه إذ فیه حرمان سعاده الدارین، استعاره و إنّما سمّیت الحجّه نفسها سلطانا لأنّ بها الغلبه و التسلّط و هو من باب الاستعاره.

و قوله:قد طوّحت بکم الدار .

استعاره و قوله:قد طوّحت بکم الدار.

کنّی بالدار عن الدنیا و إنّما نسب هلاکهم أو إبعادهم و رمیهم إلیها لأنّ المهلک لهم و الموجب لتیههم إنّما هو اتّباع أهوائهم الباطله الّتی منشاؤها إنّما هو تحصیل أمر دنیویّ من مال أو جاه و نحوه فکانت الدنیا هی الّتی رمت بهم المرامی عن رحمه اللّه و أخرجتهم عن طاعته.

و قوله:و احتبلکم المقدار .

استعاره و قوله: و احتبلکم المقدار .

استعاره حسنه لإحاطه القدر النازل عن قضاء اللّه بهم فهو كحباله الصايد الّتى لا يخرج للطائر منها إذا نزلت به.

و قوله:كنت نهيتكم عن هذه الحكومه.إلى قوله:إلى هواكم .

و قوله: كنت نهيتكم عن هذه الحكومه.إلى قوله:إلى هواكم.

تقرير للحجّه عليهم و كأنّه يقول لهم:إن كان الحقّ هو عدم الحكومه فلم طلبتموها و أبيتم علىّ إباء المخالفين المنابذين لمّا نهيتكم عنها حتّى صرت إلى أهوائكم فيها،و إن كان الحقّ هو ايقاعها فلم شاققتمونى الآن لمّا أوقعتها و جعلت للّه علىّ بها عهدا.و على التقديرين يلزمهم الخطاء،

و قوله:و أنتم معاشر أخفّاء الهام سفهاء الأحلام .

و قوله: و أنتم معاشر أخفّاء الهام سفهاء الأحلام.

الواو للحال و العامل صرفت،و الإضافه فى أخفّاء و سفهاء غير محضه و لذلك صحّ كونهما و صفين لمعاشر، كنايه و خفّه الهامه كنايه عن رذيله الطيش المقابله لفضيله الثبات، و السفه رذيله مقابله للحلم،و الثبات و الحلم فضيلتان تحت ملكه الشجاعه،و لمّا كانت لهاتين الرذيلتين نسبه إلى الفضيلتين صحّ إضافتها إليهما.

و قوله:و لم آت-لا أبالكم-نكرا و لا أردت بكم ضرّا .

و قوله: و لم آت-لا أبالكم-نكرا و لا أردت بكم ضرّا.

خرج مخرج الاعتذار إليهم و استدراجهم ببيان تحسين فعله و نفى المنكر عنه و عدم قصد الإساءه إليهم ليرجعوا عمّا شبّه إليهم،و قوله: لا أبا لكم كلمه اعتيدت فى ألسنه العرب.قال الجوهرى:يراد بها المدح،و قال غيره:يراد بها الذمّ فإنّ عدم اللحوق بأب يستلزم العار و السبّه،و قيل:هى دعاء على المرء أن لا يكون له أب يعزّه و يشدًّ ظهره و نفى الأب يستلزم نفى العشيره له فكأنّه دعاء بالذلّ و عدم الناصر.

و اللّه أعلم.

۳۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

يجرى مجرى الخطبه

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا- وَ تَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا- وَ نَطَقْتُ حِينَ تَمْنَعُوا-

وَ مَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا- وَ كُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً وَ أَعْلاَهُمْ فَوْتاً- فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا وَ اسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا- كَالْجَبَلِ لاَ تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ- وَ لاَ تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ- لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَ لاَ لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ- الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ- وَ الْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ- رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ وَ سَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ- أَ تَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- وَ اللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ- فَلاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ- فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي- فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي- وَ إِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي

اللغه

أقول: التعتعه : الاضطراب فى الكلام عند الحصر .و تطلّع الأمر : اختباره و تعرّفه .

و التقبّع : التقبّض.يقال:قبع القنفذ إذا قبض رأسه بين كتفيه .و الاستبداد : الانفراد .

و الرهان : ما يرهن و يستبق عليه .و الهمز : الغيبه بالعيب،و كذلك الغمز .

قال بعض الشارحين:هذا الفصل فيه فصول أربعه

اشاره

التقطها الرضىّ رحمه اللّه من كلام طويل له عليه السّلام قاله بعد وقعه النهروان ذكر فيه حاله منذ توفّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم إلى آخر وقته.

الفصل الأوّل :فقمت بالأمر حين فشلوا.إلى قوله:برهانها.

هذا الكلام ورد فى معرض افتخاره و إثبات فضيلته على سائر الصحابه لغايه قبول رأيه.فقيامه بالأمر حين فشلهم إشاره إلى فضيله شجاعته:أى فقمت بأمر اللّه بين يدى رسوله و بعده فى الحروب و المقامات الصعبه الّتى ضعفوا عنها و الأوقات الّتى فشلوا فيها و أمره فى ذلك ظاهر.

كنايه و قوله: و نطقت حين تعتعوا[تمنّعوا خ].

إشاره إلى ملكه الفصاحه المستتبعه لملكه العلم:أى نطقت فى القضايا المهمّه

ص:٩٣

و الأحكام المشكله و المقاول الّتى حصرت فيها بلغاؤهم،فكنّى بنطقه و تعتعتهم عن فضاحتهم و عيّهم.

استعاره بالكنايه و قوله تطلّعت حين تقبّعوا.

إشاره إلى كبر الهمّه فى تحصيل ما ينبغى للإنسان أن يحصّله من تعرّف الامور و اختبارها و النظر فى مصادرها و مواردها،و هى ملكه تحت الشجاعه،و لمّا كان التّطلع على الأمر يحتاج الإنسان فيه إلى نحو من التطاول و مدّ العنق و تحديق العين و نحوه،و كان تعرّف الامور و اختبارها لابدّ فيه من بعث رائد الفكر الّذى هو عين النفس الّتى بها يبصر و تحديقه نحو الامور المعقوله و إرسال المتخيّله لتفتيش خزائن المحسوسات أشبه ذلك التطلّع فاستعار له لفظ التطلّع و كنّى به عنه،و قوله:

حين تقبّعوا .أى كان تعرّفى للأمور حين قصورهم عن ذلك،و لمّا كان التقبّع يقابل مدّ العين و التطاول إلى رؤيه الأشياء المسمّى تطلّعا،و كان قصور أفكارهم و عدم اعتبارهم للأشياء يقابل مدّ الفكر و تطاول الذهن إلى معرفه الامور و كان قصور الفكر أيضا و العجز عن المعرفه يشبه التقبّع استعار لفظ التقبّع و كنّى به عنه.

و قوله : و مضيت بنور اللّه حين وقفوا.

إشاره إلى فضيله العلم أى كان سلوكى لسبيل الحقّ على وفق العلم و هو نور اللّه الّذى لا يضلّ من اهتدى به.و ذلك حين وقفوا حائرين متردّدين جاهلين بالقصد و كيفيّه سلوك الطريق.و إنّما أثبت لنفسه هذه الفضائل و قرن كلّ فضيله له برذيله فيهم يقابلها لتبيّن فضله بالنسبه إليهم إذ كان الغرض ذلك.

كنايه و قوله : و كنت أخفضهم صوتا و أعلاهم صوتا.

كنّى بخفض الصوت عن ربط الجأش فى الامور و الثبات فيها و التصميم على فعل ما ينبغى من غير التفات إلى الحوادث[الجواذب خ]و الموانع على فعل ما هو خير و مصلحه فإنّ كثره الأصوات و علوّها فى الأفعال الّتى هى مظنّه الخوف دليل الفشل، و لا شكّ أنّ من كان أشدّ فى ذلك كان أعلى صوتا و أشدّ سبقا إلى مراتب الكمال و درجات السعاده ممّن كان أضعف فيه .

ص:۹۴

استعاره و قوله: فطرت بعنانها و استبددت برهانها.

الضميران يعودان إلى الفضيله و إن لم يجر لها ذكر لفظىّ فاستعار هاهنا لفظ الطيران للسبق العقلىّ لما يشتركان فيه من معنى السرعه،و استعار لفظى العنان و الرهان اللذين هما من متعلّقات الخيل للفضيله الّتى استكملتها نفسه تشبيها لها مع فضائل نفوسهم بخيل الحلبه،و وجه المشابهه أنّ الصحابه-رضى اللّه عنهم-لمّا كانوا يقتنون الفضائل و يستبقون بها إلى رضوان اللّه و سعادات الآخره كانت فضائلهم الّتى عليها يستبقون كخيل الرهان،و لمّا كانت فضيلته عليه السّلام أكمل فضايلهم و أتمّها كانت بالنسبه إلى فضائلهم كالفرس الّذى لا يشقّ غباره.فحسن منه أن يستعير لسبقه بها لفظ الطيران، و يجرى عليها لفظ العنان و الرهان.

الفصل الثانى :قوله:لا تحرّكه القواصف.إلى قوله:آخذ الحقّ منه.

و هذا الفصل يحكى فيه قيامه بأعباء الخلافه حين انتهائها إليه و جريه فيها على القانون العدل و الأوامر الإلهيّه. تشبيه فقوله: كالجبل .تشبيه له فى الثبات على الحقّ بالجبل فكما لا تحرّكها قواصف الرياح و عواصفها كذلك هو لا تحرّكه عن سواء السبيل مراعاه هوى لأحد أو اتّباع طبع يخالف ما يقتضيه سنّه اللّه و شرعه بل هو ثابت على القانون العدل و موافقه الأمر الإلهىّ.

و قوله : لم يكن لأحد فىّ مهمز و لا لقائل فىّ مغمز.

أى لم يكن فىّ عيب اعاب به.و قد راعى فى هذه القرائن الأربع مع الأربع الأخيره من الفصل الأوّل السجع المتوازى.

و قوله : الذليل عندى عزيز حتّى آخذ الحقّ له.

إعزازه للذليل اعتناؤه بحاله و اهتمامه بأمر ظلامته،و من اعتنى بحال إنسان فقد أعزّه ثمّ جعل لإعزازه غايه هى أخذ الحقّ له،و كذلك قوله : و القوىّ عندى ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه ،فإنّ ضعف القوى هو قهره تحت حكمه إلى غايه يستوفى منه حقّ المظلوم.

فإن قلت:يفهم من هاتين الغايتين أنّ نظره إلى الذليل بعد استيفاء حقّه و إلى

القویّ بعد أخذ الحقّ منه لا یکون علی السواء بل یکون التفاته إلی القویّ أکثر و ذلک لیس من العدل.

قلت:إنّه لمّا لم یکن الغرض من الأمر بمساواه النظر بین الخلق إلاّ أخذ حقّ الضعیف من القویّ و عدم التظالم بینهم لم تجب مساواه النظر بین الضعیف و القویّ إلاّ من تلک الجهه.و لم یکن إعزازه المقویّ و إکرامه فی غیر وجه الظلم قبیحا لجواز انفراده بفضیله یوجب إعزازه من جهه الدین أیضا.

الفصل الثالث :قوله:رضینا عن اللّه قضاؤه و سلّمنا له أمره.إلی قوله:من

کذب علیه.

قیل:ذکر ذلک علیه السّلام لما تفرّس فی طائفه من قومه أنّهم یتّهمونه فیما یخبرهم به عن النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم من أخبار الملاحم فی الامور المستقبله،و قد کان منهم من یواجهه بذلک کما روی أنّه لمّا قال:سلونی قبل أن تفقدونی فو اللّه لا تسألونی عن فئه تضلّ مائه و تهدی مائه إلاّ أنبأتکم بناعقها و سائقها.قام إلیه أنس النخعیّ فقال:أخبرنی کم فی رأسی و لحیتی طاقه شعر.فقال علیه السّلام:و اللّه لقد حدّثنی حبیبی أنّ علی کلّ طاقه شعر من رأسک ملک یلعنک،و أنّ علی کلّ طاقه شعر من لحیتک شیطانا یغویک،و أنّ فی بیتک سخلا یقتل ابن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و کان ابنه سنان بن أنس قاتل الحسین علیه السّلام یومئذ طفلا یحبو،و سیأتی بعض تلک الأخبار.

فقوله: رضینا عن اللّه قضاءه و سلّمنا له أمره.

قد عرفت أنّ الرضا بقضاء اللّه و التسلیم لأمره باب من أبواب الجنّه یفتحه اللّه لخواصّ أولیائه،و لمّا کان علیه السّلام سیّد العارفین بعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و کان قلم القضاء الإلهیّ قد جری علی قوم بالتکذیب له و التهمه فیما یقول لا جرم هو کان علیه السّلام أولی الناس بلزوم باب الرضا.

و قوله: أ ترانی أکذب.إلی قوله:علیه.

استنکار لما صدر منهم فی حقّه من التکذیب،و إیراد حجّه لبطلان أوهامهم فی حقّه بصوره قیاس الضمیر مع نتیجته،و تقدیره و اللّه لأنا أوّل من صدّقه و کلّ من کان

أوّل مصدّق له فلن يكون أوّل مكذّب له ينتج أنّى لا أكون أوّل مكذّب له

الفصل الرابع :قوله:فنظرت فى أمرى إلى آخره.

فيه إحتمالان:أحدهما قال بعض الشارحين:إنّه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاه الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أنّه كان معهودا إليه أن لا ينازع فى أمر الخلافه بل إن حصل له بالرفق و إلاّ فليمسك.فقوله : فنظرت فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى :أى طاعتى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم فيما أمرنى به من ترك القتال قد سبقت بيعتى للقوم فلا سبيل إلى الامتناع منها.

و قوله : و إذا الميثاق فى عنقى لغيرى.

أى ميثاق رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و عهده إلىّ بعدم المشاقّه،و قيل:الميثاق ما لزمه من بيعه أبى بكر بعد ايقاعها:أى فإذا ميثاق القوم قد لزمنى فلم يمكننى المخالفه بعده.

الاحتمال الثانى:أن يكون ذلك فى تضجّره و تبرّئه من ثقل أعباء الخلافه،و تكلّف مداراه الناس على اختلاف أهوائهم.و يكون المعنى إنّى نظرت فإذا طاعه الخلق لى و اتّفاقهم علىّ قد سبقت بيعتهم لى،و إذا ميثاقهم قد صار فى عنقى فلم أجد بدّا من القيام بأمرهم و لم يسعنى عند اللّه إلاّ النهوض بأمرهم و لو لم يكن كذلك لتركت كما قال من قبل :أما و اللّه لو لا حضور الحاضر و قيام الحجّه بوجود الناصر و ما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقارّوا على كظّه ظالم و لا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها،و لسقيت آخرها بكأس أوّلها .و الأوّل أشهر بين الشارحين،و اللّه أعلم بالصواب.

۳۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

وَ إِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَهُ شُبْهَهً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ- فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ- وَ دَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى- وَ أَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلاَلُ- وَ دَلِيلُهُمُ الْعَمَى- فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَ لاَ يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ

المعنى

أقول:يحتمل أن يكون هذا الكلام فصلين :

أحدهما:قوله: و إنّما سمّيت الشبهه .إلى قوله: و دليلهم العمى ،و الثانى:و الباقى.

فالفصل الأوّل إشاره إلى علّه تسميه الشبهه شبهه،ثمّ إلى بيان حال الناس فيها.

أمّا الأوّل:فالشبهه عباره عمّا يشبه الحقّ ممّا يحتجّ به إمّا فى صورته أو فى مادّته أو فيهما معا،و ظاهر أنّ علّه تسميتها شبهه هو ذلك الشبه.فلذلك حصرها فيه.

و أمّا الثانى:فلأنّ الناس إمّا أولياء اللّه أو أعداء له.أمّا أولياؤه فلمّا كانت نفوسهم مشرقه بنور اليقين مستضيئه بمصباح النبوّه فى سلوك الصراط المستقيم كان بتلك الأنوار هدى أذهانهم فى ظلمات الشبهات و حرزهم عن الهوى فى مهاوى الجهالات كما قال تعالى «يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» (۱)الآيه.و هو الهدى المأمور بلزوم سمته و السلوك إلى المطالب الحقّه،و هو المراد بقوله: فضياؤهم فيها اليقين،و دليلهم سمت الهدى ،و أمّا أعداؤه فليس دعاؤهم إلى ما يدعون إليه إلاّ ضلالا عن القصد القويم،و إضلالا للخلق عن الطريق الحقّ و ليس ما يعتمدونه دليلا يزعمون أنّهم يهدون به السبيل إلاّ شبهه هى فى نفسها عمى لأبصارهم [لبصائرهم خ]عن مطالعه نور الحقّ و طمس لأذهان من استجاب لهم عند اهتداء سلوك سبيل اللّه «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ »

و أمّا الفصل الثانى:و هو قوله:فما ينجو.إلى آخره.

فصدق القضيّه الاولى قوله تعالى «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ» (۲)و قوله «أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ» (۳)الآيه.و حاصله التذكير بها دم اللذّات،و التخويف بذكره،و التنفير عن محبّه ما لا بدّ من زواله ليفرغ السامعون إلى العمل لما بعده إن أخذ التوفيق بأزمّه عقولهم فإنّ خوفه و محبّه ضدّه و هو البقاء لا ينفعان فى الخلاص منه لكونه ضروريّا فى الطبيعه،و يحتمل أن يكون الكلام متصّلا و يكون الفصل الثانى قد سبق له قبل الأوّل كلام يحسن تعلّقه به،و باللّه التوفيق.

۱- ۱) ۱۲-۵۷

۲- ۲) ۸-۶۳

۳- ۳) ۸۰-۴

۳۸-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

مُنِيتُ بِمَنْ لاَ يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ- وَ لاَ يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ- لاَ أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ- أَ مَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَ لاَ حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ- أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً وَ أُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً- فَلاَ تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً وَ لاَ تُطِيعُونَ لِي أَمْراً- حَتَّى تَكَشَّفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَهِ- فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ وَ لاَ يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ- دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ- فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَهَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ- وَ تَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ- ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ- «كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ» أقول:یروی أنّ هذه الخطبه خطب بها علیه السّلام فی غاره النعمان بن بشیر بعین التمر.و السبب أنّ معاویه بعث النعمان بن بشیر فی ألفی فارس لإرهاب أهل العراق فأقبل حتّی دنا من عین التمر،و کان عاملها یومئذ من قبل علیّ علیه السّلام مالک بن کعب الأرجیّ و لم یکن معه إذ ذاک سوی مائه رجل و نحوها فکتب مالک إلیه علیه السّلام یعلمه الخبر.فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:اخرجوا هداکم اللّه إلی مالک بن کعب أحنیکم فإنّ نعمان بن بشیر قد نزل به فی جمع من أهل الشام لیس بالکثیر فانهضوا إلی إخوانکم لعلّ اللّه یقطع بکم طرفا من الکافرین.ثمّ نزل فتثاقلوا فأرسل إلی وجوههم فأمرهم بالنهوض فتثاقلوا و لم یجتمع منهم إلاّ نفر یسیر نحو ثلاث مائه رجل فقام علیه السّلام و قال:[ألا إنّی]منیت.الفصل،و یروی أنّ الدایره کانت لمالک بمن معه علی النعمان و جمعه.

اللغه

منیت : أی ابتلیت .و یحمشکم : أی یغضبکم .و المستصرخ : المستجلب بصوته من ینصره .و الغوث : الصوت یستصرخ به،و قیل:هو قول الرجل:وا غوثاه .و الثار : الذحل .

ص:۹۹

و الجرجره : ترديد صوت البعير فی ضجرته عند عسفه .و السرّ : داء يأخذ البعير فی سرّته يقال منه جمل أسرّ .و النضو من الإبل : البالی من تعب السير .و الأدبر : الّذی به دبر و هی القروح فی ظهره .

و فی الفصل مطالب :

الأوّل:قوله:منيت بمن لا يطيع.إلی قوله:دعوت.

و هو إظهار لغدر نفسه علی أصحابه لينسب إليهم التقصير دونه و يقع عليهم لائمه غيرهم .

الثانی: استفهام علی سبيل الإنكار

قوله: لا أبا لكم.إلی قوله:مرام.

و هو استنهاض لهم إلی نصره اللّه بسؤالهم عن سبب تثاقلهم عن نصرته و الذبّ عن دينه سؤالا علی سبيل الإنكار للسبب،و تنبيه لهم علی الأسباب الّتی توجب اجتماعهم لنصره اللّه و الغضب له بسؤالهم عنها هل هی موجوده لهم أم لا-سؤالا-علی سبيل الإنكار أيضا إذ هم يدّعون وجودها لهم و هی الدين الّذی امروا بلزومه و الاتّحاد فيه كما قال تعالی «وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ» (۱)الآيه.ثمّ الحميّه و هی ملكه تحت الشجاعه ،و كذلك قوله: أقوم فيكم .إلی قوله: أمرا .من الأسباب الباعثه لهم أيضا علی الاجتماع فإنّ ذكر حاله من استصراخه لهم و استغاثته بهم مع ذكر حالهم فی مقابله ذلك من تثاقلهم عن ندائه و عدم طاعتهم له ممّا يتبّئهم علی خطأهم و تقصيرهم .

و قوله: حتّی تكشّف الامور عن عواقب المسائه.

ذكر لغايه تثاقلهم عن دعوته و تنبيه بذكر استعقابه للمساءه علی خطأهم فيه،و كذلك قوله: فما يدرك بكم ثار و لا يبلغ بكم مرام .عتاب و توبيخ يبعث طباع العرب علی التآلف فی النصره إذ من شأنهم ثوران الطباع بمثل هذه الأقوال.

و قوله:دعوتكم.إلی قوله:الأدبر .

استعاره و قوله: دعوتكم.إلی قوله:الأدبر.

استعار لفظ الجرجره لكثره تملّلهم و قوّه تضجّرهم من ثقل ما يدعوهم إليه،و لمّا كانت جرجره الجمل الأسرّ أشدّ من جرجره غيره لاحظ شبه ما نسبه إليهم من التضجّر بها.و كذلك تشبيهه تثاقلهم بتثاقل النضو الأدبر و ذكرهم ما دعاهم إليه من

۱- (۱) ۴-۹۸

نصره أخوانهم أعنى أصحاب مالك بن كعب المذكور و جوابهم له بالتبرّم من ذلك و التثاقل ثمّ أردف ذلك بتصغير من خرج منهم من الجند و وصفه بالاضطراب و الضعف.و تشبيههم بمن يساق إلى الموت و هو ينظر فى تثاقله و اضطرابه و ضعفه عن الحركه إلى ما يساق إليه لشدّه خوفه.كلّ ذلك ذمّ و توبيخ يستثير به طباعهم عمّا هى عليه من التثاقل عن ندائه و التقصير فى إجابه دعائه.و باللّه التوفيق.

۳۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى الخوارج لما سمع قولهم:لا حكم إلا للّه،

قال عليه السّلام كَلِمَهُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ- نَعَمْ إِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ لِلَّهِ- وَ لَكِنَّ هَؤُلاَءِ يَقُولُونَ لاَ إِمْرَهَ- إِلاَّ لِلَّهِ- وَ إِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ- يَعْمَلُ فِى إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ- وَ يَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ- وَ يُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ- وَ يُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ- وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ- حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ- وَ فِى رِوَايَهٍ أُخْرَى أَنَّهُ ع لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ- وَ قَالَ أَمَّا الْإِمْرَهُ الْبَرَّهُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ- وَ أَمَّا الْإِمْرَهُ الْفَاجِرَهُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ- إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَ تُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ

المعنى

قوله:كلمه حقّ يراد بها الباطل

أقول:قوله: كلمه حقّ يراد بها الباطل .هذه كلمه ردّ لما انغرس فى أذهان الخوارج من حقيّه دعاء أصحاب معاويه إلى كتاب اللّه:أى أنّ دعائهم لكم إلى كتاب اللّه كلمه حقّ

لکن لیس مقصودهم بها کتاب اللّه بل غرض آخر باطل و هو فتور الحرب عنهم و تفرّق أهوائکم و نحوه ممّا لا یجوز أن یفعل .

قوله:لا حکم إلاّ للّه.

قوله: لا حکم إلاّ للّه.

تصدیق لقولهم لکن لما علیه الکلمه فی نفس الأمر لا لما رأوه حقّا من ظاهرها فإنّ حصر الحکم لیس بحقّ علی معنی أنّه لیس للعبد أن یحکم بغیر ما نصّ کتاب اللّه علیه فإنّ أکثر الأحکام الفروعیّه غیر منصوص علیها مع أنّها أحکام اللّه بل تکون منتزعه بحسب الاجتهاد و سایر طرقها لمن کان أهلا لذلک،و یجب علی من لیس له أهلیّه الاجتهاد امتثالها،و لمّا تصوّر الخوارج تلک الکلمه بمعنی أنّه لا یصحّ حکم لم یوجد فی کتاب اللّه و لا یجوز امتثاله و العمل به لا جرم قال :نعم لا حکم إلاّ للّه لکن هؤلاء القوم یقولون:

لا إمره:أی لمّا نفوا أن یکون لغیر اللّه حکم لم ینصّ علیه فقد نفوا الإمره لأنّ استنباط الأحکام و النظر فی وجوه المصالح من لوازم الإمره الّتی هی حال الأمیر فی رعیّته،و نفی اللازم یستلزم نفی الملزوم،و لمّا کانوا قد نفوا الإمره کذّبهم علیه السّلام بقوله : و لا بدّ للناس من أمیر برّ أو فاجر .فکان جمله الکلام فی معنی شرطیّه متّصله هکذا:إذا قالوا لا حکم إلاّ للّه کما تصوّروه فقد قالوا بنفی الإمره لکنّ القول بنفی الإمره باطل فالقول بنفی الحکم إلاّ للّه کما تصوّروه باطل.فقوله: و لا بدّ للناس من أمیر .فی معنی استثناء نقیض تالی المتّصله،و تقریره:أنّ الإنسان خلق ممنوّا بمقارنه النفس الأمّاره بالسوء محتاجا إلی مجموع قوی فی بدنه هی منابع الشرّ.فأهواء الخلق لذلک مختلفه،و قلوبهم متفرّقه فکانت طبیعه نظام أحوالهم فی معاشهم و بقائهم محوجه إلی سلطان قاهر تأتلف برهبته الأهواء،و تجتمع بهیبته القلوب،و تنکفّ بسطوته الأیدی العادیه إذ فی طباع الخلق من حبّ المغالبه علی ما آثروه،و القهر لمن عاندوه ما لا ینکفّون عنه إلاّ بمانع قویّ و رادع ملیّ.و قد أفصح المتنبّی عن ذلک حیث یقول:

لا یسلم الشرف الرفیع من الأذی حتّی یراق علی جوانبه الدم

و الظلم من شیم النفوس فإن تجد ذاعفه فلعلّه لا یظلم

و هذه العلّه المانعه من الظلم عند الاستقراء یرجع إلی امور أربعه:إمّا عقل زاجر،

أو دين حاجز،أو عجز مانع،أو سلطان رادع.و السلطان القاهر أبلغها نفعا لأنّ العقل و الدين ربّما كانا مغلوبين بدواعى الهوى فيكون رهبه السلطان أقوى ردعا و أعمّ نفعا و إن كان جائرا فإنّه روى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ اللّه ليؤيّد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم فى الآخره،و روى:بالرجل الفاسق،و روى عنه أنّه قال:الإمام الجائر خير من الفتنه فكلّ لا خير فيه فى،و بعض الشرّ خيار:أى و أنّ وجود الإمام و إن كان جائرا خير من عدمه المستلزم لوجود الفتنه و وقوع الهرج و المرج بين الخلق إذ كان بوجوده صلاح بعض الامور على أنّه و إن كان لا خير فيه أيضا من جهه ما هو جائر كما قال:

و كلّ لا خير فيه إلاّ أنّ هيبته و وجوده بين الخلق ممّا يوجب الانزجار عن إثاره الفتن و يكون ذلك خيرا وقع فى الوجود بوجوده لا يحصل مع عدمه فوجوده مطلقا واجب و ذلك معنى قوله عليه السّلام:لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر.

و قوله:يعمل فى إمرته المؤمن و يستمتع فيها الكافر.

و قوله: يعمل فى إمرته المؤمن و يستمتع فيها الكافر.

الضمير فى إمرته لمّا عاد إلى الأمير،و كان لفظ الأمير محتملا للبرّ و الفاجر كان المراد بالإمره الّتى يعمل فيها المؤمن إمره الأمير من حيث هو برّ،و بالّتى يستمتع فيها الكافر إمرته من حيث هو فاجر،و هذا أولى من قول بعض الشارحين:إنّ الضمير يعود إلى الفاجر فإنّ إمره الفاجر ليست مظنّه تمكّن المؤمن من عمله،و المراد يعمل المؤمن فى إمره البرّ عمله على وفق أوامر اللّه و نواهيه إذ ذلك وقت تمكّنه منه،و المراد باستمتاع الكافر فى إمره الفاجر انهما كه فى اللذّات الحاضره الّتى يخالف فيها أوامر اللّه و ذلك فى وقت تمكّنه من مخالفه الدين .

و قوله:يبلّغ اللّه فيها الأجل.

و قوله: يبلّغ اللّه فيها الأجل.

أى فى إمره الأمير سواء كان برّا أو فاجرا،و فائده هذه الكلمه تذكير العصاه ببلوغ الأجل و تخويفهم به .

و قوله:و يجمع به الفىء.إلى قوله:القوىّ.

و قوله: و يجمع به الفىء.إلى قوله:القوىّ.

الضمائر المجروره كلّها راجعه إلى الأمير المطلق إذ قد تحصل الامور المذكوره كلّها من وجوده كيف كان برّا أو فاجرا.و ممّا يؤيّد ذلك أنّ أكثر الخلق متّفقون على أنّ

امراء بنى اميّه كانوا فجّارا عدا رجلين أو ثلاثه:كعثمان و عمر بن عبد العزيز و كان الفىء يجمع بهم،و البلاد تفتح فى أيّامهم،و الثغور الإسلاميّه محروسه،و السبل آمنه، و القوىّ مأخوذ بالضعيف،و لم يضرّ جورهم شيئا فى تلك الامور .

و قوله:حتّى يستريح برّ و يستراح من فاجر.

و قوله :حتّى يستريح برّ و يستراح من فاجر.

غايه من الامور المذكوره:أى غايه صدور هذه الامور أن يستريح برّ بوجودها و يستراح من تعدّى الفاجر و بغيه،و قيل:أراد أنّ هذه الامور لا تزال تحصل بوجود الأمير برّا كان جرا إلى أن يستريح برّ بموته،و يستراح من فاجر بموته أو بعزله، و أمّا الروايه الاخرى فمعنى الكلام فيها ظاهر،و باللّه التوفيق.

۴۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَ لاَ أَعْلَمُ جُنَّهً أَوْقَى مِنْهُ- وَ مَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ- وَ لَقَدْ أَصْبَحْنَا فِى زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً- وَ نَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَهِ- مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ- قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَهِ وَ دُونَهَا مَانِعٌ- مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ- فَيَدَعُهَا رَأْىَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَهِ عَلَيْهَا- وَ يَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لاَ حَرِيجَهَ لَهُ فِى الدِّينِ

اللغه

أقول: الجنّه : ما استترت به من سلاح و نحوه .و القلّب الحوّل : الّذى يكثر تحوّله و تقلّبه فى اختيار الامور،و تعرّف وجوهها .و الانتهاز : المبادره إلى الأمر .

و الفرصه : وقت الإمكان .و الحريجه : التخرّج و هو التحرّز من الحرج و الإثم .

المعنى

اشاره

استعاره و اعلم أنّ الوفاء ملكه نفسانيّه ينشأ من لزوم العهد كما ينبغى،و البقاء عليه، و الصدق ملكه تحصل من لزوم الأقوال المطابقه،و هما فضيلتان داخلتان تحت فضيله

العفّه متلازمتان،و لمّا كان التوأم هو الولد المقارن لولد آخر فی بطن واحد اشبهه الوفاء لمقارنته الصدق تحت العفّه،فاستعار لفظه له. ثمّ لمّا كانت فضيله الوفاء مقابله برذيله الغدر و فضيله الصدق مقابله برذيله الكذب و رذيلتا الغدر و الكذب أيضا توأمين تحت رذيله الفجور المقابله لفضيله العفّه .

قوله:و لا أعلم جنّه أوقى منه.

قوله: و لا أعلم جنّه أوقى منه.

حكم ظاهر فإنّ الوفاء وقايه تامّه للمرء أمّا فی آخرته فللاستتاره به من عذاب اللّه الّذی هو أعظم محذور،و أمّا فی دنياه فللاستتاره به من السبّ و العار و ما يلزمه عدم الوفاء من الغدر و الكذب الملطخين لوجه النفس.و إذا علمت أنّه لا نسبه لشیء ممّا يجتنّ منه بالأسلحه و غيرها إلی ما يتوقّی بالوفاء علمت أنه لا جنّه أوقی من الوفاء،و ممادح الوفاء و مذامّ الغدر كثيره قال اللّه تعالی «الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَ لا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ» (۱)وَ الذين يوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُواالآيه و قال فی تمدّحه بالوفاء «وَ مَنْ أَوْفی بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ» قال و مَنْ «نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلی نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفی بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» (۲)و من الخبر فی ذمّ الغدر:لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامه .

و قوله:و لا يغدر من علم كيف المرجع.

و قوله: و لا يغدر من علم كيف المرجع.

أقول:العلم بكيفيّه المرجع إلی اللّه تعالی و الاطّلاع علی منازل السفر إليه و علی أحوال الآخره الّتی هی المستقرّ صارف قویّ عن ارتكاب الرذائل الّتی من جملتها الغدر و إنّما خصّ الغدر بنسبه أهله إلی الجهل بأمر المعاد لكونه فی معرض مدح الوفاء و الترغيب فيه .

قوله:و لقد أصبحنا فی زمان.إلی قوله:الحيله

قوله: و لقد أصبحنا فی زمان. إلی قوله: الحيله.

أقول:إنّما اتّخذ أهل الزمان الغدر كيسا و نسبهم كثير إلی حسن الحيله لجهل الفريقين بثمره الغدر و لعدم تمييزهم بين الغدر و الكيس فإنّه لمّا كان الغدر كثيرا ما يستلزم الذكاء و الفطنه لوجه الحيله و ايقاعها بالمغدور به و كان الكيس أيضا عباره عن الفطانه و الذكاء وجوده الرأی فی استخراج وجوه المصالح الّتی تنبغی كانت بينهما مشاركه فی استلزام مفهوميها للتفطّن و الذكاء فی استخراج وجه الحيله و ايقاع الآراء

ص:۱۰۵

۱- (۱) ۲۰-۱۳

۲- (۲) ۱۰-۴۸

إلاّ أنّ تفطّن الغادر يستعمله فى استنباط الحيله و إن خالفت القوانين الشرعيّه و فاتت المصالح الكليّه فى جنب مصلحه جزئيّه تخصّه،و تفطّن الكيّس إنّما يستعمله فى ايقاع رأى أو حيله تنتظم مصلحه العالم و توافق القوانين الشرعيّه،و لدقّه الفرق بينهما استعمل الغادرون غدرهم فى موضع الكيس،و نسبهم أيضا الجاهلون فى غدرهم إلى حسن حيلتهم كما نسب ذلك إلى عمرو بن العاص و المغيره بن شعبه و نحوهما،و لم يعلموا أنّ حيله الغادر تخرجه إلى رذيله الفجور،و لا حسن فى حيله جرّت إلى رذيله .

و قوله:ما لهم قاتلهم اللّه قد يرى.إلى آخره.

كنايه و قوله: ما لهم قاتلهم اللّه قد يرى .إلى آخره.

دعاء عليهم بقتال اللّه لهم بعد استفهامه عن خوضهم فى أمره استفهاما على سبيل الإنكار،و قد علمت أن قتال اللّه كنايه عن عداوته و البعد عن رحمته،و ظاهر أنّ أهل الغدر بعداء عن رحمه اللّه ،ثمّ أردف ذلك الدعاء بالإشاره إلى أنّه لا فضيله لهم فيما يفتحزون به من الذكاء فى استنباط وجوه الحيله إذ كانت غايتهم الغدر و الخيانه فإنّ الحوّل القلّب فى الامور قد يرى وجه الحيله عيانا إلاّ أنّه يلاحظ فى العمل بها مانع من اللّه و نهيه عن ارتكابها لما يؤدّى إليه من ارتكاب الرذائل الموبقه فيتركها رأى عينه:أى حال ما هى مرئيّه له و بعد القدره عليها خوفا من اللّه تعالى.ثمّ يراها من لا يعتقد إثما فى حزم قواعد الدين فيبادر إليها حال إمكانها و ليس ذلك لفضيله بل الفضل فى الحقيقه لتاركها عن وازع الدين،و الإشاره بالحوّل القلّب إلى نفسه فإنّ شيمه الكريمه كانت كذلك.

۴۱-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

:أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ إِثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَ طُولُ الْأَمَلِ- فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ- وَ أَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِى الْآخِرَهَ- أَلَا وَ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ- فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَهٌ كَصُبَابَهِ الْإِنَاءِ- اصْطَبَّهَا صَابُّهَا- أَلَا وَ إِنَّ الْآخِرَهَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ- فَكُونُوا

مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَهِ وَ لاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا- فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَهِ- وَ إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَ لاَ حِسَابَ وَ غَداً حِسَابٌ وَ لاَ عَمَلَ

اللغه

أقول: حذّاء : خفيفه مسرعه لا يتغلّق أحد منهما بشيء .و الصبابه : بقيّه الماء فى الإناء .

المعنى

اشاره

و المقصود بهذا الفصل النهى عن الهوى و طول الأمل فى الدنيا فإنّهما من أشدّ أسباب الهلاك فكان الجلاء عنهما من أشدّ أسباب النجاه كما قال تعالى «فَأَمّا مَنْ طَغى وَ آثَرَ الْحَياهَ الدُّنْيا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِيَ الْمَأْوى» (۱)ثمّ التذكير بامور الآخره.

فاعلم أنّ الهوى هو ميل النفس الأمّاره بالسوء إلى مقتضى طباعها من اللذّات الدنيويّه إلى حدّ الخروج عن حدود الشريعه،و أمّا الأمل فقد سبق بيانه،و لمّا كانت السعاده التامّه إنّما هى فى مشاهده حضره الربوبيّه و مجاوره الملأ الأعلى «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» ،و كان اتّباع النفس الأمّاره بالسوء فى ميولها الطبيعيّه و الانهماك فى ملذّاتها الفانيه أشدّ مهلك جاذب للإنسان عن قصد الحقّ،و صادّ له عن سلوك سبيله و عن الترقّى فى ملكوت السماوات إلى حضيض جهنّم كما قال سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله و سلّم:

ثلاث مهلكات:شحّ مطاع،و هوى متّبع،و إعجاب المرء بنفسه،و كما قال:حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئه،و قال:الدنيا و الآخره ضرّتان بقدر ما يقرب من إحداهما يبعد من الاخرى.لا جرم كان أخوف ما ينبغى أن يخاف من الامور المهلكه اتّباع الهوى، و أمّا الأمل فمراده به أيضا الأمل لما لا ينبغى أن يمدّ الأمل فيه من المقتنيات الفانيه و ظاهر أنّ طول الأمل فيها يكون مطابقا لاتّباع الهوى و به يكون نسيان الآخره لأنّ طول توقّع الامور المحبوبه الدنيويّه يوجب دوام ملاحظتها،و دوام ملاحظتها مستلزم لدوام إعراض النفس عن ملاحظه أحوال الآخره و هو مستعقب لا نمحاء ما تصوّر فى

ص:۱۰۷

۱- (۱) ۳۷-۷۹

الذهن منها و ذلک معنى النسيان لها و بذلک يکون الهلاک الأبدىّ و الشقاء الأشقى، و لمّا کان عليه السّلام هو المتولّى لإصلاح حال الخلق فى امور معاشهم و معادهم کان الاهتمام بصلاحهم منوطا بهمّته العلّيه فلا جرم نسب الخوف عليهم إلى نفسه .

قوله:ألا و إنّ الدنيا قد ولّت.إلى قوله:صابّها.

استعاره قوله: ألا و إنّ الدنيا قد ولّت.إلى قوله:صابّها .

أقول:الدنيا بالنسبه إلى کلّ شخص مفارقه له و خفيفه سريعه الأجفال لم يبق منها بالقياس إليه إلّا اليسير،و إطلاق الصبابه هاهنا استعاره لبقيّتها القليله،و القلّه هى وجه تشبيهها بصبابه الإناء أيضا .

و قوله:ألا و إنّ الآخره قد أقبلت.

و قوله: ألا و إنّ الآخره قد أقبلت.

لمّا نبّه على أنّ الدنيا سريعه الأجفال أردف ذلک بالتنبيه على سرعه لحوق الآخره و إقبالها،و کلّ ذلک قطع للآمال الفانيه و ردع عن اتّباع الهوى.و من آثار الصالحين :إذا کان العمر فى إدبار و الموت فى إقبال فما أسرع الملتقى .و الموت هو دهليز الآخره .

و قوله:و لکلّ منهما بنون.إلى قوله:يوم القيامه

استعاره و قوله: و لکلّ منهما بنون.إلى قوله:يوم القيامه .

من لطائف کلامه.فاستعار لفظ الأبناء للخلق بالنسبه إلى الدنيا و الآخره،و لفظ الأب لهما،و وجه الاستعاره أنّ الابن لمّا کان من شأنه الميل إلى والده إمّا ميلا طبيعيّا أو بحسب تصوّر المنفعه منه.و کان الخلق منهم من يريد الدنيا.و منهم من يريد الآخره، و يميل کلّ منهما إلى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا للراغبين فيها ممّا يتوهّمونه لذّه و خيرا،و ما يحصل من طرف الآخره للراغبين فيها من اللذّه و السعاده أشبه کلّ بالنسبه إلى ما رغب فيه و استفاد منه الخير الابن بالنسبه إلى الأب.فاستعير لفظه لتلک المشابهه، و لمّا کان غرضه حثّ الخلق على السعى للآخره و الميل إليها و الإعراض عن الدنيا،قال عليه السّلام :فکونوا من أبناء الآخره و لا تکونوا من أبناء الدنيا ثمّ ذکر فايده رأيه عليهم بأن يکونوا کذلک.و هى أنّ کلّ ولد سيلحق بامّه يوم القيامه،و أشار:إلى أنّ أبناء الآخره و الطالبين لها و العاملين لأجلها مقرّبون فى الآخره لا حقوق لمراداتهم فيها،و لهم فيها ما تشتهى أنفسهم و لهم ما يدّعون «نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ» ،و أمّا أبناء الدنيا فانّ نفوسهم لمّا کانت مستغرقه فى محبّتها و ناسيه لطرف الآخره و معرضه عنها لا جرم

كانت يوم القيامه مغموره فى محبّه الباطل مغلوله بسلاسل السيئات البدنيّه و الملكات الرديئه المتمكّنه من جواهرها فهى لتعلّقها بمحبّه الدنيا حيث لا يتمكّن من محبوبها بمنزله ولد لا تعلّق له و لا مسكه إلّا بوالده و لا إلف له إلّا هو و لا انس إلّا معه،ثمّ حيل بينه و بينه مع شدّه تعلّقه به و شوقه إليه و اخذ إلى أضيق الأسجان،و بدّل بالعزّ الهوان فهو فى أشدّ و له و يتم و أعظم حسره و غمّ،و أمّا أبناء الآخره ففى حضانه أبيهم و نعيمه قد زال عنهم بؤس الغربه و شقاء اليتم و سوء الحضن.فمن الواجب إذن تعرّف أحوال الوالدين و اتّباع أبرّهما و أدومهما شفقه و أعظمهما بركه و ما هى إلّا الآخره فليكن ذو العقل من أبناء الآخره و ليكن برّا بوالده متوصّلا إليه بأقوى الأسباب و أمتنها .

و قوله:و إنّ اليوم عمل.إلى آخر.

استعاره مقابله و قوله: و إنّ اليوم عمل .إلى آخر.

كنّى باليوم عن مدّه الحياه و بعد عمّا بعد الموت،و راعى المقابله فقابل اليوم بالغد،و العمل بلا عمل،و لا حساب بالحساب .و اليوم:اسم إنّ،و عمل:قام مقام الخبر استعمالا للمضاف إليه مقام المضاف:أى و اليوم يوم العمل،و يحتمل أن يكون اسم إنّ ضمير الشأن،و اليوم عمل جمله من مبتدأ و خبر هى خبرها،و كذلك قوله: و غدا حساب و لا عمل ،و صدق هذين الحكمين ظاهر و فايدتهما التنبيه على وقتى العمل و عدمه ليبادروا إلى العمل الّذى به يكونون من أبناء الآخره فى وقت إمكانه قبل مجىء الغد الّذى هو وقت الحساب دون العمل،و باللّه التوفيق.

۴۲-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

و قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير ابن عبد اللّه البجلى إلى معاويه إِنَّ اسْتِعْدَادِی لِحَرْبِ أَهْلِ؟الشَّامِ؟ وَ؟جَرِيرٌ؟ عِنْدَهُمْ- إِغْلاَقٌ؟لِلشَّامِ؟ وَ صَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ- وَ لَكِنْ قَدْ وَقَّتُّ؟لِجَرِيرٍ؟ وَقْتاً لاَ يُقِيمُ بَعْدَهُ- إِلاَّ مَخْدُوعاً

أَوْ عَاصِیاً- وَ الرَّأْیُ عِنْدِی مَعَ الْأَنَاهِ فَأَرْوِدُوا- وَ لاَ أَکْرَهُ لَکُمُ الْإِعْدَادَ- وَ لَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَ عَیْنَهُ- وَ قَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَ بَطْنَهُ- فَلَمْ أَرَ لِی إِلاَّ الْقِتَالَ أَوِ الْکُفْرَ- إِنَّهُ قَدْ کَانَ عَلَی الْأُمَّهِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً- وَ أَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالاً فَقَالُوا- ثُمَّ نَقَمُوا فَغَیَّرُوا أقول:و قد کان فی ظنّ کثیر من الصحابه بعد ولایه علیّ علیه السّلام أنّ معاویه لا یطیع له بأمارات کثیره،و لذلک أشار علیه أصحابه و بعد إرسال جریر إلیه بالاستعداد لحربه،و روی أنّ جریرا لمّا أراد بعثه قال:و اللّه یا أمیر المؤمنین ما أدّخرک من نصرتی شیئا،و ما أطمع لک فی معاویه فقال علیه السّلام:قصدی حجّه أقمتها.ثمّ کتب معه:

أمّا بعد فإنّ بیعتی بالمدینه لزمتک و أنت بالشام لأنّه بایعنی القوم الّذین بایعوا أبا بکر و عمر و عثمان علی ما بایعوهم علیه فلم یکن للشاهد أن یختار و لا للغائب أن یردّ، و إنّما الشوری للمهاجرین و الأنصار إذا اجتمعوا علی رجل فسمّوه إماما کان ذلک رضا فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبه ردّوه إلی ما خرج منه فإن أبی قاتلوه علی اتّباع غیر سبیل المؤمنین و ولاّه اللّه ما تولّی و یصلیه جهنّم و ساءت مصیرا، و إنّ طلحه و الزبیر بایعانی ثمّ نقضا بیعتی فکان نقضهما کردّتهما فجاهدتهما علی ذلک حتّی جاء الحقّ و ظهر أمر اللّه و هم کارهون.فادخل فیما دخل فیه المسلمون فإنّ أحبّ الامور إلیّ فیک العافیه إلاّ أن تتعرّض للبلاء فإن تعرّضت له قاتلتک و استعنت باللّه علیک.و قد أکثرت فی قتله عثمان فادخل فیما دخل فیه الناس ثمّ حاکموا القوم إلیّ أحملک و إیّاهم علی کتاب اللّه فأمّا تلک الّتی تریدها فخدعه الصبیّ عن اللبن،و لعمری و إن نظرت بعقلک دون هواک لتجدنی أبرء قریش من دم عثمان،و اعلم أنّک من الطلقاء الّذین لا یتحلّی لهم الخلافه و لا یتعرّض فیهم الشوری،و قد أرسلت إلیک جریر بن عبد- اللّه و هو من أهل الایمان و الهجره فبایع و لا قوّه إلاّ باللّه.و ربّما جاء شیء من هذا الکتاب فی کتبه علیه السّلام إلی معاویه.فأجابه معاویه أمّا بعد فلعمری لو بایعک القوم

الّذين بايعوک و أنت بریء من دم عثمان کنت کأبی بکر و عمر و عثمان و لکنّک أغریت بعثمان و خذلت عنه الأنصار فأطاعک الجاهل و قوی بک الضعیف،و قد أبی أهل الشام إلاّ قتالک حتّی تدفع إلیهم قتله عثمان فإن فعلت کانت شوری بین المسلمین.و لعمری ما حجّتک علیّ کحجّتک علی طلحه و الزبیر لأنّهما بایعاک و لم ابایعک،و ما حجّتک علی أهل الشام کحجّتک علی أهل البصره لأنّهم أطاعوک و لم یطعک أهل الشام.فأمّا شرفک فی الإسلام و قرابتک من النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم و موضعک من قریش فلست أدفعه،و کتب فی آخر الکتاب قصیده کعب بن جمیل.

أری الشام تکره أهل العراق و أهل العراق لها کارهونا

و قد ذکرنا بعضها قبل،و یروی أنّ الکتاب الّذی کتبه علیه السّلام مع جریر کانت صورته:إنّی قد عزلتک ففوّض الأمر إلی جریر و السلام.و قال لجریر:صن نفسک عن خداعه فإن سلّم إلیک الأمر و توجّه إلیّ فاقم أنت بالشام،و إن تعلّل بشیء فارجع.

فلمّا عرض جریر الکتاب علی معاویه تعلّل بمشاوره أهل الشام و غیر ذلک فرجع جریر.

فکتب معاویه فی أثره علی ظهر کتاب علیّ علیه السّلام:من ولاّک حتّی تعزلنی و السلام.

اللغه

و أقول: الاستعداد : التهیّؤ للأمر .و الخداع : الأخذ بالحیله .و الأناه . الاسم من التأنّی و الرفق .و أرودوا : أمهلوا .و نقمت الأمر بفتح القاف : أنکرته .

المعنی

فقوله:إنّ استعدادی.إلی قوله:إن أرادوه .

فقوله: إنّ استعدادی .إلی قوله: إن أرادوه.

المراد أنّ أهل الشام فی زمان کون جریر عندهم هم فی مقام التروّی و التفکّر فی أیّ الأمرین یتّبعون.و إن لم یکن کلّهم فبعضهم کذلک فلو اعتدّ هو للحرب فی تلک الحال لبلغهم ذلک فاحتاجوا إلی الاستعداد أیضا و التأهّب للقائه فکان ذلک الاستعداد سببا لغلق الشام بالکلّیّه ،و صرفا لمن یکون فی ذهنه تردّد فی هذا الأمر أوفی قلبه اللحقوق به عمّا یرید و ذلک مناف للحزم.

و قوله:قد وقّت.إلی قوله:عاصیا .

و قوله: قد وقّت.إلی قوله:عاصیا.

أی قد وقّت له وقتا یصل إلینا فیه لا یتخلّف عنه إلاّ لأحد مانعین إمّا خداع فیهم له و مواعید مخلّفه بالجواب لیهیّؤوا امورهم فی تلک المدّه،و إمّا عصیان منه و مخالفه.

فإن قلت:حصر تخلّف جرير فى هذين المانعين غير صحيح لجواز أن يتخلّف لمرض أو موت أو غرض آخر.

قلت:إنّه عليه السّلام لم يقصد الحصر اليقينىّ و إنّما أراد الحصر بحسب غلبه الظنّ الناشىء من الأمارات و القرائن الحاليّه ثمّ كلامه عليه السّلام ليس فى الأسباب الاضطراريّه الّتى من قبل اللّه تعالى فإنّ ذلك أمر مفروغ منه لا يحسن ذكره،و أمّا الموانع الاختياريّه فأمّا منهم و غالب الظنّ هو الخداع،و أمّا منه و غالب الظنّ أنّه العصيان إذ لا يتصوّر من مثل جرير و قد أرسل فى مثل هذا الأمر المهمّ أن يعدل عنه إلى شغل اختيارىّ لنفسه أو لغيره إلاّ أن يكون عاصيا .

و قوله:و الرأى مع الأناه.

و قوله: و الرأى مع الأناه.

رأى حقّ أجمع الحكماء على صوابه فإنّ إصابه المطالب و الظفر بها فى الغالب إنّما هو مع التثبّت و التأنّى فى الطلب،و ذلك أنّ أناه الطالب هى مظنّه فكره فى الاهتداء إلى تلخيص الوجه الأليق و الأقيس و الأشمل للمصلحه فى تحصيل مطلوبه،و لذلك أكّد بعض الحكماء الأمر بالتأنّى بقوله:من لم يتثبّت فى الامور لم يعد مصيبا و إن أصاب.فالغرض و إن كان هو الإصابه إلاّ أنّها و إن حصلت من غير التأنّى كان مفرطا و ثمره التفريط غالبا الندامه و عدم الإصابه،و الإصابه منه نادره و النادر غير منتفع به و لا ملتفت إليه .

و قوله:فأرودوا و لا أكره لكم الإعداد.

و قوله: فأرودوا و لا أكره لكم الإعداد.

لمّا نبّههم على فضيله الأناه أمرهم بها و إن لم يأمرهم مطلقا بل نبّههم بقوله:

و لا أكره لكم الإعداد على امور ثلاثه:

أحدها:أنّه ينبغى لهم أن يكونوا على يقظه من هذا الأمر حتّى يكونوا حال إشارته إليهم قريبين من الاستعداد.

الثانى:أن لا يتوهّم أحد منهم فيه مداخله ضعف عن مفارقه أهل الشام فيداخلهم بسبب ذلك فشل و ضعف عزيمه.

الثالث:ذكر شارح ابن أبى الحديد هو أنّه عليه السّلام و إن كان كره الاستعداد

الظاهر إلاّ أنّ قوله: و لا أكره لكم الإعداد .تنبيه لهم على الاستعداد الباطن و التهيّؤ فى السرّ و ربما كان فرار الشارح بهذا الوجه ممّا يتوهّم تناقضا و هو كونه قد أشار بترك الاستعداد،ثمّ قال لأصحابه :و لا أكره لكم الإعداد ،و قد علمت أنّ تركه للاستعداد فى ذلك الوقت و اختياره تركه لا ينافى تنبيههم على عدم كراهيّته له ليكونوا منه على يقظه كما أو مأنا إليه .

و قوله:و لقد ضربت.إلى قوله:أو الكفر.

استعاره بالكنايه و قوله: و لقد ضربت.إلى قوله:أو الكفر.

أقول:استعار لفظ العين و الأنف و الظهر و البطن الّتى حقايق فى الحيوان لحاله مع معاويه فى أمر الخلافه و خلاف أهل الشام له استعاره على سبيل الكنايه.

فكنّى بالعين و الأنف عن المهمّ من هذا الأمر و خالصه فإنّ العين و الأنف أعزّ ما فى الوجه،و كنّى بالضرب بهما عن قصده للمهمّ منه على سبيل الاستعاره أيضا،و كنّى بلفظ الظهر و البطن لظاهر هذا الأمر و باطنه و وجوه الرأى فيه،و لفظ التقليب لتصفّح تلك الوجوه و عرضها على العقل واحدا واحدا .

قوله:فلم أر لى إلاّ القتال أو الكفر.

قوله: فلم أر لى إلاّ القتال أو الكفر.

تعيين لما اختاره بعد التقليب و التصفّح لوجوه المصلحه فى أمر مخالفيه و هو قتالهم، و نبّه على وجه اختياره له بقوله: أو الكفر :أى أنّ أحد الأمرين لازم إمّا القتال أو الكفر،و ذلك أنّه إن لم يختر القتال لزم تركه و تركه مستلزم للكفر لكن التزام الكفر منه محال فتعيّن اختياره للقتال،و مراده بالكفر الكفر الحقيقىّ فإنّه صرّح بمثله فيما قبل حيث يقول :و قد قلّبت هذا الأمر بطنه و ظهره حتّى منعنى القوم فما وجدتنى يسعنى إلاّ قتالهم أو الجحود بما جاء به محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

فإن قلت:ما وجه الحصر فى القتال و الجحود مع أنّ ترك القتال بدون الجحد ممكن.

قلت:بيانه من وجهين.

أحدهما:قال الشارحون:إنّ الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم كان قد أمره بقتال من خالفه، لقوله :امرت أن اقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين .فلو ترك قتالهم مع ما عليه أمر الإسلام من الخطر لكان قد خالف أمر الرسول و ظاهر أنّ مخالفه مثله عليه السّلام لأوامر

الرسول لا يتصوّر إلا عن عدم اعتقاد صحّتها و ذلک جحد به و کفر.

الثانی:یحتمل أن یکون قد تجوّز بلفظ الجحود فی التهاون بهذا الأمر تعظیما له فی نفوس السامعین و هو من المجازات الشائعه .

و قوله:إنّه قد کان.إلی آخره.

و قوله: إنّه قد کان .إلی آخره.

تنبیه علی وجه عذره عمّا نسبه إلیه معاویه و جعله سببا لعصیانه له و هو الطلب بدم عثمان و تهمته له بذلک،و أراد بالوالی عثمان.و الأحداث الّتی أحدثها هو ما نسب إلیه من الأمور الّتی أنکروها علیه کما سنذکرها .و أوجد الناس مقالا :أی جعل لهم بتلک الأحداث طریقا إلی القول علیه فقالوا ،ثمّ أنکروا ما فعل فعیّروه و أزالوه.فأمّا الأحداث المنقوله عنه فالمشهور منها بین أهل السیر عشره:

الاولی:تولیته امور المسلمین من لیس أهلا من الفسّاق مراعاه للقرابه دون حرمه الإسلام کالولید بن عقبه حتّی ظهر منه شرب الخمر،و سعید بن العاص حتّی ظهرت عنه الامور الّتی أخرجه أهل الکوفه منها بسببها،و عبد اللّه بن أبی سرح مع قوّه ظلمه و تظلّم المصریّین منه و هو الّذی اتّهمه المسلمون بمکاتبته بقتل محمّد بن أبی بکر،و نقل أنّهم ظفروا بالکتاب و لأجله عظم التظلّم و کثر الجمع و اشتدّ الحصار علیه.

الثانیه:ردّه للحکم بن أبی العاص إلی المدینه بعد طرد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم،و بعد امتناع أبی بکر و عمر من ردّه.فخالف فی ذلک سنّه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم و سیره الشیخین،و عمل بدعواه مجرّده من البیّنه.

الثالثه:أنّه کان یؤثر أهله بالأموال العظیمه من بیت المال من غیر استحقاق و ذلک فی صور:منها أنّه دفع إلی أربعه نفر من قریش زوّجهم بناته أربع مائه ألف دینار،و منها أنّه أعطی مروان مائه ألف دینار،و روی خمس إفریقیّه و ذلک مخالف لسنّه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم و من بعده من الخلفاء.

الرابعه:أنّه حمی الحمی عن المسلمین بعد تسویه الرسول بینهم فی الماء و الکلاء.

الخامسه:أنّه أعطی من بیت مال الصدقه المقاتله و غیرها و ذلک ممّا لا یجوز فی الدین.

السادسه:أنّه ضرب عبد اللّه بن مسعود-رضی اللّه عنه-و هو من أکبر الصحابه،

و علمائها حتّى كسر بعض أضلاعه و ذلك ظلم ظاهر.

السابعه:أنّه جمع الناس على قراءه زيد بن ثابت خاصّه و أحرق المصاحف و أبطل ما لا شكّ أنّه من القرآن المنزل و ذلك مخالفه للّه و للرسول و لمن بعده.

الثامنه:أنّه أقدم على عمّار بن ياسر-رحمه اللّه-بالضرب مع أنّه من أشرف الصحابه، و مع علمه بما قال الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:عمّار جلده ما بين عينيّ تقتله الفئه الباغيه لا أنالها اللّه شفاعتي.حتّى أصابه الفتق،و لذلك صار عمّار مظاهرا لبعض المتظلّمين منه على قتله،و روى أنّه كان يقول:قتلناه كافرا.

التاسعه:إقدامه على أبى ذر مع ثناء الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و صحبته له،و قوله فيه:ما أقلّت الغبراء و لا أظلّت الخضراء على ذى لهجه أصدق من أبى ذر.حتّى نفاه إلى الربذه العاشره:تعطيله الحدّ الواجب على عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب فإنّه قتل الهرمزان مسلما بمجرّد تهمته أنّه أمر أبا لؤلؤه بقتل أبيه ثمّ لم يقده به و قد كان علىّ عليه السّلام يطلبه بذلك.فهذه هى المطاعن المشهوره فيه.و قد أجاب الناصرون لعثمان عن هذه الأحداث بأجوبه مستحسنه و هى مذكوره فى المطوّلات من مظانّها و إنّما ذكرنا هذه الأحداث و أوردناها مختصره لتعلّق المتن بذكرها.

۴۳-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما هرب مصقله بن هبيره الشيبانى إلى معاويه،و كان قد ابتاع سبى بنى ناجيه من عامل أمير المؤمنين عليه السّلام و أعتقه،فلما طالبه بالمال خاس به و هرب إلى الشام:

قَبَّحَ اللّٰهُ؟مَصْقَلَهَ؟- فَعَلَ فِعْلَ السَّادَهِ وَ فَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ- فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ- وَ لاَ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ- وَ لَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ- وَ انْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ

أقول :مصقله هذا كان عاملا لعلىّ عليه السّلام على أردشير خرّه.و بنو ناجيه:قبيله نسبوا أنفسهم إلى سامه بن لوىّ بن غالب فدفعتهم قريش عن هذا النسب و سمّتهم بنى ناجيه و هى امّهم امرأه سامه،و أمّا سبب هربه إلى الشام فهو أنّ الحريث أحد بنى ناجيه كان قد شهد مع علىّ عليه السّلام صفّين ثمّ استهواه الشيطان فصار من الخوارج بسبب التحكيم،و خرج هو و أصحابه إلى المداين مفارقا لعلىّ عليه السّلام فوجّه إليهم معقل بن قيس فى ألفى فارس من أهل البصره و لم يزل يتبعهم بالعسكر بعد العسكر حتّى ألحقوهم بساحل فارس،و كان به جماعه كثيره من قوم الحريث و كان فيهم من أسلم عن النصرانيّه فلمّا رأوا ذلك الاختلاف ارتدّوا و اجتمعوا عليه فزحف إليهم معقل بمن معه فقتل الحريث و جماعه منهم و سبا من كان أدرك فيهم من الرجال و النساء،و نظر فيهم فمن كان مسلما أخذ بيعته و خلّى سبيله و احتمل الباقين من النصارى و عيالهم معه و كانوا خمسمائه نفر حتّى مرّوا بمصقله فاستغاث إليه الرجال و النساء و مجّدوه و طلبوا منه أن يعتقهم فأقسم ليتصدّقن عليهم بذلك ثمّ بعث إلى معقل بن قيس فابتاعهم منه بخمسمائه ألف درهم ثمّ وعده أن يحمل المال فى أوقات مخصوصه فلمّا قدم معقل على علىّ عليه السّلام و أخبره القصّه شكر سعيه و انتظر المال من يد مصقله فابطأ به فكتب إليه باستعجاله أو بقدومه عليه فلمّا قرأ كتابه قدم عليه و هو بالكوفه فاقراه أيّاما ثمّ طالبه بالمال فأدّى منه مائتى ألف درهم و عجز عن الباقى و خاف فلحق بمعاويه فبلغ عليّا عليه السّلام فقال الفصل.و لنرجع إلى المتن.

اللغه

قبحه اللّه : أى نحّاه عن الخير .و التبكيت : كالتقريع و اللائمه .و الوفور : مصدر وفر المال أى نما و زاد،و يروى موفوره .

المعنى

و مقصوده عليه السّلام بعد أن قدّم الدعاء على مصقله بيان خطأه فإنّه أشار إلى جهه الخطأ و هى جمعه بين أمرين متنافيين فى العرف:و هما فعل الساده و ذى المروّه و الحميّه حيث اشترى القوم و اعتقهم ،مع الفرار الّذى هو شيمه العبيد.ثمّ أكّد عليه السّلام ذلك بمثلين.

أحدهما :ما أنطق مادحه حتّى أسكته،و يفهم منه معنيان.

أحدهما:أن يكون حتّى بمعنى اللام:أى إنّه لم ينطق مادحه حتّى يقصد إسكاته بهربه فإنّ إسكات المادح لا يتصوّر قصده لو قصد إلّا بعد إنطاقه و هو لم يتمّم فعله

ص:۱۱۶

الّذى يطلب به إنطاق مادحه بمدحه من الكرم و الحميّه و الرقّه و نحوها،فكأنّه قصد إسكات مادحه بهروبه فأزوى عليه ذلك،و قال:إنّه لم ينطقه بمدحه فكيف يقصد إسكاته بهروبه،و إن كان العاقل لا يتصوّر منه قصد إسكات مادحه عن مدحه إلاّ أنّه لاختياره الهروب المستلزم لإسكات المادح صار كالقاصد له فنسب إليه.

الثانى:أن يكون المراد أنّه قد جمع بين غايتين متنافيتين:إنطاقه لمادحه بفداء للأسرى،مع إسكاته بهربه قبل تمام إنطاقه.و هو وصف له بسرعه إلحاقه لفضيلته برذيلته حتّى كأنّه قصد الجمع بينهما،و هذا كما تقول فى وصف سرعه تفرّق الأحباب عن اجتماعهم:ما اجتمعوا حتّى افترقوا:أى لسرعه افتراقهم كأنّ الدهر قد جمع لهم بين الاجتماع و الافتراق.

الثانى:قوله: و لا صدّق واصفه حتّى بكّته.

و المفهوم منه كالمفهوم من الّذى قبله.

قوله : و لو أقام .إلى آخره.

لمّا أشار إلى خطأه أردفه بما يصلح جوابا لما عساه يكون عذرا له لو اعتذر و هو توهّمه التشديد عليه فى أمر الباقى من المال حتّى كان ذلك الوهم سبب هزيمته،و فى بعض الروايات:لو أقام لأخذنا منه ما قدر عليه فإن أعسر أنظرناه فإن عجز لم نأخذ بشيء.و الأوّل هو المشهور.و باللّه التوفيق.

۴۴-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

اَلْحَمْـدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ- وَ لاَـ مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ- وَ لاَـ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ- وَ لاَ مُسْـتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ- الَّذِى لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَهٌ- وَ لاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَهٌ- وَ الدُّنْيَا دَارٌ مُنِىَ لَهَا الْفَنَاءُ- وَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلاَءُ- وَ هِىَ حُلْوَهٌ خَضِرَهٌ- وَ قَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ- وَ الْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ- فَارْتَحِلُوا مِنْهَا

ص:۱۱۷

بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكَمْ مِنَ الزَّادِ- وَ لاَ تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ- وَ لاَ تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلاَغِ أقول:هذا الفصل ملتقط من خطبه طويله له عليه السّلام خطب بها يوم الفطر.و هو غير متّسق بل بين قوله: نعمه ،و قوله: و الدنيا .فصل طويل.و هذه الخطبه تنتظم الفصل المتقدّم،و هو قوله :أمّا بعد فإنّ الدنيا قد أدبرت و هو فيها بعد هذا الفصل و لم نذكرها كراهه التطويل،و لنعد إلى الشرح فنقول:

اللغه

القنوط . اليأس .و الاستنكاف : الاستكبار .و منى لها :أى قدر .و الجلاء بالفتح و المدّ : الخروج عن الوطن .و التبست : امتزجت .و الكفاف : ما كفّ عن الناس أى أغنى عنهم من المال .و البلاغ : ما بلغ مدّه الحياه منه و كفى .

المعنى

و أعلم أنّه نبّه على استحقاق اللّه تعالى للحمد و دوامه باعتبار ملاحظه ستّه أحوال :

فأشار إلى الحاله الاولى بقوله: غير مقنوط من رحمته مقرّرا لقوله تعالى «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» (۱)و لقوله «لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ» (۲)و هذه الحال ممّا يشهد بإثباتها العقل إذ كان العبد عند أخذ العنايه الإلهيّه بضبعيه يعلم استناد جميع الموجودات كلّيها و جزئيها إلى مدبّر حكيم،و أنّه ليس شيء منها خاليا عن حكمه فيستليح من ذلك أنّ ايجاده له و أخذ العهد إليه بالعباده ليس إلاّ لينجذب إلى موطنه الأصليّ و مبدئه الأوّلى بالتوحيد المحقّق و الحمد المطلق عن نار اجّجت و جحيم سعّرت، «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ» ،ف «لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ» عند نزول أمر واجب النزول به ممّا يعدّه شرّا بل يكون برجائه أوثق و قلبه بشموله العنايه له أعلق ف «إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ» الّذين عميت أبصار بصائرهم عن أسرار اللّه،فهم «فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ» «وَ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ» .

و أشار إلى الحاله الثانيه بقوله : و لا مخلوّ من نعمته .تقريرا لقوله تعالى «وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَهٍ» فسبوغ نعمته دائم لآثار قدرته الّتى استلزمت طبائعها الحاجه إليه فوجب لها

۱- (۱) ۷-۵۵

۲- (۲) ۱۲-۸۷

فیض جوده فاستلزم ذلک وجوب تصریحها بلسان حالها و مقالها بالثناء المطلق علیه و دوام الشکر له «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» .

و أشار إلی الحاله الثالثه بقوله : و لا مأیوس من مغفرته .تقریرا لقوله تعالی «يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ» (۱)الآیه و هی شهاده بشمول ستره و جمیل عفوه و غفره لمن جذبت بعقله أیدی شیاطینه لتحطّه إلی مهاوی الهلاک فعجز عن مقاومتها بعد أن کانت له مسکه بجناب اللّه فضعفت تلک المسکه عن أن تکون منجاه له حال مجاذبته لهواه و إن کان ذلک الغفران متفاوتا بحسب قوّه تلک المسکه و ضعفها،و العقل ممّا یؤیّد ذلک و یحکم بصحّه هذه الشهاده فإنّ کلّ ذی علاقه بجناب اللّه سیخلص من العقاب و إن بعد خلاصه علی ما نطق به البرهان فی موضعه، و ذلک یستلزم الاعتراف بالإحسان و دوام الثناء و الحمد.

ثمّ أشار إلی الرابعه بقوله : و لا مستنکف عن عبادته تقریرا لقوله تعالی لا یستنکفون عن عبادته و لا یستکبرون!! و قوله «لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّهِ وَ لاَ الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ» الآیه و کونه تعالی غیر مستنکف عن عبادته شاهد عظیم علی کمال عظمته و أنّه المستحقّ للعباده دون ما عداه إذ هو المجتمع للکمال المطلق فلا جهه نقصان فیه إلیها یشار فیکون سببا للاستنکاف و الاستکبار.و غیر،مع محالّ السلوب الثلاثه بعدها منصوبات علی الحال.

و قوله : الّذی لا تبرح فیه رحمه و لا تفقد له نعمه.

اعتباران آخران یستلزمان فی ملاحظتهما وجوب شکره تعالی.و نبّه بقوله:

لا تبرح علی دوام رحمه اللّه لعباده ،و قوله: لا تفقد له نعمه کقوله: و لا مخلوّ من نعمته ،ثمّ أعقب ذلک بالتنبیه علی معایب الدنیا للتنفیر عنها فذکر وجوب الفناء لها ثمّ حذّر بذکر العیب الأکبر لها الّذی ترغب مع ذکره و ملاحظته من له أدنی بصیره عن الرکون إلیها و محبّه قیناتها و هو مفارقتها الواجبه و الجلاء عنها،ثمّ أردف ذلک بذکر جهتین من جهات المیل إلیها :

۱- ۱) ۳۹-۵۴

إحداهما منسوبه إلى القوّه الذائقه و هى حلاوتها،و الاخرى إلى القوّه الباصره و هى خضرتها. مجاز بالكنايه و إطلاق لفظيهما مجاز كنّى به عن جهات الميل إليها من باب إطلاق لفظ الجزء على الكلّ .و ايراده لهذين الوصفين اللذين هما و صفا مدح فى معرض ذمّها كتقدير اعتراض على ذمّها لغرض أن يجيب عنه،و لهذا عقّب ذكرهما بما يصلح جوابا و بيّنه على ما يصرف عن الميل إليها من هاتين الجهتين و هو كونها معجّله للطالب.إذ كان من شأن المعجّل أن ينتفع به فى حال تعجيله دون ما بعده خصوصا فى حقّ من أحبّ ذلك المعجّل و لم يلتفت إلى ما سواه.و الدنيا كذلك كما أشار إليه بقوله : و التبست بقلب الناظر ، و إنّما خصّ الناظر لتقدّم ذكر الخضره الّتى هى من حظّ النظر فمن عجّلت له منحه و التبست بقلبه و كان لا بدّ من مفارقتها لم ينتفع بما بعدها بل بقى فى عذاب الفراق منكوسا و فى ظلمه الوحشه محبوسا،و إليه أشار التنزيل الإلهىّ «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً» (1)ثمّ لمّا نبّه على معايبها أمر بالارتحال عنها و لم يأمر به مطلقا بل لا بدّ معه من استصحاب أحسن الأزواد إذ كانت الطريق المأمور بسلوكها فى غايه الوعاره مع طولها و قصر المدّه الّتى يتّخذ فيها الزاد فلا ينفع إذن إلّا التقوى الأبقى الّذى لا يتطرّق إليه فناء.و لا تفهمن-أعدّك اللّه لافاضه رحمته-من هذا الارتحال الحسّى الحاصل لك من بعضها إلى بعض،و لا من الزاد المأكول الحيوانىّ فإنّ أحسن ما يحضرنا منه ربّما كان منهيّا عنه،بل المأمور به ارتحال آخر يتبيّنه من تصوّر سلوك طريق الآخره.فإنّك لمّا علمت أنّ الغايه من التكاليف البشريّه هى الوصول إلى حضره اللّه و مشاهده جلال كبريائه علمت من ذلك أنّ الطريق إلى هذا المطلوب هى آثار جوده و شواهد آلائه و أنّ القاطع لمراحل تلك الطريق و منازلها هو قدم عقلك مقتديا بأعلامها الواضحه كلّما نزل منها منزلا أعدّته المعرفه به لاستلاحه أعلام منزل آخر أعلى و أكرم منه كما قال تعالى «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ» إلى أن يستقرّ «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» ،و إذا تصوّرت معنى الارتحال و قد علمت أنّ لكلّ ارتحال و سفر زادا علمت أنّ أكرم الزاد و أحسنه فى هذا الطريق

1- 1) ١٩-١٧

ليس إلاّ التقوى و الأعمال الصالحه الّتى هى غذاء للعقول و مادّه حياتها،و إليه الإشاره بقوله «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» و أشار بقوله: ما بحضرتكم .إلى ما يمكننا أن نأتى به من الأعمال الصالحه فى حياتنا الدنيا،ثمّ عقّب الأمر باتّخاذ الزاد بالنهى عن طلب الزياده على ما يقوّم به صوره البدن من متاع الدنيا إذ كان البدن بمنزله مركوب تقطع به النفس مراحل طريقها فالزياده على المحتاج إليه ممّا يحوج الراكب إلى الاهتمام به و العنايه بحفظه المستلزم لمحبّته.و كلّ ذلك مثقل للظهر و مشغل عن الجهه المقصوده.

و ذلك معنى قوله : و لا تسألوا منها فوق الكفاف،و لا تطلبوا منها أكثر من البلاغ، و لا تمدّن أعينكم فيها إلى ما متّع المترفون فتقصروا فى الرحيل و تشغلوا بطلب مثل ما شاهدتم، و باللّه التوفيق.

۴۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

عند عزمه على المسير إلى الشام

اَللَّهُمَّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ- وَ کَآبَهِ الْمُنْقَلَبِ وَ سُوءِ الْمَنْظَرِ- فِی الْأَهْلِ وَ الْمَالِ وَ الْوَلَدِ- اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِی السَّفَرِ- وَ أَنْتَ الْخَلِيفَهُ فِی الْأَهْلِ- وَ لاَ يَجْمَعُهُمَا غَيْرُکَ- لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لاَ يَکُونُ مُسْتَصْحَباً- وَ الْمُسْتَصْحَبُ لاَ يَکُونُ مُسْتَخْلَفاً
أقول:روى:أنّه عليه السّلام دعا هذا الدعاء عند وضعه رجله فى الركاب متوجّها إلى حرب معاويه.

اللغه

و وعثاء السفر مشقّته،و أصله المكان ب لكثره رمله،و غوص الأرجل فيه .

و الكابه : الحزن .

المعنى

يشتمل هذا الفصل على اللجأ إلى اللّه فى خلاص طريقه المتوجّه فيها بدءا و عودا

ص:۱۲۱

من الموانع الصارفه عن تمام المقصود،و فى سلامه الأحوال المهمّه الّتى تتعلّق النفس بها عن المشتغلات البدنيّه المعوّقه عن عباده اللّه.و أعظمها أحوال النفس،ثمّ ما يصحبها من أهل و مال و ولد .ثمّ عقّب ذلك بالإقرار بشمول عنايته و جميل رعايته و صحبته تقريرا لقوله تعالى «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ» إذ شأن الصاحب العنايه بامور صاحبه،و شأن الخليفه على الشىء العنايه بذلك و حفظه ممّا يوجب له ضررا،و استلزم جمعه له بين هذين الحكمين و هما الخلافه و الاستصحاب بقوله : و لا يجمعهما غيرك .كونه تعالى بريئا عن الجهه و الجسميّه إذ كان اجتماعهما ممتنعا للأجسام.إذ لا يكون جسم مستصحبا مستخلفا فى حال واحد، و أكّد ذلك و بيّنه بقوله : لأنّ المستخلف لا يكون مستصحبا،و المستصحب لا يكون مستخلفا فإن قلت:هذا الحصر إنّما يتمّ لو قلنا:إنّ كلّ ما ليس بذى جهه هو واجب الوجود.و هذا مذهب خاصّ.فما وجه صحّته مطلقا؟.

قلت:الحصر صادق على كلّ تقدير فإنّه على تقدير ثبوت امور مجرّده عن الجسميّه و الجهه سوى الحقّ سبحانه فالمستحقّ للجمع بين هذين الأمرين بالذات و الأولى هو اللّه تعالى،و ما سواه فبالعرض.فيحمل الحصر على ذلك الاستحقاق.

و لنبحث عن فايده الدعاء و سبب إجابته فإنّه ربما تعرض لبعض الأذهان شبهه فيقول:

إمّا أن يكون المطلوب بالدعاء معاوم الوقوع للّه أو معلوم اللاوقوع.و على التقديرين لا فايده فى الدعاء لأنّ ما علم اللّه وقوعه وجب و ما علم عدمه امتنع.فنقول فى الجواب عن هذا الوهم:إنّ كلّ كاين فاسد موقوف فى كونه و فساده على شرائط توجد و أسباب تعدّ لأحدهما لا يمكن بدونها كما علمت ذلك فى مظانّه.و إذا جاز ذلك فلعلّ الدعاء من شرائط ما يطلب به.و هما و إن كانا معلومى الوقوع للّه و هو سببهما و علّتهما الاولى إلاّ أنّه هو الّذى ربط أحدهما بالآخر فجعل سبب وجود ذلك الشىء الدعاء كما جعل سبب صحّه المريض شرب الدواء و ما لم يشرب الدواء لم يصحّ.و أمّا سبب إجابته فقال العلماء:هو توافى الأسباب.و هو أن يتوافى سبب دعاء رجل مثلا فيما يدعو فيه و ساير أسباب وجود ذلك الشىء معا عن البارى تعالى،لحكمه إلهيّه على ما قدّر و قضى.ثمّ الدعاء واجب،و توقّع الإجابه واجب.فإنّ انبعاثنا للدعاء سببه من هناك و يصير

دعانا سببا للإجابه.و موافاه الدعاء لحدوث الأمر المدعوّ لأجله هما معلولا علّه واحده، و قد يكون أحدهما بواسطه الآخر،و قد يتوهّم أنّ السماويّات تنفعل عن الأرضيّه، و ذلك أنّا ندعو فيستجاب لنا.و ذلك باطل لأنّ المعلول لا يفعل فى علّته البتّه.و إذا لم يستجب الدعاء لداع و إن كان يرى أنّ العايه الّتى يدعو لأجابتها نافعه فالسبب فى عدم الإجابه أنّ الغايه النافعه ربّما لا تكون نافعه بحسب مراده بل بحسب نظام الكلّ فلذلك تتأخّر إجابه دعائه أو لا يستجاب له،و بالجمله يكون عدم الإجابه لفوات شرط من شروط ذلك المطلوب حال الدعاء.

و أعلم أنّ النفس الزكيّه عند الدعاء قد يفيض عليها من الأوّل قوّه تصير بها مؤثّره فى العناصر فتطاوعها متصرّفه على إرادتها فيكون ذلك إجابه للدعاء فإنّ العناصر موضوعه لفعل.النفس فيها.و اعتبار ذلك فى أبداننا فإنّا ربّما تخيّلنا شيئا فتتغيّر أبداننا بحسب ما يقتضيه أحوال نفوسنا و تخيّلاتها،و قد يمكن أن تؤثّر النفس فى غير بدنها كما تؤثّر فى بدنها،و قد تؤثّر فى نفس غيرها،و قد أشرنا إلى ذلك فى المقدّمات.

و قد يستجيب اللّه لتلك النفس إذا دعت فيما تدعو فيه إذا كانت الغايه الّتى تطلبها بالدعاء نافعه بحسب نظام الكلّ،و باللّه التوفيق.

۴۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذكر الكوفه

كَأَنِّى بِكِ يَا؟كُوفَهُ؟ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ- تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ- وَ تُرْكَبِينَ بِالزَّلاَزِلِ- وَ إِنِّى لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً- إِلاَّ ابْتَلاَهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَ رَمَاهُ بِقَاتِلٍ

اللغه

أقول: عكاظ بالضمّ : اسم موضع بناحيه مكّه كانت العرب تجتمع به فى كلّ

سنه و يقيمون به سوقا مدّه شهر،و يتبايعون و يتناشدون الأشعار،و يتفاخرون.و فى ذلک قول أبى ذويب:

إذا بنى القباب على عكاظ و قام البيع و اجتمع الالوف.

فلمّا جاء الإسلام رفع ذلک،و أديم عكاظىّ منسوب إليها لكثره ما كان يباع منه بها .و الأديم : واحد و جمعه أدم،و ربّما جمع على آدمه كرغيف و أرغفه .و العرک .

الدلک .و النوازل : المصائب

المعنى

و الخطاب هنا لشاهد حال المدينه الّتى هى الكوفه.و بک هو خبر كأنّ،و تمدّين و تعركين و تركبين فى موضع النصب على الحال،و تقدير الخطاب كأنّى حاضر بک و مشاهد لحالک المستقبله حال تجاذب أيدى الظالمين لأهلک بأنواع الظلم،و هو المكنّى عنه بمدّها.و شبّه ذلک بمدّ الأديم،و وجه الشبه شدّه ما يقع بهم من الظلم و البلاء كما أنّ الأديم مستحكم الدباغ يكون شديد المدّ. استعاره بالكنايه و استعار العرک ملاحظه لذلک الشبه،و لفظ الركوب ملاحظه لشبهها بشقىّ المطايا و كذلک لفظ الزلازل ملاحظه لشبهها فيما يقع لهم من الظلم الموجب لاضطراب الحال بالأرض ذات الزلازل .ثمّ أشار إلى مشاهده ثانيه لما يقع لمن أراد بهم سوء و أوقع بهم ما أوقع من البلاء فأشار إلى كونهم جبابره ثمّ إلى ابتلاء اللّه بعضهم بشاغل فى نفسه عمّا يريد من سوء أو يهمّ به من حادث خراب و رمى بعضهم بقاتل.فأمّا المصائب الّتى ابتلى بها أهل الكوفه و النوازل الّتى عركوا بها فكثيره مشهوره فى كتب التواريخ،و أمّا الجبابره الّتى أرادوا بها سوءا و طغوا فيها «فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ عَذابٍ» و أخذهم «بِذُنُوبِهِمْ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ واقٍ» فجماعه فممّن ابتلى بشاغل فيها زياد.روى أنّه كان قد جمع الناس فى المسجد ليأمرهم بسبّ علىّ عليه السّلام و البراءه منه و يبتليهم بذلک فيقتل من يعصيه فيه فبيناهم مجتمعين إذ خرج حاجبه فأمرهم بالانصراف،و قال:إنّ الأمير مشغول عنكم و كان فى تلک الساعه قد رمى(أصاب خ)بالفالج،و منهم ابنه عبد اللّه و قد أصابه الجذام،و منهم الحجّاج.و قد تولّدت فى بطنه الحيّات و احترق دبره حتّى هلک،و منهم عمرو بن هبيره و ابنه يوسف و قد أصابهما البرص،و منهم خالد القسرىّ و قد ضرب و حبس حتّى مات جوعا،و أمّا الّذين رماهم اللّه بقاتل فعبيد اللّه بن زياد،

و مصعب بن الزبير،و المختار بن أبى عبيده الثقفىّ،و يزيد بن المهلّب.و أحوالهم مشهوره من رامها طالع التاريخ.

۴۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

عند المسير إلى الشام

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَ غَسَقَ- وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لاَحَ نَجْمٌ وَ خَفَقَ- وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَ لاَ مُكَافَإِ الْإِفْضَالِ- أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي- وَ أَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي- وَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْفَهَ إِلَى شِرْذِمَهٍ مِنْكُمْ- مُوَطِّنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَهَ- فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ- وَ أَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّهِ لَكُمْ قال الشريف:أقول:يعنى عليه السّلام بالملطاط السمت الذى أمرهم بنزوله و هو شاطى الفرات،و يقال ذلك الشاطىء البحر،و أصله ما استوى من الأرض.و يعنى بالنطفه ماء الفرات.و هو من غريب العبارات و أعجبها أقول:روى أنّ هذه الخطبه خطب بها عليه السّلام و هو بالنخيله خارجا من الكوفه متوجّها إلى صفّين لخمس بقين من شوال سنه سبع ثلاثين

اللغه

وقب الليل : دخل .و غسق : أظلم .و خفق النجم : غاب .و مقدّمه الجيش:

أوّله .و الشرذمه : النفر اليسير .و الأكناف : النواحى . وطن البقعه و استوطنها :

اتّخذها وطنا .و الأمداد : جمع مدد،و هو ما يمدّ به الجيش من الجند .

المعنى

و اعلم أنّه قيّد حمد اللّه باعتبار تكرّر وقتين و دوام حالين.و المقصود و إن كان دوام الحمد للّه إلاّ أنّ فى التقييد بالقيود المذكوره فوايد :

الأوّل:قوله: كلّما وقب ليل و غسق .فيه تنبيه على كمال قدره اللّه تعالى فى تعاقب الليل و النهار و استحقاقه دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الامتنان .

الثانى:قوله: كلّما لاح نجم و خفق .فيه تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب و غروبها من الحكمه و كمال النعمه كما سبقت الإشاره إليه .

الثالث: الحمد لله حال كونه غير مفقود الإنعام .و قد تكرّرت الإشاره إلى فائده هذا القيد .

الرابع:كونه غير مكافىء الإفضال.و فايدته التنبيه على أنّ إفضاله لا يمكن أن يقابل بجزاء.إذ كانت القدره على الحمد و الثناء نعمه ثانيه.و قد سبق بيان ذلك أيضا .

فأمّا قوله: أمّا بعد .إلى آخره.

فخلاصته أنّه عليه السّلام لمّا أراد التوجّه إلى صفّين بعث زياد بن النصر و شريح بن هانى فى اثنى عشر ألف فارس مقدّمه له و أمرهم أن يلزموا شاطىء الفرات فأخذوا شاطئها من قبل البرّ ممّا يلى الكوفه حتّى بلغوا عانات.فذلك معنى أمره لهم بلزوم الملطاط و هو سمت شاطىء الفرات،و أمّا هو عليه السّلام فلمّا خرج من الكوفه انتهى إلى المدائن فحذّرهم و وعظهم ثمّ سار عنهم و خلّف عليهم عدىّ بن حاتم فاستخلص منهم ثمان مائه رجل فسار بهم و خلّف معهم ابنه زيدا فلحقه فى أربعمائه رجل منهم فذلك قوله : و قد رأيت[أردت خ]أن أقطع هذه النطفه :أى الفرات إلى شرذمه منكم موطنين أكناف دجله و هم أهل المدائن.فأمّا المقدّمه فإنّه لمّا بلغهم أنّه عليه السّلام ساق على طريق الجزيره و أنّ معاويه خرج فى جموعه لاستقباله كرهوا أن يلقوهم و بينهم و بين علىّ عليه السّلام الفرات مع قلّه عددهم فرجعوا حتّى عبروا الفرات من هيت و لحقوا به فصوّب آرائهم فى الرجوع إليه.و باقى الكلام ظاهر.

۴۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی» بَطَنَ خَفِیّاتِ الْأُمُورِ- وَ دَلَّتْ عَلَیْهِ أَعْلاَمُ الظُّهُورِ-

وَ امْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ- فَلاَ عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ- وَ لاَ قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ- سَبَقَ فِی الْعُلُوِّ فَلاَ شَیْءَ أَعْلَی مِنْهُ- وَ قَرُبَ فِی الدُّنُوِّ فَلاَ شَیْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ- فَلاَ اسْتِعْلاَؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَیْءٍ مِنْ خَلْقِهِ- وَ لاَ قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِی الْمَکَانِ بِهِ- لَمْ یُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَی تَحْدِیدِ صِفَتِهِ- وَ لَمْ یَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ- فَهُوَ الَّذِی تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ الْوُجُودِ- عَلَی إِقْرَارِ قَلْبِ ذِی الْجُحُودِ- تَعَالَی اللَّهُ عَمَّا یَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ- وَ الْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً کَبِیراً

اللغه

أقول: یقال بطنت الوادی : دخلته .و بطنت الأمر : علمت باطنه

.و فی هذا الفصل

اشاره

مباحث جلیله من العلم الإلهیّ و جمله من صفات الربوبیّه :

أوّلها:کونه تعالی بطن خفیّات الامور

و یفهم منه معنیان:

أحدهما:کونه داخلا فی جمله الامور الخفیّه،و لمّا کان بواطن الامور الخفیّه أخفی من ظواهرها کان المفهوم من کونها بطنها أنّه أخفی منها عند العقول.

الثانی:أن یکون المعنی أنّه نفذ علمه فی بواطن خفیّات الامور أمّا المعنی الأوّل فبرهانه أنّک علمت أنّ الإدراک إمّا حسیّ أو عقلیّ،و لمّا کان الباری تعالی مقدّسا عن الجسمیّه منزّها عن الوضع و الجهه استحال أن یدرکه شیء من الحواسّ الظاهره و الباطنه،و لمّا کانت ذاته بریئه عن أنحاء الترکیب استحال أن یکون للعقل اطّلاع علیها بالکنه فخفاؤه إذن علی جمیع الإدراکات ظاهر،و کونه أخفی الامور الخفیّه واضح.

و أمّا الثانی:فقد سبق منّا بیان أنّه عالم الخفیّات و السرائر .

و ثانیها:کونه تعالی قد دلّت علیه أعلام الظهور

، استعاره بالکنایه و کنّی بأعلام الظهور عن آیاته و آثاره فی العالم الدالّه علی وجوده الظاهر فی کلّ صوره منها کما قال:

و فی کلّ شیء له آیه تدلّ علی أنّه واحد.

و هی کنایه بالمستعار،و وجه المشابهه ما بینهما من الاشتراک فی الهدایه.و إلی هذا

الأعلام الإشاره بقوله تعالى «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (۱).

و أعلم أنّ هذا الطريق من الاستدلال هى طريق الملّيين و سائر فرق المتكلّمين فإنّهم يستدلّون أوّلا على حدوث الأجسام و الأعراض،ثمّ يستدلّون بحدوثها و تغيّراتها على وجود الخالق،ثمّ بالنظر فى أحوال المخلوقات على صفاته واحده واحده.مثلا بإحكامها و إتقانها على كون فاعلها عالما حكيما.و بتخصيص بعضها بأمر ليس للآخر على كونه مريدا.و نحو ذلك،و كذلك الحكماء الطبيّعيّون يستدلّون أيضا بوجود الحركه على محرّك،و بامتناع اتّصال المتحرّكات لا إلى أوّل على وجود محرّك أوّل غير متحرّك،ثمّ يستدلّون من ذلك على وجود مبدء أوّل،و أمّا الإلهيّون فلهم فى الاستدلال طريق آخر و هو أنّهم ينظرون أوّلا فى مطلق الوجود أ هو واجب أو ممكن،و يستدلّون من ذلك على إثبات واجب،ثمّ بالنظر فى لوازم الوجوب من الوحده الحقيقيّه على نفى الكثره بوجه ما المستلزمه لعدم الجسميّه و العرضيّه و الجهه و غيرها،ثمّ يستدلّون بصفاته على على كيفيّه صدور أفعاله عنه واحدا بعد آخر،و ظاهر أنّ هذا الطريق أجلّ و أشرف من الطريق الاولى،و ذلك لأنّ الاستدلال بالعلّه على المعلول أولى البراهين بإعطاء اليقين لكون العلم بالعلّه المعيّنه مستلزما للعلم بالمعلول المعيّن من غير عكس.و لمّا كان صدر الآيه المذكوره إشاره إلى الطريقه الاولى فتمامها إشاره إلى هذه الطريقه و هو قوله تعالى «أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» قال بعض العلماء:و إنّه طريق الصدّيقين الّذين يستشهدون به لا عليه:أى يستدلّون بوجوده على وجود كلّ شيء إذ هو منه،و لا يستدلّون عليه بوجود شيء،بل هو أظهر وجودا من كلّ شيء فإن خفى مع ظهوره فلشدّه ظهوره،و ظهوره سبب بطونه،و نوره هو حجاب نوره إذ كلّ ذرّه من ذرّات مبدعاته و مكوّناته فلها عدّه ألسنه تشهد بوجوده و بالحاجه إلى تدبيره و قدرته.

لا يخالف شيء من الموجودات شيئا فى تلك الشهادات و لا يتخصّص أحدها بعدم الحاجات، و قد ضرب العلماء الشمس مثلا لنوره فى شدّه ظهوره فقالوا:إنّ أظهر الإدراكات الّتى

۱- ۱) ۴۱-۵۳

یساعد علیها الوهم إدراکات الحواسّ،و أظهرها إدراک البصر و أظهر مدرک للبصر نور الشمس المشرق علی الأجسام،و قد اشکل ذلک علی جماعه حتّی قالوا:الأشیاء الملوّنه لیس فیها إلاّ ألوانها فقط من سواد و نحوه فأمّا أنّ فیها مع ذلک ضوء یقارن اللون فلا.

فإذن ارید تنبیه هؤلاء علی سهوهم.فطریقه التنبیه بالتفرقه الّتی یجدونها بین غیبه الشمس باللیل و احتجابها عن الملوّنات،و بین حضورها بالنهار و إشراقها علیها مع بقاء الألوان فی الحالین.فإنّ التفرقه بین المستضیء بها و بین المظلم المحجوب عنها جلیّه ظاهره فیعرف وجود النور إذن بعدمه.و لو فرضت الشمس دائمه الإشراق علی الجسم الملوّن لا تغیب عنه لتعذّر علی هؤلاء معرفه کون النور شیئا موجودا زایدا علی الألوان مع أنّه أظهر الأشیاء و به ظهورها،و لو تصوّر للّه تعالی و تقدّس عدم أو غیبه لانهدمت السماوات و الأرض،و کلّ ما انقطع نوره عنه لادرکت التفرقه بین الحالین و علم وجوده قطعا،و لکن لمّا کانت الأشیاء کلّها فی الشهاده به متّفقه،و الأحوال کلّها علی نسق واحد مطّرده متّسقه کان ذلک سببا لخفائه.فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره و خفی علیهم بشدّه ظهوره .

ثالثها:إشاره إلی سلوب توجب ملاحظه ترکیبها تعظیمه تعالی.

أحدها:کونه ممتنعا علی عین البصیر:أی لا یصحّ أن یدرک بحاسّه البصر.

و صدق هذا السلب ظاهر بدلیل.هکذا الباری تعالی هو غیر جسم و غیر ذی وضع، و کلّ ما کان کذلک فیمتنع رؤیته بحاسّه البصر فینتج أنّه تعالی ممتنع الرؤیه بحاسّه البصر.و المقدّمه الاولی استدلالیّه،و الثانیه ضروریّه،و ربّما استدلّ علیها.و المسأله مستقصاه فی الکلام.و إلی ذلک أشار القرآن الکریم «لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصارَ» (۱)و ثانیها:قوله : فلا عین من لم یره تنکره :أی إنّه سبحانه مع کون البصر لا یدرکه بحاسّه بصره لا ینکره من جهه أنّه لا یبصره.إذ کانت فطرته شاهده بظهور وجوده فی جمیع آثاره و مع ذلک لیس له سبیل إلی إنکاره من جهه عدم إبصاره إذ کان حظّ العین

۱- ۱) ۶-۱۰۳

أن يدرک بها ما صحّ إدراکه.فأمّا أن ینفی بها ما لا یدرک من جهتها فلا.

و ثالثها:قوله: و لا ـ قلب من أثبته یبصره :أی من أثبته مع کونه مثبتا له بقلب لا یبصره،و إنّما أکّد علیه السّلام بهذین السلبین الأخیرین لأنّهما یشتملان عند الوهم فی مبدء سماعها علی منافات و کذب إلی أن یقهره العقل علی التصدیق بهما فکأنّ الوهم یقول فی جواب قوله: فلا عین من لم یره تنکره :کیف لا تنکر العین شیئا لا تراه،و فی جواب السلب الثانی:کیف یثبت بالقلب ما لم یبصر.فلمّا کان فی صدق هذین السلبین إزعاج لأوهام السامعین مفرغ لهم إلی ملاحظه جلال اللّه و تنزیهه و عظمته عمّا لا یجوز علیه کان ذکرهما من أحسن الذکر،و یحتمل أن یرید بقوله: و لا قلب من أثبته یبصره :أی إنّه و إن أثبته من جهه وجوده فیستحیل أن یحیط به علما .

و رابعها:کونه تعالی قد سبق فی العلوّ فلا شیء أعلی منه،

و تقریره أنّ العلوّ یقال بالاشتراک علی معان ثلاثه:

الأوّل:العلوّ الحسّی المکانیّ کارتفاع بعض الأجسام علی بعض.

الثانی:العلوّ التخیّلی کما یقال للملک الإنسانیّ:إنّه أعلی الناس:أی أعلاهم فی الرتبه المتخیّله کمالا.

الثالث:العلوّ العقلیّ کما یقال فی بعض الکمالات العقلیّه الّتی بعضها أعلی من بعض،و کما یقال:السبب أعلی من المسبّب.

إذا عرفت ذلک فنقول:یستحیل أن یکون علوّه تعالی بالمعنی الأوّل لاستحاله کونه فی المکان،و یستحیل أن یکون بالمعنی الثانی لتنزّهه سبحانه عن الکمالات الخیالیّه الّتی یصدق بها العلوّ الخیالیّ إذ هی کمالات إضافیّه تتغیّر و تتبدّل بحسب الأشخاص و الأوقات،و قد یکون کمالات عند بعض الناس و نقصانات عند آخرین کدول الدنیا بالنسبه إلی العالم الزاهد،و یتطرّق إلیه الزیاده و النقصان و لا شیء من کمال الأوّل الواجب سبحانه کذلک لتنزّهه عن النقصان و التغیّر بوجه ما.فبقی أن یکون علوّه علوّا عقلیّا مطلقا بمعنی أنّه لا ـ رتبه فوق رتبته بل جمیع المراتب العقلیّه منحطّه عنه.و بیان ذلک أنّ أعلی مراتب الکمال العقلیّ هو مرتبه العلّیّه،و لمّا کانت

ذاته المقدّسه هی مبدء کلّ موجود حسّی و عقلیّ و علّته التامّه المطلقه لا یتصوّر النقصان فیها بوجه ما لا جرم کانت مرتبته أعلی المراتب العقلیّه مطلقا،و له الفوق المطلق فی الوجود العاری عن الإضافه إلی شیء و عن إمکان أن یکون فوقه ما هو أعلی منه.و ذلک معنی قوله: سبق فی العلوّ فلا شیء أعلی منه ،فسبقه فی علوّه تفرّده فی العلوّ المطلق و فواته لغیره أن یلحقه فیه .

و خامسها:قربه فی الدنوّ فلا شیء أدنی منه

.و قد أورد علیه السّلام القرب هاهنا مقابلا للبعد اللازم عن السبق فی العلوّ فإنّه مستلزم للبعد عن الغیر فیه،و أورد الدنوّ مقابلا للعلوّ،و کما علمت أنّ العلوّ یقال علی المعانی الثلاثه المذکوره بحسب الاشتراک فکذلک الدنوّ یقال علی معان ثلاثه مقابله لها.فیقال مکان فلان أدنی من مکان فلان إذا کان أسفل منه.و إن کان یقال بمعنی القرب أیضا،و یقال رتبه الملک الفلانیّ أدنی من رتبه السلطان الفلانیّ إذا کان فی مرتبته أقلّ منه،و یقال رتبه المعلول أدنی من رتبه علّته.

و یقال علی معنی رابع فیقال فلان أدنی إلی فلان و أقرب إلیه إذا کان خصّیصا به مطّلعا علی أحواله أکثر من غیره،و الباری تعالی منزّه عن أن یراد بدنوّه أحد المفهومات الثلاثه الاول بل المراد هو المفهوم الرابع فقربه فی دنوّه إذن بحسب علمه الّذی «لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّهٍ» «فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرَ» ،و بهذا الاعتبار هو أقرب کلّ قریب و أدنی کلّ دانی کما قال تعالی «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِیدِ» و هو أدنی إلی العبد من نفسه إذ نفس کلّ إنسان لا تعرف نفسها،و هو سبحانه العالم بها الموجد لها فهو إذن القریب فی دنوّه الّذی لا شیء أقرب منه،و إنّما أورده بلفظ الدنوّ لتحصل المقابله فتنزعج النفوس السلیمه عند إنکار الوهم لاجتماع القرب و البعد و العلوّ و الدنوّ فی شیء واحد إلی توهّم[تفهّم خ]،المقاصد بها و تطّلع علی عظمه الحقّ سبحانه منها.

و قوله : فلا استعلاؤه باعده من شیء من خلقه،و لا قربه ساواهم فی المکان به.

تأکید لردّ الأحکام الوهمیّه بالأحکام العقلیّه فإنّ الوهم یحکم بأنّ ما استعلی علی الأشیاء کان بعده عنها بقدر علوّه علیها.و ما قرب منها فقد ساواها فی أمکنتها،

ص:۱۳۱

و ذلک لکونه مقصورا لحکم علی المحسوسات،و نحن لمّا بیّنا أنّ علوّه علی خلقه و قربه منهم لیس علوّا و قربا مکانیّین بل بمعان اخری لا جرم لم یکن استعلاؤه بذلک المعنی علی مخلوقاته مباعدا له عن شیء منها و لم یکن منافیا لقربه بالمعنی الّذی ذکرناه بل کان الاستعلاء و القرب مجتمعین له،و لم یکن قربه منها أیضا موجبا لمساواته لها فی المکان عنادا للوهم و ردّا لأحکامه الفاسده فی صفات الجلال و نعوت الکمال .

و سادسها:کونه لم تطّلع العقول علی تحدید صفته و لم یحجبها عن واجب

معرفته.

و یفهم من صفته معنیان:أحدهما شرح حقیقه ذاته،و الثانی شرح ما لها من صفات الکمال المطلق.و ظاهر أنّ العقول لم تطّلع علی حصر صفته و تحدیدها بالمعنی الأوّل إذ لا حدّ لحقیقته،و لا بالمعنی الثانی أیضا إذ لیس لما یعتبره العقول من کماله سبحانه نهایه یقف عندها فتکون حدّا له،و أمّا أنّه سبحانه مع ذلک لم یحجبها عن و أحب معرفته فلأنّه تعالی وهب لکلّ نفس قسطا من معرفته هو الواجب لها بحسب استعدادها لقبوله حتّی نفوس الجاحدین له فإنّها أیضا معترفه بوجوده لشهاده أعلام الوجود و آیات الصنع له علی نفس کلّ جاحد بصدورها عنه بحیث یحکم صریح عقلها و بدیهتها بالحاجه لما یشاهده من تلک الآیات إلی صانع حکیم فهو الّذی تشهد له أعلام الوجود علی إقرار قلب کلّ من جحده بأنّ جحده له إنّما هو رأی اتّبع فیه وهمه مع إقرار قلبه بالتصدیق به و شهاده آیات الصنع و شواهد الآثار علی صحّه ذلک الإقرار.

و اعلم أنّ الجحود علی نوعین:أحدهما جحود تشبیه إذا المشبّهون للّه بخلقه و إن اختلفوا فی کیفیّه التشبیه بأسرهم جاحدون له فی الحقیقه.و ذلک أنّ المعنی الّذی یتصوّرونه و یبتّونه إلها لیس هو نفس الإله مع أنّهم ینفون ما سوی ذلک فکانوا نافین للإله الحقّ فی المعنی الّذی یتصوّرونه،و الثانی جحود من لم یثبت صانعا.و کلا الفریقین جاحد له من وجه،مثبت له من وجه.أمّا المشبّهون فمثبتون له صریحا جاحدون له لزوما،و أمّا الآخرون فبالعکس إذ کانوا جاحدین له صریحا من الجهه الّتی تثبته العقلاء بها و مقرّون به التزاما و اضطرارا،و لذلک نزّهه علیه السّلام علی أحوال الفریقین فقال علیه السّلام :تعالی اللّه عمّا یقول المشبّهون به و الجاحدون له علوّا کبیرا ،و حکی أنّ زندیقا دخل علی

الصادق جعفر بن محمّد علیهما السّلام فسأله عن دلیل إثبات الصانع فأعرض علیه السّلام عنه،ثمّ التفت إلیه،و سأله من أین أقبلت و ما قصّتک.فقال الزندیق:إنّی کنت مسافرا فی البحر فعصفت علینا الریح ذات یوم و تلعّبت بنا الأمواج من کلّ جانب فانکسرت سفینتنا فتعلّقت بخشبه منها و لم تزل الأمواج تقلّبها حتّی قذفت بها إلی الساحل و سلمت علیها.فقال له علیه السّلام:أرأیت الّذی کان قلبک إذا تکسّرت السفینه و تلاطمت علیکم أمواج البحر فزعا إلیه مخلصا فی التضرّع له طالبا للنجاه منه فهو إلهک،فاعترف الزندیق بذلک و حسن اعتقاده.و بالجمله فاتّفاق العقول علی الشهاده بوجود الصانع سبحانه أمر ظاهر و إن خالطها غواشی الأوهام و إلیه الإشاره بقوله «وَ إِذا مَسَّکُمُ الضُّرُّ فِی الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّ إِیّاهُ فَلَمّا نَجّاکُمْ إِلَی الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ کانَ الْإِنْسانُ کَفُوراً» (۱)و قوله تعالی «حَتّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَهٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتْها رِیحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ کُلِّ مَکانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِیطَ بِهِمْ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ لَئِنْ أَنْجَیْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَکُونَنَّ مِنَ الشّاکِرِینَ فَلَمّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ یَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ» (۲)و باللّه التوفیق.

۴۹-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَ أَحْکَامٌ تُبْتَدَعُ- یُخَالَفُ فِیهَا کِتَابُ اللَّهِ- وَ یَتَوَلَّی عَلَیْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَی غَیْرِ دِینِ اللَّهِ- فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ- لَمْ یَخْفَ عَلَی الْمُرْتَادِینَ- وَ لَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ- انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِینَ- وَ لَکِنْ یُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَیُمْزَجَانِ- فَهُنَالِکَ یَسْتَوْلِی الشَّیْطَانُ عَلَی أَوْلِیَائِهِ- وَ یَنْجُو «إِنَّ الَّذِینَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنی»

۱- ۱) ۶۹-۱۷

۲- ۲) ۲۲-۱۰

اللغه

أقول: المرتاد : الطالب .و الضغث : القبضه من الحشيش .

المعنى

و اعلم أنّ مبدء وقوع الفتن المؤدّيه إلى خراب العالم و فساده إنّما هو اتّباع الهوى و الآراء الباطله و الأحكام المبتدعه الخارجه عن أوامر اللّه،و ذلك أنّ المقصود من بعثه الرسل و وضع الشريعه إنّما هو نظام أحوال الخلق فى أمر معاشهم و معادهم فكان كلّ رأى ابتدع أو هوى اتّبع خارجا عن كتاب اللّه و سنّه رسوله سببا لوقوع الفتنه و تبدّد نظام الموجود فى هذا العالم.و ذلك كأهواء البغاه و آراء الخوارج و نحوها.

و قوله : فلو أنّ الباطل خلّص من مزاج الحقّ. إلى آخره.

إشاره إلى أسباب تلك الآراء الفاسده.و مدار تلك الأسباب على امتزاج المقدّمات الحقّه بالباطله فى الحجج الّتى يستعملها المبطلون فى استعلام المجهولات فبيّن أنّ السبب هو ذلك الامتزاج بشرطيّتين متّصلتين.

إحداهما:قوله: فلو أنّ الباطل خلّص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين.

و وجه الملازمه فى هذه المتّصله ظاهر فإنّ مقدّمات الشبهه إذا كانت كلّها باطله أدرك طالب الحقّ وجه فسادها بأدنى سعى و لم يخف عليه بطلانها،و أمّا استثناء نقيض تاليها فلأنّه لمّا خفى وجه البطلان فيها على طالب الحقّ لم يكن الباطل فيها خالصا من مزاج الحقّ فكان ذلك هو سبب الغلط و اتّباع الباطل لأنّ النتيجه تتبع أخسّ المقدّمتين.

و الثانيه:قوله : و لو أنّ الحقّ خلّص من[لبس خ]الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين ،و وجه الملازمه أيضا كما مرّ:أى إنّ مقدّمات الحجّه الّتى استعملها المبطلون لو كانت كلّها حقّه مرتّبه ترتيبا حقّا لكانت النتيجه حقّا تنقطع ألسنتهم عن العناد فيه و المخالفه له.و قد حذف عليه السّلام كبرى هذين القياسين لأنّهما قياسا ضمير كما سبق،ثمّ أتى بالنتيجه أو ما فى معناها و هو استعاره قوله : و لكن يؤخذ من هذا ضغث،و من هذا ضغث :أى من الحقّ و الباطل فيمزجان،و لفظ الضغث مستعار،و مقصوده بذلك التصريح بلزوم الآراء الباطله و الأهواء المبتدعه لمزج الحقّ بالباطل.و لذلك قال :

و هنا لك يستولى الشيطان على أوليائه :أى إنّه يزيّن لهم اتّباع الأهواء و الأحكام الخارجه عن كتاب اللّه بسبب إغوائهم عن تمييز الحقّ من الباطل فيما سلكوه من الشبهه

و ينجو الّذين سبقت لهم منّا الحسنى:أى من أخذت عنايه اللّه بأيديهم فى ظلمات الشبهات فقادتهم فيها بإضافه نور الهدايه عليهم إلى تميّز الحقّ من الباطل و أولئك هم عن النار مبعدون

۵۰-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما غلب أصحاب معاويه أصحابه عليه السّلام على شريعه الفرات بصفين و منعوهم الماء قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ- فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّهٍ وَ تَأْخِيرِ مَحَلَّهٍ- أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ- فَالْمَوْتُ فِی حَیَاتِکُمْ مَقْهُورِینَ- وَ الْحَیَاهُ فِی مَوْتِکُمْ قَاهِرِینَ- أَلَا وَ إِنَّ؟مُعَاوِیَهَ؟ قَادَ لُمَهً مِنَ الْغُوَاهِ- وَ عَمَّسَ عَلَیْهِمُ الْخَبَرَ- حَتَّی جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِیَّهِ

اللغه

أقول: اللمه بالتخفيف : الجماعه القليله .و عمس بالتخفيف و التشديد : عمّى و ابهم،و منه عمس الليل أظلم .و المحلّه : المنزله .

و فى الفصل لطائف .

الاولى:قوله:قد استطعموكم القتال.

استعاره استعار لفظ الاستطعام لتحرّشهم بالقتال فى منعهم للماء.و وجه الاستعاره استسهالهم للقتال و طلبهم له بمنع الماء الّذى هو فى الحقيقه أقوى جذبا للقتال من طلب المأكول بالأقوال.

و لأنّهم لمّا حازوا الماء أشبهوا فى ذلك من طلب الطعام له،و لمّا استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال تعيّن أن يشبه ما طلبوا إطعامه .

الثانيه:قوله:فأقرّوا على مذلّه،و تأخير محلّه.إلى قوله:الماء.

أمر لهم بأحد لازمين عن منعهم الماء و استطعامهم القتال:إمّا ترك القتال، أو إيقاعه.و إنّما أورد الكلام بصوره التخيير بين هذين اللازمين و إن لم يكن مراده إلاّ القتال لعلمه بأنّهم لا يختارون ترك القتال مع ما يلزم من الإقرار بالعجز و المذلّه

و الاستسلام للعدوّ و تأخير المنزله عن رتبه أهل الشرف و الشجاعه،و إنّما أورد الوصفين اللازمين لترك القتال.و هما الإقرار على المذلّه و على تأخير المحلّه لينفّر بهما عنه و يظهره لهم فی صوره كريهه،و إنّما جعل الریّ من الماء الّذی هو مشتهی أصحابه فی ذلك الوقت لازما لترويتهم السيوف من الدماء الّتی يلزمها القتال ليريهم القتال فی صوره محبوبه تميل طباعهم إليها.و نسبه الترویّ إلی السيوف نسبه مجازيّه .

الثالثه:

مجاز قوله: فالموت فی حياتكم مقهورين،و الحياه فی موتكم قاهرين.

من لطائف الكلام و محاسنه و هو جذب إلی القتال بأبلغ ما يكن من البلاغه فجذبهم إليه بتصويره لهم أنّ الغايه الّتی عساهم يفرّون من القتال خوفا منها و هی الموت موجوده فی الغايه الّتی عساهم يطلبونها من ترك القتال و هی الحياه البدنيّه حال كونهم مقهورين.و تجوّز بلفظ الموت فی الشدائد و الأهواء الّتی تلحقهم من عدوّهم لو قهرهم و هی عند العاقل أشدّ بكثير من موت البدن و أقوی مقاساه فإنّ المذلّه و سقوط المنزله و الهضم و الاستنقاص عند ذی اللبّ موتات متعاقبه،و يحتمل أن يكون مجازا فی ترك عباده اللّه بالجهاد فإنّه موت للنفس و عدم لحياتها برضوان اللّه،و كذلك جذبه لهم أنّ الغايه الّتی تفرّون إليها بترك القتال و هی الحياه موجوده فی الغايه الّتی تفرّون منها و هی الموت البدنیّ حال كونهم قاهرين أمّا فی الدنيا فمن وجهين:أحدهما الذكر الباقی الجميل الّذی لا يموت و لا يفنی.الثانی أنّ طيب حياتهم الدنيا إنّما يكون بنظام أحوالهم بوجود الإمام العادل و بقاء الشريعه كما هی،و ذلك إنّما يكون بإلقاء أنفسهم فی غمرات الحرب محافظه علی الدين و موت بعضهم فيها. و لفظ الموت مهمل تصدق نسبته إلی الكلّ و إن وجد فی البعض،و أمّا فی الآخره فالبقاء الأبدی بالمحافظه علی وظائف اللّه و الحياه التامّه فی جنّات عدن كما قال تعالی «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِی سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (۱)و فی القرينتين الاولیين السجع المتوازی و فی اللتين بعدهما السجع المطرف،و فی اللتين بعدهما المقابله .

الرابعه:قوله:ألا و إنّ معاويه.

ص:۱۳۶

۱- ۱) ۳-۱۶۳

ذکر للعدوّ برذیلتین،و لأصحابه برذیلتین أمّا الأولیان فکونه قائد غواه،و کونه قد لبّس علیهم الحقّ بالباطل و أراهم الباطل فی صوره الحقّ،و أمّا الاخریان لکونهم غواتا عن الحقّ،و کونهم قد انقادوا للباطل عن شبهه حتّی صار جهلهم مرکّبه، و الغرض من ذلک التنفیر عنهم، استعاره بالکنایه و قوله: حتّی جعلوا نحورهم أغراض المنیّه غایه لأصحاب معاویه من تلبیسه الحقّ علیهم.و کنّی بذلک عن تصدیّهم للموت،و لفظ الغرض مستعار لنحورهم،و وجه المشابهه جعلهم لنحورهم بصدد أن تصیبها سهام المنیّه من الطعن و الضرب و الذبح و وجوه القتل فأشبهت ما ینصبه الرامی هدفا.و هی استعاره بالکنایه کأنّه حاول أن یستعیر للمنیّه لفظ الرامی .و باللّه التوفیق.

۵۱-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

أَلاَ وَ إِنَّ الدُّنْیَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَ آذَنَتْ بِانْقِضَاءٍ- وَ تَنَکَّرَ مَعْرُوفُهَا وَ أَدْبَرَتْ حَذَّاءَ- فَهِیَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُکَّانَهَا- وَ تَحْدُو بِالْمَوْتِ جِیرَانَهَا- وَ قَدْ أَمَرَّ فِیهَا مَا کَانَ حُلْواً- وَ کَدِرَ مِنْهَا مَا کَانَ صَفْواً- فَلَمْ یَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ سَمَلَهٌ کَسَمَلِهِ الْإِدَاوَهِ- أَوْ جُرْعَهٌ کَجُرْعَهِ الْمَقْلَهِ- لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْیَانُ لَمْ یَنْقَعْ- فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللَّهِ- الرَّحِیلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَی أَهْلِهَا الزَّوَالُ- وَ لاَ یَغْلِبَنَّکُمْ فِیهَا الْأَمَلُ- وَ لاَ یَطُولَنَّ عَلَیْکُمْ فِیهَا الْأَمَدُ- فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِینَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ- وَ دَعَوْتُمْ بِهَدِیلِ الْحَمَامِ- وَ جَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِی الرُّهْبَانِ- وَ خَرَجْتُمْ إِلَی اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلاَدِ- الْتِمَاسَ الْقُرْبَهِ إِلَیْهِ فِی ارْتِفَاعِ دَرَجَهٍ عِنْدَهُ- أَوْ غُفْرَانِ سَیِّئَهٍ أَحْصَتْهَا کُتُبُهُ- وَ حَفِظَتْهَا رُسُلُهُ لَکَانَ قَلِیلاً فِیمَا أَرْجُو لَکُمْ

ص:۱۳۷

مِنْ ثَوَابِهِ- وَ أَخَافُ عَلَيْكَمْ مِنْ عِقَابِهِ- وَ اللَّهِ لَوِ انْمَاثَتْ قُلُوبُكَمُ انْمِيَاثاً- وَ سَالَتْ عُيُونُكَمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً- ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا- مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ- وَ لَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ- أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ الْعِظَامَ- وَ هُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ

اللغه

أقول: آذنت : أعلمت .و تنكّر معروفها : جهل .و حذّاء : سريعه خفيفه،و يروى بالجيم:أى مقطوعه الخبر و العلاقه .و الحفز : السوق الحثيث.و الحفز أيضا الطعن ، و السمله بفتح الميم : البقيّه من الماء فى الإناء .و المقله بفتح الميم و سكون القاف : حصاه يقسم بها الماء عند قلّته يعرف بها بها مقدار ما يسقى كلّ شخص .و التمزّز : تمصّص الشراب قليلا قليلا .و الصديان : العطشان .و نقع ينقع : أى سكن عطشه .و أزمعت الأمر و أزمعت عليه : أى ثبت عزمى على فعله .و المقدور : المقدّر الّذى لا بدّ من كونه .و الأمد : الغايه .و الولّه العجال : جمع واله و عجول،و هما من الإبل النوق تفقد أولادها .و هديل الحمامه:

نوحها .و الجوار : الصوت المرتفع .و التبتّل : الانقطاع إلى اللّه بإخلاص النّيه .و انماث الشىء : تحلّل و ذاب .

و اعلم أنّ مدار هذا الفصل على امور ثلاثه:

اشاره

أحدها:التنفير عن الدنيا و التحذير منها و النهى عن تأميلها و الأمر بالرحيل عنها.

الثاني:التنبيه على عظيم ثواب اللّه و ما ينبغى أن يرجى منه و يلتفت إليه و يقصد بالرحيل بالنسبه إلى ما الناس فيه ممّا يتوهّم خيرا فى الدنيا ثمّ على عظيم عقابه و ما ينبغى أن يخاف منه.

الثالث:التنبيه على عظمه نعمه على الخلق،و أنّه لا يمكن جزاءها بأبلغ المساعى و أكثر الاجتهاد .

أمّا الأوّل: التنفير عن الدنيا و التحذير منها

فأشار بقوله: الا و إنّ الدنيا قد تصرمّت.إلى قوله:فيها الأمد.

و قد علمت أن تصرّمها هو تقضّى أحوالها الحاضره شيئا فشيئا بالنسبه إلى من

ص:۱۳۸

وجد فيها فى كلّ حين،و أنّ إذنها بالانقضاء هو إعلامها بلسان حالها لأذهان المعتبرين أنّها لا تبقى لأحد ،فأمّا تنكّر معروفها:فمعناه تغيّره و تبدّله،و مثاله أنّ الإنسان إذا أصاب لذّه من لذّات الدنيا كصحّه أو أمن أو جاه و نحوه أنس إليه و توهّم بقاءه له و كان ذلك معروفها الّذى أسدته إليه و عرفه و ألفه منها،ثمّ إنّه عن قليل يزول و يتبدّل بضدّه فيصير بعد أن كان معروفا مجهولا.و تكون الدنيا كصديق تنكّر فى صداقته و مزّجها بعداوته.

استعاره و قوله : و أدبرت حذّاء.

أى ولّت حال ما لا تعلّق لأحد بشىء منها مسرعه،و استعار لفظ الإدبار لانتقال خيراتها عمّن انتقلت عنه بموته أو غير ذلك من وجوه زوالها ملاحظه لشبهها بملك أعرض عن بعض رعيّته برفده و ماله و برّه.

استعاره بالكنايه قوله : فهى تحفز بالفناء سكّانها و تحدو بالموت جيرانها.

استعار لها وصفى السائق و الحادى استعاره بالكنايه.و وجه المشابهه كونهم قاطعين لمدّه العمر بالفناء و الموت فهى مصاحبته لهم بذلك كما يصحب السائق و الحادى للإبل بالسوق و الحداء،و إن اريد بالحفز الطعن فيكون قد تجوّز بنسبته إلى البلاء ملاحظه لشبه مصائب الدنيا بالرماح،و كذلك استعار لفظ الفناء و الموت لآله السوق و الحداء و نزّلهما منزله الحقيقه.و وجه المشابهه كون الموت هو السبب فى انتقال الإنسان إلى دار الآخره كما أنّ الصوت و السوط مثلا للذين هما آلتا الحداء و السوق هما اللذان بهما يحصل انتقال الإبل من موضع إلى موضع.

و قوله : و قد أمرّ منها ما كان حلوا،و كدر منها ما كان صفوا.

كقوله: و تنكّر معروفها :أى إنّ الامور الّتى تقع لذيذه فيها و يجدها الإنسان فى بعض أوقاته صافيه حلوه خاليه عن كدورات الأمراض و مراره التنغيص بالعوارض الكريهه هى فى معرض التغيّر و التبدّل بالمراره و الكدر فما من شخص يخاطبه بما ذكر إلّا و يصدق عليه أنّه قد عرضت له من تلك اللذّات ما استعقب صفوها كدرا و حلاوتها مراره إمّا من شباب يتبدّل بكبر،أو غنى بفقر،أو عزّ بذلّ،أو صحّه بسقم.

استعاره و قوله : فلم يبق منها إلا سمله.إلى قوله:لم ينقع.

تقليل و تحقير لما بقى منها لكلّ شخص شخص من الناس فإنّ بقائها له على حسب بقائه فيها،و بقاء كلّ شخص فيها يسير و وقته قصير.و استعار لفظ السمله لبقيّتها، و شبّها ببقيّه الماء فى الإداوه،و بجرعه المقله،و وجه الشبه ما أشار بقوله: لو تمزّزها الصديان لم ينقع :أى كما أنّ العطشان الواجد لبقيّه الإداوه و الجرعه لو تمصّصها لم ينقع عطشه كذلك طالب الدنيا المتعطّش إليها الواجد لبقيّه عمره و لليسير من الاستمتاع فيه بلذّات الدنيا لا يشفى ذلك غليله و لا يسكن عطشه منها،فالأولى إذن تعويد النفس بالفطام عن شهواتها.

و قوله : فأزمعوا عباد اللّه الرحيل عن هذه الدار.

أمر لهم بعد تحقيرها و التنفير عنها بالإزماع،و تصميم العزم على الرحيل عنها بالالتفات إلى اللّه و الإقبال على قطع عقبات الطريق إليه و هو الرحيل عن الدنيا.

و قوله : المقدور على أهلها الزوال.

تذكير بما لا بدّ من مفارقتها لتخفّ الرغبه فيها ثمّ أعقب ذلك بالنهى عن متابعه الأمل فى لذّاتها فإنّه ينسى الآخره كما سبقت الإشاره إليه،و ذكر لفظ المغالبه تذكير بالأنفه و استثاره للحميّه من نفوسهم ثمّ بالنهى عن توهّم طول مدّه الحياه و استبعاد الغايه الّتى هى الموت فإنّ ذلك يقسى القلب فيورث الغفله عن ذكر اللّه كما قال تعالى «فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ » (۱).

و أمّا الثانى:فهو التنبيه على عظيم ثواب اللّه و عقابه.

فاعلم أنّه لمّا حقّر الدنيا،و حذّر منها،و أمر بالارتحال عنها.أشار بعد ذلك إلى ما ينبغى أن يعظّم و يلتفت إليه و يرجى و يخشى،و هو ثواب اللّه و عقابه،فأشار إلى تعظيمها بتحقير الأسباب و الوسائل الّتى يعتمد عليها العباد و هى غايات جهدهم بالنسبه إلى ما ينبغى أن يرجى من ثوابه و يخشى من عقابه و تلك الأسباب من شدّه الحنين و الوله إلى اللّه و الدعاء المستمرّ و التضرّع المشبه بتبتّل الرهبان.هذا فى طرف العباده.

۱- ۱) ۱۵-۵۷

و إنّما خصّ التشبيه بمتبّلى الرهبان لشـهرتهم بشدّه التضرّع،و كذلك الخروج إلى من الأموال:و الأولاد و هو أشدّ الزهد،و رتّب ذلك فى صوره متصّله مقدّمها قوله :

و لو حننتم إلى قوله:رسله ،و تاليها قوله : لكان ذلك قليلا.إلى قوله:من عقابه. و التماس:

مفعول له.و خلاـصه هـذا المقصـود بـوجيز الكلاـم إنّكم لو أتيتم بجميع أسـباب التقرّب إلى اللّه الممكنه لكم من عبـاده و زهد ملتمسـين بذلك التقرّب إليه فى أن يرفع لكم عنده درجه أو يغفر لكم سيّئه أحصتها كتبه و ألواحه المحفوظه لكان الّذى أرجوه من ثوابه للمتقرّب إليه فى أن يرفع منزلته من حضـره قدسه أكثر ممّا يتصوّر المتقرّب أنّه يصل إليه بتقرّبه،و لكان الّذى أخافه من عقابه على المتقرّب فى غفران سيّئه عنده أكثر من العقاب الّذى يتوهّم أنّه يدفعه عن نفسه بتقرّبه.فينبغى لطالب الزياده فى المنزله عنـد اللّه أن يخلص بكلّيته فى التقرّب إليه ليصـل هو إلى مـا هو أعظم ممّا يتوهّم أنّه يصل إليه من المنزله عنـده،و ينبغى للهارب من ذنبه إلى اللّه أن يخلص بكلّيته فى الفرار إليه ليخلص من هـول مـا هو أعظم ممّـا يتوهّم أنّه يـدفع عن نفسه بوسـيلته إليه فـإنّ الأـمر فى معرفه مـا أعـدّ اللّه لعبـاده الصالحين من الثواب العظيم،و ما أعـدّه لأعـدائه الظالمين من العقاب الأليم أجّل ممّا يتصوّره عقول البشـر مـا دامت فى عـالم الغربه و إن كـان عقولهم فى ذلـك الإـدراك متفاوته،و لمّا كانت نفسه القدسـيّه أشـرف نفوس الخلق فى ذلـك الوقت لا جرم نسب الثواب المرجوّ لهم و العقاب المخوف عليهم إلى رجائه هو و خوفه.فقال :ما أرجو لكم من ثوابه و أخاف عليكم من عقابه .و ذلك لقوّه اطّلاعه من ذلك على ما لم يطّلعوا عليه .

و أمّا الثالث:و هو التنبيه على عظيم نعمه اللّه تعالى على العباد

فنبّه عليه أنّ كـلّ مـا أتوا به من الأعمـال الّتى بـذلوا جهـدهم فيها فى طاعه اللّه و ما عساه يمكنهم أن يأتوا به منها فهو قاصـر عن مجازاته نعمه العظام.و قد سبق بيان ذلك.و رتّب المطلوب فى صوره شرطيّه متّصله أيضا مقدّمها مركّب من امور:

أحدها:قوله: لو انماثت قلوبكم .أى ذابت خوفا منه و وجدا منه،و كنّى بذلك عن أقصى حال الخائف الراجى لربّه فى عبادته.

الثانی قوله : و سالت عیونکم دما، و هو کالأوّل.

الثالث قوله : ثمّ عمّرتم فی الـدنیا ما الدنیا باقیه أی مدّه بقاء الدنیا.و تالیها قوله : و ما جزت أعمالکم .إلی آخره.و أنعمه منصوب مفعول جزت .و هداه فی محلّ النصب عطفا علیه،و إنّما أفرد الهدی بالذکر و إن کان من الأنعم لشرفه إذ هو الغایه المطلوبه من العبد بکلّ نعمه افیضت علیه فإنّه لم یخلق و لم یفض علیه أنواع النعم.

الإلهیّه إلاّ لتأهّل[لیستأهل خ]قلبه،و یستعدّ نفسه لقبول صوره الهدی من واهبها فیمشی بها فی ظلمات الجهل إلی ربّه و یجوز بها عقبات صراطه المستقیم،و أکّد ملازمه هذه المتّصله بالقسم البارّ،و کذلک المتّصله السابقه،و فایده هذا التنبیه بعث الخلق علی الشکر و توفیر الدواعی علی الاجتهاد فی الإخلاص للّه حیاء من مقابله عظیم إنعامه بالتقصیر فی شکره و التشاغل بغیره.و باللّه التوفیق.

۵۲-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فی ذکر یوم النحر

وَ مِنْ تَمَامِ الْأُضْحِیَّهِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا وَ سَلاَمَهُ عَیْنِهَا- فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَ الْعَیْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِیَّهُ وَ تَمَّتْ- وَ لَوْ کَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَی الْمَنْسَکِ

اللغه

أقول: الاضحیه : منصوبه إلی الأضحی إذ کان ذبحها فی ضحی ذلک الیوم،و قیل إنّه مشتقّ منها . کنایه و استشراف اذنها :طولها،و کنّی بذلک عن سلامتها من القطع أو نقصان الخلقه .و العضباء : مکسوره القرن،و قیل القرن الداخل . کنایه و کنّی بجرّ رجلها إلی المنسک جها .و المنسک : موضع النسک،و هو العباده و التقرّب بذبحها .

المعنی

و اعلم أنّ المعتبر فی الاضحیّه سلامتها عمّا ینقّص قیمتها،و ظاهر أنّ العمی و العور و الهزال و قطع الاذن تشویه فی خلقتها و نقصان فی قیمتها دون العرج و کسر القرن.

ص:۱۴۲

و فی فضل الاضحیّه أخبار کثیره روی عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم قال:ما من عمل یوم النحر أحبّ إلی اللّه عزّ وجلّ من إراقه دم،و إنّها لتأتی یوم القیامه بقرونها و أظلافها و أنّ الدم لیقع من اللّه بمکان قبل أن یقع الأرض فطیّبوا بها نفسا.

و روی عنه أیضا أنّ لکم بکلّ صوفه من جلدها حسنه،و بکلّ قطره من دمها حسنه،و أنّها لتوضع فی المیزان فابشروا،و قد کانت الصحابه یبالغون فی أثمان الهدی و الأضاحی،و یکرهون المماکسه فیها فإنّ أفضل ذلک أغلاه ثمنا و أنفسه عند أهله.

روی أن عمر اهدی نجیبه فطلبت منه بثلاثمائه دینار فسأل رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم أن یبیعها و یشتری بثمنها بدنا فنهاه عن ذلک،و قال:بل اهدها.و سرّ ذلک أنّ الجیّد القلیل خیر من الکثیر الدون.فثلاث مائه دینار و إن کان قیمه ثلاثین بدنه و فیها تکثیر اللحم و لکن لیس المقصود اللحم.بل المقصود تزکیه النفس و تطهیرها عن صفه البخل و تزیینها بجمال التعظیم للّه ف «لَنْ یَنالَ اللّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لکِنْ یَنالُهُ التَّقْوی مِنْکُمْ» ،و ذلک بمراعاه النفاسه فی القیمه کثر العدد أم قلّ.

و اعلم أنّه ربما لاح من أسرار وضع الاضحیّه سنّه باقیه هو أن یدوم بها التذکّر لقصّه إبراهیم علیه السّلام و ابتلائه بذبح ولده و قوّه صبره علی تلک المحنه و البلاء المبین، ثمّ یلاحظ من ذلک حلاوه ثمره الصبر علی المصائب و المکاره فیتأسّی الناس به فی ذلک مع ما فی نحر الاضحیّه من تطهیر النفس عن رذیله البخل و استعداد النفس بها للتقرّب إلی اللّه تعالی.و باللّه التوفیق.

۵۳-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فَتَدَاکُّوا عَلَیَّ تَدَاکَّ الْإِبِلِ الْهِیمِ یَوْمَ وِرْدِهَا- وَ قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِیهَا وَ خُلِعَتْ مَثَانِیهَا- حَتَّی ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِیَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَیَّ- وَ قَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَ ظَهْرَهُ حَتَّی مَنَعَنِی النَّوْمَ- فَمَا وَجَدْتُنِی یَسَعُنِی إِلاَّ قِتَالُهُمْ- أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِی

ص:۱۴۳

بِهِ؟مُحَمَّدٌ ص؟- فَكَانَتْ مُعَالَجَهُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجِهِ الْعِقَابِ- وَ مَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَهِ

اللغه

أقول: تداكّوا : دكّ بعضهم بعضا:أی دقّه بالضرب و الدفع .و الهیم : الإبل العطاش .و المثانی : جمع مثناه و هی الحبل یثنّی و یعقل به البعیر .

المعنی

و اعلم أنّ قوله: فتداكّوا .إلی قوله: لدیّ.

إشاره إلی صفه أصحابه بصفّین لمّا طال منعه لهم من قتال أهل الشام،و كان علیه السّلام یمنعهم من قتالهم لأمرین:أحدهما أنّه كانت عادته فی الحرب ذلك لیكون خصمه البادی فتركبه الحجّه،و الثانی أنّه كان یستخلص وجه المصلحه فی كیفیّه قتالهم لا علی سبیل شكّه فی وجوب قتال من خالفه فإنّه علیه السّلام كان مأمورا بذلك بل علی وجه استخلاص الرأی الأصلح أو انتظارا لا نجذا بهم إلی الحقّ و رجوعهم إلی طاعته لحقن دماء المسلمین كما سیصرّح به فی الفصل الّذی یأتی،ثمّ أكّد وصفهم بالزحام علیه بأمرین:أحدهما تشبیهه بزحام الإبل العطاش حین یطلقها رعاتها من مثانیها یوم توردها الماء.و وجه الشبه مالهما من شدّه الزحام،الثانی غایه ذلك الزحام و هو ظنّه علیه ن یقتلوه أو یقتل بعضهم بعضا.

و قوله : و قد قلّبت هذا الأمر .إلی آخره.

إشاره إلی بعض علل منعه لهم من القتال،و هو تقلیبه لوجوه الآراء فی قتالهم حتّی تبیّن له ما یلزم فی ترك القتال من الخطر و هو الكفر.علی أنّ فی الأمرین خطرا أمّا القتال ففیه بذل نفسه للقتل و هلاك جمله من المسلمین،و أمّا تركه ففیه مخالفه أمر اللّه و رسوله المستلزمه للعقاب الألیم،لكن قد علمت أنّ الدنیا لا قیمه لسعادتها و لا نسبه لشقاوتها إلی سعاده الآخره و شقاوتها عند ذوی البصایر خصوصا مثله علیه السّلام فلذلك قال:

استعاره فكانت معالجه القتال أهون علیّ من معالجه العقاب،و موتات الدنیا أهون علیّ من موتات الآخره .و استعار لفظ الموتات للأهوال و الشدائد فی الدنیا و الآخره لما بین الموت و بینها من المناسبه فی الشدّه.

ص:۱۴۴

۵۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

و قد استبطأ أصحابه إذنه لهم فى القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ أَ كُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ- فَوَاللَّهِ مَا أُبَالِي- دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ- وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ؟- فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً- إِلاَّ وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي- وَ تَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي- وَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلاَلِهَا- وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا

اللغه

أقول: عشا إلى النار : استدلّ عليها ببصر ضعيف .و باء بإثمه : أى رجع به .

المعنى

و هذا الفصل مناسب للّذى قبله.و السبب فيه أنّ أصحابه لمّا طال منعه لهم عن قتال أهل الشام ألحّوا عليه فى طلبه حتّى نسبه بعضهم إلى العجز و كراهيّه الموت، و نسبه بعضهم إلى الشكّ فى وجوب قتال هؤلاء .فأورد عليه السّلام شبهه الأوّلين و هى قوله:

أ كلّ ذلک كراهيّه الموت ،و روى كراهيّه بالنصب على المفعول و سدّ مسدّ الخبر.

و أجاب عنها بقوله : فو اللّه ما ابالى.إلى قوله:إلىّ ،و صدق هذا الدعوى المؤكّده بالقسم البارّ ظاهر منه فإنّ العارف بمعزل عن تقيّه الموت خصوصا نفسه القدسيّه كما سبق، مجاز و نسبه الدخول على الموت و الخروج إليه نسبه مجازيّه تستلزم ملاحظه تشبيهه بحيوان مخوف .ثمّ أورد الشبهه الثانيه و هى قوله: و أمّا قولكم شكّا فى أهل الشام و أجاب عنها بقوله: فو اللّه ما دفعت الحرب :إلى آخره،و تقريره أنّ المطلوب الأوّل من الأنبياء و الأولياء إنّما هو اهتداء الخلق بهم من ظلمه الجهل،و استقامه امورهم فى معاشهم و معادهم بوجودهم،و إذا كان هذا هو المطلوب الذّاتى له عليه السّلام من طلب هذا الأمر و القتال عليه و كان تحصيل المطالب كلّما كان ألطف و أسهل من القتل و القتال كان أولى لا جرم كان انتظاره بالحرب و مدافعتها يوما فيوما إنّما هو انتظار و طمع أن يلحق به منهم من تجذب العنايه الإلهيّه بذهنه إلى الحقّ فيهتدى به فى طريق اللّه و يعشو

إلی ضوء عمله و کماله،و کان ذلک أحبّ إلیه من قتلهم علی ضلالتهم و إن کان کلّ ضالّ إنّما یرجع بإثمه إلی ربّه و یکون رهین عمله کما قال تعالی «کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ رَهِینَهٌ» . «وَ لا تَکْسِبُ کُلُّ نَفْسٍ إِلاّ عَلَیْها وَ لا تَزِرُ وازِرَهٌ وِزْرَ أُخْری» .

۵۵-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

وَ لَقَدْ کُنَّا مَعَ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَ أَبْنَاءَنَا وَ إِخْوَانَنَا وَ أَعْمَامَنَا- مَا یَزِیدُنَا ذَلِکَ إِلاَّ إِیمَاناً وَ تَسْلِیماً- وَ مُضِیّاً عَلَی اللَّقَمِ وَ صَبْراً عَلَی مَضَضِ الْأَلَمِ- وَ جِدّاً فِی جِهَادِ الْعَدُوِّ- وَ لَقَدْ کَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَ الْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا- یَتَصَاوَلاَنِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَیْنِ یَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا- أَیُّهُمَا یَسْقِی صَاحِبَهُ کَأْسَ الْمَنُونِ- فَمَرَّهً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَ مَرَّهً لِعَدُوِّنَا مِنَّا- فَلَمَّا رَأَی اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْکَبْتَ- وَ أَنْزَلَ عَلَیْنَا النَّصْرَ- حَتَّی اسْتَقَرَّ الْإِسْلاَمُ مُلْقِیاً جِرَانَهُ وَ مُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ- وَ لَعَمْرِی لَوْ کُنَّا نَأْتِی مَا أَتَیْتُمْ- مَا قَامَ لِلدِّینِ عَمُودٌ وَ لاَ اخْضَرَّ لِلْإِیمَانِ عُودٌ- وَ ایْمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً وَ لَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً أقول:المنقول أنّ هذا الکلام صدر عنه یوم صفّین حین أقرّ الناس بالصلح.و أوّله:

إنّ هؤلاء القوم لم یکونوا لیفیئوا إلی الحقّ،و لا لیجیبوا إلی کلمه سواء حتّی یرموا بالمناشر تتبعها العساکر،و حتّی یرجموا بالکتائب تقفوها الجلائب،و حتّی یجرّ ببلادهم الخمیس یتلوه الخمیس،و حتّی تدعق الخیول فی نواحی أراضیهم و بأعناء مشاربهم و مسارحهم،حتّی تشنّ علیهم الغارات من کلّ فجّ عمیق،و حتّی یلقاهم قوم صدق صبر لا یزیدهم هلاک من هلک من قتلاهم و موتاهم فی سبیل اللّه إلاّ جدّا فی طاعه اللّه و حرصا علی لقاء اللّه.و لقد کنّا مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم الفصل.

اللغه

كلمه سواء : أى عادله .و المنشر : خيل من المأه إلى المأتين،و يقال بل الجيش ما يمرّ بشىء إلّا اقتلعه ،و الخميس : الجيش .و تدعق : تغار على أرضهم فتؤثّر فيها حوافرها .و شنّ الغاره : آثارها .و اللقم : منهج الطريق .و المضض : حرقه الألم .

و يتصاولان : يتحاملان و يتطاولان .و يتخالسان : ينتهز كلّ منهما فرصه صاحبه ، و المنون : المنيّه .و الكبت : الصرف و الإذلال .و جران البعير : مقدّم عنقه من مذبحه إلى منخره .و تبوّء وطنه : سكن فيه .

المعنى

اشاره

و مقصوده فى هذا الفصل توبيخ أصحابه على ترك الحرب و التقصير فيه.

فقوله:و لقد كنّا.إلى قوله:أوطانه .

فقوله: و لقد كنّا .إلى قوله: أوطانه .

بيان لفظه و كيفيّه صنيعه هو و ساير الصحابه فى الجهاد بين يدى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم لغرض قيام الإسلام و ظهور أمر اللّه ليتبيّن للسامعين تقصيرهم بالنسبه إلى ما كان اولئك عليه فى جهادهم يومئذ.فبدء بذكر ما كانوا يكافحونه من الشدائد،و أنّ أحدهم كان يقتل أباه و ولده طلبا لرضا اللّه و ذبّا عن دينه ثمّ لا يزيده ذلك إلّا إيمانا و تسليما لقضائه،و مضيّا على واضح سبيله ،و صبرا فى طاعته على مضض الآلام المتواتره ،و أنّ أحدهم كان يصاول عدوّه ليختطف كلّ روح صاحبه .و تجوّز بلفظ الكأس فيما يتجرّعه الإنسان من مضض الألم حال القتل،و نبّه بقوله : مرّه لنا و مرّه لعدوّنا .على أنّ إقدامهم على القتال يومئذ لم يكن عن قوّه منهم على العدوّ و يقين بغلبه بل مع غلب العدوّ لهم و قهره.و مرّه منصوب على الظرف و تقديره فمرّه الإداله تكون لنا من عدوّنا و مرّه تكون له منّا .

و قوله:فلمّا رأى اللّه صدقنا.إلى قوله:النصر.

و قوله: فلمّا رأى اللّه صدقنا.إلى قوله:النصر.

فيه تنبيه على أنّ الجود الإلهىّ لا بخل فيه و لا منع من جهته و إنّما هو عامّ الفيض على كلّ قابل استعدّ لرحمته،و أشار برؤيه اللّه صدقهم إلى علمه باستحقاقهم و استعدادهم بالصبر الّذى أعدّهم به ،و بإنزال النصر عليهم و الكبت لعدوّهم إلى إفاضته على كلّ منهم ما استعدّ له .

و قوله:حتّى استقرّ الإسلام.إلى قوله:أوطانه.

و قوله: حتّى استقرّ الإسلام.إلى قوله:أوطانه .

إشاره إلى حصول غايتهم الّتى قصدوها بجهاد العدوّ(اللّه خ)و هى استقرار الإسلام فى قلوب عباد اللّه. استعاره مرشحه و استعار لفظ الجران ،و رشحّ تلك الاستعاره بالإلقاء ملاحظه لشبهه بالبعير الّذى أخذ مكانه ، استعاره بالكنايه و كذلك استعار لفظ التبوّء و نسبه إلى الأوطان تشبيها له بمن كان من الناس خائفا متزلزلا لا مستقر له ثمّ اطمأنّ و استقرّ فى وطنه.و استعار لفظ الأوطان لقلوب المؤمنين،و كنّى بتبوّء أوطانه عن استقراره فيها .

و قوله:و لعمرى لو كنّا نأتى.إلى قوله:عود.

و قوله: و لعمرى لو كنّا نأتى.إلى قوله:عود.

رجوع إلى مقصوده الأصلىّ و هو تنبيه أصحابه على تقصيرهم.و المعنى لو قصّرنا يومئذ كتقصيركم الآن و تخاذلكم لما حصل ما حصل من استقامه الدين، استعاره بالكنايه و كنّى بالعمود للدين عن قوّته و معظمه كنايه بالمستعار،و كذلك باخضرار العود للايمان عن نضارته فى النفوس،و لاحظ فى الاولى تشبيه الإسلام بالبيت ذى العمود،و فى الثانيه تشبيهه الايمان بالشجره ذات الأغصان .

و قوله:و أيم اللّه لتحتلبنّها دما.

استعاره و قوله: و أيم اللّه لتحتلبنّها دما.

استعار لفظ حلب الدم لثمره تقصيرهم و تخاذلهم عمّا يدعوهم إليه من الجهاد، و لاحظ فى تلك الاستعاره تشبيههم لتقصيرهم فى أفعالهم بالناقه الّتى اصيب ضرعها بآفه من تفريط صاحبها فيها ،و الضمير المؤنّث مبهم يرجع فى المعنى إلى أفعالهم،و كذلك الضمير فى قوله : و لتتبعنّها ندما فإنّ ثمره التفريط الندامه.و دما و ندما منصوبان على التميز.

و قد اتّفق فى هذا الفصل نوعان من السجع فاللقم و الألم سجع متوازى،و جرانه و أوطانه مطرّف،و كذلك عمود و عود و دما و ندما.و باللّه التوفيق.

۵۶–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لأصحابه

أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِى رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ- مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَ يَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ- فَاقْتُلُوهُ وَ لَنْ تَقْتُلُوهُ- أَلاَ وَ إِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّى

وَ الْبَرَاءَهِ مِنِّی- فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِی فَإِنَّهُ لِی زَکَاهٌ وَ لَکُمْ نَجَاهٌ- وَ أَمَّا الْبَرَاءَهُ فَلاَ تَتَبَرَّءُوا مِنِّی- فَإِنِّی وُلِدْتُ عَلَی الْفِطْرَهِ وَ سَبَقْتُ إِلَی الْإِیمَانِ وَ الْهِجْرَهِ

اللغه

أقول: رحب البلعوم : واسع مجری الحلق .و بطن مندحق ناتیء بارز .

المعنی

و فی هذا الفصل إخبار بما سیکون لأصحابه من الابتلاء بسبّه.و الخطاب لأهل الکوفه.

فقوله : أمّا.

یحتمل أن یکون المشدّده.و التقدیر أمّا بعد أنّه کذا،و یحتمل أن یکون مخفّفه و هی ما النافیه دخلت علیها همزه الاستفهام،و التقدیر أما أنّه سیظهر،و اختلف فی مراده بالرجل.فقال أکثر الشارحون :المراد معاویه لأنّه کان بطینا کثیر الأکل.

روی أنّه کان یأکل فیمل فیقول:ارفعوا فو اللّه ما شبعت و لکن مللت و تعبت،و کان ذلک داء أصابه بدعاء الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم.روی:أنّه بعث إلیه مرّه فوجده یأکل فبعث إلیه ثانیه فوجده کذلک.فقال:اللهم لا تشبع بطنه.و لبعضهم فی وصف آخر.

و صاحب لی بطنه کالهاویه کأنّ فی أمعائه معاویه

و قیل:هو زیاد بن أبی سفیان،و هو زیاد بن أبیه،و قیل:هو الحجّاج،و قیل:

المغیره بن شعبه.و ظهوره علیهم بعده.استعلاؤه و تأمّره علیهم. کنایه و أکله ما یجد مع طلبه لما لا یجد کنایه عن کثره أکله،و جعل ذلک علامه له.

و قوله : فاقتلوه.

أی لما هو علیه من الفساد فی الأرض ،و لن تقتلوه .حکم لدنیّ اطلّع علیه.

و قوله : ألا و إنّه سیأمرکم بسبیّ .إلی آخره.

إشاره إلی ما سیأمرهم به فی حقّه من السبّ و البراءه ،و وصیّه لهم بما هو المصلحه إذن.و فرّق علیه السّلام بین سبّه و البراء منه بأن رخصّ فی سبّه عند الإکراه علیه و لم یرخّص فی التبرّی منه،و فی الفرق بینهما لطف،و ذلک أنّ السبّ من صفات القول اللسانیّ و هو أمر یمکن إیقاعه من غیر اعتقاده مع احتماله التعریض و مع ما یشتمل علیه

من حقن دماء المأمورين و نجاتهم بامتثال الأمر به.و أمّا التبرّء فليس بصفه قوليّه فقط بل يعود إلى المجانبه القلبيّه و المعاداه و البغض و هو المنهّى عنه هاهنا فإنّه أمر باطن يمكنهم الانتهاء عنه و لا يلحقهم بسبب تركه و عدم امتثال الأمر به ضرر.و كأنّه لحظ فيها قوله تعالى «إِلّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ» (۱)الآيه و قوله فى السبّ : فإنّه لى زكاه و لكم نجاه .إشاره إلى أسباب ترخيصه فى سبّه أمّا نجاتهم بسبّه فظاهره و أمّا كونه زكاه له فلوجهين:

أحدهما:ما روى فى الحديث أنّ ذكر المؤمن بسوء هو زكاه له،و ذمّه بما ليس فيه زياده فى جاهه و شرفه.

الثانى:أنّ الطباع تحرص على ما تمنع منه و تلحّ فيه.فالناس لمّا منعوا من ذكر فضائله و الموالاه له و الزموا سبّه و بغضه ازدادوا بذلك محبّه له و إظهارا لشرفه،و لذلك إنّه عليه السّلام سبّه بنو اميّه ألف شهر على المنابر فما زاد ذكره على ذلك إلاّ علوّا و لا ازداد الناس فى محبّته إلاّ غلوّا.و المنقول أنّ الّذى أمر بقطع سبّه عمر بن عبد العزيز،و وضع مكان سبّه من الخطبه «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ» الآيه،و لذلك قال كثير بن عبد الرحمن يمدحه:

و ليت فلم تشتم عليّا و لم تخف برّيا و لم تقبل إساءه مجرم

و فيه يقول الرضىّ الموسوى:

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من اميّه لبكيتك

أنت نزّهتنا عن الشتم و السبّ و لو كنت مجزيا لجزيتك

غير أنّى أقول إنّك قد طبت و إن لم يطب و لم يزك بيتك

و قوله : فإنّى ولدت على الفطره .إلى آخره.

تعليل لحسن الانتهاء عن البراءه منه و وجوبه.و أراد بالفطره فطره اللّه الّتى فطر الناس عليها و هى بعثهم إلى عالم الأجسام مأخوذا عليهم ميثاق العبوديّه و الاستقامه على سنن العدل فى سلوك صراطه المستقيم ،و أراد بسبقه إلى الإسلام و الهجره سبقه إلى طاعه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم فيما جاء به من الدين و صحبته له و مهاجرته معه مستقيما فى كلّ ذلك

ص:۱۵۰

۱- (۱) ۱۰۸-۱۶

على فطره اللّه لم يدنّس نفسه بشىء من الملكات الرديئه مدّه وقته.أمّا زمان صغره فللخبر المشهور:كلّ مولود يولد على الفطره،و أمّا بعده فلأنّ الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم كان هو المتولّى لتربيته و تزكيه نفسه بالعلوم و الإخلاص من أوّل وقته إلى أن توفّى صلى اللّه عليه و آله و سلّم كما أشرنا إليه قبل،و كما سيذكر هو بعد كيفيّته،و كان قبوله و استعداده لأنوار اللّه أمرا فطرت عليه نفسه،و جبلّت عليه طبيعته حتّى لم يلحقه فى ذلك أحد من الصحابه،و ظاهر أنّ من كان بهذه الصفه من خلفاء اللّه و أوليائه كان التبرّء منه تبرّء من اللّه و رسوله.فوجب الانتهاء عنه.و باللّه التوفيق.

۵۷-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

كلّم به الخوارج

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ وَ لاَ بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ- أَ بَعْدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ وَ جِهَادِي مَعَ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ- لَ «قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» - فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ وَ ارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ- أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاًّ شَامِلاً وَ سَيْفاً قَاطِعاً- وَ أَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً قال الشريف:قوله عليه السّلام «و لا بقى منكم آبر» يروى بالباء و الراء من قولهم للذى يأبر النخل- أى:يصلحه-و يروى «آثر» و هو الذى يأثر الحديث،أى:يرويه و يحكيه،و هو أصح الوجوه عندى،كأنه عليه السّلام قال:لا بقى منكم مخبر.و يروى«آبز»-بالزاى المعجمه-و هو الواثب.

و الهالك أيضا يقال له آبز

ص:۱۵۱

أقول:المرویّ فی السبب أنّه لمّا کتب عهد التراضی بین الحکمین بین علیّ و معاویه اعتزلت الخوارج و تنادوا من کلّ ناحیه لا حکم إلّا للّه،الحکم للّه یا علی لا لک،إنّ اللّه قد أمضی حکمه فی معاویه و أصحابه أن یدخلوا تحت حکمنا و قد کنّاز للنا و أخطأنا حین رضینا بالتحکیم و قد بان زللنا و خطأنا و رجعنا إلی اللّه و تبنا فارجع أنت کما رجعنا و تب إلیه کما تبنا.و قال بعضهم:إنّک أخطأت فاشهد علی نفسک بالکفر ثمّ تب منه حتّی نطیعک.فأجابهم بهذا الکلام.

اللغه

و الحاصب : ریح شدیده ترمی بالحصباء و هی صغار .و الأثره بالتحریک:

الاستبداد .

المعنی

فدعا علیهم أوّلا بریح تحصبهم ،ثمّ بالفناء غضبا من مقالتهم ،ثمّ أخذ فی تقریعهم و إنکار مقالتهم و طلبهم شهادته علی نفسه بالکفر فی صوره سؤال أعقبه تنبیههم علی خطأهم فی حقّه ببیان غلطه علی نفسه لو أجابهم إلی ما سئلوا فإنّ شهاده الإنسان علی نفسه بالکفر ضلال عن الحقّ و عدم اهتداء فی سبیل اللّه.

ثمّ أردف ذلک بأمرین:

أحدهما:جذبهم بالغضب و القهر و أمرهم بالرجوع إلی الحقّ علی أعقابهم:أی من حیث خرجوا من الحقّ و فارقوه.

الثانی: کنایه أخبارهم بما سیلقون بعده من الذلّ الشامل و السیف القاطع .و هو کنایه عمّن تقتلهم بعده کالمهلّب بن أبی صفره و غیره،و هذا الإخبار لغرض استفاءتهم إلیه و جذب لهم برذیله غیره. و الأثره الّتی تتّخذها الظالمون فیهم سنّه.إشاره إلی ما یستأثر به الملوک و العمّال علیهم من الفیء و الغنایم و إهانتهم،و قد کانت دعوته علیه السّلام استجیبت فیهم فإنّهم لم یزالوا بعده فی ذلّ شامل و قتل ذریع حتّی أفناهم اللّه تعالی.و أحوالهم فی کیفیّه قتالهم و قتلهم من قتلهم مستوفی فی کتاب الخوارج.و باللّه التوفیق.

۵۸-و قال علیه السّلام

اشاره

لما عزم علی حرب الخوارج و قیل له:إنهم قد عبروا جسر النهروان

ص:۱۵۲

القسم الأول

اشاره

مَصارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَهِ- وَ اللَّهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَهٌ وَ لاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَهٌ قال الشريف:يعنى بالنطفه ماء النهر،و هو أفصح،كنايه و إن كان كثيرا جما.

المعنى

أقول:خلاصه هذا الخبر أنّه عليه السّلام لمّا خرج إلى أصحاب النهر جاءه رجل من أصحابه فقال:البشرى يا أمير المؤمنين إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم و صولك فابشر فقد منحك اللّه اكتافهم.فقال:اللّه أنت رأيتهم قد عبروا.فقال:نعم.فقال عليه السّلام :و اللّه ما عبروه و لن يعبروه و إنّ مصارعهم دون النطفه و الّذى فلق الحبّه و برء النسمه لم يبلغوا إلاّ ثلاث و لا قصر توران حتّى يقتلهم اللّه «وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى» .قال:ثمّ جاءه جماعه من أصحابه واحدا بعد آخر كلّهم يخبره بما أخبره الأوّل فرك ؟؟؟عليه السّلام و سار حتّى انتهى إلى النهر فوجد القوم بأسرهم قد كسر؟؟؟ون سيوفهم و عرقبوا خيولهم و جثوا على الركب و حكموا تحكيمه واحده بصوت عظيم له زجل،و روى أنّ شابّا من أصحابه قال فى نفسه حين حكم عليه السّلام بما حكم من أمرهم و سار إلى النهر لبيان صدق حكمه:و اللّه لأكوننّ قريبا منه فإن كانوا عبروا النهر لأجعلنّ سنان رمحى فى عينه أيّدعى علم الغيب،فلمّا وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه و أخبره بما روّى فى نفسه،و طلب منه أن يغفر له.فقال عليه السّلام:

إنّ اللّه هو الّذى يغفر الذنوب جميعا فاستغفره .فأمّا حكمه بأنّه لا يفلت منهم عشره و لا يقتل من أصحابه عشره.فروى أنّه قال لأبى أيّوب الأنصارى و كان على ميمنته:لما بدأت الخوارج بالقتال احملوا عليهم فو اللّه لا يفلت منهم عشره و لا يهلك منكم عشره فلمّا قتلهم وجد المفلت منهم تسعه و المقتول من أصحابه ثمانيه.و هذان الحكمان من كراماته عليه السّلام.

و قال عليه السّلام:

اشاره

[القسم الثانى]

لما قتل الخوارج قيل له:يا أمير المؤمنين،هلك القوم بأجمعهم كَلاَّ وَ اللَّهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِى أَصْلاَبِ الرِّجَالِ وَ قَرَارَاتِ النِّسَاءِ- كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ- حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ

اللغه

أقول: نجم : طلع .و السلّاب : المختلس .و كلّا:ردّ لمقاله من حكم بهلاكهم جميعا.

المعنى

كنايه و أشار بكونهم نطفا فى أصلاب الرجال و قرارات النساء إلى أنّه لا بدّ من وجود قوم منهم يقولون بمثل مقالتهم و أنّهم الآن موجودون فى الأصلاب و الأرحام بالقوّه.فمنهم نطف برزت إلى الأرحام،و كنّى بالقرارات عنها.و منهم نطف بعد فى الأصلاب،ثمّ ألحقهم أحكاما اخر تقريرا لبقائهم .منها: استعاره مرشحه أنّه سيقوم منهم رؤساء ذوو أتباع ،و عبّر عمّن يظهر منهم بالقرن استعاره مرشّحا لتلك الاستعاره بقوله: نجم و قطع .لكونهما حقيقتين فى النبات و جعل لتراذ لهم غايه هى كون أواخرهم لصوصا سلّابين:أى قطّاعا للطريق،و أمّا الّذين ظهروا بعده من رؤسائهم فجماعه كثيره و ذلك أنّ التسعه الّذين سلموا يوم النهر تفرّقوا فى البلاد فانهزم اثنان منهم إلى عمّان،و إثنان إلى كرمان،و إثنان إلى سجستان،و إثنان إلى الجزيره و واحد إلى تلّ مورون،و قد كان منهم جماعه لم يظفر عليه السّلام بهم فظهرت بدعتهم فى أطراف البلاد بعده فكانوا نحوا من عشرين فرقه و كبارها ستّ:

إحداها:الأزارقه أصحاب نافع بن الأزرق،و كان أكبر الفرق.خرجوا من البصره إلى الأهواز و غلبوا عليها و على كورها و ما ورءاها من بلدان فارس و كرمان فى أيّام عبد اللّه بن الزبير، و كان مع نافع من أمراء الخوارج عشره:عطيّه بن الأسود الحنفىّ،و عبد اللّه بن ما خول،و أخواه:

عثمان بن الزبير،و عمر بن عمير العميرى،و قطرى بن فجاه المازنىّ،و عبده بن الهلال الشيبانى، و صخر التميمىّ،و صالح العبدىّ،و عبد ربّه الكبير،و عبد ربّه الصغير فى ثلاثين و نيّف ألف فارس منهم فانفذ إليهم المهلّب بن أبى صفره،و لم يزل فى حربهم هو و أولاده تسع عشره سنه إلى أن فرغ من أمرهم فى أيّام الحجّاج،و مات نافع قبل وقايع المهلّب و بايعوا قطريّا و سمّوه أمير المؤمنين.

الثانيه:النجدات رئيسهم نجده بن عامر الحنفىّ،و كان معه أميران يقال لأحدهما عطيّه،و الآخر أبو فديك.ففارقاه بشبهه ثمّ قتله أبو فديك و صار لكلّ واحد منهما جمع عظيم و قتلا فى زمن عبد الملك بن مروان.

الثالثه:البيهسيّه أصحاب أبى بيهس الهيصم بن جابر،و كان بالحجاز و قتله عثمان بن حيّان المزنىّ بالمدينه بعد أن قطع يديه و رجليه.و ذلك فى زمن الوليد بإشاره منه.

ص:۱۵۴

الرابعه:العجارده أصحاب عبد الكريم بن عجرد،و تحت هذه الفرقه فرق كثيره لكلّ منهم رئيس منهم مشهور.

الخامسه:الأباضيّه أصحاب عبد اللّه بن أباض فى أيّام مروان بن محمّد فوجّه إليه عبد اللّه بن محمّد بن عطيّه فقاتله فقتله.

السادسه:الثعالبه أصحاب ثعلبه بن عامر،و تحت هذه الفرقه أيضا فرق كثيره، و لكلّ منها رئيس مشهور.و تفصيل رؤسائهم و فرقهم و أحوالهم و من قتلهم مذكور فى كتب التواريخ.و أمّا كون آخرهم لصوصا سلّابين فإشاره إلى ما كانوا يفعلونه فى أطرف البلاد بإصبهان و الأهواز و سواد العراق يعيشون فيها بنهب أموال الخراج و قتل من لم يدن بدينهم جهرا و غيله و ذلك بعد ضعفهم و تفرّقهم بوقايع المهلّب و غيرها كما هو مذكوره فى مظانّه.

و قال عليه السّلام:

اشاره

[القسم الثالث]

لاَ تُقَاتِلُوا؟الْخَوَارِجَ؟ بَعْدِى- فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ- كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ (يعنى معاويه و أصحابه)

المعنى

أقول:نهى عن قتل الخوارج بعده،و أومى إلى علّه استحقاق القتل بأنّها طلب الباطل لأنّه باطل ليتبيّن أنّها منفيّه فى حقّهم فينتفى لازمها و هو استحقاق القتل،و أشار إلى أنّ الخوارج لم يطلبوا الباطل مع العلم بكونه باطلا بل طلبوا الحقّ بالذات فوقعوا بالباطل بالعرض.و من لم يكن غرضه إلاّ الحقّ لم يجز قتله،و حسن الكلام يظهر فى تقدير متّصله هكذا:لو استحقّوا:القتل بسبب طلبهم لاستحقّوه بسبب طلبهم للباطل من حيث هو باطل لكنّهم لا يستحقّونه من تلك الجهه لأنّهم ليسوا طالبين للباطل من حيث هو باطل فلا يستحقّون القتل، و فرق بين من يطلب الحقّ لذاته فيظهر عنه فى صوره باطل،و بين من يطلب الباطل لذاته فيظهره فى صوره الحقّ حتّى يدركه،فإنّ الثانى هو المستحقّ للقتل دون الأوّل،و و أومى بمن طلب الباطل فأدركه إلى معاويه.

ع و اعلم:أنّ هذا نصّ منه عليه السّلام بأنّهم كانوا طالبين للحقّ،و بيانه أنّ معظم رؤسائهم كانوا على غايه من المحافظه على العبادات كما نقل عن الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم حيث وصفهم فقال:حتّى أنّ صلاه أحدكم لتحتقر فى جنب صلاتهم.و كانوا مشهورين بالصلاح و المواظبه على حفظ القرآن و درسه إلاّ أنّهم بالغوا فى التجرّى و شدّه الطلب للحقّ حتّى عبروا عن فضيله العدل فيه إلى رذيله الإفراط فوقعوا فى الفسق و مرقوا من الدين.

فإن قلت:كيف نهى عن قتلهم.

قلت:جوابه من وجهين:

أحدهما:أنّه عليه السّلام إنّما نهى عن قتلهم بعده على تقدير أن يلزم كلّ منهم نفسه و يشتغل بها و لا يعيث فى الأرض فسادا و هو إنّما قتلهم حيث أفسدوا فى زمانه و قتلوا جماعه من الصالحين كعبد اللّه بن خبّاب،و شقّوا بطن امرأته و كانت حاملا و دعوا الناس إلى بدعتهم و مع ذلك كان يقول لأصحابه حين سار إليهم:لا تبدءوهم بالقتال حتّى يبدءوكم به و لم يشرع فى قتلهم حتّى بدءوه بقتل جماعه من أصحابه.

الثانى:أنّه يحتمل أن يقال:إنّه إنّما قتلهم لأنّه إمام عادل رأى الحقّ فى ذلك، و إنّما نهى عن قتلهم بعده لأنّه علم أنّه لا يلى هذا الأمر بعده من له بحكم الشريعه أن يقتل و يتولّى أمر الحدود،و من لا يعرف مواضعها.و باللّه التوفيق.

۵۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما خوف من الغيله

وَ إِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ جُنَّهً حَصِينَهً- فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَ أَسْلَمَتْنِي- فَحِينَئِذٍ لاَ يَطِيشُ السَّهْمُ وَ لاَ يَبْرَأُ الْكَلْمُ أقول:قد كان عليه السّلام خوّف من غيله ابن ملجم-لعنه اللّه-مرارا.روى:أنّ الأشعث لقيه متقلّدا سيفه فقال له:ما يقلّدك السيف و ليس بأوان حرب؟فقال:أردت أنحربه جزور القريه.فأتى الأشعث عليّا عليه السّلام فأخبره و قال:قد عرفت ابن ملجم و فتكه فقال عليه السّلام:ما

قتلنى بعد،و روى:أنّ عليّا عليه السّلام كان يخطب مرّه و يذكر أصحابه و ابن ملجم تلقاء المنبر فسمع و هو يقول:و اللّه لاريحنّهم منك.فلمّا انصرف عليّ أتوا به ملبّسا.فأشرف عليهم و قال:ما تريدون.فأخبروه بما سمعوا منه.فقال:فما قتلنى بعد،خلّوا عنه،و إنّ عليّ من اللّه جنّه.الفصل.

اللغه

و الغيله : القتل على غفله .و الجنّه : ما تستر به من سلاح .و طاش السهم : انحرف عن الغرض .و الكلم : الجرح .

المعنى

استعاره بالكنايه-استعاره مرشحه و كنّى بالجنّه عن عنايه اللّه بحفظ أسباب حياته فى المدّه الممكنه له فى القضاء الإلهىّ كنايه بالمستعار.و وجه الاستعاره أنّ مع بقاء أسباب الحياه محفوظه لا يؤثّر فى الإنسان شىء من سهام المنيّه أبدا كما أنّ لابس الجنّه محفوظ بها من آثار السهام و نحوها.و وصفها بالحصينه ترشيحا للاستعاره،و كنّى بها أيضا عن قوّه ذلك الحفظ.

و كنّى بيومه عن وقت ضروره موته،و بانفراج الجنّه عنه عن عدم بعض أسباب الحياه المستلزم لعدم الحياه و لحوق سهام الأمراض و هو ترشيح للاستعاره أيضا،و نسب إليها إسلامها له ملاحظه لتشبيهها بمن يحفظه ثمّ يسلّمه للقتل.

استعاره بالكنايه و قوله : و حينئذ لا يطيش السهم.

استعار لفظ السهم للأمراض الّتى هى أسباب الموت،و كنّى بعدم طيشه عن إنكائه و حصول الموت عنه،و لفظ الكلم للأثر الحاصل عن تلك الأسباب،و وجه الشبه فى الاولى كونهما سببين للهلاك،و فى الثانيه ما يستلزمانه من التألّم،و رشّح الاولى بذكر الطيش و الثانيه بذكر البرء.و من الشعر المنسوب إليه فى ذلك.

أىّ يومىّ من الموت أفرّ يوم لم يقدر أم يوم قدر

يوم لم يقدر فلا أرهبه يوم قد قدّر لا يغنى الحذر

و هو فى ذلك ملاحظ لقوله تعالى «وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً» (۱)«وَ لِكُلِّ أُمَّهٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَهً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ» (۲)و

۱- ۱) -۱۳۹

۲- ۲) ۳۲-۷

باللّه التوفيق.

۶۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَلاَ إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لاَ يُسْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ فِيهَا- وَ لاَ يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا- ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً- فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَ حُوسِبُوا عَلَيْهِ- وَ مَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَ أَقَامُوا فِيهِ- فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ- بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ وَ زَائِداً حَتَّى نَقَصَ

اللغه

أقول: بينا : أصله بين بمعنى التوسّط فاشبعت الفتحه فحدثت ألف،و قد تزاد ما فيقال بينما و المعنى واحد،و تحقيق الظرفيّه هنا أنّ الظلّ دائر بين السبوغ و التقلّص و الزياده و النقصان .و قلص الظلّ نقص .

المعنى

و الغرض من هذا الفصل التحذير من الدنيا و التنبيه على وجوب لزوم أوامر اللّه فيها.

و أشار إلى ذلك فى أوصاف لها :

الأوّل:كونه لا يسلم منها إلاّ فيها .و تحقيق ذلك أنّه لا دار إلاّ الدنيا و الآخره،و قد علمت أنّ أسباب السلامه هى الزهد و العباده و سائر أجزاء الرياضه و شىء منها لا يمكن فى الآخره بل كلّها أعمال متعلّقه بالبدن فإذن لا يتحقّق ما يلزمها من السلامه من الدنيا إلاّ فى الدنيا.

الثانى:كونها لا ينجى بشىء كان لها .و فيه إيماء إلى ذمّ الرياء فى الأقوال و الأفعال و تحذير من كلّ عمل و قول قصد به الدنيا فإنّ شيئا من ذلك لا حظّ له فى استلزام النجاه فى الآخره بل ربّما كان سببا للهلاك فيها لما أنّ الاشتغال بمهمّات الدنيا منس للآخره.

الثالث :كونها قد ابتلى الناس بها فتنه.و فتنه منصوب بالمفعول له،و يحتمل

أن یکون مصدرا سدّ مسدّ الحال.و نحوه قوله تعالی «وَ نَبْلُوکُمْ» بِالْخَیْرِ وَ الشَّرِّ «فِتْنَهً وَ إِلَیْنا تُرْجَعُونَ» (۱)و لنبحث عن معنی الابتلاء بالدنیا و کونها فتنه.

و اعلم أنّه لیس المراد أنّ اللّه تعالی لا یعلم ما یؤول إلیه أحوال العباد و ما یکون منهم بعد خلقهم و ابتلائهم بالدنیا فإنّه تعالی هو العالم بما کان و ما یکون قبل کونه کما قال تعالی «وَ ما مِنْ غائِبَهٍ فِی السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ» (۲)»و قوله تعالی «ما أَصابَ مِنْ مُصِیبَهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی أَنْفُسِکُمْ إِلاّ فِی کِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللّهِ یَسِیرٌ» (۳)بل الکشف عن حقیقه الابتلاء أنّه لمّا کان الإنسان إنّما یکون إنسانا بما خلق فیه من القوی الشهویّه و الغضبیّه و ما یتبعهما،و کان لهذه القوی میول طبیعیّه إلی حاضر اللذّات الدنیویّه فهی مستشتهیاتها و لا ابتهاج لها إلاّ بها و لا حظّ لها من غیرها،و کانت النفوس الإنسانیّه مخالطه لهذه القوی و هی آلاتها،و لا وجه لها فی تصرّفاتها غالب الأحوال إلاّ هی،و کانت تلک القوی فی أکثر الخلق جاذبه لنفوسها إلی مستشتهیاتها الطبیعیّه بالطبع،و کانت تلک النفوس فی أکثر الناس منقاده لقواها معرضه عن الآخره مشغوله بحاضر ما وجدته من لذّات الدنیا عن تصوّر ما ورائها.ثمّ مع ذلک کان المطلوب منها ما یضادّ ذلک و هو ترک حاضر الدنیا،و منازعه هذه القوی فی مستشتهیاتها، و جذبها عن التوجّه بکلیّتها إلیها لمتابعه النفس فی التفاتها عن ذلک إلی أمر لا یتصوّر فی الدنیا إلاّ بالأوصاف الخیالیّه کما هو وظیفه الأنبیاء علیهم السّلام مع الخلق کانت إرادته تعالی لذلک الالتفات مع ما هم فیه من منازعه الهوی فإن أطاعوه هلکوا و إن عصوه نجوا صوره امتحان.فاشبه ذلک ما یعتمده أحدنا عند عبده إذا أراد مثلا اختبار صبره و محنته له فوهب له جمیع ما یشتهیه ثمّ کلّفه مع ذلک بتکالیف شاقّه لا یتمکّن من فعلها إلاّ بالتفاته عن مشتهاه و تنغیصه علیه.فلا جرم صدقت صوره الابتلاء و الاختبار من اللّه فی الوجود، و کذلک ظهر معنی کونها فتنه.فإنّ الفتنه الامتحان و الاختبار.و إنّ قدّرناها حالا فهی بمعنی الضلال و یعود إلی جذبها للنفوس إلی حاضر لذّاتها عن سنن الحقّ.

الرابع :کونهم ما أخذوه منها اخرجوا منه و حوسبوا علیه .و هو تنبیه علی

۱- ۱) ۳۶-۲۱

۲- ۲) ۷۷-۲۷

۳- ۳) ۲۲-۵۷

وجـوب قصـد الآـخره بمـا يؤخـذ مـن الـدنيا و يتصـرّف فيـه،و تنفير أن يجعـل المـأخوذ منهـا لمجرّد التمتّـع بهـا بـذكر وصفين:أحدهما:وجوب مفارقه المأخوذ منها و الإخراج منه، و الثانى:الحساب عليه فى الآخره.

و اعلم أن الحسـاب على رأى الملّيّين ظـاهر،قـالوا:إنّ اللّه تعـالى قادر على حساب الخلق دفعه واحـده و لا يشـغله كلام عن كلام كما قال: «وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسابِ» .أمّا الحكماء فقالوا:إنّ للحساب معنى،و تقريره بتقديم مقدّمات.

الاولى أنّ كثره الأفعـال و تكرّرهـا يوجب حـدوث الملكات فى النفوس،و الاسـتقراء التامّ يكشف عن ذلك،و من كان مواظبته على عمل من الأعمال أكثر كان رسوخ تلك الملكه الصادره عن ذلك الفعل فى نفسه أقوى.

الثـانيه:أنّه لمّـا كـان تكرّر العمل يوجب حصول الملكه وجب أن يكون لكلّ عمل يفعله الإنسان أثر فى حصول تلك الملكه بل يجب أن يكون لكلّ جزء من أجزاء العمل الواحد أثر فى حصول لها بوجه ما و ضـربوا لذلك مثالا فقالوا:لو فرضنا سفينه عظيمه بحيث لو القى فيها مائه ألف منّ فإنّها تغوص فى الماء قـدر شبر واحـد و لو لم يكن فيها إلا حبّه واحده من الحنطه فذلك القدر من الجسم الخفيف فيهـا يوجب غوصـها فى الماء بمقـدار ماله من الثقل و إن بلغ فى القلّه إلى حيث لا يـدركه الحسّ.إذا عرفت ذلك فنقول:

ما من فعل من الخير و الشر قليل و لا كثير إلاّ و يفيـد حصول أثر فى النفس إمّا سعاده أو شـقاوه.و عنـد هـذا ينكشف سـرّ قوله تعالى «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ» و كذلك لمّا ثبت أنّ الأفعال إنّما تصدر بواسطه الجوارح من اليد و الرجل و غيرهما لا جرم كانت الأيدى و الأرجل شاهده على الإنسان يوم القيامه بلسان حالها على معنى أنّ تلك الآثار النفسانيّه إنّما حصلت فى جواهر النفوس بواسطه الأفعال الصادره عنها فكان صدور تلك الأفعال من تلك الجوارح جاريا مجرى الشـهاده على النفس بما اكتسبه بها.إذا عرفت ذلك فنقول:لمّا كانت حقيقه المحاسبه تعود إلى تعريف الإنسان ماله و ما عليه من مال و نحوه.و كان ما يحصل من النفوس من الملكات الخيريّه و الشـرّيّه امورا مضبوطه فى جوهرها محصاه عليها و إنّما تنكشف لها كثره تلك الهيئات و تمكّنها

ص:١۶٠

من ذواتها و تضرّرها بها فی الآن الّذی تنقطع فيه علاقه النفس مع البدن أشبه ذلک ما تبيّن للإنسان عند المحاسبه ممّا احصی عليه و له.فاطلق عليه لفظ الحساب.و ذلک اليقين و الاطّلاع هو المشار إليه بقوله عليه السّلام : و قدّموا عليه ،و ليس المقصود أنّ ما يقدم عليه فی الآخره هو عين ما اخذ من الدنيا بل ثمرته فی النفوس من خير أو شرّ فالّذی يتناوله الجاهلون منها لمجرّد التنعم بها فهو الّذی يتمكّن عنه هيئات السوء فی جواهر نفوسهم فيقدمون عليها و يقيمون بها «فِی عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» .

الخامس: تشبيه كونها عند ذوی العقول كفیء الظلّ ،و نبّه بهذا الوصف علی سرعه زوالها،و إنّما خصّص ذوی العقول بذلک لأمرين:أحدهما:أنّ المعتبر لزوالها عامل بمجرّد عقله دون هواه فلذلک نسب إلی العقل.الثانی:أنّ حال ذوی العقول مرغوب فيه لمن سمعه.و لمّا كان مقصوده تحذير السامعين من سرعه زوالها ليعملوا فيها لما بعدها نسب ذلک إلی ذوی العقول ليقتفی السامعون أثرهم.ثمّ أشار إلی وجه شبهها للظلّ بقوله : بينا تراه .إلی آخره:أی أنّها يسرع زوالها كما يسرع زواله،و هو من التشبيهات السائره،و مثله قول الشاعر.

ألا إنّما الدنيا كظلّ غمامه أظلّت يسيرا ثمّ حفّت فولّت

۶۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

وَ اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ- وَ ابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ- وَ تَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ- وَ اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ- وَ كُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا- وَ عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى- وَ مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَ بَيْنَ الْجَنَّهِ أَوِ النَّارِ- إِلاَّ الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ- وَ إِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَ تَهْدِمُهَا

السَّاعَهُ- لَجَدِيرَهٌ بِقِصَرِ الْمُدَّهِ- وَ إِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ- اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَهِ الْأَوْبَهِ- وَ إِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَهِ- لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّهِ- فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا- مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً- فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ وَ قَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَ غَلَبَ شَهْوَتَهُ- فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ وَ أَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ- وَ الشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَهَ لِيَرْكَبَهَا- وَ يُمَنِّيهِ التَّوْبَهَ لِيُسَوِّفَهَا- إِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا- فَيَا لَهَا حَسْرَهً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَهٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّهً- وَ أَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشِّقْوَهِ- نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ- أَنْ يَجْعَلَنَا وَ إِيَّاكُمْ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ نِعْمَهٌ- وَ لاَ تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَهِ رَبِّهِ غَايَهٌ- وَ لاَ تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَهٌ وَ لاَ كَآبَهٌ

اللغه

أقول: المبادره : المسارعه .و السدى : المهمل .و جدير بكذا : أى أولى به .و حرّى :

حقيق . كنايه و التسويف : قول الإنسان سوف أفعل،و هو كنايه عن التمادى فى الأمر .و البطر:

تجاوز الحدّ فى الفرح .و الكآبه : الحزن .

المعنى

اشاره

و حاصل هذه الموعظه التنفير من الدنيا و الترغيب فى الآخره و ما يكون وسيله إلى نعيمها و الترهيب ممّا يكون سببا للشقاء فيها.

فقوله:فاتّقوا اللّه.إلى قوله:بأعمالكم

فقوله: فاتّقوا اللّه .إلى قوله: بأعمالكم .

فيه تنبيه على وجوب لزوم الأعمال الصالحه،و حثّ عليها بالأمر بمسابقه الآجال و على توقّع سرعه الأجل و إخطاره بالبال،و هو من الجواذب القويّه إلى اللّه تعالى.

تشبيه و نسب المسابقه إلى الآجال ملاحظه لشبهها بالمراهن إذ كان لحوقها حائلا بينهم و بين

الأعمال الصالحه الشبيهه بما يسبق عليه من رهن .

فقوله:و ابتاعوا ما بقى.إلى قوله:عنكم.

فقوله: و ابتاعوا ما بقى.إلى قوله:عنكم.

إشاره إلى لزوم الزهد فى الدنيا،و التخلّى عن متاعها الفانى،و أن يشترى به ما يبقى من متاع الآخره.و قد عرفت غير مرّه إطلاق لفظ البيع هنا.و قيّد المشترى بما يبقى،و الثمن بما يزول ليكون المشترى أحبّ إلى النفوس لبقائه .

و قوله:فترحّلوا فقد جدّ بكم.

تشبيه و قوله: فترحّلوا فقد جدّ بكم.

أمر بالترحّل،و هو قطع منزل منزل من منازل السفر إلى اللّه تعالى فى مراتب السلوك لطريقه،و نبّه على وجوب الترحّل بقوله: فقد جدّ بكم :أى فى السير إلى آجالكم بقوّه و ذلك الجدّ يعود إلى سرعه توارد الأسباب الّتى تعدّ المزاج للفساد و تقرّبه إلى الآخره ملاحظه لشبهها بسابق الإبل و نحوها .

و قوله:و استعدّوا للموت فقد أظلّكم.

استعاره و قوله: و استعدّوا للموت فقد أظلّكم.

الاستعداد له هو باستكمال النفوس كما لها الّذى ينبغى حتّى لا يبقى للموت عندها كثير وقع بل يكون محبوبا لكونه وسيله إلى المحبوب و هو لقاء اللّه و السعاده الباقيه فى حضره الملأ الأعلى،و نبّه بقوله: فقد أظلّكم .على قربه.و استلزم ذلک تشبيهه بالسحاب و الطير فاستعير له وصف الإظلال .

و قوله:و كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا.

و قوله: و كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا.

تنبيه لهم على الالتفات إلى منادى اللّه،و هو لسان الشريعه و الانتباه بندائه من مراقد الطبيعه .

و قوله:و علموا.إلى قوله:سدى.

و قوله: و علموا.إلى قوله:سدى.

تنبيه لهم على أنّ الدنيا ليست بدار لهم ليلتفتوا عن الركون إليها و يتوقّعوا الإخراج منها.ثمّ أمرهم بالاستبدال بها ليذكّروا أنّ هناک عوضا منها يجب أن يلتفت إليه و هو الدار الآخره،و نبّه بقوله : فإنّ اللّه لم يخلقكم عبثا .إلى آخره على وجوب العمل لذلک البدل فإنّهم لم يخلقوا إلاّ لأمر وراء ما هم فيه .

و قوله:ما بین أحدکم.إلی قوله:ینزل به

و قوله: ما بین أحدکم.إلی قوله:ینزل به .

ص:۱۶۳

تعیین لما خلقوا له و وعدوا بالوصول إلیه و أنّه لا حایل بینهم و بینه إلّا الموت.

قال بعض الشارحین:و هذا الکلام ممّا یصلح متمسّکا للحکماء فی تفسیرهم للجنّه و النار فإنّهم لمّا قالوا:إنّ الجنّه تعود إلی المعارف الإلهیّه و لوازمها،و النار تعود إلی حبّ الدنیا و المیل إلی مشتهیاتها.و تمکّن الهیئات الردیئه فی جوهر النفس و عشقها بعد المفارقه لما لا یتمکّن من العود إلیه کمن نقل عن مجاوره معشوقه و الالتذاذ به إلی موضع ظلمانیّ شدید الظلمه مع عدم تمکّنه من العود إلیه کما قال تعالی «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ کَلّا» (۱)الآیه.و کان إدراک لذّه المعارفه التامّه، و إدراک ألم النار بالمعنی أمرا یتحقّق حال مفارقه هذا البدن.إذ کان الإنسان فی عالم الشهاده فی إدراکه لما حصل فی نفسه و تمکّن من الهیئات کعضو مفلوج غطّی خدره علی ألمه فإذا أزال الخدر أحسّ بالألم فکذلک النفس بعد الموت تدرک مالها من لذّه أو ألم کما هو لزوال الشواغل البدنیّه عنها.

قلت:و هذا الکلام أیضا ظاهر علی مذهب المتکلّمین إذ جاء فی الخبر أنّ العبد یکشف له الموت عمّا یستحقّه من جنّه أو نار ثمّ یؤجّل ذلک إلی قیام القیامه الکبری .

و قوله:و إنّ غایه.إلی قوله:المدّه.

کنایه و قوله: و إنّ غایه.إلی قوله:المدّه.

کنّی بالغایه عن الأجل المعلوم للإنسان ثمّ نبّه علی قصره و حقارته بأمرین:

أحدهما:کونه تنقصه اللحظه:أی النظره.و هو ظاهر فإنّ کلّ جزء من الزمان فرصه قد مضی من مدّه الإنسان منقص لها.

الثانی: استعاره بالکنایه کونه تهدمها الساعه .کنّی بالساعه عن وقت الموت،و لا شکّ أنّ الآن الّذی تنقطع فیه علاقه النفس مع البدن غایه لأجل الإنسان.و غایه الشیء هی ما یتعلّق عندها الشیء فکنّی بالهدم عن ذلک الانقطاع و الانتهاء کنایه بالمستعار.و ظاهر أنّ مدّه هذا شأنها فی غایه القصر .

و قوله:و إنّ غائبا.إلی قوله:الأوبه

و قوله: و إنّ غائبا.إلی قوله:الأوبه.

أشار بالغائب إلی الإنسان إذ کانت الدنیا عالم غربته و محلّ سفره،و منزله الحقیقیّ

۱- ۱) ۱۰۱-۲۳

إنّما هو منشأه و ما إليه مرجعه،و إنّما سمّى الليل و النهار جديدان لتعاقبهما فليس أحدهما مختلفا للآخر. استعاره و استعار لفظ الحدو لما يستلزمانه من إعداد الإنسان لقرب أجله المشبه لصوت الحادى الّذى يحدو الإبل لسرعه سيرها و قربها من المنزل المقصود لها.

و ظاهر أنّ من كان الليل و النهار حادييه فهو فى غايه سرعه الرجوع إلى مبدئه و وطنه الأصلى .و قال بعض الشارحين:أراد بالغائب الموت.و هو و إن كان محتملا إلا أنّه لا يطابقه لفظ الأوبه لأنّ الموت لم يكن جائيا أو ذاهبا حتّى يرجع .

و قوله:و إنّ قادما.إلى قوله:العدّه

و قوله: و إنّ قادما.إلى قوله:العدّه.

أشار بالقادم بالفوز أو الشقوه إلى الإنسان حين قدومه على ربّه بعد المفارقه فإنّه إمّا الفوز بالسعاده الباقيه،أو الحصول على الخيبه و الشقوه.و نبّه بذكر القدوم على أنّ من هذا شأنه فالواجب عليه أن يستعدّ بأفضل عدّه ليصل بها إلى أحبهما لديه، و يتباعد بها عن أكرههما عنده .

و قوله:فتزوّدوا.إلى قوله:غدا

استعاره و قوله: فتزوّدوا.إلى قوله:غدا.

فصّل نوع تفصيل أفضل العدّه و هو الزاد الّذى يحرز الإنسان به نفسه يوم القيامه من السقب فى نار جهنّم و غليل حرّها،و أشار بذلك الزاد إلى تقوى اللّه و خشيته.و قد علمت حقيقه الخشيه و الخوف و أنّه إنّما يحصل فى الدنيا.و أمّا كونه من الدنيا فلأنّ الآثار الحاصله للنفس من الحالات و الملكات كالخشيه و الخوف و ساير ما يتزودّه و يستصحبه بعد المفارقه امور إنّما حصلت عن هذا البدن و استفيدت من الدنيا بواسطته.و المشابهه الّتى لأجلها استعار لفظ الزاد هنا هو ما يشترك فيه الزاد المحسوس و التقوى من سلامه المتزوّد بهما كلّ فى طريقه فذاك فى المنازل المحسوسه من عذاب الجوع و العطش المحسوسين،و هذا فى المنازل المعقوله و مراتب السلوك و مراحل السفر إلى اللّه تعالى من عذاب الجوع المعقول .

و قوله:فاتّقى عبد ربّه.إلى قوله شهوته

و قوله: فاتّقى عبد ربّه.إلى قوله شهوته.

أو امر وردت بلفظ الماضى خاليه عن العطف و هى بلاغه تريك المعنى فى أحسن صوره.

فالأمر بالتقوى تفسير للأمر بالزاد كما قال تعالى «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» (۱)

۱- ۱) ۱۹۳-۲

و الأمر بنصيحه النفس أمر بالنظر فی مصالحها،و الشعور علیها أن تعمل ما هو الأولی بها من التمسّک بحدود اللّه و الوقوف عندها،و الأمر بتقدیم التوبه و غلب الشهوه هو من جمله الأمر بالنصیحه کالتفسیر له و من لوازم التقوی أردفه بهما،و أراد تقدیم التوبه علی الموت أو بالنسبه إلی کلّ وقت سیحضر .

و قوله:فإنّ أجله.إلی قوله:شقوه

و قوله: فإنّ أجله.إلی قوله:شقوه.

حثّ علی امتثال أو امره السائقه إلی التوبه و غیرها،و تحذیر من هجوم المنیّه علی غفله لما یستلزمه ذلک من شدّه الحسره و طول الندم علی التفریط،و ذلک أنّ ستر الأجل عن الإنسان موجب للغفله عنه فإذا انضاف إلی ذلک خداع الأمل الناشیء عن وساوس الشیطان فی تزیینه المعصیه و تسویفه التوبه مع کون موکّلا به و قرینا له کما قال سیّد المرسلین صلی اللّه علیه و آله و سلّم:ما من مولود إلّا و یولد معه قرین من الشیطان.کانت الغفله أشدّ و النسیان أکدّ، استعاره و استعار لفظ الخداع لصورته من النفس الأمّاره بالسوء و هو قولها للإنسان مثلا:تمتّع من شبابک و اغتنم لذّه العیش ما دمت فی مهله و مستقبل من عمرک و ستلحق للتوبه،و نحو ذلک من الأضالیل فإنّ هذه الصوره خداع من الشیطان،و أمّا نسبه ذلک إلی الأمل فلأنّ الأمل هو عزم النفس علی فعل تلک الامور و أمثالها فی مستقبل الأوقات عن توهّم طول مدّه الحیاه و اتّساعها لما تفعله فیها من معصیه و توبه،و ذلک العزم من أسباب الانخداع للشیطان و غروره فلذلک نسب الخداع إلی الأمل مجازا ،و جعل غایه ذلک الخداع هو أن تهجم علی المخدوع متیّته حال ما هو فی أشدّ غفله عنها و اشتغال بما یؤمّله فیکون ذلک مستلزما لأعظم حسره و أکبر ندامه علی أن یکون عمره علیه حجّه شاهدا بلسان حاله علی ما اکتسب فیه من الآثام فصار بعد أن کان وسیله لسعادته سببا لشقاوته .و أغفل نصب علی الحال .و حسره علی التمیز للمتعجّب منه المدعوّ.و اللام فی لها قیل:للاستغاثه.کأنّه قال:یا للحسره علی الغافلین ما أکثرک،و قیل:بل لام الجرّ فتحت لدخولها علی الضمیر و المنادی محذوف و تقدیره یا قوم أدعوکم لها حسره،و أن فی موضع النصب بحذف الجارّ کأنّه قیل:فعلام یقع علیهم الحسره؟فقال:علی کون أعمارهم حجّه علیهم یوم القیامه .

و قوله:نسأل اللّه تعالى.إلى قوله:كأبه.

و قوله: نسأل اللّه تعالى.إلى قوله:كأبه.

خاتمه الخطبه،و سأل اللّه الخلاص عن امور ثلاثه:

الأوّل:أن يخلّصه من شدّه الفرج بنعمه الدنيا فإنّ ذلك من لوازم محبّتها المستلزمه للهلاك الأبدىّ.

الثانى :أن لا تقصر به غايه عن طاعه ربّه:أى لا يقصر عن غايه من غايات الطاعه يقال قصرت هذه الغايه بفلان إذا لم يبلغها.

الثالث :أن لا تحلّ به بعد الموت ندامه و لا حزن و ذلك سؤال لحسم أسبابها و هو اتّباع الهوى فى الدنيا و العدول عن طاعه اللّه.و باللّه العصمه.

۶۲-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى» لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً- فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً- وَ يَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً- كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَهِ غَيْرَهُ قَلِيلٌ- وَ كُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ وَ كُلُّ قَوِىٍّ غَيْرَهُ ضَعِيفٌ- وَ كُلُّ مَالِكٍ غَيْرَهُ مَمْلُوكٌ وَ كُلُّ عَالِمٍ غَيْرَهُ مُتَعَلِّمٌ- وَ كُلُّ قَادِرٍ غَيْرَهُ يَقْدِرُ وَ يَعْجَزُ- وَ كُلُّ سَمِيعٍ غَيْرَهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ- وَ يُصِمُّهُ كَبِيرُهَا وَ يَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا- وَ كُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَ لَطِيفِ الْأَجْسَامِ- وَ كُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرَهُ بَاطِنٌ وَ كُلُّ بَاطِنٍ غَيْرَهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ- لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ- وَ لاَ تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ- وَ لاَ اسْتِعَانَهٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ وَ لاَ شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ وَ لاَ ضِدٍّ مُنَافِرٍ- وَ لَكِنْ خَلاَئِقُ مَرْبُوبُونَ وَ عِبَادٌ دَاخِرُونَ- لَمْ يَحْلُلْ فِى الْأَشْيَاءِ

فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ- وَ لَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ- لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ- وَ لاَ تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ وَ لاَ وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ- وَ لاَ وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَ قَدَّرَ- بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ وَ عِلْمٌ مُحْكَمٌ- وَ أَمْرٌ مُبْرَمٌ الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ- الْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ

اللغه

أقول: المثاور : المواثب .و الداخر : الذليل ،و آده الأمر : أثقله .و ذرء : خلق .

و المبرم : المحكم .

المعنى

و قد اشتملت هذه الخطبه على مباحث لطيفه من العلم الإلهىّ أيضا لا يطّلع عليها

اشاره

إلّا المتبحّرون فيه .

الأوّل:الّذى لم يسبق.إلى قوله:باطنا.

أقول:إنّه لمّا ثبت أنّ السبق و المقارنه و القبليّه و البعديّه امور تلحق الزمان لذاته و تلحق الزمانيّات به،و ثبت أنّه تعالى منزّه عن الزمان إذ كان من لواحق الحركه المتأخّره عن وجود الجسم المتأخّر عن وجود اللّه سبحانه كما علم ذلك فى موضعه لا جرم لم تلحق ذاته المقدّسه و مالها من صفات الكمال و نعوت الجلال شىء من لواحق الزمان.فلم يجز إذن أن يقال مثلا كونه عالما قبل كونه قادر و سابقا عليه،و كونه قادرا قبل كونه عالما،و لا كونه أوّلا للعالم قبل كونه آخرا له قبليّه و سبقا زمانيّا.بقى أن يقال:إنّ القبليّه و البعديّه قد تطلق بمعان اخر كالقبليّه بالشرف و الفضيله و الذات و العليّه،و قد بيّنا فى الخطبه الاولى أنّ كلّ ما يلحق ذاته المقدّسه من الصفات فاعتبارات ذهنيّه تحدثها العقول عند مقايسته إلى مخلوقاته،و شىء من تلك الاعتبارات لا تتفاوت أيضا بالقبليّه و البعديّه بأحد المعانى المذكوره بالنظر إلى ذاته المقدّسه فلا يقال مثلا هو المستحقّ لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار أو بعده و إلّا لكان كمال ذاته قابلا للزياده و النقصان،بل استحقاقه بالنظر إلى ذاته لمّا يصحّ أن يعبّر لها استحقاق واحد لجميعها دائما فلا حال يفرض إلّا و هو يستحقّ فيه أن يعتبر له الأوّليّه و الآخريّه معا استحقاقا أوّليا ذاتيّا لا على وجه الترتّب

و إن تفاوتت الاعتبارات بالنظر إلى اعتبارنا،و هذا بخلاف غيره من الامور الزمانيّه فإنّ الجوهر مثلا يصدق عليه كونه أوّلا من العرض و لا يصدق عليه مع ذلك أنّه آخر له حتّى لو فرضنا عدم جميع الأعراض و بقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين معا بل استحقاقه لاعتبار الأوّليّه متقدّم إذ كانت بعض أحواله سابقه على بعض،و لا استحقاقه لهما لذاته بل بحسب بقاء أسبابه.و لا العرض لما صدق عليه أنّه بعد الجوهر يصدق عليه أنّه قبله باعتبار ما،و خلاف المختلفين فى أىّ الصفات أقدم مبنىّ على سوء تصوّرهم لصانعهم «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً» .

إذا عرفت ذلك فنقول:أوّليّته هو اعتبار كونه مبدء لكلّ موجود،و آخريّته هو كونه غايه لكلّ ممكن ،و قد سبق معنى كونه ظاهرا و باطنا فى الخطبه الّتى أوّلها:

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى» بطن خفيّات الامور .

الثانى:كلّ مسمّى بالوحده غيره قليل.

مقصود هذه الكلمه أنّه تعالى لا يوصف بالقلّه و إن كان واحدا،و تقرير ذلك أنّ الواحد يقال بمعان و المشهور منها المتعارف بين الخلق كون الشىء مبدءا لكثره يكون عادّا لها و مكيالا و هو الّذى تلحقه القلّه و الكثره الإضافيّتان فإنّ كلّ واحد بهذا هو قليل بالنسبه إلى الكثره الّتى يصلح أن يكون مبدءا لها و المتصوّر لأكثر أهل العالم صدق هذا الاعتبار على اللّه بل ربّما لا يتصوّر بعضهم كونه تعالى واحدا إلاّ بهذا الوجه،و لمّا كان تعالى منزّها عن الوصف بالقلّه و الكثره لما يستلزمانه من الحاجه و النقصان اللازمين لطبيعه الإمكان أثبت القلّه لكلّ ما سواه فاستلزم إثباتها لغيره فى معرض المدح له و نفيهما عنه.و استلزم ذلك تنزيهه تعالى عن الواحديّه بالمعنى المذكور.إذ سلب اللازم يستلزم سلب ملزومه،و ليس إذا بطل كونه واحدا بهذا المعنى بطل كونه واحدا.فإنّا بيّنا صدق الواحد عليه بمعان اخر فى الخطبه الاولى،و قد يفهم من هذا أنّه لمّا نفى عنه القلّه استلزم ذلك أن يثبت له الكثره،و هو من سوء الفهم و قلّه العلم فإنّ عدم القلّه إنّما يستلزم ثبوت الكثره عند تعاقبها على محلّ من شأنه قبولهما.و ربّما قيل:

إنّ المراد بالقليل هنا الحقير،و هو غير مناسب لذكر الوحده و إنّما قال عليه السّلام:كلّ

مسمّى بالوحده،و لم يقل كلّ واحد ليشعر بأنّ قول الوحده على واحديّته تعالى و على واحديّه غيره قول بحسب اشتراك الاسم .

الثالث:و كلّ عزيز غيره ذليل.

أقول:رسّم العزيز بأنّه الخطير الّذى يقلّ وجود مثله و تشتدّ الحاجه إليه و يصعب الوصول إليه.ثمّ فى كلّ واحد من هذه القيود الثلاثه كمال و نقصان فالكمال فى قلّه الوجود أن يرجع إلى واحد و يستحيل أن يوجد مثله و ليس ذلك إلاّ اللّه سبحانه،و الكمال فى النفاسه و شدّه الحاجه أن يحتاج كلّ شىء فى كلّ شىء،و ليس ذلك على الكمال إلاّ اللّه تعالى،و الكمال فى صعوبه المنال أن لا يوصل إلى حقيقته على معنى الإحاطه بها، و ليس ذلك على كمال إلاّ اللّه تعالى فهو إذن العزيز المطلق الّذى كلّ موجود سواه ففى ذلّ الحاجه إليه و حقاره العبوديّه بالنسبه إلى كمال عزّه.فأمّا العزيز من الخلق فهو الّذى توجد له تلك الاعتبارات لكن لا مطلقا بل بقياسه إلى من هو دونه فى الاعتبارات المذكوره فهو إذن و إن صدق عليه أنّه عزيز بذلك الاعتبار إلاّ أنّه فى ذلّ الحاجه إلى من هو أعلى رتبه منه و أكمل فى تلك الاعتبارات،و كذلك من هو أعلى منه إلى أن ينتهى إلى العزيز المطلق الّذى لا يلحقه ذلّ باعتبار ما.فلذلك أثبت عليه السّلام الذلّ لكلّ عزيز سواه .

الرابع:و كلّ قوىّ غيره ضعيف.

القوّه تعودن إلى تمام القدره،و يقابلها الضعف،و لمّا كان استناد جميع الموجودات إلى تمام قدرته علمت أنّه لا أتمّ من قدرته فكلّ قوّه وصف بها غيره فبالنسبه إلى ضعف يقابلها لمن هو دونه و إذا قيس بالنسبه إلى من هو فوقه كان ضعيفا بالنسبه إليه،و كذلك من هو فوقه إلى أن ينتهى إلى تمام قدره اللّه فهو القوىّ الّذى لا يلحقه ضعف بالقياس إلى أحد غيره و كذلك قوله : و كلّ مالك غيره مملوك .فإنّ معنى المالك يعود إلى القادر على الشىء الّذى تنفذ مشيّته فيه باستحقاق دون غيره،و غيره بإذنه.و لمّا ثبت أنّ كلّ موجود سواه فهو فى تصريف قدرته و مشيّته إذ هما مستند وجوده ثبت أنّه هو المالك المطلق الّذى لست له مملوكيّه بالقياس إلى شىء آخر و أنّ كلّ ما سواه فهو مملوك له و إن صدق عليه

بـالعرف أنّه مالـك بالقيـاس إلى هو دونه.ثمّ لاـ يخفى عليك ممّا سـلف أنّ قول القوّى و المالـك عليه و على غيره قول بحسب اشتراك الاسم أيضا.

الخامس:و كلّ عالم غيره متعلّم.

لمّا ثبت أنّ علمه تعالى بالأشياء على ما مرّ من التفصيل إنّما هو لذاته،و لم يكن شىء منه بمستفاد من أمر آخر،و كان علم من سواه إنّما هو مستفاد بالتعلّم من الغير ثمّ الغير.من الغير إلى أن ينتهى إلى علمه تعالى الفايض بالخيرات لا جرم كان كلّ عالم سواه متعلّما و إن سمّى عالما بحصول العلم له،و كان هو العالم المطلق الّذى لا حاجه به فى تحصيل العلم إلى أمر آخر .

السادس:و كلّ قادر غيره يقدر و يعجز.

أقول:قدره اللّه تعالى تعود إلى اعتبار كونه مصدرا لآثاره.فأمّا قدره الغير فقد يراد بها قوّه جسمانيّه متبّثه فى الأعضاء محرّكه لها نحو الأفاعيل الاختياريّه.و العجز ما يقابل القدره بهذا المعنى و هو عدمها عمّا من شأنه أن يقدر كما فى حقّ الواحد منّا، و قد يراد بهما اعتباران آخران يتقابلان.إذا عرفت ذلك فنقول:القادر المطلق على كلّ تقدير هو مستند كلّ مخترع و موجود اختراعا ينفرد به و يستغنى فيه عن معاونه غيره و ذلك إنّما يتحقّق فى حقّ اللّه سبحانه فأمّا كلّ منسوب إلى القدره سواه فهو و إن كان بالجمله ذا قدره إلاّـ أنّها ناقصه لتناولها بعض الممكنات فقط و قصورها عن البعض الآخر و عدم تناولها له إذا كانت لا تصلح للمخترعات و إن نسب إليه إيجاد شىء فلأنّه فاعل أقرب و واسطه بين القادر الأوّل سبحانه و بين ذلك الأثر لا لذاته استقلالا و تفرّدا به على ما علم فى مظانّه.فكلّ قادر سواه فلذاته يستحقّ العجز و عدم القدره بالنسبه إلى ما يمكن تعلّق قدرته به من سائر المخترعات و الممكنات و إنّما يستحقّ القدره من وجوده.فهو إذن الفاعل المطلق الّذى لا يعجزه شىء عن شىء و لا يستعصى على قدرته شىء .

السابع:

استعاره و كلّ سميع غيره يصمّ عن لطيف الأصوات،و يصمّه كبيرها،و يذهب عنه ما بعد منها.

أقول:حسّ السمع فى الحيوان عباره عن قوّه تنفذ من الدماغ إلى الاذن فى

عصبته ثابته منه إلى الصماخ مبسوطه عليه كجلد الطبل،و هذه العصبه آله هذه القوّه.

و الصوت هيئه تحصل فى الهواء عن تموجّه بحركه شديده إمّا من قرع يحصل من اصطكاك جسمين صلبين فيضغط الهواء بينهما و ينفلت بشدّه،و إمّا من قلع شديد فيلج الهواء بين الجسمين المنفصلين الصلبين و يحصل عن السببين تموّج الهواء على هيئه مستديره كما يفعل وقوع الحجر فى الماء فإذا انتهى ذلك التموّج إلى الهواء الّذى فى الاذن تحرّك ذلك الهواء الراكد حركه مخصوصه بهيئه مخصوصه فتنفعل العصبه المفروشه على الصماخ عن تلك الحركه و تدركها القوّه السامعه هناك فهذا الإدراك يسمّى سماعا.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ إدراك هذه القوّه للصوت يكون على قرب و بعد و حدّ من القوّه و الضعف مخصوص فإنّه إن كان الصوت ضعيفا أو بعيدا جدّا لم يحصل بسببه تموّج الهواء فلم يصل إلى الصماخ فلم يحصل السماع و ذلك معنى قوله: يصمّ عن لطيف الأصوات، و يذهب عليه ما بعد منها.

فإن قلت:لم خصّص اللطيف بالصمّ عنه و البعيد بالذهاب عليه.

قلت:يشبه أن يكون لأنّ البعيد فى مظنّه أن يسمع و إنّما يفوته بسبب عدم وصول الهواء الحامل له إليه،و أمّا الخفىّ فلمّا فلم يكن من شأنه أن تدركه القوّه السامعه أشبه عجزها عن إدراكه الصمّ فاستعير لفظه له،و أمّا إن كان الصوت فى غايه القوّه و القرب فربّما أحدث الصمّ و ذلك لشدّه قرعه للصماخ و تفرّق اتّصال الروح الحامل لقوّه السمع عنه بحيث يبطل استعدادها لتأديه القوّه إلى الصماخ و كلّ ذلك من نقصان الحيوان و ضعفه،و لمّا كان البارى تعالى منزّها عن الجسميّه و توابعها لا جرم كانت هذه اللواحق من الصمم عن لطيف الأصوات،و ذهاب بعيدها،و الصمّ من كبيرها مخصوصه بمن له تلك القوّه المذكوره و السمع المخصوص فكلّ سامع غيره فهو كذلك.و استلزم ذلك فى معرض مدحه بتنزيهه سبحانه عنها.و إذ ليس سميعا بالمعنى المذكور و قد نطق القرآن بإثبات هذه الصفه له فهو سميع بمعنى أنّه لا يعزب عن إدراكه مسموع و إن خفى فيسمع السرّ و النجوى بل ما يسمع هو أدّق و أخفى حمد الحامدين و دعاء الداعين،و ذلك هو السميع الّذى لا يتطرّق إليه الحدثان إذ لم يكن بآله و آذان .

ص:۱۷۲

الثامن:

مجاز من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب و كل بصير غيره يعمى عن خفىّ الألوان و لطيف الأجسام .

أقول:خفىّ الألوان مثلا-كاللون فى الظلم،و اللطيف قد يكون بمعنى عديم اللون كما فى الهواء،و قد يكون بمعنى رقيق القوام كالجوهر الفرد عند المتكلّمين، و كالذّره،و اللطيف بالمعنيين غير مدرك للحيوان،و اطلق لفظ.العمى مجازا إذ كان عباره إمّا عن عدم البصر مطلقا أو عن عدمه عمّا من شأنه أن يبصر و لا واحد من هذين الاعتبارين بموجود للبصير غير اللّه فلم يكن عدم إدراكها عمى حقيقيّا بل لكون العمى من أسباب عدم الرؤيه اطلق لفظه عليه إطلاقا لاسم السبب على المسبّب،و هذا الحكم فى معرض مدحه إن يستلزم تنزيه بصره عن لاحق العمى و مظنّته إذ كان سبحانه منزّها عن معروض العمى و البصر و متعاليا عن أن يكون إدراكه بحدقه و أجفان و انطباع الصور و الألوان و إن كان يشاهد و يرى حتّى لا-يعزب عنه ما تحت الثرى.و إذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو البصير باعتبار أنّه مدرك لكمال صفات المبصرات،و ذلك الاعتبار أوضح و أجلى ممّا يفهم من إدراك البصر القاصر على ظواهر المرئيّات.

التاسع:و كلّ ظاهر غيره باطن .

أقول:ظهور الأشياء هو انكشافها للحسّ أو للعقل انكشافا بيّنا،و يقابله بطونها و هو خفاؤها عن أحدهما،و لمّا ثبت أنّه تعالى منزّه عن الجسميّه و لو احقها علم كونه منزّها عن إدراك الحواسّ،و لمّا قام البرهان على أنّه تعالى برىء عن أنحاء التراكيب الخارجيّه و العقليّه وجب تنزّه ذاته المقدّسه عن اطّلاع العقول عليها فعلم من هذا الترتيب أنّه لا يشارك الأشياء فى معنى ظهورها و قد وصف نفسه بالظهور فيجب أن يكون ظهوره عباره عن انكشاف وجوده فى جزئيّات آثاره كما قال تعالى «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (۱)و إن كانت مشاهده الحقّ له على مراتب متفاوته و درجات متصاعده كما أشار إليه بعض مجرّدى السالكين:ما رأينا اللّه بعده.فلمّا ترقّوا عن تلك المرتبه درجه من المشاهده و الحضور قالوا:ما رأينا شيئا إلاّ و رأينا اللّه فيه.فلمّا ترقّوا قالوا:ما رأينا شيئا إلاّ و رأينا اللّه قبله.فلمّا ترقوا قالوا:ما رأينا شيئا سوى اللّه.

۱- ۱) ۵۳-۳۱

و الاولى مرتبه الفكر و الاستدلال عليه،و الثانيه مرتبه الحدس،و الثالثه مرتبه المستدلّين به لا عليه،و الرابعه مرتبه الفناء فى ساحل عزّته و اعتبار الوحده المطلقه محذوفا عنها كلّ لاحق.و إذا عرفت معنى ظهوره علمت أنّ شيئا من الممكنات لا يكون له الظهور المذكور فإنّه و إن كان لبعض الأشياء فى عقل أو حسّ إلاّ أنّه ليس فى كلّ عقل و فى كل حسّ إذ كلّ مطّلع على شيء فالّذى خفى عته أكثر ممّا اطّلع عليه فكلّ ظاهر غيره فهو باطن بالقياس إليه و هو تعالى الظاهر لكلّ شيء و فى كلّ شيء لكونه مبدء كلّ شيء و مرجع كلّ شيء .

العاشر:و كلّ باطن غيره فهو ظاهرفهو غير ظاهر خ.

و قد علمت معنى البطون للممكنات و ظهورها،و علمت أيضا ممّا سبق أنّ كونه باطنا يقال بمعنيين:أحدهما:أنّه الّذى خفى قدس ذاته عن اطّلاع العقول عليه.و الثانى:

أنّه الّذى بطن جميع الأشياء خبره و نفذ فيها علمه.ثمّ علمت الظهور المقابل للمعنى الأوّل، و أمّا المقابل للثانى فهو الّذى لم يطّلع إلاّ على ظواهر الأشياء لم يكن له اطّلاع على بواطنها يقال فلان ظاهر و ظاهرى.

إذا عرفت ذلك فنقول:إنّ كلّ باطن غيره سوا كان المراد بالبطون خفاء المتصوّر أو نفوذ العلم فى البواطن.فهو ظاهر بالقياس إليه تعالى ظهورا بالمعنى الّذى يقابله.أمّا الأوّل فلأنّ كلّ ممكن و إن خفى على بعض العالمين لم يخف على غيره و إن خفى على الكلّ فهو ظاهر فى علمه تعالى و ممكن الظهور فى علم غيره فليس إذن بخفى مطلقا و هو تعالى الباطن الّذى لا أبطن منه و كلّ باطن غيره فهو ظاهر بالقياس إليه.و أمّا الثانى فلأنّ كلّ عالم و إن جلّ قدره فلا إحاطه له ببعض المعلومات و هو قاصر عن بعضها،و بعضها غير ممكن له و هو تعالى الّذى لا يعزب عن علمه «مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي اَلْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لاـ أَكْبَرَ» و كلّ ظاهر بالقياس إليه،و فى بعض النسخ و كلّ ظاهر غيره غير باطن و كلّ باطن غيره غير ظاهر،و معنى القضيّتين أنّ كلّ ممكن إن كان ظاهرا منكشفا لعقل أو حسّ لم يوصف مع ذلك بأنّه باطن كالشمس مثلا و إن كان باطنا خفيّا عن العقل و الحسّ لم يوصف مع ذلك بأنّه ظاهر،و هو تعالى الموصوف بأنّه الباطن الظاهر معا.و فى هذه النسخه نظر.فإنّا إنّما أثبتنا كونه تعالى ظاهرا و باطنا معا باعتبارين

و فی بعض الممکنات ما هو کـذلک کالزمان مثلا فإنّ کلّ عاقل یعلم بالضـروره وجود الزمان و إن خفیت حقیقته علی جمهور الحکمـاء و اضـطربت علیه أقوال العلماء و کـذلک العلم فلیس إذن کلّ ظاهر غیره غیر باطن و لا کلّ باطن غیره غیر ظاهر.و اللّه أعلم .

الحادی عشر:لم یخلق ما خلقه لتشدید سلطان.إلی قوله:منافر.

أقول:إنّه تعالی لا یفعل لغرض و متی کان کذلک کان منزّها عن خصوصیّات هذه الأغراض.أمّا الأوّل فبرهانه أنّه لو فعل لغرض لکان وجود ذلک الغرض و عدمه بالنسـبه إلیه تعالی إمّا أن یکونا علی سواء،أو لیس.و الأوّل باطل و إلاّ لکان حصول الغرض له ترجیحا من غیر مرجّح،و الثانی باطل لأنّهما إذ الم یستویا کان حصول الغرض أولی به فحینئذ یکون حصول ذلک الغرض معتبرا فی کماله فیکون بدونه ناقصا تعالی اللّه عن ذلک.

لا یقال:لیست أولویه الغرض بالنسبه إلی ذاته بل بالنسبه إلی العبد إذ غرضه الإحسان إلی الغیر.

لأنّا نقول:غرض إحسانه إلی الغیر و عدمه إن کانا بالنسبه إلیه علی سواء عاد حدیث الرجحان بلا مرجّح،و إن کان أحدهما أولی به عـاد حـدیث الکمال و النقصان.و إذا عرفت أنّه تعالی لا یفعل لغرض،و کلّ ما ذکره علیه السّـلام فی هـذا الفصل من تشـدید سلطان و تقویته أو تخوّف عاقبه زمان أو استعانه علی ندّو شریک و ضدّ أغراض علمت صدق قوله:

إنّه لم یخلق شیئا من خلقه لشیء من هذه الامور.و هذا تنزیه من طریق نفی الغرض المطلق.

و أمّا تنزیهه تعالی عن خصوصـیّات هـذه الأغراض فلأنّ تشدیـد السـلطان إنّما یحتاج إلیه ذو النقصان فی ملکه،و لمّا کان تعالی هو الغنیّ المطلق فی کلّ شیء عن کلّ شیء صدق أنّ ذلک بغرض له ممّا خلق،و أمّا التخوّف عن عواقب الزمان فلأنّ التضرّر و الانتفـاع و لواحقهمـا من الخوف و الرجـاء و نحوهما إنّما هی من لواحق الممکنات القابله للنقصان و الکمال و ما هو فی معرض التغیّر و الزوال،و لمّا ثبت تنزیهه تعالی عن الانفعال عن شـیء لم یتصوّر أن یکون أحـد هـذه الامور غرضا له،و لذلک الاسـتعانه علی النّدو الضدّ و الشریک فإنّ الاستعانه هی طلب العون من الغیر و ذلک من لوازم الضعف

و العجز و الخوف و أنّه لا عجز فلا استعانه فلا ندّ و لا شريک و لا ضدّ،و کذلک نقول:لا ندّ و لا شريک و لا ضدّ فلا استعانه و الغرض تنزيهه سبحانه عن صفات المخلوقين و خواصّ المحدثين .

و قوله:و لکن خلايق مربوبون و عباد داخرون.

و قوله: و لکن خلايق مربوبون و عباد داخرون.

أی بل خلايق خلقهم بمحض جوده و هو فيضان الخير عنه علی کلّ قابل بقدر ما يقبله من غير بخل و لا منع و تعويق،و بذلک الاعتبار کان کلّ شیء و کلّ عبد ذليل و هو مالکه و مولاه :

و قوله:لم يحلل فی الأشياء فيقال هو فيها کائن.

و قوله: لم يحلل فی الأشياء فيقال هو فيها کائن.

إشاره إلی وصفه بسلب کونه ذا محلّ.و للناس فی تنزيهه تعالی عن المحلّ کلام طويل.و المعقول من الحلول عند الجمهور قيام موجود بموجود علی سبيل التعبيه له،و ظاهر أنّ الحلول بهذا المعنی علی الواجب الوجود محال لأنّ کونه تبعا للغير يستلزم حاجته إليه و کلّ محتاج ممکن.قال أفضل المتأخّرين نصير الدين الطوسی-أبقاه اللّه-:

و الحق أنّ حلول الشیء فی الشیء لا يتصوّر إلاّ إذا کان الحال بحيث لا يتعيّن إلاّ بتوسّط المحل و إذ لا يمکن أن يتعيّن واجب الوجود بغيره فإذن يستحيل حلوله فی غيره.

إذا عرفت ذلک فنقول:لمّا کان الکون فی المحلّ و النائی عنه و المباينه له امورا إنّما يقال علی ما يصحّ حلوله فيه و يحلّه و کان هو تعالی منزّها عن الحلول وجب أن يمتنع عليه إطلاق هذه الامور.فإذ ليس هو بحالّ فی الأشياء فليس هو بکائن فيها،و إذ ليس بکائن فيها فليس بنائی عنها و لا مباين لها .

و قوله:لم يؤده خلق ما ابتدء و لا تدبير ما ذرء

و قوله: لم يؤده خلق ما ابتدء و لا تدبير ما ذرء.

الإعياء إنّما يقال لذی الأعضاء من الحيوان و إذ ليس تعالی بجسم و لا ذی آله جسمانيّه لم يلحقه بسبب فعله إعياء،و إنّما قال:ما ابتدء.ليکون سلب الإعياء عنه أبلغ إذ ما ابتدء من الأفعال يکون المشقّه فيه أتمّ و تدبيره يعود إلی تصريفه لجميع الذوات و الصفات دائما تصريفا کلّيا و جزئيا علی وفق حکمته و عنايته،و نحوه قوله تعالی «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْیَ بِخَلْقِهِنَّ » (۱).

۱- ۱) ۳۲-۴۶

و قوله:و لا وقف به عجز عمّا خلق.

و قوله: و لا وقف به عجز عمّا خلق.

إشاره إلى كمال قدرته و أنّ العجز عليه محال.و قد سبق بيانه.

و قوله:و لا ولجت عليه شبهه فيما قضى و قدّر.

و قوله : و لا ولجت عليه شبهه فيما قضى و قدّر.

إشاره إلى كمال علمه و نفى الشبهه إن تعرض له.و أعلم أنّ الشبهه إنّما تدخل على العقل فى الامور المعقوله الصرفه غير الضروريّه.و ذلك أنّك علمت أنّ الوهم لا يصدق حكمه إلّا فى المحسوسات فأمّا الامور المعقوله الصرفه فحكمه فيها كاذب فالعقل حال استفصاله وجه الحقّ فيها يكون معارضا بالأحكام الوهميّه فإذا كان المطلوب غامضا فربّما كان فى الأحكام الوهميّه ما يشبه بعض أسباب المطلوب فتتصوّره النفس بصورته و تعتقده مبدءا فينتج الباطل فى صوره المطلوب و ليس به،و لمّا كان البارى تعالى منزّها عن القوى البدنيّه و كان علمه لذاته لم يجز أن تعرض لقضائه و لا قدره شبهه،أو يدخل عليه فيه شكّ لكونهما من عوارضيها.و قد عرفت معنى القضاء و القدر فيما سبق.

و قوله:بلا قضاء متقن و علم محكم .

و قوله: بلا قضاء متقن و علم محكم.

أى برىء من فساد الشبهه و الغلط.

و قوله:و أمر مبرم .

و قوله: و أمر مبرم.

إشاره إلى قدره الّذى هو تفصيل قضاءه المحكم،و ظاهر أنّ تفضيل المحكم لا يكون إلّا محكما:

و قوله:المأمول مع النقم المرهوب مع النعمالمرجوّ من النعم خ .

و قوله: المأمول مع النقم المرهوب مع النعم[المرجوّ من النعم خ].

أقول:منبع هذين الوصفين هو كمال ذاته و عموم فيضه و أنّه لا غرض له و إنّما الجود المطلق و الهبه لكلّ ما يستحقّه،و لمّا كان العبد حال حلول نقمته به قد يستعدّ بالاستغفار و الشكر لإفاضه الغفران و رفع النقمه فيفيضها عليه مع بقاء كثير من نعمه لديه كان تعالى مظنّه الأمل و الفزع إليه فى رفع ما القى فيه و إبقاء ما أبقى حتّى أنّه تعالى هو المفيض لصوره الأمل،و إليه أشار بقوله تعالى «وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِی الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّ إِیّاهُ» و كذلك حال إفاضه نعمته لمّا كان العبد قد يستعدّ بالغفله للإعراض عن شكرها كان تعالى فى تلك الحال أهلا أن يفيض عليه بوادر نقمته بسلبها

فکان هو المأمول مع النقم المرهوب مع النعم فهو المستعان به علیه و هو الّذی لا مفرّ منه إلاّ إلیه،و من عداه مخلوق نقمته غیر مجامع لأمل رحمته،و قیام نعمته معاند لشمول رهبته.فلا مأمول و لا مرهوب فی کلا الحالین سواه.و باللّه العصمه و التوفیق.

۶۳-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

کان یقوله لأصحابه فی بعض أیام صفین

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِینَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْیَهَ- وَ تَجَلْبَبُوا السَّکِینَهَ وَ عَضُّوا عَلَی النَّوَاجِذِ- فَإِنَّهُ أَنْبَی لِلسُّیُوفِ عَنِ الْهَامِ وَ أَکْمِلُوا اللَّأْمَهَ- وَ قَلْقِلُوا السُّیُوفَ فِی أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا- وَ الْحَظُوا الْخَزْرَ وَ اطْعُنُوا الشَّزْرَ- وَ نَافِحُوا بِالظُّبَی وَ صِلُوا السُّیُوفَ بِالْخُطَا- وَ اعْلَمُوا أَنَّکُمْ بِعَیْنِ اللَّهِ وَ مَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ- فَعَاوِدُوا الْکَرَّ وَ اسْتَحْیُوا مِنَ الْفَرِّ- فَإِنَّهُ عَارٌ فِی الْأَعْقَابِ وَ نَارٌ یَوْمَ الْحِسَابِ- وَ طِیبُوا عَنْ أَنْفُسِکُمْ نَفْساً- وَ امْشُوا إِلَی الْمَوْتِ مَشْیاً سُجُحاً- وَ عَلَیْکُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَ الرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ- فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ فَإِنَّ الشَّیْطَانَ کَامِنٌ فِی کِسْرِهِ- وَ قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَهِ یَداً وَ أَخَّرَ لِلنُّکُوصِ رِجْلاً- فَصَمْداً صَمْداً حَتَّی یَنْجَلِیَ لَکُمْ عَمُودُ الْحَقِّ- «وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللّهُ مَعَکُمْ وَ لَنْ یَتِرَکُمْ أَعْمالَکُمْ» أقول:المشهور أنّ هذا الکلام قاله علیه السّلام لأصحابه فی الیوم الّذی کان مساؤه لیله الهریر،و روی أنّه قال فی أوّل اللقاء بصفّین و ذلک فی صفر سنه سبع و ثلاثین.

ص:۱۷۸

اللغه

استشعرت الشیء: اتّخذته شعارا:و هو ما یلی الجسد من الثیاب .و الجلباب: الملحفه .

و السکینه: الثبات و الوقار .و النواجذ : أقاصی الأضراس .و نبا السیف : إذا رجع فی الضربه و لم یعمل و اللأمه بالهمزه الساکنه : الدرع،و بالمدوده مع تضعیف المیم جمیع آلات الحرب و القلقله : التحریک الخزر بفتح الزاء : ضیق العین و صغرها،و کذلک تضییقها و النظر بمؤخّرها عند الغضب .و الطعن الشزر بسکون الزاء : الضرب علی غیر استقامه بل یمینا و شمالا .و الظبی : جمع ظبّه:و هو طرف السیف و المنافحه : التناول بأطراف السیوف .

و الأعقاب : جمع عقب أو جمع عقب و هو العاقبه .و سجحا : أی سهلا .و السواد : العدد الکثیر .و الرواق : بیت کالفسطاط یعمل علی عمود واحد .و ثبجه : وسطه .و الکسر : جانب الخباء و النکوص : الرجوع .و الصمد . القصد .و لن یترکم : أی ینقصکم .

المعنی

اشاره

و اعلم أنّ هذه الأوامر مشتمله علی تعلیم الحرب و المقاتلهو هی کیفیّه یستلزم الاستعداد بها إفاضه النصر لا محاله.

فأوّلها:

استعاره الأمر باستشعار خشیه اللّه کما یلزم الشعار الجسد.و هو استعاره کما سبق.

و فایده هذا الأمر الصبر علی الحرب و امتثال جمیع امور الباقیه.إذ خشیه اللّه مستلزمه لامتثال أوامره و لذلک قدّمه .

الثانی:

استعاره الأمر باتّخاذ السکینه جلبابا تنزیلا للثیاب الشامل للإنسان منزله الملحفه فی شمولها للبدن.و الشمول هو وجه الاستعاره،و فایده هذا الأمر طرد الفشل و إرهاب العدوّ فإنّ الطیش و الاضطراب یستلزمان الفشل و طمع العدوّ .

الثالث:الأمر بالعضّ علی النواجذ

و فایدته ما ذکر و هو أن ینبو السیف عن الهامه.و علّته أنّ العضّ علی الناجذ یستلزم تصلّب العضلات و الأعصاب المتّصله بالدماغ فیقاوم ضربه السیف و یکون نکایته فیه أقلّ،و الضمیر فی قوله : فإنّه .یعود إلی الصدر الّذی دلّ علیه عضوّا کقولک:من أحسن کان خیرا له.و قال بعض الشارحین:عضّ الناجذ کنایه عن تسکین القلب و طرد الرعده و لیس المراد حقیقته.قلت:هذا و إن کان محتملا لو قطع عن التعلیل إلاّ أنّه غیر مراد هنا لأنّه یضیع تعلیله بکونه أنبا للسیوف عن الهامّ .

الرابع:الأمر بإکمال اللأمه،و إکمال الدرع

البيضه و السواعد،و يحتمل أن

ص:۱۷۹

يريد باللامه جميع آلات الحرب و ما يحتاج إليه فيه و فايدته شده التحصّن.

الخامس:الأمر بقلقله السيوف فى الأغماد

،و فايدته سهوله جذبها حال الحاجه إليها فإنّ طول مكثها فى الأغماد يوجب صداها و صعوبه مخرجها حال الحاجه

السادس:الأمر بلحظ الخزر

،و ذلک من هيئات الغضب فإنّ الإنسان إذا نظر من غضب عليه نظره خزرا،و فائدته امور:أحدها:إحماء الطبع و استثاره الغضب،و الثانى:أنّ النظر بكلّيه العين إلى العدوّ أماره الفشل و من عوارض الطيش و الخوف،و ذلک يوجب طمع العدوّ.الثالث:أنّ النظر بكلّيتها إليه يوجب له التفطّن و الحذر و أخذ الاهبّه و التحرّز،و النظر خزرا استغفال له و مظنّه لأخذ عزّته.

السابع:الأمر بالطعن الشرز

،و ذلک أنّ الطعن يمينا و شمالا يوسّع المجال على الطاعن و لأن أكثر المناوشه للخصم فى الحرب يكون عن يمينه و شماله .

الثامن:الضرب بأطراف السيوف.

و فائدته أنّ مخالطه العدوّ و القرب الكثير منه يشغل عن التمكّن من ضربه .

التاسع:الأمر بوصل السيوف بالخطا.

و له فايدتان:إحداهما أنّ السيف ربّما يكون قصيرا فلا ينال الغرض به فإذا انصاف إليه مدّ اليد و الخطوات بلغ به المراد.و فيه قول الشاعر.

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

و قول الآخر:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوما و نلحقها إذا لم تلحق

و قيل له عليه السّلام:ما أقصر سيفک؟فقال:اطوّله بخطوه.الثانيه:أنّ الزحف فى الحرب إلى العدوّ و التقدّم إليه خطوات فى حال المكافحه يكسر توهّمه الضعف فى عدوّه و يلقى فى قلبه الرعب و يداخله الرهبه،و إليه أشار حميد بن ثور الهذلىّ.

و وصل الخطا بالسيف و السيف بالخطا إذا ظنّ أنّ المرء ذا السيف قاصر

ثمّ لمّا أراد تأكيد تلک الأوامر فى قلوبهم و أن يزيدهم أوامر اخرى أردف ذلک بأمرين:أحدهما :أنّ اللّه تعالى يراهم و ينظر كيف يعملون،و ذلک قوله: و اعلموا أنّكم

بعين اللّه ،و الباء هنا کهی فی قولک:أنت منّی بمرأی و مسمع.الثانی:تذکیرهم بکونهم مع ابن عمّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم تنبیها لهم علی فضیلته،و أنّ طاعه کطاعته رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم، و حربه کحربه کما هو المنقول عنه:حربک یا علیّ حربی.فیثبتوا علی قتال عدوّهم کما ثبتوا مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم

العاشر:الأمر بمعاوده الکرّ.

و ذلک عند التحرّف للقتال و الانحیاز إلی الفئه، و أن یستحیوا من الفرار. ثمّ نبّههم علی قبحه بأمرین:أحدهما:أنّه عار فی الأعقاب:أی أنّه عار فی عاقبه أمرکم و سبّه باقیه خلفکم،و العرب تستقبح الفرار کثیرا،الثانی: مجاز تسمیه للشیء باسم غایته کونه نارا یوم الحساب :أی یوجب استحقاق النار،و هو من کبائر المعاصی،و جعله نارا مجازا تسمیه له باسم غایته و هو تذکیر لهم بوعیده تعالی «وَ مَنْ یُوَلِّهِمْ یَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّٰ مُتَحَرِّفاً لِقِتٰالٍ أَوْ مُتَحَیِّزاً إِلیٰ فِئَهٍ فَقَدْ بٰاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ» .

الحادی عشر قوله:و طیّبوا عن أنفسکم نفسا

.و هو تسهیل للموت علیهم الّذی هو غایه ما یلقونه من الشدائد فی الحرب بالبشاره بما هو أعظم و أجلّ من الحیاه الدنیا المطلوبه بترک القتال و هو ما أعدّ لهم من الثواب الباقی،و هذا کما یقول أحدنا للمنفق ماله مع حبّه له طب نفسا عمّا ذهب منک فإنّ الصدقه مضاعفه لک عند اللّه و تجدها خیرا و أعظم أجرا.و نفسا منصوب علی التمییز،و أشار بها إلی النفس المدّبره لهذا البدن،و بالاولی إلی الشخص الزایل بالقتل.

الثانی عشر:الأمر بالمشی إلی الموت سجحا:

أی مشیا سهلا لا تکلّف فیه و لا تخشّع فإنّ المتکلّف سریع الفرار،و هو أمر لهم بالمشی إلی غایه ما یخافون من القتال لیوطّنوا نفوسهم علیه إو لنفروا بسرعه إلی الحرب إذ من العاده أن یستنفر الشجاع بمثل ذلک فیسارع إلی داعیه لما یتصوّره فیه من جمیل الذکر و حسن الاحدوثه،و روی سمحا و المعنی واحد.

و قوله: علیکم بهذا السواد الأعظم.إلی قوله:رجلا.

أقول لمّا شحذهم بالأوامر المذکوره عیّن مقصدهم،و أشار بالسواد الأعظم إلی أهل الشام مجتمعین، و بالرواق المطنّب إلی مضرب معاویه،و کان معاویه إذن فی مضرب

علیه قبّه عـالیه بأطنـاب عظیمه و حوله من أهـل الشـام مـائه ألف کانوا تعاهـدوا أن لا ینفرجوا عنه حتّی یقتلوا .و عیّن لهم وسـط الرواق و أغراهم به اسـتعاره بقوله : إنّ الشـیطان کـامن فی کسـره .و أراد بالشـیطان معـاویه،و قیـل عمرو بن العـاص،و ذلک أنّ الشـیطان لمّا کان عباره عن شـخص یضلّ الناس عن سبیل اللّه،و کان معاویه فی أصـحابه کذلک عنده علیه السّلام لا جرم أطلق علیه لفظ الشیطان،و قد سبقت الإشاره إلی معنی الشیطان.و یحتمل أن یرید الشیطان،و لمّا کانت محالّ الفساد هی مظنّه إبلیس،و کان المضـرب قد ضرب علی غیر طاعه اللّه کان محلاّ للشیطان فلذلک استعار له لفظ الجلوس فی کسره استعاره بالکنایه و قوله:

و قد قدّم للوثبه یدا و أخّر للنکوص رجلا.

کنـایه عن تردّد معـاویه و انتظاره لأمرهم إن جبنوا وثب،و إن شـجعوا نکص و هرب،أو عن الشـیطان علی سبیل اسـتعاره الوثبه و النکوص و الید و الرجل،و یکون تقدیم یده للوثبه کنایه عن تزیینه لأصحاب معاویه الحرب و المعصیه و تأخیره الرجل للنکوص کنایه عن تهیّته للفرار إذا التقی الجمعان کما حکی اللّه سبحانه عنه «فَلَمّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَکَصَ عَلی عَقِبَیْهِ وَ قالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ» (۱)الایه.

فإن قلت:فما معنی نکوص الشیطان علی رأی من فسرّه بالقوّه الواهمه و نحوها.

قلت:لمّا کانت وسوسته تعود إلقائه إلی النفس صوره ما یحکم بحسنه لها فقط دون أمر آخر کما حکی اللّه تعالی عنه «وَ ما کانَ لِی عَلَیْکُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاّ أَنْ دَعَوْتُکُمْ» (۲)الآیه کان نکوصه یعود إلی إعراض الوهم عنـد عضّ الحرب و مشاهـده المکروه عن ذلـک الحکم و رجوعه عنه،و هو معنی قوله: «إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ إِنِّی أَری ما لا تَرَوْنَ» ،و ذلـک أنّ الوهم إذن یحکم بـالهرب و الاندفاع من المخوف بعد أن کان قد زیّن الدخول فیه فیکون إذن قوله «إِنِّی أَخافُ اللّهَ وَ اللّهُ شَدِیدُ الْعِقابِ» موافقه لحکم العقل فیما کان یراه من طاعه اللّه بترک المعصیه بالحرب.و کلّ ذلک من تمام إغراء أصحابه بأهل الشام و تنبیههم علی أنّ باعثهم فی الحرب لیس إلاّ الشیطان و أنّه لا غرض له إلاّ فتنتهم ثمّ الرجوع و الإعراض عنهم.

الثالث عشر:أمرهم بقصد عدوّهم مؤکّدا له بتکریره

:أی اصمد و لهم صمدا إلی غایه

۱- (۱) ۵۰-۸

۲- (۲) ۲۶-۱۴

أن يظهر لكم نور الحقّ بالنصر، استعاره مرشحه و استعار لفظ العمود للحقّ الظاهر عن الصبح للمشاركه بينهما فى الوضوح و الجلاء فالصبح للحسّ،و الحقّ للعقل،و لفظ التجلّى ترشيح الاستعاره كنّى به عن ظهوره و وضوحه،و المعنى:الى أن يتّضح لكم أنّ الحقّ معكم يظفركم بعدوّكم و قهره.

إذا الطالب لغير حقّه سريع الانفعال قريب الفرار فى المقاومه .و قوله: «وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ» .الايه.

تسكين لنفوسهم و بشاره بالمطلوب بالحرب،و هو العلوّ و القهر كما بشّر اللّه تعالى به الصحابه فى قتال المشركين و تثبيت لهم على المضىّ فى طاعته «فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغالِبُونَ» .

و قوله: «وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ» .

تذكير لهم بجزاء اللّه لهم أعمالهم فى الآخره،و بعث لهم بذلك على لزوم العمل له.و باللّه التوفيق.

۶۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى معنى الأنصار

،قالوا:لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السّلام أنباء السقيفه بعد وفاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم.قال عليه السّلام::

فَهَلاَّ احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ- بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ- وَ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ- قَالُوا وَ مَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّهِ عَلَيْهِمْ- فَقَالَ ع لَوْ كَانَ الْإِمَامَهُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّهُ بِهِمْ- ثُمَّ قَالَ ع

فَمَا ذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ -قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَهُ الرَّسُولِ ص- فَقَالَ ع احْتَجُّوا بِالشَّجَرَهِ وَ أَضَاعُوا الثَّمَرَه

المعنی

أقول:الأنباء الّتی بلغته علیه السّلام هی أخبار ما جری بین الأنصار و المهاجرین من المشاجره فی أمر الإمامه و ایقاعهم البیعه لأبی بکر،و خلاصه القصّه أنّه لمّا قبض رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم اجتمعت الأنصار فی سقیفه بنی ساعده:و هی صفّه کانوا یجتمعون بها فخطبهم سعد بن عباده،و مدحهم فی خطبته و أغراهم بطلب الإمامه.و قال:إنّ لکم سابقه فی الإسلام لیست لقبیله من العرب.إنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم لبث فی قومه بضع عشره سنه یدعوهم إلی عباده الرحمن فما آمن به من قومه إلّا قلیل،و اللّه ما کانوا یقدرون أن یمنعوه و لا یدفعوا عنه ضیما حتّی أراد اللّه بکم خیر الفضیله،و ساق إلیکم الکرامه،و رزقکم الایمان به و الإقرار بدینه.فکنتم أشدّ الناس علی من تخلّف عنه منکم،و أثقله علی عدوّه من غیرکم حتّی استقاموا لأمره و دانت لأسیافکم العرب،و انجز اللّه لنبیّکم الوعد و توفّاه و هو عنکم راض.فشدّوا أیدیکم لهذا الأمر.فأنتم أحقّ الناس به.فأجابوه جمیعا إن وفّقت و أصبت لم نعد و أن نولّیک هذا الأمر.و أتی الخبر أبا بکر و عمر فجاء امسرعین إلی السقیفه فتکلّم أبو بکر فقال للأنصار:ألم تعلموا أنّا معاشر المهاجرین أوّل الناس إسلاما؟ و نحن عشیره رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و أنتم أنصار الدین و وزراء رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و إخواننا فی کتاب اللّه،و أنتم المؤثرون علی أنفسهم و أحقّ الناس بالرضاء بقضاء اللّه و التسلیم لما ساق اللّه إلی إخوانکم،و أن لا یکون انتقاض هذا الدین علی أیدیکم،و أنا أدعوکم إلی بیعه أبی عبیده أو عمر فکلاهما قد رضیت لهذا الأمر.فقال عمرو أبو عبیده:ما ینبغی لأحد من الناس أن یکون فوقک أنت صاحب الغار،و ثانی اثنین،و أمرک رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم بالصلوه.

فأنت أحقّ بهذا الأمر.فقالت الأنصار:نحن أنصار الدار و الایمان لم یعبد اللّه علانیه إلّا عندنا و فی بلادنا،و لا عرف الایمان إلّا من أسیافنا،و لا جمعت الصلاه إلّا فی مساجدنا.فنحن أولی بهذا الأمر.فإن أبیتم فمنّا أمیر و منکم أمیر.فقال عمر:هیهات لا یجمع سیفان فی غمد إنّ العرب لا ترضی أن تؤمّرکم و بینها من غیرکم.فقال الحباب بن المنذر:نحن

و اللّه أحقّ بهذا الأمر إنّه قددان لهذا الأمر بأسيافنا من لم يكن يدين له و إن لم ترضوا اجليناكم عن بلادنا إنّا جذيلها المحلّك و عذيقها المرجّب إن شئتم لنعيدنّها جذعه.و اللّه لا يردّ علىّ أحد ما أقول إلاّ حطمت أنفه بسيفى هذا.فقام بشر بن سعد الخزرجىّ و كان يحسد سعد بن عباده أن يصل إليه هذا الأمر و كان سيّدا فى الخزرج و قال:إنّا لم نرد بجهادنا و إسلامنا إ؟؟؟ وجه ربّنا لا غرضا من الدنيا،و إنّ محمّدا رجل من قريش و قومه أحقّ بميراث أمره و اتّقو اللّه و لا تنازعوهم معشر الأنصار.فقام أبو بكر فقال:هذا عمرو أبو عبيده بايعوا أيّهما شئتم فقالا:لا يتولّى هذا الأمر غيرك و أنت أحقّ به ابسط يدك فبسط يده فبايعاه و بايعه بشر بن سعد و بايعته الأوس كلّهم،و حمل سعد بن عباده و هو مريض فأدخل منزله،و قيل:إنّه بقى ممتنعا من البيعه حتّى مات بحوران فى طريق الشام.

و لنرجع إلى المتن فنقول:أمّا الخبر الّذى رواه عليه السّلام عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم حجّه عليهم فهو صحيح أخرجه مسلم و البخارى فى مسنديهما عن أنس قال أبو بكر و العبّاس بمجلس من مجالس الأنصار فى مرض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و هم يبكون فقالا:ما يبكيكم.

فقالوا:ذكرنا مجلس رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم فدخلا على الرسول فأخبراه بذلك فخرج رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم معصّبا على رأسه حاشيه برد فصعد المنبر و لم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:اوصيكم بالأنصار فإنّهم كرشى و عيبتى و قد قضوا الّذى عليهم و بقى الّذى لهم فاقيلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم .فأمّا وجه احتجاجه بهذا الخبر فهو فى صوره شرطيّه متّصله يستثنى فيها نقيض تاليها.و تقريرها:لو كانت الإمامه حقّا لهم لمّا كانت الوصيّه بهم لكنّها بهم فليست الإمامه لهم.بيان الملازمه أنّ العرف قاض بأنّ الوصيّه و الشفاعه و نحوها إنّما يكون إلى الرئيس فى حقّ المرءوس من غير عكس،و أمّا بطلان التالى للخبر المذكور.

استعاره و أمّا قوله : احتجّوا بالشجره و أضاعوا الثمره.

فأشار بالثمره إمّا إلى نفسه و أهل بيته فإنّهم ثمره الغصن المورق المثمر لتلك الشجره،و لمّا استعير لفظ الشجره لقريش استعار لفظ الثمره لنفسه.و قد عرفت فرعيّته عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و كونه ثمره .و إضاعتهم لها إهمالهم له من هذا الأمر،و يحتمل

أن يريد بالثمره الّتى أضاعوها سنّه اللّه الموجبه فى اعتقاده استحقاقه لهذا لأمر و ظاهر كونها ثمره الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و إهمالهم لها تركهم العمل بها فى حقّه،و هو كلام فى قوّه احتجاج له على قريش بمثل ما احتجّوا به على الأنصار.و تقديره:أنّهم إن كانوا أولى من الأنصار لكونهم شجره رسول اللّه فنحن أولى لكوننا ثمره،و للثمره اختصاص بالمثمر من وجهين:

أحدهما:القرب و مزيّته ظاهره.

و الثانى:أنّ الثمره هى المطلوبه بالذات من الشجره و غرسها فإن كانت الشجره معتبره فبالأولى اعتبار الثمره،و إن لم يلتفت إلى الثمره فبالأولى لا التفات إلى الشجره.

و يلزم من هذا الاحتجاج أحد أمرين:إمّا بقاء الأنصار على حجّتهم لقيام هذه المعارضه،أو كونه عليه السّلام أحقّ بهذا الأمر و هو المطلوب.و اللّه أعلم بالصواب.

۶۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما قلد محمد بن أبى بكر مصر فملكت عليه فقتل

وَ قَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَهَ؟مِصْرَ؟ ؟هَاشِمَ بْنَ عُتْبَهَ؟- وَ لَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَّا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَهَ- وَ لاَ أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَهَ- بِلاَ ذَمٍّ؟لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ؟- فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً وَ كَانَ لِي رَبِيباً أقول:كان عليه السّلام ولىّ محمّد بن أبى بكر مصر فلمّا اضطرب الأمر عليه بعد صفّين و قوى أمر معاويه طمع فى مصر.و قد كان عمرو بن العاص بايعه على أن يكون معه فى قتال علىّ و بكون مصر له طعمه.فبعثه إليها بعد صفّين فى ستّه آلاف فارس و قد كان فيها جماعه عظيمه ممّن يطلب بدم عثمان،و كانوا يزعمون أنّ محمّدا قتله فانضافوا إلى عمرو،و كان معاويه كتب إلى وجوه أهل مصر أمّا إلى شيعته فبالترغيب،و أمّا إلى أعدائه فبالترهيب، و كتب محمّد بن أبى بكر إلى علىّ بالقصّه يستمدّه بالمال و الرجال فكتب إليه بعده بذلك.

فجعل محمّد يدعو أهل مصر لقتال عمرو فانتدب معه منهم أربعه آلاف رجل فوجّه منهم ألفين

ص:۱۸۶

عند کنانه بن بشر لاستقبال عمرو،و بقی هو فی ألفین فابتلی کنانه فی ذلک الیوم بلاء حسنا و قتل من عسکر عمرو خلقا کثیرا،و لم یزل یقاتل حتّی قتل هو و من معه فلمّا قتل تفرّق الناس عن محمّد،و أقبل عمرو یطلب محمّدا فهرب منه مختفیا فالتجئ إلی حزبه اختبی فیها فدخل عمرو فسطاطه.و خرج معاویه بن خدیج الکندی و کان من امراء جیش عمرو فی طلب محمّد فطفر به و قد کاد یموت عطشا فقدّمه فضرب عنقه ثمّ أخذ جثّته فحشاها فی جوف حمار میّت و أحرقه،و قد کان علی علیه السّلام وجّه لنصرته مع مالک بن کعب إلی مصر نحو من ألفی رجل فصار بهم خمس لیال و ورد الخبر إلی علیّ علیه السّلام بقتله و أخذ مصر.فخرج علیه السّلام علیه جزعا ظهر أثره فی وجهه ثمّ قال:رحم اللّه محمّدا کان غلاما حدثا، و قد کنت أردت.الفصل.

اللغه

و النهز : النهوض لتناول الشیء .و الفرصه : النهضه،و هی ما أمکنک من نفسک .

المعنی

و إنّما أراد تولیه هاشم لقوّته علی هذا الأمر و کثره تجاربه،و هاشم هذا ابن عتبه بن أبی وقّاص الّذی کسر رباعیه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم یوم احد و کلم شفته،و کان هاشم من شیعه علیّ و المخلصین فی ولائه شهد معه حرب صفّین و ابلی فیه بلاء حسنا و استشهد بین یدیه بها .

و قوله: لما خلّی لهم العرصه.

أی عرصه الحرب کما فرّ محمّد،و ظنّ أنّه ینجو بفراره.و لو ثبت لثبت معه الناس و قتل کریما .

کنایه و قوله: و لا أنهزهم الفرصه.

کنّی بالفرصه عن مصر:أی و لم یمکنهم من تناولها کما تمکّنوا مع محمّد .

و قوله: بلا ذمّ لمحمّد.

أی لست فی مدحی لهاشم ذامّا لمحمّد.و نبّه علی براءته من استحقاق الذمّ بوجهین .

الأوّل:أنّه کان لی حبیبا.و ظاهر أنّه علیه السّلام لا یحبّ إلاّ مرضیّا للّه و رسوله بریئا من العیوب الفاضحه.و قد کان محمّد-رضی اللّه عنه-من نسّاک قریش و عبّادها .

الثانی:أنّه کان ربیبا له.و ذلک ممّا یستلزم محبّته و عدم ذمّه فأمّا کونه ربیبا

ص:۱۸۷

فلأنّ ام محمّد هى أسماء بنت عميس و كانت تحت جعفر بن أبى طالب و هاجرت معه إلى الحبشه فولدت له عبد اللّه بن جعفر و قتل عنها يوم موته فتزوّجها أبو بكر فأولدها محمّدا ثمّ لمّا مات عنها تزوجها علىّ عليه السّلام فكان محمّد ربيبته و نشأ على ولائه منذ صباه،و كان علىّ عليه السّلام يحبّه و يكرمه و يقول:محمّد ابنى من ظهر أبى بكر.و باللّه التوفيق.

۶۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَهُ- وَ الثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَهُ- كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ- كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ؟الشَّامِ؟- أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ- وَ انْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّهِ فِى جُحْرِهَا وَ الضَّبُعِ فِى وِجَارِهَا- الذَّلِيلُ وَ اللَّهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ- وَ مَنْ رُمِىَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِىَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ- إِنَّكُمْ وَ اللَّهِ لَكَثِيرٌ فِى الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ- وَ إِنِّى لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَ يُقِيمُ أَوَدَكُمْ- وَ لَكِنِّى لاَ أَرَى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِى- أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ وَ أَتْعَسَ جُدُودَكُمْ- لاَ تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ- وَ لاَ تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ

اللغه

أقول البكار : جمع بكر و هو الفتى من الإبل .و العمده : هى الّتى شدخ أسنمتها ثقل الحمل .و الحوص : الخياطه .و تهتّكت : تخرّقت .و أطلّ : أشرق .و المنسر بكسر الميم و فتح السين،و العكس : القطعه من الجيش من الماءه إلى المائتين .و قد سبق.

و انجحر الضبّ : دخل جحره و هو فى بيته .و بيت الضبع : وجاره .و الأفوق الناصل:

السهم لا فوق له و لا نصل .و الباحه : ساحه الدار .و الأود . الاعوجاج .و أضرع : أذلّ .

و أتعس : أهلك .

ص:۱۸۸

المعنى

و هذا الفصل يشتمل على توبيخ أصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه إلى حرب أهل الشام،و ذكر وجوه التوبيخ :

الأوّل:حاجتهم إلى المداراه الكثيره.و ليس ذلك من شيم الرجال ذوى العقول بل من شأن البهايم و من لا عقل له،و نبّههم فى حاجتهم إلى المداره بتشبيهين. تشبيه أحدهما: بالبكاره الّتى قد انهكها حملها.و وجه الشبه بينهما و بينهم هو قلّه صبرهم و شدّه إشفاقهم و فرارهم من التكليف بالجهاد و استغاثتهم كما يشتدّ جرجره البكر العمد، و فراره من معاوده الحمل.

الثانى : بالثياب المتداعيه ،و هى الّتى يتبع ما لم يتخرّق منها ما انخرق فى مثل حاله.و وجه الشبه ما ذكره،و هو قوله :كلّما حيصت من جانب تهتّكت من آخر :أى كما أنّ الثياب المتداعيه كذلك.فكذلك أصحابه كلّها أصلح حال بعضهم و جمعهم للحرب فسد بعض آخر عليه.

الثانى:شهاده حالهم عليهم بالجبن و الخوف و هو قوله : كلّما أطلّ.إلى قوله:

و جارها ، كنايه و كنّى بإغلاق كلّ منهم بابه عند سماعهم بقرب بعض جيوش الشام منهم عن فرارهم من القتال و كراهيه سماعهم للحرب،و شبّههم فى ذلك الخوف و الفرار بالضبّه و الضبع حين ترى الصائد أو أمرا تخافه .و إنّما خصّ الإناث لأنّها أولى بالمخافه من الذكران.

الثالث:وصفهم بالذلّه و قلّه الانتفاع بهم.فنبّه على وصف الذلّ بقوله : الذليل و اللّه من نصرتموه .فإنّه إنّما يكون ذليلا لكونهم كذلك،و يحتمل أن يشير بذلك إلى سوء آرائهم فى التفرّق و الاختلاف،ثمّ بالغ فى ذلك بحصر الذلّ لكلّ منتصر بهم فيمن نصروه،و نبّه على قلّه الانتفاع بهم استعاره بالكنايه بقوله : و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل .استعار لهم من أوصاف السهم أرداها،و كنّى بذلك عن عدم فايدتهم و نكايتهم فى العدوّ كما لا فايده فى الرمى بالسهم الموصوف.

الرابع :وصفهم بالكثره فى المجامع و الأنديه مع قلّتهم فى الحرب و تحت الألويه.

و ذلك يعود إلى الذمّ بالجبن أيضا و العار به فإن قلّه الاجتماع فى الحرب و التفرّق عنه من لوازم الخوف،و كما أنّ مقابل هذا الوصف و هو الاجتماع و الكثره فى الحرب مع القلّه

ص:١٨٩

فى غيره مدح كما قال أبو الطيّب.

ثقال إذا لاثوا خفاف إذا دعوا قليل إذا عدّوا كثير إذا شدّوا

فبالحرىّ أن كان هذا الوصف ذمّا كما قال عويف القوافى.

أ لستم أقلّ الناس عند لوائهم و أكثرهم عند الذبيحه و القدر

و قوله : و إنّى لعالم إلى قوله:أودكم.

أراد أنّه لا يصلحهم إلاّ السياسه بالقتل و نحوه كما فعل الحجّاج حين أرسل المهلبّ إلى الخوارج.روى أنّه نادى فى الكوفه من تخلّف عن المهلبّ بعد ثلاث فقد أحلّ دمه،و قتل جماعه فخرج الناس إلى المهلّب يهرعون،و كما يفعله كثير من الملوك.و قوله :

و لكنّى لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسى :أى لمّا لم يكن ليستحلّ من دماء أصحابه ما يستحلّ ملوك الدنيا من رعيّتهم إذا أراد و إثبات ملكهم و لو بفساد دينهم لا جرم لم ير إصلاحهم بالقتل إذ كان إصلاحهم بذلك سببا لفساد نفسه بلزوم آثامهم لها.و لمّا كان من الواجب فى الحكمه أن يكون إصلاح الإنسان للغير فرعا على إصلاح نفسه أوّلا لم يتصوّر من مثله عليه السّلام أن يفعل فعلا يستلزم فساد نفسه و إن اشتمل على وجه من المصلحه.

فإن قلت:الجهاد بين يدى الإمام العادل واجب و له أن يحملهم عليه.فلم لا يستجيز قتلهم؟.

قلت:الجواب من وجهين:

أحدهما:أنّه ليس كلّ واجب يجب فى تركه القتل كالحجّ.

الثانى:لعلّه عليه السّلام لو شرع فى عقوبتهم بالقتل على ترك الجهاد معه لتفرّقوا عنه إلى خصمه أو سلّموه إليه و اتّفقوا على قتله.و كلّ هذه مفاسد أعظم من تقاعدهم عن دعوته لهم فى بعض الأوقات.

و قوله : أضرع اللّه.إلى آخره.

دعا عليهم بالذلّ و هلاك الحظّ،ثمّ نبّهم على علّه استحقاقهم لدعائه و هى الجهل، ثمّ ما ينشأ عنه من ظلم أنفسهم .أمّا الجهل فعدم معرفتهم للحقّ كمعرفتهم الباطل،و أراد به ما يلزمهم من أوامر اللّه،و أراد بمعرفتهم الباطل معرفتهم بأحوال الدنيا و باطلها

و الاشتغال به عن أوامر اللّه،و يحتمل أن يشير به إلى ما يعرض لبعضهم من الشبه الباطله فى قتال أهل القبله فيوجب لهم التوقّف و التخاذل عن الحرب،و يكون مكاثرته بين معرفتهم للباطل و الحقّ تنبيها على قوّه جهلهم المركّب و هو أشدّ الجهل،و غايته توبيخهم بكونهم على قسمى الجهل.فالبسيط هو عدم معرفتهم للحقّ،و المركّب هو تصديقهم بالباطل.و أمّا الظلم فهو إبطالهم للحقّ و ذلك إشاره إلى تعاميهم عن طاعه اللّه و تصاممهم عن سماع مناديه و إجابته،و عدم إبطالهم للباطل إشاره إلى عدم إنكارهم للمنكر من أنفسهم و غيرهم.و باللّه التوفيق.

۶۷-و قال عليه السّلام

اشاره

فى سحره اليوم الذى ضرب فيه

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَ أَنَا جَالِسٌ- فَسَنَحَ لِي؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ فَقُلْتُ يَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟- مَا ذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَ اللَّدَدِ فَقَالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ- فَقُلْتُ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ- وَ أَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي قال الشريف:يعنى بالأود الاعوجاج،و باللدد الخصام و هذا من أفصح الكلام

المعنى

أقول:السحره:السحر الأعلى،و أمّا كيفيّه قتله عليه السّلام فمذكور فى التواريخ.

استعاره-مجاز فى التركيب و قوله : ملكتنى عينى.

استعاره حسنه و تجوّز فى التركيب أمّا الاستعاره فلفظ الملك للنوم،و وجه الاستعاره دخول النائم فى غلبه النوم و قهره و منعه له أن يتصرّف فى نفسه كما يمنع الملك العبد من التصرّف فى أمره،و أمّا التجوّز ففى العين و فى الإسناد إليها.أمّا الأول فأطلق لفظ العين على النوم لما بينها من الملابسه إذ إطباق الجفون من عوارضها،و أمّا الثانى فإسناد الملك إلى النوم المتجوّز فيه بلفظ العين .و الواو فى قوله:و أنا.للحال.

و قوله : فسنح إلى آخره.

أراد بالسنح حضور صوره رسول اللّه صلى اللّه علیه و آله و سلّم فی لوح خیاله کما علمت و شکایته منهم و جواب الرسول له یستلزم أمرین :أحدهما أنّه علیه السّلام کان فی غایه الکرب من تقصیرهم فی إجابه ندائه و دعوته إلی الجهاد حتّی انتهت الحال إلی قتله.الثانی عدم رضا رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم عنهم.

و قوله : أبدلهم بی شرّا لهم منّی.

لا یستلزم أنّ فیه شرّا کما قدّمنا بیانه.و باللّه التوفیق.

۶۸-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

فی ذم أهل العراق

أَمَّا بَعْدُ یَا أَهْلَ؟الْعِرَاقِ؟ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ کَالْمَرْأَهِ الْحَامِلِ- حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَ مَاتَ قَیِّمُهَا- وَ طَالَ تَأَیُّمُهَا وَ وَرِثَهَا أَبْعَدُهَا.-أَمَا وَ اللَّهِ مَا أَتَیْتُکُمُ اخْتِیَاراً- وَ لَکِنْ جِئْتُ إِلَیْکُمْ سَوْقاً- وَ لَقَدْ بَلَغَنِی أَنَّکُمْ تَقُولُونَ؟عَلِیٌّ؟ یَکْذِبُ قَاتَلَکُمُ اللَّهُ تَعَالَی- فَعَلَی مَنْ أَکْذِبُ أَ عَلَی اللَّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ- أَمْ عَلَی نَبِیِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ- کَلاَّ وَ اللَّهِ لَکِنَّهَا لَهْجَهٌ غِبْتُمْ عَنْهَا- وَ لَمْ تَکُونُوا مِنْ أَهْلِهَا- وَیْلُ أُمِّهِ کَیْلاً بِغَیْرِ ثَمَنٍ لَوْ کَانَ لَهُ وِعَاءٌ- «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِینٍ»

اللغه

أقول:أملصت:أسقطت.و الأیّم:الّتی.لا بعل لها.و اللهجه:اللسان و القول الفصیح .

و هذا الکلام صدر عنه بعد حرب صفّین.و فیه مقصودان :

الأوّل:

تشبیه توبیخهم علی ترکهم للقتال بعد أن شارفوا النصر علی أهل الشام،و تخاذلهم إلی التحکیم .و أبرز هذا المقصود فی تشبیههم بالمرأه الحامل ،و ذکر لها أوصافا

خمسه،و هی وجود الشبه بینها و بینهم فالحمل یشبه استعدادهم و تعبیتهم للحرب،و الاتمام یشبه مشارفتهم للظفر،و الإملاص یشبه رجوعهم عن عدوّهم بعد طمعهم فی الظفر به و ذلک رجوع غیر طبیعیّ و لا معتاد للعقلاء کما أنّ الإملاص أمر غیر طبیعیّ للحامل و لا معتاد لها ،ثمّ موت القیّم بامورها و هو زوجها و طول غربتها،و ذلک یشبه عدم طاعتهم له الجاری مجری موته عنهم و طول ضعفهم لذلک و دوام عجزهم و ذلّتهم بعد رجوعهم لتفرّقهم إلی خوارج و ؟؟؟رهم فإنّ موت قیّم المرأه مستلزم لضعفها و دوام عجزها و ذلّتها ، ثمّ کونها قد استحقّ میراثها البعید عنها لعدم ولدها و زوجها و ذلک یشبه من حالهم أخذ عدوّهم الّذی هو أبعد الناس عنهم ما لهم من البلاد،و استحقاقه ذلک بسبب تقصیرهم عن مقاومته.و بهذه الوجوه من الشبه اشبهوا المرأه المذکوره و تمّ توبیخهم من هذه الجهه ،ثمّ أخبرهم علی التضجّر من حاله معهم بأنّه لم یأتهم إیثارا للمقام بینهم و لکن سوقا قدریّا اضطرّه إلی ذلک.و صدق.إذ لم یکن خروجه من المدینه الّتی هی دار الهجره و مفارقه منزل رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و قبره إلی الکوفه إلاّ لقتال أهل البصره،و حاجته إلی الاستنصار بأهل الکوفه علیهم إذ لم یکن جیش الحجاز وافیا بمقاتلتهم ثمّ اتّصلت تلک الفتنه بفتنه أهل الشام فدامت حاجته إلی المقام بینهم،و روی و لا حبئت إلیکم شوقا بالشین المعجمه .

و المقصود الثانی:

توبیخهم علی ما بلغه من تکذیبهم له،و مقابلته لهم علی ذلک بردّ أحکام أوهامهم الفاسده فی حقّه،و ذمّهم بجهلهم و قصور أفهامهم عمّا یفیده من الحکمه:

و هو قوله: و لقد بلغنی أنّکم تقولون .یکذّب صوره دعواهم المقوله و قد کان جماعه من منافقی أصحابه إذا أخبر عن امور ستکون،أو کانت ثمّ أخبر عنها و أسند ذلک إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم یتحادثون فیما بینهم بتکذیبه فیبلغه ذلک کإخباره عن قصّه الخوارج و ما یکون منهم،و عن ذی الثدیه،و أنّه سیقاتل الناکثین و القاسطین و المارقین و نحو ذلک من الامور الغریبه الّتی تستنکرها طباع العوامّ و لا یعقل أسرارها إلاّ العالمون بل کانوا یکذّبونه بمحضره.روی أنّه لمّا قال:لو کسرت لی الوساده لحکمت بین أهل التوراه بتوراتهم، و بین أهل الإنجیل بإنجیلهم،و بین أهل الفرقان بفرقانهم،و اللّه ما من آیه نزلت فی

برّ أو بحر أو سهل أو جبل و لا سماء و لا أرض إلاّ و أنا أعلم فيمن نزلت و فى أىّ شىء انزلت.قال رجل من تحت المنبر:يا للّه و للدعوى الكاذبه.و كذلك لمّا قال:سلونى قبل أن تفقدونى أما و اللّه لتشعرنّ الفتنه الغماء برجلها و يطأ فى خطامها يا لها فتنه شبّت نارها بالحطب الجزل مقبله من شرق الأرض رافعه ذيلها داعيه ويلها بدجله أو حولها ذاك إذا استدار الفلك و قلتم مات أو هلك بأىّ واد سلك.فقال قوم من تحت منبره:للّه أبوه ما أفصحه كاذبا.و كأنّها إشاره إلى واقعه التتار .و قابل دعواهم بأمرين:

أحدهما:الدعاء عليهم بقتال اللّه لهم،و قد علمت أنّ قتاله يعود إلى مقته و إبعادهم عن رحمته .

الثانى:الحجّه و تقريرها:أنّ الّذى أخبركم به من هذه الامور إنّما هو عن اللّه و عن رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلّم فلو كذبت فيه لكذبت إمّا على اللّه و هو باطل لأنّى أوّل من آمن به و أوّل مؤمن به لا يكون أوّل مكذّب له،أو على نبيّه و هو باطل لأنّى أوّل من صدّقه و اتّبع ملته .

و قوله: كلاّ و اللّه.

ردّ لصدق دعواهم بعد الحجّه كأنّه قال:فإذن دعواكم علىّ الكذب فيما اخبركم به باطله .

و قوله: و لكنّها لهجه غبتم عنها و لم تكونوا من أهلها.

يريد به بيان منشأ دعويهم الفاسده لتكذيبه،و ذلك كون ما يقوله و يخبر به من الامور المستقبله و نحوها طورا وراء عقولهم الضعيفه الّتى هى بمنزله أوهام ساير الحيوان و ليسوا لفهم أسرارها بأهل.و أشار باللهجه إلى تلك الأقوال و أسرارها و بغيبتهم عنها إلى غيبه عقولهم عن إدراكها و معرفه إمكانها فى حقّ مثله أو إلى غيبتهم عنها عند إلقاء الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم قوانينها الكلّيه إليه و تعليمه لأبوابها و تفصيل ما فصّل منها له.و ظاهر أنّه لمّا كانت عقول اولئك و أمثالهم مقهوره تحت سلطان أوهامهم و كان الوهم مكذّبا و منكرا لمثل هذه الأحكام لا جرم لم تنتهض عقولهم لتصديقه عليه السّلام فيها و لم تجوّز اطّلاعه عليها بل تابعت أوهامهم فى الحكم بتكذيبه.و حاله فى ذلك مختصره من حال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم

مع منافقی قومه .

و قوله: ویل امّه.

فالویل فی الأصل دعاء بالشرّ،أو خبر به:و إضافته إلی الامّ دعاء علیها أن تصاب بأولادها،و قیل:إنّها تستعمل للرحمه،و قیل تستعمل للتعجّب و استعظام الأمر .

استعاره بالکنایه و قوله: کیلا بغیر ثمن.

إشاره إلی ما یفیضه علیهم من الأخلاق الکریمه و الحکم البالغه الّتی لا یرید بها جزاء و لا ثمنا ثمّ لا یفقهونها و لا یهذّبون بها أنفسهم لکون نفوسهم غیر مستعدّه لقبولها فلیس لها إذن من تلک الأنفس وعاء یقبلها.و استعار لفظ الکیل و کنّی به عن کثره ما یلقیه إلیهم منها و هو مصدر استغنی به عن ذکر فعله .فعلی هذا یحتمل أن یکون ویل امّه دعاء بالشرّ علی من لم یفقه مقاله و لم یقتبس الحکمه منه،و الضمیر لإنسان ذلک الوقت و إن لم یجر له ذکر سابق مفرد یعود إلیه لکنّه موجود فی کلّ شخص منهم و کأنّه قال:ویل لامّهم،و یحتمل أن یکون ترحّما لهم فإنّ الجاهل مرحوم،و یحتمل أن یکون تعجّبا من قوّه جهلهم أو من کثره کیله للحکم علیهم مع إعراضهم عنها .

اقتباس و قوله: «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِینٍ» .

اقتباس لهذه الآیه المفصحه عن مقصوده:أی و لتعلمّن نبأ جهلکم و إعراضکم عمّا أمرکم به و ألقاه إلیکم من الحکم و الآراء الصالحه،و ینکشف لهم ثمره ذلک بعد حین.

و أشار بالحین إمّا إلی مدّه الحیاه الدنیا. و ثمره أفعالهم إذن الندامه و الحسره علی ما فرّطوا فی جنب اللّه حیث لا ینفع إلاّ الأعمال الصالحه و ذلک حین تزول عنهم غواشی أبدانهم و تطرح نفوسهم جلابیبها بالموت،و إمّا إلی مدّه حیاته هو:أی ستعلمون عاقبه فعلکم هذا بعد مفارقتی لکم.و العاقبه إذن ابتلاؤهم بمن بعده من بنی امیّه و غیرهم بالقتل و الذلّ و الصغار.و باللّه العصمه و التوفیق.

۶۹-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

علم فیها الناس الصلاه علی النبی صلی اللّه علیه و آله

اَللَّهُمَّ داحِیَ الْمَدْحُوَّاتِ وَ داعِمَ الْمَسْمُوکَاتِ- وَ جَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِیِّهَا وَ سَعِیدِهَا اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِکَ- وَ نَوَامِیَ بَرَکَاتِکَ عَلَى؟مُحَمَّدٍ؟ عَبْدِکَ وَ رَسُولِکَ- الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ الْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ- وَ الْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَ الدَّافِعِ جَیْشَاتِ الْأَبَاطِیلِ- وَ الدَّامِغِ صَوْلاَتِ الْأَضَالِیلِ- کَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِکَ مُسْتَوْفِزاً فِی مَرْضَاتِکَ- غَیْرَ نَاکِلٍ عَنْ قُدُمٍ وَ لاَ وَاهٍ فِی عَزْمٍ- وَاعِیاً لِوَحْیِکَ حَافِظاً لِعَهْدِکَ- مَاضِیاً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِکَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ- وَ أَضَاءَ الطَّرِیقَ لِلْخَابِطِ- وَ هُدِیَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَ الْآثَامِ- وَ أَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلاَمِ وَ نَیِّرَاتِ الْأَحْکَامِ- فَهُوَ أَمِینُکَ الْمَأْمُونُ وَ خَازِنُ عِلْمِکَ الْمَخْزُونِ- وَ شَهِیدُکَ یَوْمَ الدِّینِ وَ بَعِیثُکَ بِالْحَقِّ- وَ رَسُولُکَ إِلَى الْخَلْقِ- اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِی ظِلِّکَ- وَ اجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَیْرِ مِنْ فَضْلِکَ- اللَّهُمَّ وَ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِینَ بِنَاءَهُ- وَ أَکْرِمْ لَدَیْکَ مَنْزِلَتَهُ وَ أَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ- وَ اجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِکَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَهِ- مَرْضِیَّ الْمَقَالَهِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَ خُطْبَهٍ فَصْلٍ- اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَیْنَنَا وَ بَیْنَهُ فِی بَرْدِ الْعَیْشِ وَ قَرَارِ النِّعْمَهِ- وَ مُنَى الشَّهَوَاتِ وَ أَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ وَ رَخَاءِ الدَّعَهِ- وَ مُنْتَهَى الطُّمَأْنِینَهِ وَ تُحَفِ الْکَرَامَهِ

ص:۱۹۶

اللغه

أقول:المدحوّات:المبسوطات.و المسموكات:المرفوعات.و دعمها:حفظها بالدعامه.

جبل:خلق.و الفطرات:جمع فطره و هى الخلقه.و الدمغ:كسر عظم الدماغ.و جيشات:

جمع جيشه من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها.و اضطلع بالأمر:قوى على حمله و القيام به من الضلاعه و هى القوّه.و الاستيفاز:الاستعجال.و النكول:الرجوع.و القدم:

التقدّم.و الوهى:الضعف.و وعى الأمر:فقهه.و القبس:شعله النار.و أورى:زكى و اشتعل .

و قد اشتملت هذه الخطبه على ثلاثه فصول .

الاوّل:فى صفات المدعوّ و تمجيده و هو اللّه سبحانه.

الثانى:فى صفات المدعوّ له و هو النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

الثالث:فى صفات أنواع المدعوّ به.و ذلك هو الترتيب الطبيعىّ.

فبدأه ممجّدا للّه تعالى باعتبارات ثلاثه:

أحدهما:كونه داحى المدحوّات :أى باسط الأرضين السبع و ظاهر كونها مدحوّات فإنّ كلّ طبقه منها إذا اعتبرت كانت مبسوطه فأمّا صدق البسط على جمله الأرض مع أنّها كره و شهاده قوله:و الأرض بعد ذلك دحيها.بذلك،و قوله:و الأرض مددناها.فهو باعتبار طبقاتها.و قد يصدق عليها البسط باعتبار سطحها البارز من الماء الذى يتصرّف عليه الحيوان فإنّه فى الأوهام سطح مبسوط و إن كان عند الاعتبار العقلىّ محدّبا،و إليه الإشاره بقوله تعالى «الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ فِراشاً» «وَ اللّهُ جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ بِساطاً» الثانى : داعم المسموكات :أى حافظ السماوات أن تقع على الأرض.

فإن قلت:قد قال فى الخطبه الاولى:بلا عمد تدعمها ثمّ جعلها هنا مدعومه فما وجه الجمع؟.

قلت:لم ينف هناك إلاّ كونها مدعومه بعمد و هذا لا ينافى كونها مدعومه بغير العمد،و قد بيّنا هناك أنّ الدعامه الّتى تقوم بها السماوات قدرته تعالى.

الثالث:كونه جابل القلوب على فطراتها شقيّها و سعيدها :أى خالق النفوس على ما خلقها عليه من التهيّوء و الاستعداد لسلوك سبيلى الخير و الشرّ و استحقاق الشقاوه و السعاده

ص:۱۹۷

بحسب القضاء الإلهىّ كما قال تعالى «وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها» (١)و قوله «وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ» أى ألهمناه معرفه سلوك طريقى الخير و الشرّ.و أهل العرفان كثيرا ما يعتبرون عن النفس بالقلب.و شقيّها.

بدل من القلوب:أى خالق شقىّ القلوب و سعيدها على فطراتها المكتوبه فى اللوح المحفوظ فمن أخذت العنايه الإلهيّه بزمام عقله على وفق ما كتب له فأعدّته لقبول الهدايه لسلوك سبيل اللّه فهو السعيد،و من لحقته حبايل القضاء الإلهىّ فحطّته إلى مهاوى الهلكه فذلك هو الشقّى البعيد.و إليه الإشاره بقوله تعالى «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ» (٢)الآيه.و قوله : و اجعل شرائف صلواتك و نوامى بركاتك على محمّد عبدك و رسولك .بعض مطلوباته من هذا الدعاء.و شرايف صلواته ما عظم من رحمته و كمال جوده على النفوس المستعدّه لها،و نوامى بركاته ما زاد منها.

الفصل الثانى:ذكر للنبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم أحد و عشرين وصفا

اشاره

على جهات استحقاق الرحمه من اللّه و زياده البركه المدعوّ بها.

الأوّل:كونه عبدا للّه

و ظاهر كون العبوديّه جهه لاستحقاق الرحمه.

الثانى:كونه رسولا له

،و الرساله نوع خاصّ من الاستعباد توجب مزيد الرحمه و الشفقه .

الثالث:كونه خاتما لما سبق

من أنوار الوحى و الرساله بنوره و ما جاء من الدين الحقّ.و ظاهر كون ذلك جهه استعداد منه لقبول الرحمه و درجات الكمال .

الرابع:كونه فاتحا لما انغلق من سبيل اللّه قبله

و طريق جنّته و حضره قدسه باندراس الشرائع ففتح صلى اللّه عليه و آله و سلّم تلك السبيل بشرعه و كيفيّه هدايته للخلق فيها .

الخامس:كونه قد أظهر الحقّ بالحقّ.

و الأوّل هو الدين و ما يدعو إليه،و الثانى فيه أقوال:فقيل:هو المعجزات إذ بسببها تمكّن من إظهار الدين،و قيل:الحرب و الخصومه يقال فلان حاقّ فلانا فحقّه:أى خاصمه فغلبه،و قيل:هو البيان:أى أظهر الدين بالبيان الواضح.و أقول:الأشبه أنّه

أراد:أظهر الحقّ بعضه ببعض.و كلّ جزئىّ

١- ١) ٨-٩١

٢- ٢) ١٠٧-١١

من الحقّ حقّ،و ذلک أنّ الـدين لم يظهر دفعه و إنّما بنى الإسـلام على خمس ثمّ كثرت فروعه و هو بالأصل يظهر الفرع،و ظاهر كون إظهاره للحقّ جهه لاستحقاقه الرحمه .

السادس:كونه دافعا لجيشات الأباطيل:

أى لثوران فتن المشـركين و انبعـاثهم لإطفاء أنوار اللّه،أو لفتنتهم السابقه الّتى كانت معتاده من الغارات و حروب بعضـهم لبعض فإنّ كلّ ذلک امور باطله على غير قانون عدلىّ من اللّه،و ذلک الدفع من جهات قبول الرحمه .

السابع:

استعاره كونه دامغا لصولات الأضاليل ،و هو قريب من السادس،و اسـتعار لفظ الدمغ لهلاک الضـلّال بالكلّيّه ببركه مقدمه صلى اللّه عليه و آله و سلّم،و وجه الاستعاره كون الدمغ مهلكا للإنسان فأشبه ما أهلک الباطل و محاه من أفعال الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم.و الضـلال هنـا الانحراف عن طريق اللّه اللازم عن الجهـل بهـا،و اسـتعار لفـظ وصف الصولات له ملاحظه لشبه المنحرفين عن سبيل اللّه إلى الفساد فى قوّه انحرافهم و شدّه فسادهم بالفحل الصايل .

الثامن:كونه حمل الرساله

فقام بما كلّف به و قوى عليه،و قائما.نصب على الحال، و كذلک المنصوبات بعده و هى مسـتوفزا،و غير ناكل،و كذلک محلّ لا واه،و واعيا،و حافظا،و ماضيا.و فى قوله: كما حمّل .لطف:أى صلّ عليه صـلاه مناسـبه مشابهه لتحميلک له الرساله و قيامه بأمرها لأنّ الجزاء من الحكيم العدل يكون مناسبا للفعل المجزّى و لأجل كونها جهه استحقاق طلب ما يناسبها.

التاسع:كونه عجلا فى رضا اللّه

بامتثال أوامره .

العاشر:

كونه غيرنا كل ما يتقدّم فيه من طاعه اللّه .

الحادى عشر:كونه ماضى العزم

فى القيام بأمر اللّه غير و ان فيه .

الثانى عشر:

كونه واعيا لوحيه،ضابطا،قوىّ النفس على قبوله .

الثالث عشر:کونه حافظا لعهده

المأخوذ علیه من تبلیغ الرساله و أداء الأمانه، و قد سبق بیان معنی العهد فی الخطبه الاولی .

الرابع عشر:کونه ماضیا علی إنفاذ أمره

فی العالم و جذب الخلق إلی سلوک سبیله .

الخامس عشر:

ما انتهی إلیه من الغایه باجتهاده فی إرضاء اللّه،و هو استعاره کونه أوری

قبس القابس :أی اشتعل أنوار الدین و قدح زناد الأفکار حتّی أظهر أنوار العلوم منها للمقتبسین،و استعار لفظ القبس لنور العلم و الحکمه،و لفظ الوری لإظهار الرسول لتلک الأنوار فی طریق اللّه،و قد سبق وجه الاستعاره .

السادس عشر:

کونه أضاء الطریق للخابط.فالطریق هی طریق الجنّه و الحضره الالهیّه،و إضاءته لها بإظهار تلک الأنوار و بیانها بتعلیم کیفیّه سلوکها و الإرشاد إلیها، و الخابط هو الجاهل الّذی قصدت الحکمه الالهیّه إرشاده حیث کان یخبط فی ظلمات الجهل .

السابع عشر:

کونه قد هدیت به القلوب إلی موضحات الأعلام:أی الأدلّه الواضحه علی الحقّ.و نیّرات الأحکام هی المطالب الحقّه الواضحه اللازمه من تلک الأدلّه بعد ما کانت القلوب فیه من خوضات الفتن و الآثام اللازمه عمّا اجترحته من السیّئات.

و ذلک أمر ظاهر .

الثامن عشر:کونه أمین اللّه:

أی علی وحیه و رسالته،و المأمون تأکید لأمانته.

و قد عرفت معنی الأمانه .

التاسع عشر:کونه خازن علمه المخزون:

أی علومه اللدنیّه الغیبیّه الّتی لا یتأهّل لحملها کلّ البشر المشار إلیها بقوله تعالی «عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ » (۱).

العشرون:کونه شهیدا یوم الدین

کقوله تعالی «فَکَیْفَ إِذا جِئْنا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلی هؤُلاءِ شَهِیداً» (۲)أی شاهدا یقوم القیامه علی امّته بما علم منهم من خیر و شرّ.

فإن قلت:ما حقیقه هذه الشهاده و ما فایدتها مع أنّ اللّه تعالی عالم الغیب و الشهاده؟.

قلت:أمّا حقیقتها فیعود إلی اطّلاعه صلی اللّه علیه و آله و سلّم علی أفعال امّته،و بیان ذلک أنّک علمت فیما سلف أنّ للنفوس القدسیّه الاطّلاع علی الامور الغایبه و الانتقاش بها مع کونه فی جلابیب فی أبدانها فکیف بها إذا فارقت هذا العالم و الجسم المظلم فإنّها إذن تکون

۱- ۱) ۱۰۷-۱۱

۲- ۲) ۳۵-۴

مطّلعه على جميع أفعال اممها و مشاهده لها من خير أو شرّ،و أمّا فايدتها فقد علمت أنّ أكثر أحكام الناس وهمّيه،و الوهم منكر للإله على الوجه الّذى هو اله فبالحرىّ أن ينكر كونه عالما بجزئيّات أفعال عباده و دقايق خطرات أوهامهم،و ظاهر أنّ ذلك الإنكار يستتبع عدم المبالات بفعل القبيح و الانهماك فى الامور الباطله الّتى نهى اللّه تعالى عنها فإذا ذكر لهم أنّ عليهم شهداء و رقباء و كتّابا لما يفعلون مع صدق كلّ ذلك بأحسن تأويل كان ذلك ممّا يعين العقل على كسر النفس الأمّاره بالسوء و قهر الأوهام الكاذبه،و يردع النفس عن متابعه الهوى ثمّ لا بدّ لكلّ رسول من امناء على دينه و حفظه له هم شهداء أيضا على من بعده إلى قيام الساعه،و إذا كان معنى الشهاده يعود إلى اطّلاع الشاهد على ما فى ذمّه المشهود عليه و علمه بحقيقته و فائدتها حفظ ما فى ذمّه المشهود عليه و تخوّفه أن جحده أو لم يوصله إلى مستحقّه أن يشهد عليه الشاهد فيفضحه و ينتزع منه على أقبح وجه،و كان هذا المعنى و الفائده قائمين فى شهاده الأنبياء عليهم السّلام إذ بها تتحفّظ أو امر اللّه و تكاليفه الّتى هى حقوقه الواجبه،و يحصل الخوف للمقصّرين فيها بذكر شهاده الرسل عليهم بالتقصير فيفتضحوا فى محفل القيامه و يستوفى منهم جزاء ما كلّفوا به فقصروا فيه بالعقاب الأليم لا جرم ظهر معنى كونهم شهداء اللّه على خلقه .

الحادى و العشرون:كونه مبعوثا بالحقّ

،و هو الدين الثابت الباقى نفعه و ثمرته فى الآخره ،ثمّ أعاد ذكر كونه رسول اللّه إلى خلقه.و إنّما كرّره لأنّه الأصل فى باقى الأوصاف،و ظاهر أنّ كلّ هذه الأوصاف جهات استحقاق الرحمه و البركه و إفاضه الصلوات الالهيّه على نفسه القدسيّه .

الفصل الثالث:فى تفصيل المطلوب من هذا الدعاء

و هو قوله: اللّهم افسح .إلى آخره،و طلب امورا:

أحدها: استعاره أن يفسح له مفسحا فى ظلّه :أى مكانا متّسعا فى حضره قدسه و ظلّ وجوده،و لفظ الظلّ مستعار للجود،و وجه المشابهه راحه المستظلّ بالظلّ من حرّ الشمس فأشبهها راحه الملتجىء إلى جود اللّه المستظلّ به من حراره جهنّم و سعير عذابه ،و إليه الإشاره بقوله تعالى «وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ » .

الثانی:أن یجزیه مضاعفات الخیر من فضله:أی یضاعف له الکمالات من نعمه، و قد علمت أنّ مراتب استحقاق نعم اللّه غیر متناهیه .

الثالث:أن یعلی علی بناء البانین بناءه،و یحتمل أن یرید ببنائه ما شیّده من الدین فیکون أعلاه المطلوب هو إتمام دینه و إظهاره بعده علی الأدیان کلّها،و یحتمل أن یرید به ما شیّده من الملکات الخیریّه و استحقّه من مراتب الجنّه و قصورها .

الرابع:أن یکرّم لدیه منزلته و هو إنزاله المنزل المبارک الموعود،و قل ربّ انزلنی منزلا مبارکا .

الخامس:أن یتمّ له نوره و هو إمّا النور الّذی بعث به و إتمامه انتشاره فی قلوب العالمین،و إمّا النور الّذی فی جوهر ذاته.و تمامه زیاده کماله .

السادس:أن یجزیه عن بعثته قبول شهادته و رضا مقالته،و مقبول مفعول آخر.

و ذا منطق.نصب علی الحال. کنایه و قبول شهادته .کنایه عن تمام الرضی عنه إذ من کان مقبول الشهاده مرضیّ القول فلا بدّ و أن یکون بریئا من جهات الرذائل المسخطه،أو کنایه عن کون معتقداته و مشاهداته من أعمال امّته و غیرها بریئه عن کدر الأغالیط و شوائب الأوهام،و کذلک رضا أقواله فی شفاعته و غیرها .و کونه ذا منطق عدل :أی لا جور فیه عن الحقّ ،و خطبه فصل :أی ممیّزه للحقّ فاصله له من الباطل،و کلّ هذه الاعتبارات و إن اختلفت مفهوماتها ترجع إلی مطلوب واحد و هو طلب زیاده کمالاته علیه السّلام و قربه من اللّه تعالی ،و قوله: اللهمّ اجمع .إلی آخر سأل اللّه أن یجمع بینه و بین الرسول فی امور:

أحدها:برد العیش.و العرب یقول:عیش بارد إذا کان لا کلفه فیه من حرب و خصومه.و هو فی الآخره یعود إلی ثمرات الجنّه البریئه من کدر الأتعاب.

الثانی:قرار النعمه:أی مستقرّها و هو الجنّه و حضره ربّ العالمین .

الثالث:منی الشهوات،و هو ما تتمنّاه النفس من المشتهیات و تهواه من اللذّات بنعیم الأبد .

الرابع:رخاء الدعه و منتهی الطمأنینه:أی اتّساع سکون النفس بلذّه مفارقه الحقّ و الانس بالملأ الأعلی و أمنها من مزعجات الدنیا و راحتها من معافاه آفاتها .

ص:۲۰۲

الخامس: تحف الكرامه .و هی ثمرات الجنّه و قطوفها الدانیه و سایر ما أعدّه لتحف أولیائه الأبرار ممّا لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر.

۷۰-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

قاله لمروان بن الحکم بالبصره قالوا:أخذ مروان بن الحکم أسیرا یوم الجمل،فاستشفع الحسن و الحسین علیهما السلام إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فکلماه فیه،فخلی سبیله،فقالا له:یبایعک یا أمیر المؤمنین؟فقال علیه السّلام:

أَ وَ لَمْ یُبَایِعْنِی بَعْدَ قَتْلِ؟عُثْمَانَ؟- لاَ حَاجَهَ لِی فِی بَیْعَتِهِ إِنَّهَا کَفٌّ یَهُودِیَّهٌ- لَوْ بَایَعَنِی بِکَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ- أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَهً کَلَعْقَهِ الْکَلْبِ أَنْفَهُ- وَ هُوَ أَبُو الْأَکْبُشِ الْأَرْبَعَهِ- وَ سَتَلْقَی الْأُمَّهُ مِنْهُ وَ مِنْ وَلَدِهِ یَوْماً أَحْمَرَ

اللغه

أقول: السّبه : الاست .و الإمره بالکسر : الولایه .و کبش القوم : رئیسهم .

المعنی

و لمّا امتنع من بیعه مروان نبّه علی سبب امتناعه من ذلک و هو أنّه مظنّه الغدر و ذلک کنایه قوله: إنّها کفّ یهودیّه .إذ من شأن الیهود الخبث و المکر و الغدر،ثمّ فسّر تلک الکنایه بقوله: لو بایعنی بیده لغدر بسبّته ،و ذکر السّبه إهانه له لأنّ الغدر من أقبح الرذائل فنسبته إلی السّبه أولی النسب .و العرب تسلک مثل ذلک فی کلامها.قال المتوکّل یوما لأبی العیناء:إلی متی تمدح الناس و تذمّهم.فقال:ما أحسنوا و أساءوا،ثمّ قال:یا أمیر المؤمنین:إنّ اللّه تعالی رضی فمدح فقال «نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ» و سخط فذمّ فقال «عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِکَ زَنِیمٍ» و الزنیم ولد الزنا.ثمّ ذکر ممّا سیکون من أمر مروان ثلاثه امور:

أحدها : تشبیه أنّه سیصیر أمیرا للمسلمین و نبّه علی قصر مدّه إمارته بتشبیهها بلعقه الکلب أنفه ،و وجه الشبه هو القصر،و کانت مدّه إمرته أربعه أشهر و عشرا،و روی ستّه

أشهر،و إنّما خصّه بلعقه الكلب لأنّه فی معرض الذمّ ،و البحث فی أمّا كهو فی قوله:

أمّا أنّه سيظهر عليكم.

الثانی :أنّه سيكون أبا للأكبش الأربعه.و كان له أربعه ذكور لصلبه و هم عبد الملك و ولی الخلافه،و عبد العزيز و ولی مصر،و بشر و ولی العراق،و محمّد و ولی الجزيره، و يحتمل أن يريد بالأربعه أولاد عبد الملك و هم الوليد و سليمان و يزيد و هشام كلّهم و لوا الخلافه و لم يلها أربعه إخوه إلاّ هم.

الثالث :ما يصدر منه و من ذريّته من الفساد فی الأرض،و ما يلقى الناس منهم من القتل و انتهاك الحرمه. كنايه و كنّى عن قتلهم للناس و شدايد ما يلقون منهم بالموت الأحمر .

و من لسان العرب وصف الأمر الشديد بالأحمر،و لعلّه لكون الحمره وصف الدم كنّى به عن القتل،و روی يوما أحمر.و هو كنايه عن مدّه أمرهم و وصفه بالحمره كنايه عن شدّته.

و فساد بنی اميّه و دمارهم للإسلام و أهله مشهور،و فی كتب التواريخ مسطور.

٧١-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما عزموا على بيعه عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّی أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِی- وَ وَ اللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ- وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلاَّ عَلَیَّ خَاصَّهً- الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَ فَضْلِهِ- وَ زُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَ زِبْرِجِهِ

اللغه

أقول: الزخرف : الزينه،و يقال:الذهب .و الزبرج : النقش و الزينه بالحليه أيضا .

المعنى

و قوله: لقد علمتم أنّی أحقّ بها.

يشير إلى ما علموه من وجه استحقاقه للخلافه و هو استجماعه للفضايل الداخليّه و الخارجيّه،و الضمير فی بها للخلافه و هو إمّا أن يعود إلى ذكرها فی فصل تقدّم متّصلا بهذا الفصل أو لشهرتها،و كون الحديث فيها قرينه معيّنه لها كما قال قبل:لقد تقمّصها.

و قوله : و اللّه لاسلّمنّ ما سلمت امور المسلمين.

أى لأتركنّ المنافسه فى هذا الأمر مهما سلمت امور المسلمين من الفتنه.و فيه إشاره إلى أنّ غرضه عليه السّلام من المنافسه فى هذا الأمر هو صلاح حال المسلمين و استقامه امورهم و سلامتهم عن الفتن و قد كان لهم بمن سلف من الخلفاء قبله استقامه أمر و إن كانت لا تبلغ عنده كمال استقامتها لو ولى هو هذا الأمر فلذلك أقسم ليسلمنّ ذلك الأمر و لا ينازع فيه إذ لو نازع فيه لثارث الفتنه بين المسلمين و انشقّت عصا الإسلام و ذلك ضدّ مطلوب الشارع،و إنّما يتعيّن عليه النزاع و القتال عند خوف الفتنه و قيامها.

فإن قلت:السؤال من وجهين:

الأوّل:ما وجه منافسته فى هذا الأمر مع أنّه منصب يتعلّق بامور الدنيا و صلاحها مع ما اشتهر منه عليه السّلام من الزهد فيها و الإعراض عنها و ذمّها و رفضها؟.

الثانى:كيف سلّم هاهنا خوف الفتنه و لم يسلّم لمعاويه و لطلحه و الزبير مع قيام الفتنه فى حربهم.

قلت:الجواب عن الأوّل:أنّ منصب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم ليس منصبا دنيا ويّا و إن كان متعلّقا بإصلاح أحوال الدنيا لكن لا لكونها دنيا بل لأنّها مضمار الآخره و مزرعتها و الغرض من إصلاحها إنّما هو نظام أحوال الخلق فى معاشهم و معادهم فمنافسته عليه السّلام فى هذا الأمر على هذا الوجه من الامور المندوب إليها إذا اعتقد أنّ غيره لا يغنى غناه فى القيام به فضلا أن يقال:إنّها لا تجوز.

و عن الثانى:أنّ الفرق بين الخلفاء الثلاثه و بين معاويه فى إقامه حدود اللّه و العمل بمقتضى أوامره و نواهيه ظاهر.

و قوله : و لم يكن فيها جور إلاّ علىّ خاصّه.

تظلّم ممّن عدل بها عنه،و نسبه لهم إلى الجور دون من استحقّها فى أنظارهم.فأوصلوها إليه من ساير الخلفاء.و خاصّه نصب على الحال .

و قوله: إليها التماسا لأجر ذلك .إلى آخره.

التماسا مفعول له و العامل لاسلمنّ:أى ألتمس ثواب اللّه و فضله بتسليمى و صبرى

ص:۲۰۵

و کـذلک قوله: و زهـدا .مفعول له،و فیه إیماء إلی أنّ مقصود غیره من طلب هـذا الأمر و المنافسه فیه لیس إلّا الدنیا و زخرفها.و باللّه التوفیق.

۷۲-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لما بلغه اتهام بنی أمیه له بالمشارکه فی دم عثمان

أَ وَ لَمْ یَنْهَ؟بَنِی أُمَیَّهَ؟ عِلْمُهَا بِی عَنْ قَرْفِی- أَ وَ مَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِی عَنْ تُهَمَتِی- وَ لَمَا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِی- أَنَا حَجِیجُ؟الْمَارِقِینَ؟ وَ خَصِیمُ ؟النَّاکِثِینَ؟ الْمُرْتَابِینَ- وَ عَلَی کِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ- وَ بِمَا فِی الصُّدُورِ تُجَازَی الْعِبَادُ

اللغه

أقول: قرفنی بکذا : أی اتّهمنی به و نسبه إلیّ .و وزع : کفّ .و حجیجهم :

محاجّهم .و الخصیم : المخاصم .

المعنی

استفهاما علی سبیل الإنکار و قوله: أ و لم ینه.إلی أ و ما وزع .

استفهام من عدم انتهائهم عن نسبته إلی دم عثمان مع علمهم بحاله و قوّته فی الدین و عصمته عن دم حرام فضلا عن مثل دم عثمان استفهاما علی سبیل الإنکار علیهم و التعجّب منهم،و نسبه لهم إلی الجهل لجهلهم بمناسبه حاله و سابقته فی الإسلام لبراءته عمّا قرفوه به .

و قوله: و لما وعظهم اللّه به أبلغ من لسانی؟.

تعذیر لنفسه فی عدم ردعه لهم عن الغیبه و أمثالها:أی إذا کان وعظ اللّه لهم مع کونه أبلغ من کلامی لا یردعهم فکلامی بطریق الأولی و زواجر کتاب اللّه کقوله «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» و قوله «وَ لاٰ یَغْتَبْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً أَ یُحِبُّ أَحَدُکُمْ أَنْ یَأْکُلَ لَحْمَ أَخِیهِ مَیْتاً» (۱)الآیه و قوله «وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ بِغَیْرِ مَا اکْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِیناً» (۲)و نحوه من القرآن کثیر، مجاز إمن باب اطلاق اسم السبب علی المسبّب. و أراد بلسانه وعظه مجازا إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب.

۱- ۱) ۱۲-۴۹ [۱]

۲- ۲) ۵۸-۳۳

و قوله : أنا حجيج المارقين.

أی الخوارج أو كلّ من خرج عن دين اللّه ، و خصيم المرتابين :أی الشاكّين فی نسبه هذا الأمر إلیّ،و قيل:المنافقين الشاكّين فی صحّه الدين.

و قوله : و على كتاب اللّه تعرض الامثال .إلی آخره.

إشاره إلی الحجّه الّتی يحتجّ بها.و يخاصهم،و تقريرها:أنّ تعلّق هذا المنكر به إمّا من جهه أقواله،و أفعاله،و اعتقاداته و إرادته،و الثلاثه باطله فتعلّق هذا المنكر به و نسبته إليه باطله.بيان الحصر أنّ هذه الجهات هی جهات صدور المنكر عن الإنسان.

بيان بطلان الأوّل و الثانی أنّه إن كان قد حصل فی أقواله و أفعاله ما يشبه الأمر بالقتل أو فعله فأوقع فی نفوس الجهّال شبهه القتل نحو ما روی منه لمّا سئل عن قتل عثمان:اللّه قتله و أنا معه،و كتخلّفه فی داره يوم قتل عن الخروج.فينبغی أن يعرض ذلک على كتاب اللّه تعالى فإنّه عليه تعرض الأمثال و الأشباه فإن دلّ على كون شیء من ذلک قتلا فليحكم به و إلاّ فلا.و لن يدلّ أبدا.فليس لهم أن يحكموا بالقتل من جهه قول أو فعل،و أمّا بطلان الثالث فلأنّ علم ما فی القلوب إلی اللّه و هو الجازی بما فيها من خير أو شرّ و ليسوا مطّلعين على ما هناک حتّی يحكموا بالقتل من جهتها فإذن حكمهم بتعلّق هذا المنكر به باطل.و باللّه التوفيق.

۷۳-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَی- وَ دُعِیَ إِلَی رَشَادٍ فَدَنَا وَ أَخَذَ بِحُجْزَهِ هَادٍ فَنَجَا- رَاقَبَ رَبَّهُ وَ خَافَ ذَنْبَهُ قَدَّمَ خَالِصاً وَ عَمِلَ صَالِحاً- اكْتَسَبَ مَذْخُوراً وَ اجْتَنَبَ مَحْذُوراً- وَ رَمَی غَرَضاً وَ أَحْرَزَ عِوَضاً كَابَرَ هَوَاهُ وَ كَذَّبَ مُنَاهُ- جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّهَ نَجَاتِهِ وَ التَّقْوَی عُدَّهَ وَفَاتِهِ- رَكِبَ الطَّرِيقَهَ

الْغَرَّاءَ وَ لَزِمَ الْمَحَجَّهَ الْبَيْضَاءَ- اغْتَنَمَ الْمَهَلَ وَ بَادَرَ الْأَجَلَ وَ تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ

اللغه

أقول: الحجزه : معقد الإزار .و المراقبه : المحافظه .و الغرّاء : البيضاء .

المعنى

و اعلم أنّ هذا الفصل يشتمل على استنزاله عليه السّلام الرحمه لعبد استجمع ما ذكر من الامور،و هى عشرون وصفا :

الأوّل يسمع الحكم فيعيه،و الحكم الحكمه،و دعاؤه لسامعها و واعيها يستلزم أمره بتعلّمها و تعليمها،و هى أعمّ من العلميّه و العمليّه.و وعاها:أى فهمها كما القيت إليه.

الثانى :كونه إذا دعى إلى رشاد دنا من الداعى إليه و أجاب دعاؤه.و الرشاد يعود إلى ما يهديه و يرشده إلى طريق معاشه و معاده من العلوم و الأعمال الّتى وردت بها الشريعه.

الثالث : استعاره أن يأخذ بحجزه هاد فينجو به :أى يكون فى سلوكه لسبيل اللّه مقتديا باستاد مرشد عالم لتحصل به نجاته،و استعار لفظ الحجزه لأثر الاستاد و سنّته.و وجه المشابهه كون ذهن المقتدى لازما لسنّه شيخه فى مضايق طريق اللّه و ظلماتها لينجو به كما يلزم السالك لطريق مظلم لم يسلكه قبل بحجزه آخر قد سلك تلك الطريق و صار دليلا فيها ليهتدى به و ينجو من التيه فى ظلماتها .و بين أهل السلوك حلاف أنّه هل يضطرّ المريد إلى الشيخ فى سلوكه؟أم لا.و أكثرهم يرى وجوبه.و يفهم من كلامه عليه السّلام وجوب ذلك و بمثل شهادته يتبجّح الموجبون له إذ كان لسان العارفين و منتهى طبقاتهم.و ظاهر أنّ طريق المريد مع الشيخ أقرب إلى الهدايه،و بدونه أطول و أقرب إلى الضلال عنها.فلذلك قال عليه السّلام: فنجا :أى أنّ النجاه معلّقه به،و قد ذكرنا ما احتجّ به الفريقان فى كتاب مصباح العارفين.

الرابع :أن يراقب ربّه.

و أعلم أنّ المراقبه إحدى ثمرات الإيمان و هى رتبه عظيمه من رتب السالكين قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم:اعبد اللّه كأنّك تراه فإن لم تك تراه فإنّه يراك قال تعالى «أَ فَمَنْ»

«هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ» (۱)و قال «إِنَّ اللّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً» (۲)قال الإمام الغزّاليّ:و حقيقتها أنّها حاله للنفس بثمرها نوع من المعرفه،و تثمر أعمالا فى الجوارح و القلب:أمّا الحاله فهى مراعاه القلب للرقيب و اشتغاله به،و أمّا العلم المثمر لها فهو العلم بأنّ اللّه تعالى مطّلع على الضمائر و السرائر قائم «عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ» و أنّ سرّ القلوب مكشوف له كظاهر البشره للخلق بل هو أشدّ فهذه المعرفه إذا استولت على القلب و لم يبق فيها شبهه فلا بدّ أن تجذبه إلى مراعات الرقيب.و الموقنون بهذه المعرفه فمنهم الصدّيقون و مراقبتهم التعظيم و الإجلال و استغراق القلب بملاحظه ذلك الجلال و الانكسار تحت الهيبه و العظمه بحيث لا يبقى فيه متّسع للالتفات إلى الغير أصلا.و هى مراقبه مقصوره على القلب.أمّا الجوارح فإنّها تتعطّل عن التلفّت إلى المباحات فضلا عن المحظورات،و إذا تحرّكت بالطاعه كانت كالمستعمل لها فلا تصلح لغيرها و لا يحتاج إلى تدبير فى ضبطها على سنن السداد،و من نال هذه الرتبه فقد يغفل عن الخلق حتّى لا يبصرهم و لا يسمع أقوالهم.و مثّل هذا بمن يحضر فى خدمه ملك عظيم فإنّ بعضهم قد لا يحسّ بما يجرى فى حضره الملك من استغراقه بهيبته،و بمن يشغله أمر مهمّ يفكّر فيه.

و روى:أنّ يحيى بن زكريّا عليه السّلام مرّ بامراه فدفعها على وجهها.فقيل له:لم فعلت؟فقال:

ما ظننتها إلاّ جدارا.الثانيه مراقبه الورعين من أصحاب اليمين و هم قوم غلب بعض اطّلاع اللّه تعالى على قلوبهم و لكن لم تدهشهم ملاحظه الجلال بل بقيت قلوبهم على الاعتدال متّسعه للتلفّت إلى الأقوال و الأعمال إلاّ أنّها مع مدارستها للعمل لا تخلو عن المراقبه،و قد غلب الحياء من اللّه على قلوبهم فلا يقدمون و لا يجمحون إلاّ عن تثبّت فيمتنعون عن كلّ أمر فاضح فى القيامه إذ يرون اللّه تعالى مشاهدا لأعمالهم فى الدنيا كما يرونه فى القيامه.و من كان فى هذه الدرجه فيحتاج أن يراقب جميع حركاته و سكناته و لحظاته و جميع اختياراته و يرصد كلّ خاطر يسنح له فإن كان إلهيّا يعجّل مقتضاه و إن كانت شيطانيّا بادر إلى قمعه و استحيا من ربّه و لام نفسه على اتّباع هواه فيه و إن شكّ فيه توقّف إلى أن يظهر له بنور اللّه سبحانه من أىّ جانب هو كما قال عليه السّلام:الهوى شريك

۱- ۱) ۳۳-۱۳

۲- ۲) ۱-۴.

العمی.و من التوفیق التوقّف عند الحیره و لا یهمل شیئا من أعماله و خواطره و إن قلّ لیسلم من مناقشه الحساب.فقد قال الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم:الرجل لیسئل عن کحل عینیه و عن فتله الطین بإصبعه و عن لمسه ثوب أخیه.

الخامس :أن یخاف ذنبه.و اعلم أنّ الخوف لیس ممّا هو ذنب بل من المعاقب علی الذنب لکن لمّا کان الذنب سببا موجبا لسخط المعاقب و عقابه نسب الخوف إلیه.و قد سبق منّا بیان حقیقتی الخوف و الرجاء.

السادس :أن یقدّم خالصا بأن یکون أحواله کلّها خالصه للّه من قول أو عمل، و خاطره بریئه عن الالتفات إلی غیره فیها.و قد سبق معنی الإخلاص فی الخطبه الاولی.

السابع :أن یعمل صالحا.و صلاح العمل الإتیان به کما امر به و هو نوع ممّا تقدّمه.

الثامن :أن یکتسب مذخورا.و هو أمر بسایر ما أمرت الشریعه باکتسابه.و نبّه علی وجوب السعی فیه بأنّه یبقی ذخرا لیوم الفاقه إلیه.

التاسع :أن یجتنب محذورا.و هو أمر باجتناب ما نهت الشریعه عنه،و نبّه علی وجوب اجتنابه بکونه محذورا یستلزم العقاب فی الآخره.

العاشر :أن یرمی غرضا:أی یحذف أعراض الدنیا عن درجه الاعتبار،و هو إشاره إلی الزهد و التخلّی عن موانع الرحمه.

الحادی عشر :أن یحرز عوضا:أی یذخر فی جوهر نفسه ملکات الخیر و یوجّه سرّه إلی مطالعه أنوار کبریاء اللّه و یحرز ما یفاض علیه من الحسنات و یثبتها بتکریرها.

فنعم العوض من متاع الدنیا و أعراضها الفانیه.

الثانی عشر :أن یکابر هواه:أی یطوّع نفسه الأمّاره بالسوء بالأعمال الدینیّه و یراقبها فی کلّ خاطر یلقیه إلی نفسیه و یقابلها بکسره و قمعه.

الثالث عشر :أن یکذب مناه:أی یقابل ما یلفته إلیه الشیطان من الأمانی و یعده به بالتکذیب و القمع له بتجویز عدم نیلها.و یحسم مادّه ذلک بالمراقبه فإنّ الوساوس الشیطانیّه یتبع بعضها بعضا،و من إشاراته علیه السّلام إلی ذلک:إیّاکم و المنی فإنّها بضایع

النوكى:أى الحمقى.

الرابع عشر :أن يجعل الصبر مطيّه نجاته.و الصبر هو مقاومه النفس لئلاّ تنقاد إلى قبايح اللذّات.و لمّا علمت أنّ الانقياد فى مسلكها إلى اللذّات القبيحه هو سبب الهلاك فى الآخره علمت أنّ مقاومتها و دفعها عنها هو سبب النجاه هناك،و قد استعار لفظ المطيّه للصبر،و وجه المشابهه كون لزومه سببا للنجاه كما أنّ ركوب المطيّه و الهرب عليها سبب النجاه من العدوّ.

الخامس عشر :أن يجعل التقوى عدّه وفاته.و لمّا كان التقوى قد يراد به الزهد، و قد يراد به الخوف من اللّه المستلزم للزهد كما علمت و كانت العدّه هو ما استعدّ به الإنسان للقاء الحوادث،و كان الموت أعظم حادث يسبق إلى الإنسان من أحوال الآخره كان التقوى عدّه للموت.إذ كان المتّقى مشغول السرّ بعظمه اللّه و هيبته عن كلّ حاله تلحقه فلا يكون للموت.عنده كثير وقع و لا عظيم كرب،و قد يراد بالتقوى مطلق الإيمان،و بالوفاه ما بعدها مجازا،و ظاهر كون الإيمان عدّه واقيه من عذاب اللّه.

السادس عشر :أن يرتكب الطريقه الغرّاء.و هو أن يسلك إلى اللّه تعالى الطريقه الواضحه المستقيمه و هى سريعه.

السابع عشر :و أن يلزم المحجّه البيضاء.و الفرق بين هذا الأمر و الّذى قبله أنّ الأوّل أمر بركوب الطريقه الغرّاء،و الثانى أمر بلزومها و عدم مفارقتها و أنّها و إن كانت واضحه إلاّ أنّها طويله كثيره المخاوف و سالكها أبدا محارب للشيطان و هو فى معرض أن يستزلّه عنها.

الثامن عشر :أن يغتنم المهل:أى أيّام مهلته و هى حياته الدنيا و اغتنامه العمل فيها قبل يوم الحساب.

التاسع عشر :أن يبادر الأجل:أى يسابقه إلى العمل قبل أن يسبقه فيقتطعه عنه.

العشرون : استعاره السجع المتوازى أن يتزوّد من العمل .و هو الأمر بما يتبادر إليه من اتّخاذ العمل زادا.

و قد سبق وجه استعاره الزاد له.و قد راعى عليه السّلام فى كلّ مرتبتين من هذا الكلام السجع المتوازى،و جعل الصدر ثلاثا و الآخر ثلاثا و عطف كلّ قرينه على مشاركتها فى

الحرف الأخير منها،و حذف حرف العطف من الباقى ليتميّز ما يتناسب منها عن غيره.

و كلّ ذلک بلاغه.

۷۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

:إِنَّ؟بَنِی أُمَیَّهَ؟ لَیُفَوِّقُونَنِی تُرَاثَ؟مُحَمَّدٍ ص؟ تَفْوِیقاً- وَ اللَّهِ لَئِنْ بَقِیتُ لَهُمْ- لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَهَ و يروى«التراب الوذمه».و هو على القلب.

قال الشريف:و قوله عليه السّلام«ليفوقوننى»أى.يعطوننى من المال قليلا كفواق الناقه،و هو الحلبه الواحده من لبنها،و الوذام:جمع و ذمه و هى:الحزه من الكرش أو الكبد تقع فى التراب فتنفض .

المعنى

أقول: استعاره استعار لفظ التفويق لعطيّتهم له المال قليلا-و وجه المشابهه هو قلّه ما يعطونه منه مع كونه فى دفعات كما يعطى الفصيل ضرع امّه لتدرّ،ثم يدفع عنها لتحلب، ثمّ يعاد إليها لتدرّ .و تراث محمّد إشاره إلى الفىء الحاصل ببركه محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم و هو التراث اللغوىّ المكتسب عن الميّت بوجه ما،ثمّ أقسم إن بقى لبنى اميّه ليحرمنّهم التقدّم فى الامور، استعاره و استعار لفظ النفض لإبعادهم عن ذلک،و شبّه نفضه لهم بنفض القصّاب القطعه من الكبد أو الكرش من التراب إذا أصابته .و هذه الروايه هو الحقّ،و الثانيه سهو من الناقلين.

و قد ورد عنه هذا الكلام بزياده و نقصان فى روايه اخرى و ذلک أنّ سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفه من قبل عثمان بعث إليه بصله فقال:و اللّه لا يزال غلام من عثمان بنى اميّه يبعث إلينا ما أفاء اللّه على رسوله بمثل قوت الأرمله،و اللّه لئن بقيت لأنفضنّها نفض القصّاب الوذام التربه.

ص:۲۱۲

۷۵–و من کلمات کان یدعو بها

اشاره

اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّی- فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَیَّ بِالْمَغْفِرَهِ- اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی مَا وَأَیْتُ مِنْ نَفْسِی وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِی- اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَیْکَ بِلِسَانِی- ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِی اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی رَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ- وَ سَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ وَ شَهَوَاتِ الْجَنَانِ وَ هَفَوَاتِ اللِّسَانِ

اللغه

أقول: الوأی : الوعد .و الرمزات : جمع رمزه و هی الإشاره بالعین أو الحاجب أو الشفه .و السقط من الشیء : ردیئه .و الهفوه : الزلّه .

المعنی

و قد سأل اللّه سبحانه فی جمیع هذا الفصل المغفره.و مغفره اللّه للعبد تعود إلی ستره علیه أن یقع فی مهاوی الهلکه فی الآخره أو یکشف مقابحه لأهل الدنیا فیها و کلّ ذلک یعود إلی توفیقه لأسباب السعاده و جذبه بها عن متابعه الشیطان فی المعاصی قبل صدورها منه أو قبل صیرورتها ملکات فی جوهر نفسه و المطلوب غفره امور:

الأوّل :ما اللّه أعلم به منه ممّا هو عند اللّه معصیه و سیّئه فی حقّه و هو لا یعلمها فیفعلها ،ثمّ طلب تکرار مغفره اللّه لما یعاوده و یتکرّر منه کذلک.و إذا تصوّرت معنی المغفره تصوّرت کیف تکرارها.

الثانی :ما وعد نفسه أن یفعله للّه ثمّ لم یوف به.و ما هاهنا مصدریّه.و لا شکّ أنّ مطال النفس بفعل الخیر و عدم الوفاء به إنّما یکون عن خاطر شیطانیّ یجب أن یستغفر اللّه له و یسأل ستره ببعث الدواعی الجاذبه عن متابعه الشیطان المحرّک له.

الثالث :شوب النفس ما یتقرّب به من الأعمال إلی اللّه بالریاء و السمعه و مخالفه نیّه القربه إلیه بقصد غیره لها.و لا شکّ أنّ ذلک شرک خفیّ جاذب عن الترقّی فی درجات العلی،و یحتاج إلی تدارک اللّه بالمغفره و الجذب عنه قبل تمکّنه من النفس.

الرابع :الإشاره باللحظ.و هو الایماء الخارج عن الحدود الشریعه کما یفعل

ص:۲۱۳

عند التنبيه على شخص ليعاب أو ليضحك منه أو يظلم.و كلّ تلك عن خواطر شيطانيّه ينبغى أن يسأل اللّه تعالى رفع أسبابها و ستر النفس عن التدنّس بها .

الخامس: سقطات الألفاظ و الرديء من القول.هو ما تجاوز حدود اللّه و خرج بها الإنسان عن مستقيم صراطه .

السادس:شهوات القلوب.فمن روى بالشين المعجمه فالمراد جذب القوّه الشهويّه للنفس:أى مشتهياتها،و من روى بالسين فسهوات القلب خواطره الّتى لا يشعر بتفصيلها إذا خالفت أو امر اللّه و قد تستتبع حركه بعض الجوارح إلى فعل خارج عن حدود اللّه أيضا و ذلك و إن كان لا يوجب أثرا فى النفس و لا يؤخذ به إلاّ أنّه ربّما يقوى بقوّه أسبابه و كثرتها فيقطع العبد عن سلوك سبيل اللّه كما فى حقّ المنهمكين فى لذّات الدنيا المتجرّ دين لها فإنّ أحدهم ربّما رام أن يصلّى الفرض فيصلّى الصلاه الواحده مرّتين أو مرارا و لا يستثبت عدد ركعاتها و سجداتها،و غفر مثل ذلك بجذب العبد عن الأسباب الموجبه له.

السابع : هفوات اللسان :أى الزلل الحاصل من قبله.و مادّته أيضا خاطر شيطانىّ، و غفره بتوفيقه لمقاومه هواه.

و أعلم أنّ الشيعه لمّا أوجبوا عصمته عليه السّلام عن المعاصى حملوا طلبه لمغفره هذه الامور على وجهين:

أحدهما:و هو الأدّق أنّ طلبه لغفرانها إنّما هو على تقدير وقوعها منه فكأنّه قال:اللهمّ إن صدر عنّى شيء من هذه الامور فاغفره لى،و قد علمت أنّه لا يلزم من صدق الشرطيّه صدق كلّ واحد من جزئيها فلا يلزم من صدق كلامه صدور شيء منها حتّى يحتاج إلى المغفره.

الثانى:أنّهم حملوا ذلك على تأديب الناس و تعليمهم كيفيّه الاستغفار من الذنوب أو على التواضع و الاعتراف بالعبوديّه و أنّ البشر فى مظنّه التقصير و الإساءه.و أمّا من لم يوجب عصمته فالأمر معه ظاهر.و باللّه التوفيق.

ص:۲۱۴

۷۶–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج،فقال له:يا أمير المؤمنين،إن سرت فى هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك،من طريق علم النجوم.

فقال عليه السّلام:

أَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِى إِلَى السَّاعَهِ- الَّتِى مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ- وَ تُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَهِ الَّتِى مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ- فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ ؟الْقُرْآنَ؟- وَ اسْتَغْنَى عَنِ الِاسْتِعَانَهِ بِاللَّهِ- فِى نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَ دَفْعِ الْمَكْرُوهِ- وَ تَبْتَغِى فِى قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ- أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ- لِأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَهِ- الَّتِى نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وَ أَمِنَ الضُّرَّ ثم أقبل ع على الناس فقال أَيُّهَا النَّاسُ- إِيَّاكُمْ وَ تَعَلُّمَ النُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِى بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ- فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَهِ- وَ الْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ وَ الْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ وَ السَّاحِرُ كَالْكَافِرِ- وَ الْكَافِرُ فِى النَّارِ سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ

اللغه

أقول: حاق به : أحاط .و يوليه كذا : يعطيه إيّاه و يجعله أولى به .

المعنى

و روى أنّ المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس أخا لأشعث بن قيس و كان يتعاطى

علم النجوم.

و اعلم أنّ الّذی یلوح من سرّ نهی الحکمه النبوّیه عن تعلّم النجوم أمران:

أحدها:اشتغال متعلّمها بها،و اعتماد کثیر من الخلق السامعین لأحکامها فیما یرجون و یخافون علیه فیما یسنده إلی الکواکب و الأوقات،و الاشتغال بالفزع إلیه و إلی ملاحظه الکواکب عن الفزع إلی اللّه و الغفله عن الرجوع إلیه فیما یهمّ من الأحوال و قد علمت أنّ ذلک یضادّ مطلوب الشارع إذ کان غرضه لیس إلاّ دوام التفات الخلق إلی اللّه و تذکّرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إلیه.

الثانی:أنّ الأحکام النجومیّه إخبارات عن امور سیکون و هی تشبه الاطّلاع علی الامور الغیبیّه.و أکثر الخلق من العوامّ و النساء و الصبیان لا یتمیّزون بینها و بین علم الغیب و الإخبار به.فکان تعلّم تلک الأحکام و الحکم بها سببا لضلال کثیر من الخلق موهنا لاعتقاداتهم فی المعجزات إذ الإخبار عن الکائنات منها،و کذلک فی عظمه بارئهم.و یسلکهم فی عموم صدق قوله تعالی «قُلْ لا یَعْلَمُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَیْبَ إِلاَّ اللّهُ» «وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلاّ هُوَ» (۱)و قوله «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» (۲)فالمنجّم إذا حکم لنفسه بأنّه یصیب کذا فی وقت کذا فقد ادّعی أنّ نفسه تعلم ما تکسب غدا و «بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» .و ذلک عین التکذیب للقرآن،و کأنّ هذین الوجهین هما المقتضیان لتحریم الکهانه و السحر و العزائم و نحوها،و أمّا مطابقه لسان الشریعه للعقل فی تکذیب هذه الأحکام فبیانها أنّ أهل النظر أمّا متکلّمون فإمّا معتزله أو أشعریّه.

أمّا المعتزله فاعتمادهم فی تکذیب المنجّم علی أحد أمرین:أحدهما:أنّ الشریعه کذّبته.و عندهم أنّ کلّ حکم شرعیّ فیشتمل علی وجه عقلیّ و إن لم یعلم عین ذلک الوجه، و الثانی مناقشته فی ضبطه لأسباب ما اخبر عنه من کون أو فساد.

و أمّا الاشعریّه فهم و إن قالوا:إنّه لا مؤثّر له إلاّ اللّه و زعم بعضهم أنّهم خلصوا بذلک من إسناد التأثیرات إلی الکواکب إلاّ أنّه لا مانع علی مذهبهم أن یجعل اللّه

۱- ۱) (۲)۳۴-۳۱

۲- ۲) ۳۴-۳۱

تعالى اتّصال نجم بنجم أو حركته علامه على كون كاين أو فساده و ذلك ممّا لا يبطل على منجّم قاعده.فيرجعون أيضا إلى بيان عدم إحاطته بأسباب كون ما اخبر عنه.و مناقشته فى ذلك.

و أمّا الحكماء فاعلم أنّه قد ثبت فى اصولهم أنّ كلّ كائن فاسد فى هذا العالم فلا بدّ له من أسباب أربعه:فاعلىّ،و مادّىّ،و صورىّ،و غائىّ:أمّا السبب الفاعلىّ القريب فالحركات السماويه و الّذى هو أسبق منها فالمحرّك لها إلى أن ينتهى إلى الجود الإلهىّ المعطى لكلّ قابل ما يستحقّه،و أمّا سببه المادىّ فهو القابل لصورته و تنتهى القوابل إلى القابل الأوّل و هو مادّه العناصر المشتركه بينها،و أمّا الصورىّ فصورته الّتى يقبلها مادّته،و أمّا الغائىّ فهى الّتى لأجلها وجد.أمّا الحركات السماويّه فإنّ من الكاينات ما يحتاج فى كونه إلى دوره واحده للفلك،و منها ما يحتاج إلى جمله من أدواره و اتّصالاته.و أمّا القوابل للكائنات فقد تقرّر عندهم أيضا أنّ قبولها لكلّ كاين معيّن مشروط باستعداد معيّن له و ذلك الاستعداد يكون بحصول صوره سابقه عليه و هكذا قبل كلّ صوره صوره معدّه لحصول الصوره بعدها و كلّ صوره منها أيضا تستند إلى الاتّصالات و الحركات الفلكيّه،و لكلّ استعداد معيّن زمان معيّن و حركه معيّنه و اتّصال معيّن يخصّه لا يفى بدركها القوّه البشريّه.

إذا عرفت ذلك فنقول:الأحكام النجوميّه إمّا أن تكون جزئيّه و إمّا كلّيّه.

أمّا الجزئيّه فأن يحكم مثلا بأنّ هذا الإنسان يكون من حاله كذا و كذا،و ظاهر أنّ مثل هذا الحكم لا سبيل إلى معرفته إذ العلم به إنّما هو من جهه أسبابه أمّا الفاعليّه فأن يعلم أنّ الدوره المعيّنه و الاتّصال المعيّن سبب لملك هذا الرجل البلد المعيّن مثلا و أنّه لا سبب فاعلىّ لذلك إلاّ هو،و الأوّل باطل لجواز أن يكون السبب غير ذلك الاتّصال أو هو مع غيره.أقصى ما فى الباب أن يقال:إنّما كانت هذه الدوره و هذه الاتّصال سببا لهذا الكاين لأنّها كانت سببا لمثله فى الوقت الفلانىّ لكن هذا أيضا باطل لأنّ كونها سببا للكائن السابق لا يجب أن يكون لكونها مطلق دوره و اتّصال بل لعلّه أن يكون لخصوصيّه كونه تلك المعيّنه الّتى لا تعود بعينها فيما بعد،و حينئذ لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون هذا الكاين لأنّ المؤثرات المختلفه لا يجب تشابه آثارها،و الثانى

أیضا باطل لأنّ العقل یجزم بأنّه لا اطّلاع له علی أنّه لا یقتضی لذلک الکاین من الأسباب الفاعله إلاّ الاتّصال المعیّن.کیف و قد ثبت أنّ من الکاینات ما یفتقر إلی أکثر من اتّصال واحد و دوره واحده أو أقلّ،و أمّا القابلیّه فأن یعلم أنّ المادّه قد استعدّت لقبول مثل هذا الکاین و استجمعت جمیع شرائط قبوله الزمانیّه و المکانیّه و السماویّه و الأرضیّه.و ظاهر أنّ الإحاطه بذلک ممّا لا یفی به القوّه البشریّه،و أمّا الصوریّه و الغائیّه فأن یعلم ما یقتضیه استعداد مادّه ذلک المعیّن و قبولها من الصوره و ما یستلزمه من الشکل و المقدار،و أن یعلم ما غایه وجوده و ما أعدّته العنایه له،و ظاهر أنّ الإحاطه بذلک غیر ممکنه للإنسان.و أمّا أحکامهم الکلّیّه فکأن یقال کلّما حصلت الدوره الفلانیّه کان کذا.و المنجّم إنّما یحکم بذلک الحکم من جزئیّات من الدورات تشابهت آثارها فظنّها متکرّره و لذلک یعدلون إذا حقّق القول علیهم إلی دعوی التجربه،و قد علمت أنّ التجربه تعود إلی تکرّر مشاهدات یضبطها الحسّ.و العقل یحصل منها حکما کلیّا کحکمه بأنّ کلّ نار محرقه فإنّه لمّا أمکن العقل استبثات الإحراق بواسطه الحسّ أمکنه الجزم الکلّی بذلک.فأمّا التشکّلات الفلکیّه و الاتّصالات الکوکبیّه المقتضیه لکون ما یکون فلیس شیء منها یعود بعینه کما علمت و إن جاز أن یکون تشکّلات و عودات متقاربه الأحوال و متشابهه إلاّ أنّه لا یمکن الإنسان ضبطها و لا الاطّلاع علی مقدار ما بینها من المشابهه و التفاوت،و ذلک أنّ حساب المنجّم مبنیّ علی قسمه الزمان بالشهور و الأیّام و الساعات و الدرج و الدقایق و أجزائها،و تقسیم الحرکه بإزائها و رفعهم بینها نسبه عددیّه و کلّ هذه امور غیر حقیقیّه و إنّما تؤخذ علی سبیل التقریب.أقصی ما فی الباب أنّ التفاوت فیها لا یظهر فی المدد المتقاربه لکنّه یشبه أن یظهر فی المدد المتباعده،و مع ظهور التفاوت فی الأسباب کیف یمکن دعوی التجربه و حصول العلم الکلّی الثابت الّذی لا یتغیّر باستمرار أثرها علی و تیره واحده.ثمّ لو سلّمنا أنّه لا یظهر تفاوت أصلا إلاّ أنّ العلم بعود مثل الدوره لا یقتضی بمجرّده العلم بعود مثل الأثر السابق لتوقّف العلم بذلک علی عود أمثال الباقیه للأثر السابق من الاستعداد و سایر أسبابه العلویّه و السفلیّه،و علی ضبطها فإنّ العلم التجربیّ إنّما یحصل

بعد حصرها ليعلم عودها و تكرّرها و كلّ ذلك ممّا لا سبيل للقوّه البشريّه إلى ضبطه فكيف يمكن دعوى التجربه.إذا عرفت ذلك فنقول:

قوله : أ تزعم إلى قوله:الضرّ.

استثبات لما فى العاده أن يدّعيه الأحكاميّون كما ادّعاه المنجّم المشير بعدم المسير فى ذلك الوقت.

و قوله : فمن صدّقك[صدّق خ]بهذا إلى قوله:الضرر.

إلزامات له على ما يعتقده عن نفرتها عن قبول أحكام المنجّم و الاعتقاد فيه.

أوّلها:أنّ من صدّقه فقد كذّب القرآن،و وجه التكذيب ما ذكرناه.

الثانى :كون مصدّقه يستغنى عن الاستعانه باللّه فى نيل محبوبه و رفع مكروهه:

أى يفزع إليه فى كلّ أمريهمّ به و يجعلهم عمده له فيعرض عن الفزع إلى اللّه كما سبق.

الثالث :أنّه ينبغى للعامل أن يوليه الحمد دون ربّه.و علّل هذا الإلزام بقياس ضمير من الشكل الأوّل.صورته :تزعم أنّك تهدى إلى ساعه النفع و الضرر،و كلّ من زعم ذلك فقد أهّل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدّقه دون اللّه.فينتج أنّه قد أهّل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدّقه دون اللّه.و الكبرى من المخيّلات،و قد يستعملها الخطيب للتنفير عن بعض الامور الّتى يقصد النهى عنها.

و قوله : أيّها الناس.إلى قوله:برّ أو بحر.

تحذير عن تعلّمها لما ذكرناه،و استثنى من ذلك تعلّمها للاهتداء بها فى السفر.

و اعلم أنّ الّذى ذكرناه ليس إلاّ بيان أنّ الاصول الّتى ينبىء عليها الأحكاميّون و ما يخبرون به فى المستقبل اصول غير موثوق بها فلا يجوز الاعتماد عليها فى تلك الأحكام و الجزم بها.و هذا لا ينافى كون تلك القواعد ممهّده بالتقريب كقسمه الزمان و حركه الفلك بالسنه و الشهر و اليوم مأخوذا عنها حساب يبنى عليه مصالح دينيّه كمعرفه أوقات العبادات كالصوم و الحجّ و نحوهما أو دنيويّه كآجال المداينات و ساير المعاملات و كمعرفه الفصول الأربعه ليعمل فى كلّ منها ما يليق به من الحراثه و السفر و أسباب المعاش، و كذلك معرفه قوانين تقريبيّه من أوضاع الكواكب و حركاتها يهتدى بقصدها و على

سمتها المسافرون فی برّ أو بحر فإنّ ذلک القدر منها غیر محرّم بل لعلّه من الامور المستحبّه لخلوّ المصالح المذکوره فیه عن وجوه المفاسد الّتی تشتمل علیها الأحکام کما سبق.و لذلک أمتن اللّه سبحانه علی عباده بخلق الکواکب فی قوله «وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» (۱)و قوله «لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ» (۲)و قوله : فإنّها .إلی آخره.

تعلیل للتحذیر عن تعلّمها و تنفیر عنها بقیاس آخر موصول یستنتج منه أنّ المنجّم فی النار.و علی تقدیر تفصیله فالنتیجه الاولی کون المنجّم کالساحر و هی مع قوله : و الساحر کالکافر .و هذه النتیجه مع قوله : و الکافر فی النار ینتج المطلوب،و هو أنّ المنجّم فی النار، و القیاسان الأوّلان من قیاس المساواه.و قد علمت أنّه عسر الانحلال إلی الحدود المرتّبه فی القیاس المنتج لأنّ موضوع الکبری جزء من محمول الصغری فلیس الأوسط بمشترک فهو معدول عن وجهه إلی وقوع الشرکه فی بعض الأوسط.و لذلک یستحقّ أن یفرد باسم و یجعل لتحلیله قانون یرجع إلیه فی أمثاله.و قد سبق مثله فی الخطبه الاولی.و إذا حمل علی القیاس الصحیح کان تقدیره المنجّم یشبه الکاهن المشبه للساحر و مشبه الکاهن المشبه للساحر مشبه للساحر فینتج أنّ المنجّم یشبه الساحر،و هکذا فی القیاس الثانی المنجّم یشبه الساحر المشبه للکافر و مشبه الساحر المشبه للکافر یشبه الکافر فالمنجّم یشبه الکافر و الکافر فی النار فالمنجّم کذلک و هو القیاس الثالث و نتیجته.فأمّا بیان معنی الکاهن و الساحر و الإشاره إلی وجوه التشبیهات المذکوره:

فاعلم أنّا قد أشرنا فی المقدّمه إلی مکان وجود نفس تقوی علی اطّلاع ما سیکون و علی التصرّفات العجیبه فی هذا العالم فتلک النفس إن کانت کامله خیّره مجذوبه من اللّه تعالی بدواعی السلوک إلی سبیله و ما یقود إلیه فهی نفوس الأنبیاء و الأولیاء ذوی المعجزات و الکرامات،و إن کانت ناقصه شریره منجذبه عن تلک الجهه و غیر طالبه لتلک المرتبه بل مقتصره علی رذایل الأخلاق و خسائس الامور کالتکهّن و نحوه فهی نفوس الکهنه و السحره.

و أعلم أنّ أکثر ما تظهر قوّه الکهانه و نحوها من قوی النفوس فی أوقات الأنبیاء

۱- ۱) ۹۷-۶

۲- ۲) ۵-۱۰

و قبل ظهورهم.و ذلك أنّ الفلك إذا أخذ فى التشكّل بشكل يتمّ به فى العالم حدث عظيم عرض من ابتداء ذلك الشكل و غايته أحداث فى الأرض شبيهه بما يريد أن يتمّ و لكنّها تكون غير تامّه فإذا استكمل ذلك الشكل فى الفلك و تمّ وجد به فى العالم ما يقتضيه فى أسرع زمان لسرعه تبدّل أشكال الفلك فتظهر تلك القوّه الّتى يوجبها ذلك الشكل فى شخص واحد أو شخصين أو أكثر على حسب ما يقتضيه العنايه الإلهيّه و يستوعب ذلك الشخص تلك القوّه على الكمال.فأمّا من قرب من ذلك الشكل و لم يستوفه فإنّه يكون ناقص القوّه بحسب بعده من الشكل.و يظهر ذلك النقصان بظهور النبوّه المقصوده من ذلك الشكل.

فتبيّن قصور القوى المتقدّمه على النبىّ و المتأخّره عنه و نقصانهما عن ذلك التمام.

فأمّا صفه الكاهن من أصحاب تلك القوى فإنّ صاحب قوّه الكهانه إذا أحسّ بها من نفسه تحرّك إليها بالإراده ليكملها فيبرزها فى امور حسيّه و يثيرها فى علامات تجرى مجرى الفال و الزجر و طرق الحصى،و ربّما استعان بالكلام الّذى فيه سجع و موازنه أو بحركه عنيفه من عدو حثيث كما حكى عن كاهن من الترك،و كما نقل إلىّ من شاهد كاهنا كان فى زماننا و توفّى مند عشرين سنه يكنّى بأبى عمرو كان بناحيه من ساحل البحر يقال لها قلهات،و إنّه كان إذا سئل عن أمر استعان بتحريك رأسه تحريكا يقوى و يضعف بحسب الحاجه و أجاب عقيب ذلك،و قيل إنّه كان قد يستغنى فى بعض الإخبارات عن تلك الحركه.و الغرض من ذلك اشتغال النفس عن المحسوسات فتداخل نفسه و يقوى فيها ذلك الأثر و يهجس فى نفسه عن تلك الحركه ما تقذفه على لسانه،و ربّما صدق الكاهن،و ربّما كذب.و ذلك أنّه يتمّم نقصه بأمر مباين لكماله غير داخل فيه فيعرض له الكذب و يكون غير موثوق به،و ربّما تعمد الكذب خوفا من كساد بضاعته فيستعمل الزرق و يخبر بمالا أثر له فى نفسه و يضطرّ إلى التخمين.و درجات هؤلاء متفاوته بحسب قربهم من الافق الإنسانىّ و بعدهم منه و بقدر قبولهم للأثر العلوىّ.و يتميّزون عن الأنبياء بالكذب و ما يدّعونه من المحالات فإن اتّفق أن يلزم أحدهم الصدق فإنّه لا يتجاوز قدره فى قوّته و يبادر إلى التصديق بأوّل أمر يلوح من النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و يعرف فضله كما روى عن طلحه و سواد بن قارب و نحوهما من الكهنه فى زمان الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

إذا عرفت ذلک فنقول: تشبیه أمّا قوله: فإنّها تدعو إلی الکهانه.

أیّ أنّها تدعو المنجّم فی آخر أمره إلی أن یصّیر نفسه کالکاهن فی دعوی الإخبار عمّا سیکون،ثمّ أکّد کونها داعیه إلی التمکین بتشبیهه بالکاهن.

و أعلم أنّ الکاهن یتمیّز عن المنجّم بکون ما یخبر به من الأمور الکاینه إنّما هو عن قوّه نفسانیّه له،و ظاهر أنّ ذلک أدعی إلی فساد أذهان الخلق و إغوائهم لزیاده اعتقادهم فیه علی المنجّم،و أمّا الساحر فیتمیّز عن الکائن بأنّ له قوّه علی التأثیر فی أمر خارج عن بدنه آثارا خارجه عن الشریعه موذیه للخلق کالتفریق بین الزوجین و نحوه و تلک زیاده شرّ آخر علی الکاهن أدعی إلی فساد أذهان الناس و زیاده اعتقادهم فیه و انفعالهم عنه خوفا و رغبه،و أمّا الکافر فیتمیّز عن الساحر بالبعد الأکبر عن اللّه تعالی و عن دینه و إن شارکه فی أصل الانحراف عن سبیل اللّه.و حینئذ صار الضلال و الفساد فی الأرض مشترکا بین الأربعه إلاّ أنّه مقول علیهم بالأشدّ و الأضعف فالکاهن أقوی فی ذلک من المنجّم،و الساحر أقوی من الکاهن،و الکافر أقوی من الساحر.و لذلک التفاوت جعل علیه السّلام الکاهن أصلا فی التشبیه للمنجّم لزیاده فساده علیه ثمّ ألحقه به،و جعل الساحر أصلا للکاهن،و الکافر أصلا للساحر.لأنّ التشبیه یستدعی کون المشبّه به أقوی فی الوصف الّذی فیه التشبیه و أحقّ به.و قد لاح من ذلک أنّ وجه الشبه فی الکلّ هو ما یشترکون فیه من العدول و الانحراف عن طریق اللّه بالتنجیم و الکهانه و السحر و الکفر و ما یلزم من ذلک من صدّ کثیر من الخلق عن سبیل اللّه و إن اختلف جهات هذا العدول بالشدّه و الضعف کما بیّناه.

و لمّا فرغ علیه السّلام من تنفیر أصحابه عن تعلّم النجوم و قبول أحکامها و غسّل أذهانهم من ذلک بالتخویف المذکور أمرهم بالمسیر إلی الحرب.و روی:أنّه سار فی تلک الساعه إلی الخوارج و کان منه ما علمت من الظفر بهم و قتلهم حتّی لم یفلت منهم غیر تسعه نفر، و لم یهلک من رجاله غیر ثمانیه نفر کما سبق بیانه،و ذلک یستلزم خطأ ذلک المنجّم و تکذیبه فی مقاله.و باللّه التوفیق.

ص:٢٢٢

۷۷-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

بعد حرب الجمل،فی ذم النساء

مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ- نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ- فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ- فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاَهِ وَ الصِّيَامِ فِی أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ- وَ أَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ- فَشَهَادَهُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَهِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ- وَ أَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ- فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ- فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وَ كُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ- وَ لاَ تُطِيعُوهُنَّ فِی الْمَعْرُوفِ حَتَّى لاَ يَطْمَعْنَ فِی الْمُنْكَرِ

المعنی

اشاره

أقول:لمّا كانت واقعه الجمل و ما اشتملت علیه من هلاک جمع عظیم من المسلمین منسوبا إلی رأی امرأه أراد أن یتبّه علی وجوه نقصان النساء و أسبابه

فذكر نقصانهنّ من وجوه ثلاثه :

أحدها:كونهنّ نواقص الایمان

،و أشار إلی جهه النقص فیه بقعود إحدیهنّ عن الصلاه و الصوم أیّام الحیض،و لمّا كان الصوم و الصلاه من كمال الإیمان و متمّمات الریاضه كان قعودهنّ عن الارتیاض بالصوم و الصلاه فی تلک الأیّام نقصانا لایمانهنّ، و إنّما رفعت الشریعه التكلیف عنهنّ بالعبادتین المذكورتین لكونهنّ فی حال مستقذره لا یتأهّل صاحبها للوقوف بین یدی الملک الجبّار،و یعقل للصوم وجه آخر و هو أنّه یزید الحائض إلی ضعفها ضعفا بخروج الدم.و أسرار الشریعه أدقّ و أجلّ أن یطّلع علیها عقول سایر الخلق .

الثانی:كونهنّ نواقص حظّ

،و أشار إلی جهه نقصانه بأنّ میراثهنّ علی النصف من میراث الرجال كما قال تعالی «يُوصِيكُمُ اللّهُ فِی أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ»

«الْأُنْثَيَيْنِ» (۱)و الّذی یلوح من سرّ ذلک کثره المئونه علی الرجل و هو أهل التصرّف و کون المرأه من شأنها أن تکون مکفوله محتاجه إلی قیّم هولها کالخادم .

الثالث:کونهنّ نواقص عقول

.و لذلک سبب من داخل و هو نقصان استعداد أمزجتهنّ،و قصورهنّ عن قبول تصرّف العقل کما یقبله مزاج الرجل کما نبّه تعالی علیه بقوله «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى» (۲)فإنّه نبّه علی ضعف القوّه الذاکره فیهنّ،و لذلک جعل شهاده امرأتین بشهاده رجل واحد،و له أیضا سبب عارض من خارج و هو قلّه معاشرتهنّ لأهل العقل و التصرّفات و قلّه ریاضتهنّ لقواهنّ الحیوانیّه بلزوم القوانین العقلیّه فی تدبیر أمر المعاش و المعاد و لذلک کانت أحکام القوی الحیوانیّه فیهنّ أغلب علی أحکام عقولهنّ فکانت المرأه أرقّ و أبکی و أحسد و ألجّ و أبغی و أجزع و أوقح و أکذب و أمکر و أقبل للمکر و أذکر لمحقّرات الامور و لکونها بهذه الصفه اقتضت الحکمه الإلهیّه أن یکون علیها حاکم و مدبّر تعیش بتدبیره و هو الرجل فقال تعالی «الرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ» (۳)و لشدّه قبولها للمکر و قلّه طاعتها للعقل مع کونها مشترکه و داعیه إلی نفسها اقتضت أیضا أن یسنّ فی حقّها التستّر و التخدّر.

و قوله:فاتّقوا شرار النساء و کونوا من خیارهنّ علی حذر .

و قوله: فاتّقوا شرار النساء و کونوا من خیارهنّ علی حذر.

لمّا نبّه علی جهه نقصانهنّ،و قد علمت أنّ النقصان یستلزم الشرّ لا جرم نفّر عنهنّ فأمر أوّلا بالخشیه من شرارهنّ و هو یستلزم الأمر بالهرب منهنّ و عدم مقاربتهنّ فأمّا خیارهنّ فإنّه أمر بالکون منهنّ علی حذر.و یفهم من ذلک أنّه لا بدّ من مقاربتهنّ،و کان الإنسان إنّما یختار مقاربه الخیره منهنّ فینبغی أن یکون معها علی تحرّز و تثبّت فی سیاستها و سیاسه نفسه معها إذ لم تکن الخیره منهنّ خیره إلاّ بالقیاس إلی الشریره.

ثمّ نهی عن طاعتهنّ بالمعروف کیلا یطمعن فی المنکر،و أشار به إلی طاعتهنّ فیما یشرن به و یأمرن مطلقا و إن کان معروفا صوابا،و فیما یطلبنه من زیاده المعروف و الإحسان إلیهنّ و إکرامهنّ بالزینه و نحوها فإنّ طاعه امرائهنّ فیما یشرون من معروف تدعوهنّ

۱- (۱) ۱۲-۴

۲- (۲) ۲۸۲-۲

۳- (۳) ۳۸-۴

إلى الشور بما لا ينبغى،و التسلّط على الأمر به فإن فعل فليفعل لأنّه معروف لا لأنّه مقتضى رأيهنّ.و زياده إكرامهنّ من مقوّيات دواعى الشهوه و الشرّ فيهنّ حتّى ينتهى بهنّ الطمع إلى الاقتراح و طلب الخروج إلى المواضع الّتى يرى فيها زينتهنّ و نحو ذلك إذ العقل مغلوب فيهنّ بدواعى الشهوات.و فى المثل المشهور:لا تعط عبدك كراعا فيأخذ ذراعا.و روى:أنّ رسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم كان يخطب يوم عيد فالتفت إلى صفوف النساء فقال:معاشر النساء تصدّقن فإنّى رأيتكنّ أكثر أهل النار عددا.فقالت واحده منهنّ:و لم يا رسول اللّه؟ فقال صلى اللّه عليه و آله و سلّم:لأنكنّ تكثرن اللعن،و تكفرن العشير،و تمكث إحديكنّ شطر عمرها لا تصوم و لا تصلّى.

۷۸-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهَادَهُ قِصَرُ الْأَمَلِ- وَ الشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ وَ التَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ- فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ- وَ لَا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ- فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَهٍ ظَاهِرَهٍ- وَ كُتُبٍ بَارِزَهِ الْعُذْرِ وَاضِحَهٍ

اللغه

أقول: عزب : ذهب و بعد .و أعذر : أظهر عذره .و مسفره : مشرقه .

المعنى

و أعلم أنّ قوله:أيها الناس.إلى قوله:عند المحارم.تفسير للزهد

،و قد رسمه بثلاثه لوازم له:

الأوّل:قصور الأمل.و لمّا علمت فيما سلف أنّ الزهد هو إعراض النفس عن متاع الدنيا و طيّباتها و قطع الالتفات إلى ما سوى اللّه تعالى ظهر أنّ ذلك الإعراض مستلزم لقصر الأمل فى الدنيا إذ كان الآمل إنّما يتوجّه نحو مأمول،و المتلفت إلى اللّه من الدنيا كيف يتصوّر طول أمله لشىء منها.

الثانى :الشكر على النعمه.و ذلك أنّ العبد بقدر التفاته عن أعراض الدنيا يكون

محبّته للّه و إقباله عليه و اعترافه الحقّ بالآيه،و ذلك أنّ الشكر حال للقلب يثمرها العلم بالمشكور و هو فى حقّ اللّه أن يعلم أنّه لا منعم سواه،و أنّ كلّ منعم يقال فى العرف فهو واسطه مسخّره من نعمته.و تلك الحال تثمر العمل بالجوارح.

الثالث : الورع و هو لزوم الأعمال الجميله و الوقوف على حدود عن التوّرط فى محارمه و هو ملكه تحت العفّه،و قد علمت أنّ الوقوف على التوّرط فى المحارم و لزوم الأعمال الجميله لازمه للالتفات عن محابّ الدنيا و لذّاتها المنهىّ عن الميل إليها.و هذا التفسير منه عليه السّلام مستلزم للأمر به.

و قوله:بعد ذلک:فإن عزب عنكم

و قوله:بعد ذلک: فإن عزب عنكم .إلى آخره يحتمل معنيين:

أحدهما:و هو الظاهر أنّه إن بعد عليكم و شقّ استجماع هذه الامور الثلاثه فالزموا منها الورع و الشكر.و كأنّه رخّص لهم فى طول الأمل،و ذلک أنّه قد يتصوّر طوله فيما ينبغى من عماره الأرض لغرض الآخره،و لأنّ قصر الأمل لا يصدر إلّا عن غلبه الخوف من اللّه تعالى على القلب و الإعراض بالكلّيّه عن الدنيا و ذلک فى غايه الصعوبه فلذلک نبّه على لزوم الشكر و الورع و رخّص فى طول الأمل،و فسّر الورع بالصبر إذ كان لازما للورع،و هما تحت ملكه العفّه،ثمّ شجّعهم بذكر الغلب عن مقاومه الهوى، و نبّهم بذكر النسيان على لزوم التذكّر.

الثانى:يحتمل أن يكون لمّا فسّر الزهد باللوازم الثلاثه فى معرض الأمر بلزومها قال بعدها:فإن صعب عليكم لزوم الشكر و الثناء للّه و لزوم الأعمال الجميله فاعدلوا إلى امور أسهل منها.فرخّص لهم فى طول الأمل لما ذكرناه ،ثمّ فى التذكّر لنعم اللّه بحيث لا ينسى بالكلّيّه و يلتفت عنها عوضا عن دوام الحمد و الثناء،ثمّ فى الصبر عند المحارم و عند الانقهار لغلبه دواعى الشيطان عوضا من لزوم الأعمال الجميله عندها فإنّ الصبر عند شرب الخمر مثلا عند حضورها أهون على الطبع من الصوم عن ساير المباحات حينئذ و لزوم ساير الأعمال الجميله.

و قوله:فقد أعذر إلى آخره .

و قوله: فقد أعذر .إلى آخره.

تأكيد لما سبق من أمره بالزهد،و جذب إليه.و أشار بالحجج إلى الرسل لقوله تعالى

«رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» (۱) استعاره و لفظ الحجج مستعار،و وجه المشابهه أنّه لمّا كان ظهور الرسل قاطعا ألسنه حال الظالمين لأنفسهم فى محفل القيامه عن أن يقولوا «رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى» (۲)أشبه الحجّه القاطعه فاستعير لفظها له،و بإسفارها و ظهورها إلى إشراق أنوار الدين عن نفوسهم الكامله على نفوس الناقصين و هو استعاره أيضا،و أشار ببروز عذر الكتب إلى ظهورها أعذارا للّه إلى خلقه بتخويفهم و ترغيبهم و إرشادهم إلى طريق النجاه،و إسناد الأعذار إلى اللّه تعالى استعاره من الأقوال المخصوصه الّتى يبديها الإنسان عذرا لأفعال اللّه و أقواله الّتى عرّف خلقه فيها صلاحهم و أشعرهم فيها بلزوم العقاب لهم لو لم يلتفتوا إليها .و باللّه التوفيق.

۷۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى صفه الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ- فِي حَلاَلِهَا حِسَابٌ وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ- مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ- وَ مَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَ مَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ- وَ مَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ- وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ قال الشريف:أقول:و إذا تامل المتأمل قوله عليه السّلام«من أبصر بها بصرته»وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا تبلغ غايته و لا يدرك غوره،و لا سيما إذا قرن إليه قوله«و من أبصر إليها أعمته»،فإنه يجد الفرق بين«أبصر بها»و«أبصر إليها»واضحا نيرا و عجيبا باهرا

اللغه

أقول: العناء : التعب ،

و قد ذكر للدنيا فى معرض ذمّها و التنفير عنها أوصافا عشره :

الأوّل:كون أوّلها عناء

.و هو إشاره إلى أنّ الإنسان من لدن ولادته فى تعب

ص:۲۲۷

۱- (۱) ۴-۱۶۳

۲- (۲) ۲۱-۱۳۴

و شقاء،و یکفی فی الإشاره إلی متاعب الإنسان فیها ما ذکره الحکیم برزویه فی صدر کتاب کلیله و دمنه فی معرض تطویع نفسه بالصبر علی عیش النسّاک:أو لیست الدنیا کلّها أذی و بلاء؟أو لیس الإنسان یتقلّب فی ذلک من حین یکون جنینا إلی أن یستوفی أیّامه؟فإنّا قد وجدنا فی کتب الطبّ أنّ الماء الّذی یقدّر منه الولد السویّ إذا وقع فی رحم المرأه اختلط بمائها و دمها و غلظ ثمّ الریح تمحص ذلک الماء و الدم حتّی تترکه کالرائب الغلیظ ثمّ تقسمه فی أعضائه لآناء أیّامه فإن کان ذکرا فوجهه قبل ظهر امّه و إن کان انثی فوجهها قبل بطن امّها،و ذقنه علی رکبتیه و یداه علی جنبیه مقبض فی المشیمه کأنّه مصرور، و یتنفّس من متنفّس شاقّ،و لیس منه عضو إلاّ کأنّه مقموط،فوقه حرّ البطن و تحته ما تحته،و هو منوط بمعاء من سرّته إلی سرّه امّه منها یمصّ و یعیش من طعام امّه و شرابها فهو بهذه الحاله فی الغمّ و الظلمات و الضیق حتّی إذا کان یوم ولادته سلّط اللّه الریح علی بطن امّه و قوی علیه التحریک فتصوّب رأسه قبل المخرج فیجد من ضیق المخرج و عصره ما یجده صاحب الرهق[الرمق خ]فإذا وقع علی الأرض فأصابته ریح أو مسّته ید وجد من ذلک من الألم ما لم یجده من سلخ جلده ثمّ هو فی ألوان من العذاب إن جاع فلیس له استطعام،و إن عطش فلیس له استقاء،أو وجع فلیس له استغاثه مع ما یلقی من الرفع و الوضع و اللفّ و الحلّ و الدهن و المرخ،إذا انیم علی ظهره لم یستطع تقلّبا.فلا یزال فی أصناف هذا العذاب ما دام رضیعا.فإذا أفلت من ذلک اخذ بعذاب الأدب فاذیق منه ألوانا،و فی الحمیه و الأدواء و الأوجاع و الأسقام.فإذا أدرک فهمّ المال و الأهل و الولد و الشره و الحرص و مخاطره الطلب و السعی.و کلّ هذا یتقلّب معه فیها أعداؤه الأربعه:المرّه و البلغم و الدم و الریح،و السمّ الممیت و الحیّات اللادغه مع و خوف السباع و الناس و خوف البرد و الحرّ ثمّ ألوان عذاب الهرم لمن بلغه .

الثانی:کون آخرها فناء.

هو تنفیر عنها بذکر غایتها و هو الموت و ما یستصحبه من فراق الأهل و الأحبّه،و الإشراف علی أهوانه العظیمه المعضله .

الثالث:کونها فی حلالها حساب.

و هو إشاره إلی ما یظهر فی صحیفه الإنسان یوم القیامه من الآثار المکتوبه علیه ممّا خاض فیه من مباحات الدنیا،و توسّع فیه من المآکل

و المشارب و المناكح و المراكب،و ما يظهر فى لوح نفسه من محبّه ذلك فيعوقه عن اللحوق بالمجرّدين عنها الّذين لم يتصرّفوا فيها تصرّف الملّاک فلم يكتب عليه فى شىء منها ما يحاسبون عليه.و إليه إشاره سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ الفقراء ليدخلون الجنّه قبل الأغنياء بخمس مائه عام،و إنّ فقراء امّتى ليدخلون الجنّه سعيا،و عبد الرحمن يدخلها حبوا.و ما ذاك إلاّ-لكثره حساب الأغنيا بتعويقهم بثقل ما حملوا من محبّه الدنيا و قيناتها عن اللحوق بدرجه المخفّين منها.و قد عرفت كيفيّه الحساب .

الرابع:كونها فى حرامها عقاب.

و هو تنفير عمّا يوجب العقاب من الآثام بذكره .

الخامس:كونها من استغنى فيها فتن

:أى كانت محبّته لما اقتنى فيها سببا لفتنته و ضلاله عن سبيل اللّه كما قال تعالى «أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَهٌ » (۱).

السادس:كونها من افتقر فيها حزن.

و ظاهر أنّ الفقير الطالب للدنيا غير الواجد لها فى غايه المحنه و الحزن على ما يفوته منها،و خاصّه ما يفوته بعد حصوله له .

السابع:من ساعاها فاتته.

و أقوى أسباب هذا الفوات أنّ تحصيلها أكثر ما يكون بمنازعه أهلها عليها و مجاذبتهم إيّاها،و قد علمت ثوران الشهوه و الغضب و الحرص عند المجاذبه للشىء و قوّه منع الإنسان له.و تجاذب الخلق للشىء و عزّته عندهم سبب لتفويت بعضهم له على بعض،و فيه تنبيه على وجوب ترك الحرص عليها و الإعراض عنها.

إذ كان فواتها اللازم عن شدّه السعى فى فضلها مكروها للسامعين .

الثامن:كونهامن قعد عنها و اتته.

و هو أيضا جذب إلى القعود عنها و تركها و إن كان الغرض مواتاتها كما يفعله أهل الزهد الظاهرىّ المشوب بالرياء،و قد علمت أنّ الزهد الظاهرىّ مطلوب أيضا للشارع إذ كان وسيله إلى الزهد الحقيقىّ كما قال الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:الرياء قنطره الإخلاص.و قد راعى فى القرائن السجع المتوازى .

التاسع:من أبصر بها بصّرته:

أى من جعلها سبب هدايته و بصره استفاد منها البصر و الهدايه،و ذلك أنّك علمت أنّ مقصود الحكمه الإلهيّه من خلق هذا البدن و ما فيه من الآلات و المنافع إنّما هو استكمال نفسه باستخلاص العلوم الكلّيّه و فضايل

۸-۲۸ (۱ -۱

الأخلاق من تصفّح جزئيّات الدنيا و مقايسات بعضها إلى بعض كالاستدلال بحوادثها و عجائب مخلوقات اللّه فيها على وجوده و حكمته وجوده،و تحصيل الهدايه بها إلى أسرار ملكه فكانت سببا مادّيا لذلك فلأجله صدق أنّها تبصّر من أبصر بها .

العاشر:و من أبصر إليها أعمته:

أى من مدّ إليها بصر بصيرته،و تطّلع إليها بعين قلبه محبّه و عشقا أعمت عين بصيرته عن إدراك أنوار اللّه و الاهتداء لكيفيّه سلوك سبيله.

و إليه الإشاره بالنهى فى قوله تعالى «وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» (۱)و قد ظهر الفرق بين قوله:من أبصر بها،و من أبصر إليها، و مدح السيّد لهذا الفصل مدح فى موضعه.

۸۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و هى من الخطب العجيبه و تسمّى الغرّاء.

اعلم أنّ فى هذه الخطبه فصولا:

الفصل الأوّل قوله: «الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى» عَلاَ بِحَوْلِهِ...

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى» عَلاَ بِحَوْلِهِ وَ دَنَا بِطَوْلِهِ- مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَهٍ وَ فَضْلٍ وَ كَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَهٍ وَ أَزْلٍ- أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ- وَ أُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً وَ أَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً- وَ أَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً وَ أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً- وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً ص؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ وَ إِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَ تَقْدِيمِ نُذُرِهِ

اللغه

أقول:الحول : القوّه . الطول : الفضل .و المنحه : العطيّه .و الأزل : الشدّه .

و النذر : النذاره .

۱- ۱) ۲۰-۱۳۱

المعنی

اشاره

و قد أثنی علی اللّه تعالی فی هذا الفصل باعتبارات أربعه من نعوت جلاله :

الأوّل:کونه علیّا،و إذ لیس المراد به العلوّ المکانیّ لتقدّسه تعالی عن الجسمیّه کما سبق فالمراد العلوّ المعقول له باعتبار کونه مبدء کلّ موجود و مرجعه فهو العلیّ المطلق الّذی لا أعلی منه فی وجود و کمال رتبه و شرف کما سبق بیانه،و لمّا عرفت أنّ معنی الدنوّ إلی کلّ موجود صدر عن قدرته و قوّته لا جرم جعل للحوقه له مبدءا هو حوله.

الثانی :کونه دانیا بطوله.و لمّا عرفت أنّ معنی الدنوّ و القرب فی حقّه تعالی لیس مکانیّا أیضا کان اعتبارا تحدثه عقولنا له من قرب إفاضه نعمه علی قوابلها و قربه من أبصار البصائر فی صوره نعمه نعمه منها و لذلک جعل طوله مبدءا لدنوّه.

الثالث:کونه مانح کلّ غنیمه و فضل.

الرابع:کونه کاشف کلّ عظیمه و أزل .هما إشاره إلی کلّ نعمه صدرت عنه علی قابلها فمبدءها جوده و رحمته سواء کانت وجودیّه کالصحّه و المال و العقل و غیرها أو عدمیّه کدفع البأساء و الضرّاء،و إلیه الإشاره بقوله «وَ ما بِکُمْ مِنْ نِعْمَهٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّکُمُ الضُّرُّ فَإِلَیْهِ تَجْئَرُونَ ثُمَّ إِذا کَشَفَ الضُّرَّ عَنْکُمْ» (۱)الآیه،و قوله «أَمَّنْ یُجِیبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ یَکْشِفُ السُّوءَ وَ یَجْعَلُکُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ» (۲).

و قوله:أحمده.إلی قوله:نعمه .

و قوله: أحمده.إلی قوله:نعمه.

تنبیه للسامعین علی مبدء استحقاقه لاعتبار الحمد،و هو کرمه.قال بعض الفضلاء:

الکریم هو الّذی إذا قدر عفا،و إذا وعد وفا،و إذا أعطی زاد علی منتهی الرجاء و لم یبال کم أعطی و لا لمن أعطی،و إن رفع إلی غیره حاجه لا یرضی،و إذا جفی عاتب و ما استقصی، و لا یضیع من لاذبه و التجا و یغنیه عن الوسائل و الشفعاء.فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقیقه من غیر تکلّف فهو الکریم المطلق.و لیس ذلک إلاّ اللّه تعالی.قلت:و الأجمع الأمنع فی رسم هذا الاعتبار یعود إلی فیضان الخیر عنه من غیر بخل و منع و تعویق علی کلّ من یقدر أن یقبله بقدر ما یقبله.و عواطف کرمه هی نعمه و آثاره الخیریّه الّتی تعود علی عباده مرّه بعد اخری،و سوابغ نعمه السابغه الّتی لا قصور فیها عن قبول قابلها .

۱- ۱) ۱۶-۵۵

۲- ۲) ۶۳-۲۷

و قوله:و أومن به أوّلا باديا.

و قوله: و أومن به أوّلا باديا.

نصب أوّلاـ باديا على الحال،و أشار بهذين الوصفين إلى الجهه الّتى هى مبدء الإيمان إذ كان منه باعتبار كونه أوّلا هو مبدءا لجميع الموجودات،و كونه باديا هو كونه ظاهرا فى العقل فى جميع آثاره.فباعتبار ظهوره مع كونه مبدءا لكلّ موجود و أوّلا له يجب الايمان به و التصديق بإلهيّته .

و قوله:و أستهديه قريبا هاديا.

و قوله: و أستهديه قريبا هاديا.

فاستهداؤه طلب الهدايه منه،و قربه هو دنوّه بجوده من قابل فضله،و هدايته هبته الشعور لكلّ ذى إدراك بما هو أليق به ليطلبه دون ما ليس أليق به.و ظاهر أنّه باعتبار هذين الوصفين مبدء لطلب الهدايه منه.

و قوله:و أستعينه قاهرا قادرا .

و قوله: و أستعينه قاهرا قادرا.

استعانته طلب المئونه منه على ما ينبغى من طاعته و سلوك سبيله،و القاهر هو الّذى لا يجرى فى ملكه بخلاف حكمه نفس،بل كل موجود مسخّر تحت حكمه و قدرته و حقير فى قبضته،و القادر هو الّذى إذا شاء فعل و إذا لم يشأ لم يفعل و إن لم يلزم أنّه لا يشأ فلا يفعل كما سبق بيانه.و ظاهر أنّه باعتبار هذين الوصفين مبدء للاستعانه.

و قوله:و أتوكّل عليه كافيا ناصرا .

و قوله: و أتوكّل عليه كافيا ناصرا.

التوكّل كما علمت يعود إلى اعتماد الإنسان فيما يرجو أو يخاف على غيره، و الكافى اعتبار كونه معطيا لكلّ قابل من خلقه ما يكفى استحقاقه من منفعه و دفع مضرّه، و الناصر هو اعتبار إعطائه النصر لعباده على أعدائهم بإفاضه هدايته و قوّته.و ظاهر أنّه تعالى باعتبار هذين الوصفين مبدء لتوكّل عباده عليه و إلقاء مقاليد امورهم إليه.

و قوله:و أشهد إلى آخره .

و قوله: و أشهد .إلى آخره.

تقرير للرساله و تعيين لأغراضها و ذكر منها ثلاثه:

أحدها :إنفاذ أمره.و الضمائر الثلاثه للّه.و إنفاذ أمره إجراؤه لأحكامه على قلوب الخلق ليقرّوا بالعبودّيه له.

ص:۲۳۲

الثانی :إنهاء عذره فی أقواله و أفعاله.و قد سبق بیان وجه استعاره العذر.

الثالث :تقدیم نذره و هو التخویفات الوارده علی ألسنه الرسل علیهم السّلام إلی الخلق قبل لقائه الجاذبه لهم إلی لزوم طاعته.و ظاهر کون الثلاثه أعراضا للبعثه.

الفصل الثانی:قوله: أُوصِیکُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَی اللَّهِ

اشاره

أُوصِیکُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَی اللَّهِ الَّذِی ضَرَبَ الْأَمْثَالَ- وَ وَقَّتَ لَکُمُ الْآجَالَ وَ أَلْبَسَکُمُ الرِّیَاشَ وَ أَرْفَغَ لَکُمُ الْمَعَاشَ- وَ أَحَاطَ بِکُمُ الْإِحْصَاءَ وَ أَرْصَدَ لَکُمُ الْجَزَاءَ- وَ آثَرَکُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ وَ الرِّفَدِ الرَّوَافِغِ- وَ أَنْذَرَکُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ فَأَحْصَاکُمْ عَدَداً- وَ وَظَّفَ لَکُمْ مُدَداً فِی قَرَارِ خِبْرَهٍ وَ دَارِ عِبْرَهٍ- أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِیهَا وَ مُحَاسَبُونَ عَلَیْهَا

اللغه

أقول: الریاش : اللباس الفاخر.و قیل:الغنی بالمال .و أرصد : أعدّ .و الرفد :

جمع رفده و هی العطیّه .و الروافغ : الواسعه الطیّبه

المعنی

اشاره

و هذا الفصل مشتمل علی الوصیّه بتقوی اللّه و خشیته و الانجذاب إلیه باعتبار امور:

الأول:ضرب الأمثال

.و الأمثال الّتی ضربها اللّه لعباده فی القرآن کثیره منها:

قوله تعالی «کَمَثَلِ الَّذِی اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ» إلی قوله «یَرْجِعُونَ» (۱)و الإشاره بهذا المثل إلی من کان قد طلب إظهار المعجزات من الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم فلمّا ظهرت لهم لم یقبلوها و رجعوا إلی ظلمه جهلهم فهم صمّ عن سماع دواعی اللّه بآذان قلوبهم،بکم عن مناجات اللّه بأسرارهم،عمی عن مشاهده أنوار اللّه بإبصار بصائرهم فهم لا یرجعون عن تمادیهم فی غیّهم و کفرهم.و منها:قوله «أَوْ کَصَیِّبٍ مِنَ السَّماءِ» إلی قوله «قامُوا» و هو مثل شبّه فیه القرآن بالمطر نزل من السماء،و شبّه ما فی القرآن من الوعد و الوعید بما فی المطر من الرعد و البرق،و شبّه تباعد المنافقین عن الإصغاء إلی

۱- ۱) ۱۶-۲

القرآن و تغافلهم عن سماع الوعظ بمن يجعل أصابعه فی آذانه خوف الصواعق،و قوله:

«یَکادُ الْبَرْقُ» .إلی آخره.إشاره إلی من کان یرقّ قلبه بسماع الوعظ البالغ إذا قرعه و یمیل إلی التوبه و یتجلّی عن قلبه بعض الظلمه فإذا رجعوا إلی قرنائهم أشاروا علیهم بالعود إلی دنیاهم و بذلوا لهم الجهد فی النصیحه و خوّفوهم بالعجز فتضعف قصودهم،و تظلم علیهم شبهات الباطل فتغطّی ما کان ظهر لهم من نور الحقّ.و کذلک باقی أمثال اللّه فی کتابه الکریم .

الثانی:قوله:و وقّت لکم الآجال:

أی کتبها بقلم القضاء الإلهیّ فی اللوح المحفوظ کلّ إلی إجل مسمّی ثمّ یرجع إلیه فیحاسبه بإعلانه و إسراره.فبالحرّی أن یقتّته و یعمل للقائه .

الثالث:کونه قد ألبسهم الریاش.

و هو إظهار للمنّه علیهم کما قال «یا بَنِی آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَیْکُمْ لِباساً یُوارِی سَوْآتِکُمْ وَ رِیشاً وَ لِباسُ التَّقْوی» (۱)الآیه.لیذکّروا أنواع نعمه فیستحیوا من مجاهرته بالمعصیه .

الرابع:کونه قد أرفع لهم المعاش

:أی أطاب معایشهم فی الدنیا کما قال تعالی «وَ رَزَقَکُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ» ،و هو کالثالث .

الخامس:إحاطته بهم إحصاء

کقوله تعالی «لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا» أی أحاط بهم علمه.و إحصاء منصوب علی المصدر من غیر لفظ فعله،أو علی التمییز.و ظاهر أنّ علم العصاه بأنّه لا یشذّ أحد منهم عن إحاطه علمه جاذب لهم إلی تقواه .

السادس:کونه قد أرصد لهم الجزاء.

کقوله «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَیْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ یَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَ مَنْ جاءَ بِالسَّیِّئَهِ فَکُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِی النّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (۲).

السابع:ایثارهم بالنعم السوابغ

و الرفد الروافع .کقوله تعالی «وَ أَسْبَغَ عَلَیْکُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَهً وَ باطِنَهً » (۳).

الثامن:إنذارهم بالحجج البوالغ

و هی رسله و مواعظه و سایر ما جذب به عباده إلی

ص:۲۳۴

۱- ۱) ۲۵-۷

۲- ۲) ۹۱-۲۷۱

۳- ۳) ۱۹-۳۱

سلوک سبیله،و هو حجّه علی عصاه أمره أن یقولوا یوم القیامه إنّا کنّا عن هذا غافلین .

التاسع:إحصاؤه لعددهم

کقوله تعالی «وَ أَحْصی کُلَّ شَیْءٍ عَدَداً » .

العاشر:توظیفه لهم المدد،

و هو کتوقیته لهم الآجال،و إنّما کرّر وصف الإحصاء و العدّ و هذین الوصفین أیضا لأنّ الوهم کثیرا ما ینکر إحاطته تعالی بالجزئیّات مع عدم تناهیها فیکون ذلک مشبّها علی النفس توقیت الآجال لکلّ شخص شخص و یقدح فی أمر المعاد العقوبات اللازمه لکلّ آحاد الخلق بحسب کلّ ذرّه من الأعمال الطالحه فکرّرهما طردا للوهم و کسرا لحکمه،و لأنّ ذکر توقیت الآجال من أشدّ الجواذب عن الدنیا إلی اللّه.و قوله : فی قرار خبره و دار عبره :أی محلّ اختبار اللّه خلقه و محلّ عبرتهم:أی انتقال أذهانهم فیما تجری فیها من آیات العبره و آثار القدره.

و الاستدلال بها علی وحدانیّه مبدعها کما سبقت الإشاره إلی معنی الاختبار و الاعتبار و کذلک قوله : فأنتم فیها مختبرون و علیها محاسبون قد سبقت الإشاره إلیه فی قوله: ألا و إنّ الدنیا دار لا یسلم منها إلاّ فیها .و فی هذین القرینتین مع السجع المتوازی نوع من التجنیس بین خبره و عبره.و الاختلاف بالحرف الأوّل.

الفصل الثالث قوله: فَإِنَّ الدُّنْیَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا...

اشاره

فَإِنَّ الدُّنْیَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا- یُونِقُ مَنْظَرُهَا وَ یُوبِقُ مَخْبَرُهَا- غُرُورٌ حَائِلٌ وَ ضَوْءٌ آفِلٌ وَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَ سِنَادٌ مَائِلٌ- حَتَّی إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا وَ اطْمَأَنَّ نَاکِرُهَا- قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَ قَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا- وَ أَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا وَ أَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِیَّهِ- قَائِدَهً لَهُ إِلَی ضَنْکِ الْمَضْجَعِ وَ وَحْشَهِ الْمَرْجِعِ- وَ مُعَایَنَهِ الْمَحَلِّ وَ ثَوَابِ الْعَمَلِ-.وَ کَذَلِکَ الْخَلَفُ بِعَقْبِ السَّلَفِ- لاَ تُقْلِعُ

ص:۲۳۵

الْمَنِيَّهُ اخْتِرَاماً- وَ لاَ يَرْعَوِى الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً يَحْتَذُونَ مِثَالاً- وَ يَمْضُونَ أَرْسَالاً إِلَى غَايَهِ الاِنْتِهَاءِ وَ صَيُّورِ الْفَنَاءِ

اللغه

قوله: الرنق : الكدر .و الردغ : الوحل و التراب المختلط بالماء .و يونق : يعجب .

و يوبق : يهلك .و غرور : خدعه مستغفله للأذهان .و الحائل : المنتقله المحتوله .و قمصت الدابّه : رفعت يديها و طرحتهما و عجنت برجليها .و قنصت : صادت .و أقصدت : أصابت القصد .

و الأوهاق : جمع وهق بالفتح و هو الحبل .و الضنك : الضيق .و أقلع عن الشىء : امتنع منه .

و الاخترام : الموت دون المدّه الطبيعيّه .و ارعوى : كفّ و رجع و حذا حذو فلان : فعل فعله .

و أرسال : جمع رسل بالفتح و هو القطيع من الغنم يتبع القطيع .و صيّور الأمر : ما يرجع إليه منه .

المعنى

اشاره

و مدار هذا الفصل على التنفير عن الدنيا بذكر معايبها و ما يؤول إليه،و ذكر لها أوصافا:

الأوّل:كونها رنق مشربها.

و هو كنايه عن كدر لذّاتها بشوائب المصائب من الهموم و الأحزان و الأعراض و الأمراض .

الثانى:

استعاره كونها ردغ مشرعها .و مشرعها محلّ الشروع فى تناولها و الورود فى استعمالها،و كونه ردغا وصف للطريق المحسوس استعير له.و وجه المشابهه كون طريق الإنسان فى استعمال الدنيا و التصرّف فيها ذات مزالق و مزالّ أقدام تهوى به إلى جهنّم لا يثبت فيها إلاّ قدم عقل قد هجّر فى ضبط قواه و قهر سطوه شياطينه كما أنّ الطريق ذات الوحل كذلك.و هو من لطائف إشاراته عليه السّلام .

الثالث:

كونها يونق منظرها،و يوبق مخبرها .و هو إشاره إلى إعجابها لذوى الغفله بزينتها الحاضره مع هلاكهم باختبارها و ذوقهم لحلاوتها و غرض الالتذاذ بها .

الرابع:

كونها غرورا حائلا .يروى بفتح الغين و ضمّها.و معنى الأوّل ذات غرور:أى تغرّ الخلق بزخارفها فيتوهّمون بقاءها ثمّ تنتقل عنهم و تحوّل،و من روى بالضمّ جعلها نفسها غرورا:و الغرور يطلق على ما يغترّ به حقيقه عرفيّه .

الخامس:

كونها استعاره ضوء آفلا-استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن فى عيون الغافلين يقال على فلان ضوء:أى له منظر حسن،أو لما ظهر لهم من وجوه مسالكها

ص:۲۳۶

فاهتدوا به إلى تحصيلها و مداخلها و مخارجها.و على التقديرين فهو ضوء آفل لا يدوم.

و لفظ الافول أيضا مستعار .

السادس:

استعاره و ظلّ زائل .استعار لفظ الظلّ لما يأوى إليه الإنسان من نعيمها فيستظلّ به من حراره بؤسها.و ظاهر كونه زائلا .

السابع:

استعاره مرشحه كونه سنادا مايلا .استعاره أيضا للفظ اسناد فيما يعتمد الغافلون عليه من قيناتها و خيراتها الّتى لا أصل لها و لا ثبات بل هى «كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ» ،و ذكر الميل ترشيح للاستعاره .

الثامن:

كونهاتغرّ الناس بضوئها و ظلّها و بهجه منظرها إلى غايه أن يستأنس بها من كان بعقله نافرا عنها و يطمئنّ إليها من كان بمقتضى فطرته منكرا لها حتّى إذا كان ذلك منه طوعا لها فعلت به أفعال العدوّ الخدوع،و نسب إليها من الأفعال امورا :

أحدها: استعاره مرشحه قمصها بالأرجل .و استعار لفظ القمص لامتناعها على الإنسان حين حضور أجله كأنّها تدفعه برجليها مولّيه عنه كما تفعل الدابّه،و رشّح بذكر الأجل.و إنّما جمع لاعتبار اليدين مع الرجلين،و ذكره بلفظ الرجلين لأنّ القمص إليها أنسب .

الثانى: استعاره بالكنايه قنصها له بأحبلها .و هو كنايه عن تمكّن حبائل محبّتها.و الهيئات الرديئه المكتسبه منها فى عنق نفسه كنايه بالمستعار .

الثالث: استعاره بالكنايه كونها أقصدت له بأسهمها .و استعار لفظ الأسهم للأمراض و أسباب الموت،و إقصادها كنايه عن إصابتها بالمستعار لأوصاف الرامى تنزيلا للدنيا منزلته .

الرابع: استعاره كونها أعلقته حبال المنيّه .و حبالها استعاره لما تجذب به إلى الموت من ساير أسبابه أيضا ، استعاره بالكنايه و كذلك لفظ القائد استعاره كنّى بها عن انسياق المريض فى حبال مرضه الحاصل فيها إلى الامور المذكور من ضنك المضطجع و هو القبر و وحشه المرجع، و هو إشاره إلى ما تجده النفوس الجاهله عند رجوعها من وحشه فراق ما كان محبوبا لها فى الدنيا و ما كانت الفتنه من مال و أهل و ولد.و هى استعارات لأوصاف الصايد تنزيلا للدنيا منزلته . و معاينه المحلّ :أى مشاهده الآخره الّتى هى محلّ الجزاء . و ثواب العمل :

أى جزاءه من خير أو شرّ.

و قوله:و كذلك الخلف.إلى آخره

و قوله: و كذلك الخلف .إلى آخره.

أى على الأحوال المذكوره للدنيا مضى الخلق يتبع خلفهم من سلف منهم لا المنيّه تقصر عن اخترام نفوسهم و لا الباقون منهم يرجعون عمّا هم عليه من ارتكاب الجرائم فيها و الغرور بها بل يقتدون بأمثالهم الماضين فى ذلك و يمضون عليه اتّباعا إلى غايه مسيرهم بمطايا الأبدان و مصير أمرهم و هو الفناء و العرض على الملك الديّان. تجنيس و قد راعى أيضا مع السجع التجنيس فى قوله: يونق و يوبق ،و نافرها و ناكرها ،و قمصت و قنصت ،و الاختلاف بحرف الوسط .و باللّه التوفيق.

الفصل الرابع:فى الإشاره إلى ما يلحق الناس بعد الموت من أحوال القيامه

اشاره

تذكيرا لهم.

قوله:

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ- وَ تَقَضَّتِ الدُّهُورُ وَ أَزِفَ النُّشُورُ- أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وَ أَوْكَارِ الطُّيُورِ- وَ أَوْجِرَهِ السِّبَاعِ وَ مَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ- مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلًا صُمُوتاً قِيَاماً صُفُوفاً- يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِی- عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الِاسْتِكَانَهِ وَ ضَرَعُ الِاسْتِسْلَامِ وَ الذِّلَّهِ- قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ وَ انْقَطَعَ الْأَمَلُ وَ هَوَتِ الْأَفْئِدَهُ كَاظِمَهً- وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَهً- وَ أَلْجَمَ الْعَرَقُ وَ عَظُمَ الشَّفَقُ وَ أُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ- لِزَبْرَهِ الدَّاعِی إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ وَ مُقَايَضَهِ الْجَزَاءِ- وَ نَكَالِ الْعِقَابِ وَ نَوَالِ الثَّوَابِ

اللغه

أقول: تصرّمت : تقضّت .و أزف : دنا .و الضرائح : جمع ضريح.و هو الشقّ فى

وسط القبر .و أوكار الطيور : أعشاشها .و أوجره : جمع وجار و هو بيت السبع . مهطعين :

مقبلين .و رعيلا : مجتمعين . اللبوس : ما يلبس .و الضرع : الخضوع و الانكسار .و كاظمه :

ساكنه .و الهينمه : صوت خفيّ .و ألجم العرق : بلغ الفم فصار كاللجام .و الشفق :

الإشفاق و هو الخوف .و الزبره : الانتهار .و المقايضه : المعاوضه .و النكال : تنويع العقوبه .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّه قد تطابقت ألسنه الأنبياء و الرسل عليهم السّلام على القول بالمعاد الجسمانيّ، و نطق به الكتاب العزيز كقوله تعالى «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» (۱)الايه و نحوه،و اتّفق المسلمون على القول به،و أمّا الحكماء فالمشهور من مذهبهم منع المعاد الجسمانيّ بناء على أنّ المعدوم لا يعاد بعينه لامتناع عود أسبابه بأعيانها من الوقت و الدوره الفلكيه المعينّه و غيرهما.و ربّما قال بعض حكماء الإسلام بجواز عود المثل و ربّما قلّد بعضهم ظاهر الشريعه فى أمر المعاد الجسمانيّ و إثبات السعاده و الشقاوه البدنيّه مع الروحانيّه،و قال الرئيس أبو علىّ بن سينا فى كتاب الشفاء ما هذه حكايه ألفاظه:

«يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ما هو المقبول من الشرع و لا سبيل إلى إثباته إلاّ من طريق الشريعه و تصديق خبر النبوّه و هو الّذى للبدن عند البعث و خيرات البدن و شروره معلومه لا تحتاج أن تعلم.و قد بسطت الشريعه الحقه الّتى أتانا بها سيّدنا و مولانا محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم حال السعاده و الشقاوه اللتين بحسب البدن،و منه ما هو مدرك بالعقل و القياس البرهانيّ، و قد صدّقه النبوّه و هو السعاده و الشقاوه البالغتان الثابتتان بالمقاييس اللتان للأنفس و إن كانت الأوهام منّا يقصر عن تصوّرها الآن لما توضح من العلل،و الحكماء الالهيّون رغبتهم فى إصابه هذه السعاده أعظم من رغبتهم فى إصابه السعاده البدنيّه بل كأنّهم لا يلتفتون إلى تلك و إن اعطوها و لا يستعظمونها فى جنبه هذه السعاده الّتى هى مقاربه الحقّ الأوّل» و اعلم أنّ الّذى ذكره عليه السّلام هنا صريح فى إثبات المعاد الجسمانيّ و لواحقه.

فقوله: أخرجهم من ضرايح القبور و أوكار الطيور و أوجره السباع و مطارح المهالك .

إشاره إلى جمعه لأجزاء أبدان الناس بعد تشذّ بها و تفرّقها فيخرج من كان قبر

ص:۲۳۹

۱- ۱) ۴۳-۷۰

من ضـريح قبره و من كان اكيل طير أو سبع أو مقتولا فى مطرح الهلاک من معركه الحرب أو غيرها أخرجه من ذلک المكان و جمع أجزاءه و ألّف بينها.

فإن قلت:إذا أكل إنسان إنسانا و اغتذى به فصارت أجزاء بدنه أجزاء بدن آكله فكيف يمكن إعادتهما لأنّ تلک الأجزاء فى أىّ بدن منهما اعيدت لزم نقصان الآخر و بطلانه.

قلت:مـذهب محقّقى المتكلّمين أنّ فى كـلّ بـدن واحـد أجزاء أصـليّه باقيه من أوّل العمر إلى آخره لا تتغيّر و لا تتبـدّل،و أجزاء فضـيله فـإذا اعيـدا يوم القيـامه فما كان أصـليّا من الأجزاء لبـدن المأكول فهو فضـلىّ لبـدن الآكل فيردّ إليه من غير أن ينقص من الأجزاء الأصـليّه للآكل شىء و لا عبره بالفاضله.و باقى الفصل غنىّ عن البيان،و قال بعض الفضلاء:إنّه ربّما احتملت هذه الألفاظ أن يسلّط عليها من التأويل ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحانىّ.

فقوله:حتّى إذا تصرّمت الامور .

فقوله: حتّى إذا تصرّمت الامور.

أى أحوال كلّ واحد من الخلق فى الدنيا.

و قوله:و تقضّت الدهور .

و قوله: و تقضّت الدهور.

أى انقضت مدّه كلّ شخص منهم.

و قوله:و أزف النشور .

و قوله: و أزف النشور.

أى دنا انتشار كلّ واحد فى عالم الآخره من قبور الأبدان.

و قوله:أخرجهم من ضرائح القبور .

استعاره مرشحه و قوله: أخرجهم من ضرائح القبور.

استعار لفظه القبـور للأبـدان و ضـرايحها تشـريح للاسـتعاره.و وجه المشـابهه أنّ النفس تكـون منغمسه فى ظلمه البـدن و كـدر الحواسّ متوحّشه عن عالمهـا كمـا أنّ المقبور متوهّم لظلمه القبر و وحشه،منقطع عن الأهـل و المـال .و ضـمير المخرج يعود إلى اللّه فى صدر الخطبه.

و قوله:و أوكار الطيور .

استعاره و قوله: و أوكار الطيور.

فاعلم أنّ العارفين و أهل الحكمه كثيرا ما يستعيرون لفظ الطير و أوصافه للنفس

ص:۲۴۰

النـاطقه و للملاـئكه كمـا أشار إليه سيّد المرسـلين صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم فى قوله:حتّى إذا حمل الميّت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش ،و يقول:يـا أهلى و يـا ولـدى لاـ تلعبنّ بكم الـدنيا كما لعبت بى.و الرفرقه إنّما يكون لـذى الجناح من الطير،و كمـا جاء فى التنزيـل الإلـهىّ فى وصف الملائكه «أُولِى أَجْنِحَهٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» و كما أشار إليه أبو على فى قصيده أوّلها ألقى:

هبطت إليك من المكان الأرفع و رقاء ذات تعزّز و تمنّع

و أشـار بالورقـاء إلى النفس النـاطقه،و كمـا أشار اليه فى رسالته المسـمّاه برساله الطير بقوله:برزت طائفه تقنص فنصـبوا الحبال و رتّبوا الشـرك و هيّأوا الطعم،و تواروا فى الحشـيش و أنا فى سـربه طير.و نحوه.و وجه المشابهه فى هذه الاسـتعاره ما تشترك فيه النفس و الطير من سرعه التصـرّف و الانتقال فالنفس بانتقال عقلىّ،و الطير بانتقال حسّـى و إذا استعير لفظ الطير للنفس فبالحرىّ أن يستعار لفظ الوكر للبدن لما بينهما من المشاركه و هو كونهما مسكنا لا تسهل مفارقته.

و قوله و أوجره السباع .

استعاره و قوله و أوجره السباع.

استعاره للأبدان أيضا.و السباع إشاره إلى النفوس المطيعه لقواها الغضبيّه الّتى شأنها محبّه الغلبه و الانتقام كما أنّ السبع كذلك.

و قوله:و مطارح المهالک .

و قوله: و مطارح المهالک.

إشاره إلى الأبدان أيضا فإنّها مطارح مهالك الغافلين الّذين اتّبعو الشهوات أعنى أبدانهم .

و قوله:سراعا إلى أمره.

و قوله: سراعا إلى أمره.

نصب على الحال بقوله:أخرجهم،و كـذلك ما بعـده من المنصوبات.و أمره هو حكم قضائه الأزلىّ عليهم بالرجوع إليه و عودهم إلى مبدئهم و سرعتهم إليه إشاره إلى قرب وصولهم و هو فى آن انقطاع علاقه النفس مع البدن و هو على غايه من السرعه.

و قوله:مهطعين إلى معاده .

و قوله: مهطعين إلى معاده.

إشاره إلى إقبال النفوس بوجوهها على محلّ عودها و ما أعدّ لها فيه من خير و شرّ .

و قوله:رعيلا.

و قوله: رعيلا.

إشاره إلی اجتماعهم فی حکم اللّه و قبضته و محلّ الاستحقاق لثوابه و عقابه.

و قوله:صموتا

کنایه و قوله: صموتا إذ لا ألسنه لهم إذن ینطقون بها،و یحتمل أن یکون الصمت کنایه عن خضوعهم و انقیادهم فی ذلّ الحاجه و هیبه الجلال.

و قوله:قیاما صفوفا .

استعاره و قوله: قیاما صفوفا.

فقیامهم استعاره لاستشعار النفوس هیبه اللّه لعظمته،و قیامها بتصوّر کماله علی مساق العبودیّه و ذلّ الإمکان،و صفوفا استعاره لانتظامهم إذن فی سلک علمه تعالی إذ الکلّ بالنسبه إلی علمه علی سواء کما یستوی الصفّ المحسوس،و یحتمل أن یکون الصفّ استعاره لترتّبهم فی القرب إلی اللّه تعالی متنازلین متصاعدین .

و قوله:ینفذهم البصر .

و قوله: ینفذهم البصر.

إشاره إلی علمه تعالی بهم.

و قوله:و یسمعهم الداعی .

و قوله: و یسمعهم الداعی.

فالداعی هو حکم القضاء علیهم بالعود،و إسماعهم:عموم ذلک الحکم لهم بحیث لا یمکن أن یخرج عنه منهم أحد.

و قوله:علیهم لبوس الاستکانه و ضرع الاستسلام و الذلّه .

و قوله: علیهم لبوس الاستکانه و ضرع الاستسلام و الذلّه.

إشاره إلی حالهم الّتی یخرجون من الأجداث علیها من ذلّ الإمکان و رقّ الحاجه و الخوف فی قبضه اللّه و هو کقوله تعالی «یَوْمَ یَدْعُ الدّاعِ إِلی شَیْءٍ نُکُرٍ خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ یَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ» (۱).

و قوله:قد ضلّت الحيل .

و قوله: قد ضلّت الحيل.

أی حیل الدنیا.فلا حیله لهم فی الخلاص ممّا هم فیه کما کانوا یخلصون بحیل الدنیا من بعض شـرورها،و انقطع الأمل:أی أملهم فیها لامتناع عودهم إلیها و انقطاع طمعهم فی ذلک.

ص:۲۴۲

۱- ۱) ۶-۵۴

و قوله:و هوت الافئده كاظمه.

استعاره و قوله: و هوت الافئده كاظمه.

أى سقطت النفوس فى حضيض الذلّ و الفاقه إلى رضا اللّه و عفوه،و لفظ الكظم مستعار كما سبق.

و قوله:و خشعت الأصوات

و قوله: و خشعت الأصوات .هو كقول اللّه «وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاّ هَمْساً» و هو إشاره إلى سؤالهم بلسان حالهم عفو اللّه و رحمته على وجه الذلّه و الضعف و رقّ العبوديّه فى ملاحظه جلال اللّه.

و قوله:و ألجم العرق و عظم الشفق .

استعاره بالكنايه و قوله: و ألجم العرق و عظم الشفق.

استعار لفظ العرق و كنّى به عن غايه ما تجده النفس من كرب ألم الفراق و هيبه اللّه و عدم الانس بعد الموت إذ غايه الخائف التاعب أن يعرق و يشفق من نزول العقاب به.

مجاز و نسبه الإلجام إلى العرق نسبه مجازيّه .

و قوله:و ارعدت الأسماع لزبره الداعى.

استعاره و قوله: و ارعدت الأسماع لزبره الداعى.

إشاره إلى ما تجده النفس عند تيقّنها المفارقه.و استعار لفظ الزبره لقهر حكم القضاء للأنفس على مرادها قهرا لا يتمكّن معه من الجواب بالامتناع ،و فصل الخطاب هو إمضاء أحكام اللّه على نفوس عباده.عند الرجوع إليه بتوفيه مالها،و استيفاء ما عليها .

و مقايضه الجزاء :معاوضتها بما أتت به إمّا من الملكات الرديئه فبنكال العقاب،و إمّا من الملكات الفاضله فبنوال الثواب،و هبه كلّ بقدر استعداده و قبوله.و اعلم أنّ العدول إلى المجازات و الاستعارات عن حقايق الألفاظ،و إلى التأويل عن الظواهر إنّما يجوز خصوصا فى كلام اللّه و كلام رسوله و أوليائه إذا عضده دليل عقلىّ يمنع من إجراء الكلام على ظاهره.و لمّا اعترف القوم بجواز المعاد الجسمانىّ تقليدا للشريعه و لم يقم دليل عقلىّ يمنع منه لم يمكننا الجزم إذن بصحّه هذه التأويلات و أمثالها.و باللّه التوفيق و العصمه.

الفصل الخامس:فى تنبيه الخلق على أوصاف حالهم المنافيه لما هم عليه من التجبّر

اشاره

و الإعراض عمّا خلقوا لأجله لعلّهم يتذكّرون

بقوله:

ص:۲۴۳

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً وَ مَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً- وَ مَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً وَ مُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً وَ كَائِنُونَ رُفَاتاً- وَ مَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً وَ مَدِينُونَ جَزَاءً وَ مُمَيَّزُونَ حِسَاباً- قَدْ أُمْهِلُوا فِى طَلَبِ الْمَخْرَجِ وَ هُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ- وَ عُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ وَ كُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ- وَ خُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ وَ رَوِيَّهِ الِارْتِيَادِ- وَ أَنَاهِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ فِى مُدَّهِ الْأَجَلِ وَ مُضْطَرَبِ الْمَهَلِ

اللغه

أقول: القسر : القهر و الجبر .و الأجداث : القبور واحده جدث .و الرفات :

القنات من العظم و نحوه .و مدينون : مجزيّون .و المستعتب : المسترضى .و السدف :

جمع سدفه و هى ظلمه الليل .و الريب : الشبه و الشكوك .و الارتياد : الطلب .

المعنى

اشاره

و ذكر من تلك الأوصاف ثلاثه عشر وصفا :

الأوّل:كونهم مخلوقون اقتدارا

:أى خلقهم ليس لذواتهم بل بقدره قادر مستقلّه عن مشاركه الغير و ذلك مناف لعصيانهم له .

الثانى:كونهم مربوبون اقتسارا:

أى ليس ملك مالكهم لهم عن اختيار منهم حتّى يكون لهم الخيره فى معصيته و طاعته .

الثالث:كونهم مقبوضون احتضارا:

أى مستحضرون بالموت مقبوضون به إلى حضره جلال اللّه .

الرابع:

كونهم من شأنهم أن يضمّنوا الأجداث .

الخامس:

من شأنهم أن يصيرو ارفاتا .

السادس:

من شأنهم أن يبعثوا أفرادا كما قال تعالى «وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَهِ»

ص:۲۴۴

«فَرْداً» (۱)إی مجرّدا عن استصحاب غیره معه من أهل و مال .

السابع:أنّهم مدینون أجزاء

و من شأنهم ذلک.و الجزاء مصدر نصب بغیر فعله .

الثامن:أنّ من شأنهم أن یمیّزوا حسابا:

أی یحصون عددا کقوله تعالی «لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا» (۲)و حسابا أیضا مصدر نصب عن غیر فعله .

التاسع:کونهم قد امهلوا فی طلب المخرج:

أی إنّما امهلوا فی الدنیا لطلب خلاصهم و خروجهم من ظلمات الجهل و ورطات المعاصی إلی نور الحقّ و متّسع الجود.

العاشر:کونهم قدهدوا سبیل المنهج:

أی الهموا بأصل فطرتهم،و دلّوا بالأعلام الواضحه من الأنبیاء و الشرائع علی الطریق إلی حضره قدس اللّه و الجنّه .

الحادی عشر:

تشبیه کونهم قد عمّروا مهل المستعتب .لمّا کان من یطلب استعتابه و یقصد رجوعه عن غیّه یمهل و یداری طویلا کانت مهله اللّه سبحانه لخلقه مدّه أعمارهم لیرجعوا إلی طاعته و یعملوا صالحا تشبه ذلک فنزّلت منزلته .و مهل نصب علی المصدر لأنّ التعمیر إمهال .

الثانی عشر:کونهم قد کشفت عنهم سدف الریب:

أی أزال عن أبصار بصائرهم ظلم الشکوک و الشبهات و الجهالات بما وهبه لهم من العقول و أیّدهم من بعثه الرسل .

الثالث عشر:

استعاره مرشحه کونهم قد خلّوا لمضمار الجیاد :أی ترکوا فی الدنیا لیضمروا أنفسهم بأزواد التقوی،و لمّا استعار لفظ المضمار رشّح بذکر الجیاد.إذ شرف المضمار أن تحلّ به جیاد الخیل.و فیه تنبیه لهم علی أن یکونوا من جیاد مضمارهم .و قد سبق وجه الاستعاره،و معنی التضمیر فی قوله: ألا و إنّ الیوم المضمار و غدا السباق .و کذلک خلّوا لرویّه الارتیاد :أی لیتفکّروا فی طلب ما یتخلّصون به إلی اللّه تعالی من سایر طاعاته ،و کذلک لیتأنّوا أناه المقتبس للأنوار الإلهیّه الطالب للاستناره بها فی مدّه آجالهم و محلّ اضطرابهم فی مهلتهم و تحصیلهم لما ینبغی لهم من الکمالات.و من ملک من عبیده هذه الحالات و أفاض علیهم ضروب هذه الإنعامات فکیف یلیق بأحدهم أن

۱- ۱) ۹۶-۱۹

۲- ۲) ۹۵-۱۹

يجاهره بالعصيان أو يتجاسر أن يقابله بالكفران إنّ الإنسان لكفور مبين.

الفصل السادس:فی التنبيه على فضل موعظته و تذكيره و مدحها بالبلاغه و التعريض

اشاره

بعدم القلوب الحامله لها،ثمّ الحثّ على التقوى

بقوله.

فَيَا لَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً وَ مَوَاعِظَ شَافِيَةً- لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً وَ أَسْمَاعاً وَاعِيَةً- وَ آرَاءً عَازِمَةً وَ أَلْبَاباً حَازِمَةً- فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ وَ اقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ- وَ وَجِلَ فَعَمِلَ وَ حَاذَرَ فَبَادَرَ وَ أَيْقَنَ فَأَحْسَنَ وَ عُبِّرَ فَاعْتَبَرَ- وَ حُذِّرَ فَحَذِرَ وَ زُجِرَ فَازْدَجَرَ وَ أَجَابَ فَأَنَابَ وَ رَاجَعَ فَتَابَ- وَ اقْتَدَى فَاحْتَذَى وَ أُرِيَ فَرَأَى فَأَسْرَعَ طَالِباً وَ نَجَا هَارِباً- فَأَفَادَ ذَخِيرَةً وَ أَطَابَ سَرِيرَةً وَ عَمَّرَ مَعَاداً- وَ اسْتَظْهَرَ زَاداً لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَ وَجْهِ سَبِيلِهِ وَ حَالِ حَاجَتِهِ- وَ مَوْطِنِ فَاقَتِهِ وَ قَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ- فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ- وَ احْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ- وَ اسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ- وَ الْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ

المعنى

فقوله:فيا لها أمثالا صايبه و مواعظ شافيه

فقوله: فيا لها أمثالا صايبه و مواعظ شافيه .أمثالا و مواعظ نصب على التمييز.و صواب الأمثله:مطابقتها للممثّل به.و شفاء الموعظه:تأثيرها فى القلوب إزاله مرض الجهل و الرذائل الخلقيه و رجوع المتعّظ بها منيبا إلى ربّه .

و قوله:لو صادفت قلوبا زاكيه و أسماعا واعيه و آراء عازمه و ألبابا حازمه

و قوله: لو صادفت قلوبا زاكيه و أسماعا واعيه و آراء عازمه و ألبابا حازمه .

فزكاء القلوب:استعدادها لقبول الهدايه و قربها من ذلک.و وعى الأسماع:فهم القلوب عنها،و إنّما وصفها بالوعى لأنّها أيضا قابله لقشور المعانى مؤدّيه لها إلى قوّه

الحسّ ثمّ الخيال ،و عزم الآراء:توجيه الهمّه إلى ما ينبغى و الثبات على ذلك.و حزامه الألباب:جوده رأى العقول فيما يختاره.و ظاهر أن هذه الثلاثه هى أسباب نفع الموعظه .

و قوله:فاتّقوا اللّه.إلى قوله:مقامه

و قوله: فاتّقوا اللّه.إلى قوله:مقامه.

أمر بتقوى اللّه تقيّه كتقوى من استجمع جميع هذه الأوصاف.

أحدهما:تقيّه من سمع فخشع :أى تقيّه من استعدّ قلبه لسماع الموعظه فخشع عنها للّه.

الثانى:تقيّه من اقترف فاعترف :أى اكتسب الذنوب فاعترف بها و أناب إلى اللّه.

الثالث:تقيّه من وجل :أى خاف ربّه.فأقلقه خوفه فعمل :أى فالتجأ إلى الأعمال الصالحه لينجوا بها.

الرابع:تقيّه من حاذر :أى عقاب ربّه. فبادر إلى إطاعته.

الخامس:تقيّه من أيقن :أى بالموت و لقاء ربّه. فأحسن :أى فأحسن عمله و أخلص له.

السادس:تقيّه من عبّر :أى رمى بالعبر و ذكّر بها. فاعتبر :أى فجعلها سلّما يعبر فيها ذهنه إلى العلم بما ينبغى له.

السابع : و حذرّ :أى من سخط اللّه و عقابه . فازدجر :أى فرجع عن معصيته.

الثامن:تقيّه من أجاب :أى أجاب داعى اللّه. فأناب :أى رجع إليه بسرّه و امتثل أمره.

التاسع:تقيّه من راجع فكره و عقله فتاب:أى فاستعان به على شياطينه و قهر نفسه الأمّاره بالسوء. فتاب من متابعتها.

العاشر:تقيّه من اقتدى :أى بأنبياء اللّه و أوليائه و هديهم الّذى أتوابه: فاحتذى :

أى حذاحذوهم فى جميع أحوالهم فطلب قصدهم و فعل فعلهم.

الحادى عشر:تقيّه من ارى :أى ارى الخلق فأظهرت بعين بصيرته طريق اللّه و سبيله. فرأى :

أى فعرفها و أسرع طالبا لما يسلك له و ينتهى إليه و نجا فيها هاربا من ظلمات جهله و ثمراته فأفاد ذخيره :أى فاستفاد سلوكه لها و طاعته لربّه فى ذلك ذخيره لمعاده ،و أطاب بسلوكها سريرته عن نجاسات الدنيا و عمّر بما يكتسبه فى سلوكها من الكمالات المستعدّه معاده .

و استظهر به زادا لیوم رحیله من دنیاه و استعدّ به لوجه سبیله الّتی هو سالکها و مسافر فیها و لحال حاجته و لموطن فاقته.فإنّ کلّ مرتبه من الکمالات حصلت للإنسان فهی تعدّه لرتبه أعلی منها لو لم یحصّلها لظهرت له حاجته فی الآخره إلی أقل منها حیث لا یجد إلیها سبیلا.و کذلک قوله : قدّم :أی ما استظهر به زادا أمامه :أی تلقاء وجهه الّتی هو مستقبلها و منته إلیها لدار مقامه :أی الآخره .

و قوله:فاتّقو اللّه عباد اللّه جهه ما خلقکم له.

و قوله: فاتّقو اللّه عباد اللّه جهه ما خلقکم له.

أی باعتبار ما خلقکم له.و لمّا کان ما خلقهم له إنّما هو عرفانه و الوصول إلیه کان المعنی:اجعلوا تقواکم اللّه نظرا إلی تلک الجهه و الاعتبار لا للریاء و السمعه.و جهه منصوب علی الظرف،و یحتمل أن یکون مفعولا به لفعل مقدّر:أی و اقصدوا بتقویکم جهه ما خلقکم .

و قوله:و احذروا منه کنه ما حذّرکم من نفسه.

و قوله: و احذروا منه کنه ما حذّرکم من نفسه.

أی اسلکوا فی حذرکم منه حقیقه تحذیره لکم من نفسه بما توعّد به.و ذلک الحذر إنّما یحصل بالبحث عن حقیقه المحذور منه.و السالکون إلی اللّه فی تصوّر ذلک علی مراتب متفاوته .

و قوله:و استحقّوا منه ما أعدّ لکم بالتنجّز لصدق میعاده.

و قوله: و استحقّوا منه ما أعدّ لکم بالتنجّز لصدق میعاده .استحقاق ما وعد به اللّه تعالی من جزیل الثواب إنّما یحصل بالاستعداد له فهو أمر بالاستعداد له و الاستعداد یحتاج إلی أسباب فذکرها علیه السّلام فی أمرین:

أحدهما:التنجّز لصدق میعاده.و التنجّز طلب إنجاز الوعد و قضائه و ذلک إنّما هو بالإقبال علی طاعته کما قال تعالی «وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» (۱)الآیه،و نحوها.

و الثانی :الحذر من أهوال معاده ز.و ذلک باجتناب مناهیه و الارتداع بزواجره و نواهیه منها.

الفصل السابع قوله:جعل لکم أسماعا...

اشاره

قوله: جعل لکم أسماعا .اعلم أنّ فی هذا الفصل فصلین:

۹-۷۲ (۱ -۱

الفصل الأوّل:فی تذکیر عباد اللّه بضروب نعمته علیهم،و التنبیه علی الغایه منها،

اشاره

ثمّ التذکّر بحال الماضین من الخلق و التنبیه علی الاعتبار بهم.و هو فی معرض الامتنان و ذلک قوله علیه السّلام:

جَعَلَ لَکُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِیَ مَا عَنَاهَا- وَ أَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا وَ أَشْلاَءً جَامِعَهً لِأَعْضَائِهَا- مُلاَئِمَهً لِأَحْنَائِهَا فِی تَرْکِیبِ صُوَرِهَا وَ مُدَدِ عُمُرِهَا- بِأَبْدَانٍ قَائِمَهٍ بِأَرْفَاقِهَا وَ قُلُوبٍ رَائِدَهٍ لِأَرْزَاقِهَا- فِی مُجَلِّلاَتِ نِعَمِهِ وَ مُوجِبَاتِ مِنَنِهِ وَ حَوَاجِزِ عَافِیَتِهِ- وَ قَدَّرَ لَکُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْکُمْ- وَ خَلَّفَ لَکُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِینَ قَبْلَکُمْ- مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاَقِهِمْ وَ مُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ- أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَایَا دُونَ الْآمَالِ وَ شَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ- لَمْ یَمْهَدُوا فِی سَلاَمَهِ الْأَبْدَانِ- وَ لَمْ یَعْتَبِرُوا فِی أُنُفِ الْأَوَانِ فَهَلْ یَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَهِ الشَّبَابِ إِلاَّ حَوَانِیَ الْهَرَمِ- وَ أَهْلُ غَضَارَهِ الصِّحَّهِ إِلاَّ نَوَازِلَ السَّقَمِ- وَ أَهْلُ مُدَّهِ الْبَقَاءِ إِلاَّ آوِنَهَ الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الزِّیَالِ- وَ أُزُوفِ الاِنْتِقَالِ وَ عَلَزِ الْقَلَقِ وَ أَلَمِ الْمَضَضِ وَ غُصَصِ الْجَرَضِ- وَ تَلَفُّتِ الاِسْتِغَاثَهِ بِنُصْرَهِ الْحَفَدَهِ وَ الْأَقْرِبَاءِ- وَ الْأَعِزَّهِ وَ الْقُرَنَاءِ فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ- أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ وَ قَدْ غُودِرَ فِی مَحَلَّهِ الْأَمْوَاتِ رَهِیناً- وَ فِی ضِیقِ الْمَضْجَعِ وَحِیداً قَدْ هَتَکَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ-

ص:۲۴۹

وَ أَبْلَتِ النَّوَاهِكَ جِدَّتَهُ وَ عَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ- وَ مَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ وَ صَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا- وَ الْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا- وَ الْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا- مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا لاَ تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا- وَ لاَ تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِهَا أَ وَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَ الْآبَاءَ وَ إِخْوَانَهُمْ وَ الْأَقْرِبَاءَ- تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ وَ تَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ وَ تَطَئُونَ جَادَّتَهُمْ- فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا لاَهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا- سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا- وَ كَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا

اللغه

أقول: عناها : أهمّها :و العشى : ظلمه تعرض للعين بالليل . كنايه و الأشلاء : جمع شلو و هو العضو و هو أيضا القطعه من اللحم،و كنّى به عن الجسد . و الحنو : الجانب .و الأرفاق :

المنافع،و يروى بأرماقها .و الرمق : بقيّه الروح :و الخلاق : النصيب . الخناق : بالكسر حبل يخنق به .و الإرهاق : الإعجال .و التشذّب : التفرّق .و مهد الأمر.مخفّفا و مشدّدا : أى هيّأه .و انف الأوان : أوّله .و البضاضه : امتلاء البدن و قوّته .و الهرم : الكبر .و غضاره العيش : طيبه .و آونه : جمع أوان كأزمنه جمع زمان و الزيال : المزايله .و أزف : قرب .و العلزه :

كالرعده يأخذ المريض .و الجرض : أن يتبلع ريقه على همّ و حزن .و الحفده : الأعوان .

و غودر : ترك .و أنهكه : أخلقه و أبلاه .و المعالم : الآثار .و الشحب : البعير الهالك الناحل .

و النخره : الباليه .و الأعباء : الأثقال .و القدّه بكسر القاف و الدال المهمله : الطريقه،و روى بضمّ القاف و الذال المعجمه،و الأوّل أصحّ .

و لنرجع إلى معنى.

فقوله:جعل لكم.إلى قوله:بأرفاتها

فقوله: جعل لكم .إلى قوله: بأرفاتها .

ص:۲۵۰

تذكير بنعمه اللّه تعالى بخلق الأبدان،و ما تشتمل عليه من المنافع.ففائده الأسماع أن تعى ما خلقت لأجله،و فايده الأبصار أن يدرك بها الإنسان عجايب مصنوعات اللّه تعالى فيحصل له منها عبره. استعاره و لفظ العشا يحتمل أن يكون مستعارا لظلمه الجهل العارض لإبصار القلوب حتّى يكون التقدير لتجلو عشا قلوبها،و حينئذ فإدراك البصر المحصّل عبره يحصل للقلب به جلاء لذلك العشا فصحّ إذن إسناد الجلاء إلى الأبصار،و يحتمل أن يكون مستعارا لعدم إدراكها ما تحصل منه العبره إذ كانت فايدتها ذلك فإذا لم يحصل منها ذلك الإدراك كانت كمبصر أصابه العشا،و وجه المشابهه عدم الفائده.و نسبه الجلاء إليها بوجود الإدراك المفيد عبره عنها و هو استعاره أيضا .و عن ليست بزايده لأنّ الجلاء يستدعى مجلوّا و مجلوّا عنه فذكر عليه السّلام المجلوّ و أقامه مقام المجلوّ عنه فكأنّه قال:لتجلو عن قواها عشاها .و أمّا فايده البدن و أعضائه فقد أشرنا إليه قبل مفصّلا،و قوله : قائمه بأرفاقها :أى أنّ كلّ بدن قائم فى الوجود بحسب ما عنى له من ضروب المنافع .

و قوله:و قلوب رائده.إلى قوله:سترها عنكم.

و قوله: و قلوب رائده.إلى قوله:سترها عنكم .إظهار لمنّه اللّه تعالى على عباده بخلقه لهم و هدايته لنفوسهم لارتياد أرزاقهم الّتى بها قوام حياتها الدنيا و تمكّنها من إصلاح معادها ثمّ باعتبار كونهم فى مجلّلات نعمه و سوابغها.فمنها:ستره عليهم قبائح أعمالهم أن تظهر،و هو اجس خواطرهم بعضهم لبعض بحيث لو اطّلع كلّ على ماله فى ضمير صاحبه من الغلّ و الحسد و تمنّى زوال نعمته لأفنى بعضهم بعضا و خرب نظام وجودهم . و موجبات مننه :نعمه الّتى يستوجب أن يمنّ بها.و من روى بفتح الجيم فالمراد بالمنن إذن النعم و موجبات ما سقط منها و افيض على العباد . و حواجز عافيته :ما منع منها عوامل الأمراض و المضارّ المندفعه بها،و إنّما ذكر ستر كميّه الأعمار فى معرض المنّه لأنّه من النعم العظيمه على العبد إذ كان اطّلاع الإنسان على كميّه عمره ممّا يوجب اشتغال خاطره بخوفه من الموت من عماره الأرض و يبطل بسببه نظام هذا العالم .

و قوله:و خلّف لكم عبرا.

و قوله: و خلّف لكم عبرا.

وجه من منن اللّه تعالى على عباده فإنّ إبقائه أحوال الماضين و ما خلّفوه عبره للاحقين سبب عظيم لجذبهم عن دار الغرور و مهاوى الهلاك إلى سعاده الأبد.و مستمتع خلاقهم :ما

استمتعوا به ممّا كان نصيبا لكلّ منهم فی مدّه بقائه من متاع الدنيا . و مستفسح خناقهم:

محلّ الفسحه لأعناقهم من ضيق حبائل الموت و أغلال الجحيم،و ذلک المستفسح هو مدّه حياتهم أيضا ثمّ أردف ذلک بوصف حال الماضين فی غرورهم ،و ذکر إعجال الموت لهم عن بلوغ آمالهم و تشذيبه لهم باخترامهم عنها و نبّه به علی وجوب تقصير الأمل و الاستعداد للموت و کذلک نبّهم بقوله: لم يمهدوا.إلی قوله:الاوان .علی تقصير الماضين فی إصلاح معادهم حيث أمکنهم ذلک فی سلامه أبدانهم و أوّل زمانهم ليحصل لهم بذلک التذکّر نفره عن حال السابقين و انزعاج عن الغرور إلی الاستعداد بالتقوی و الأعمال الصالحه ، استفهام انکاری ثمّ استفهمهم عمّا ينتظر الشباب بشبابهم غير حوانی الهرم،و أهل الصحّه بصحّتهم غير الأسقام و المعمّرون بطول أعمارهم غير الفناء استفهاما علی سبيل الإنکار لما ينتظرونه غير هذه الامور و تقريعا علی ذلک الانتظار و تنفيرا عنه بذکر غاياته الّتی حصره فيها.

استعاره و أعلم أنّ ذلک ليس انتظارا حقيقيّا لکن لمّا کان المنتظر لأمر و المترقّب له تارکا فی أحواله لما يعنيه من الاشتغال إلی غايه أن يصل إليه ما ينتظره،و کانت غايه الشباب أن يحنی ظهورهم الهرم.و غايه الصحيح أن يسقم،و غايه المعمّر أن يفنی أشبه ترکهم للعمل و عباده اللّه إلی غاياتهم المذکوره لانتظار لها.فاستعير له لفظ الانتظار . کنايه ثمّ کنّی عن شدّه حال المفارق فی سکرات الموت بأوصاف تعرض له حينئذ کالرعده و الغلق و الغمّ و الخوف و الغصص بالريق و التلفّت للاستغاثه بالأعوان و الأقرباء و الأعزّه .ثمّ استفهام انکاری نبّه بقوله: فهل دفعت الأقارب أو نفعت النواحب :أی البواکی.علی أنّ ما يقع عند نزول الموت من تلک الأحوال لا ينفع فی دفعه قريب و لا حبيب علی طريق الاستفهام و الإنکار .

و قوله:قد غودر.

و قوله: قد غودر.

الجمله فی محل النصب علی الحال و العامل نفعت:أی لم ينفعه البکاء حال ما غودر فی محلّ الأموات بالأوصاف الکريهه تنفيرا عن أحواله و جذبا إلی الخلاص من أهوالها بالعمل للّه و الإخلاص له.و رهينا :إی مقيما أو مرتهنا بذنوبه و موثوقا بها.و نصبه علی الحال، و کذلک وحيدا ،و موضع قوله: قد هتکت ،و باقی الأفعال المعطوفه عليه.و الهوام :الديدان المتولّده من جيفه أو غيرها .

ص:۲۵۲

و قوله:و الأرواح مرتهنه بثقل أعبائها.

و قوله: و الأرواح مرتهنه بثقل أعبائها.

إشاره إلى اشتغال النفوس و انحطاطها إلى الجنبه السافله بثقل ما حملته من الأوزار و اكتسبته من الهيئات الرديئه .و ما يتحقّق غيبه من الأنباء هناك هو الأخبار عن الأحوال اللاحقه بها بعد الموت من خير و شرّ فإنّها يتيقّن غيبتها عن أهل الدنيا،أو أنباء ما خلّفته من اللواحق الدنيويّه فإنّها يتيقن بعد الموت غيبتها و انقطاعها عنها.و الاوّل أولى .

و قوله:لا تستزاد من صالح عملها و لا تستعتب من سيّء زللها.

و قوله: لا تستزاد من صالح عملها و لا تستعتب من سيّء زللها.

أى لا يطلب منها زياده من العمل الصالح و لا يقال من سيّء زللها و يرضى عنها كقوله تعالى «وَ إِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ» (۱)و ذلك لعدم آله العمل و امتناع الرجوع إليه و عدم تمكّنها من نزع ما صار فى عنقها من أطواق الهيئات البدنيّه كما قال تعالى «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّها كَلِمَهٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ » (۲).

و قوله:أو لستم آباء القوم و الأبناء و إخوانهم و الأقرباء.

و قوله: أو لستم آباء القوم و الأبناء و إخوانهم و الأقرباء.

أى أو ليس فيكم من هو أب لأحد اولئك أو ابن له أو أخوه أو قريبه،و هو تنبيه للسامعين على وجه العبره فإنّه لمّا شرح حال الماضين فى الموت و ما بعده نبّههم على أنّهم أمثالهم فى كلّ تلك الأحوال ليرجعوا إلى تقوى اللّه الّذى هو سبب النجاه من تلك الأهوال .

و قوله:تحتذون أمثلتهم.

و قوله: تحتذون أمثلتهم.

أى تقتدون بهم فى أفعالهم و تسلكون مسالكهم فى غرورهم و نحوه كما قال تعالى حكايه «إِنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّهٍ وَ إِنّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ » (۳).

و قوله:فالقلوب قاسيه عن حظّها.

و قوله: فالقلوب قاسيه عن حظّها.

أى لا استعداد لها تقبل به حظّها الّذى ينبغى لها طلبه لاهيه عن رشدها غافله عن طلب هدايتها سالكه فى غير مضمارها .المضمار

هاهنا:هو الشريعه و أوامر اللّه،و سلوكها لغيره:

ارتكابها لمناهى اللّه،و رياضتها:هى الأعمال الصالحه الّتى هى طريق الجحيم .

و قوله:كأنّ المعنىّ سواها و كأنّ الرشد فى إحراز دنياها.

و قوله: كأنّ المعنىّ سواها و كأنّ الرشد فى إحراز دنياها.

ص:۲۵۳

۱- ۱) ۲۳-۴۱

۲- ۲) ۱۰۲-۲۳

۳- ۳) -۲۲-۴۳.

مبالغه فی ذکر إعراض القلوب و غفلتها عن المواعظ و إنّهما کها فی تحصیل الدنیا إلی غایه أن اشبهت من لم یکن معیّنا بالخطاب بها،أو أنّ الرشد الّذی جذبت إلیه إنّما هو تحصیل الدنیا و جمعها الّذی جذبت عنه و حذّرت منه.

الفصل الثانی:فی التذکیر بأمر الصراط و التحذیر من أهواله،و الحثّ علی

اشاره

التقوی

و ذلک قوله:

وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَ مَزَالِقِ دَحْضِهِ- وَ أَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَ تَارَاتِ أَهْوَالِهِ- فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ- تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ- وَ أَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَ أَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ- وَ أَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ وَ ظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ- وَ أَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَ قَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ- وَ تَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ- وَ سَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ- وَ لَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاَتُ الْغُرُورِ- وَ لَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ- ظَافِراً بِفَرْحَهِ الْبُشْرَى وَ رَاحَهِ النُّعْمَى- فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَ آمَنِ يَوْمِهِ- وَ قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَهِ حَمِيداً وَ قَدَّمَ زَادَ الْآجِلَهِ سَعِيداً- وَ بَادَرَ مِنْ وَجَلٍ وَ أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَ رَغِبَ فِي طَلَبٍ- وَ ذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ وَ رَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ- وَ نَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ- فَكَفَى بِالْجَنَّهِ ثَوَاباً وَ نَوَالاً- وَ كَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَ وَبَالاً- وَ كَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً وَ نَصِيراً- وَ كَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَ خَصِيماً أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ

وَ احْتَجَّ بِمَا نَهَجَ- وَ حَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِی الصُّدُورِ خَفِیّاً- وَ نَفَثَ فِی الْآذَانِ نَجِیّاً فَأَضَلَّ وَ أَرْدَی وَ وَعَدَ فَمَنَّی- وَ زَیَّنَ سَیِّئَاتِ الْجَرَائِمِ وَ هَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ- حَتَّی إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِینَتَهُ وَ اسْتَغْلَقَ رَهِینَتَهُ- أَنْکَرَ مَا زَیَّنَ وَ اسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ وَ حَذَّرَ مَا أَمَّنَ

اللغه

أقول: المزلق : الموضع الّذی لا تثبت علیه قدم .و الدحض : الزلق .و التهجّد : العباده باللیل .و الغرار : النوم القلیل ،و أرجف : أسرع .و المخالج : الامور المشغله الجاذبه ، و أکمش : أمضی عزمه و مضی قدما لم یعرج .

المعنی

و اعلم أنّ الصراط الموعود به فی القرآن الکریم حقّ یجب الإیمان به و إن اختلف الناس فی حقیقته،و ظاهر الشریعه و الّذی علیه جمهور المسلمین و من أثبت المعاد الجسمانیّ یقتضی أنّه جسم فی غایه الدقّه و الحدّه ممدود علی جهنّم و هو طریق إلی الجنّه یجوزه من أخلص للّه.و من عصاه سلک عن جنبتیه أحد أبواب جهنّم،و أمّا الحکماء فقالوا بحقیّته.و ما یقال فی حقّه:إنّه کالشعر فی الدقّه فهو ظلم بل نسبه الشعره إلیه کنسبتها إلی الخطّ الهندسی الفاصل بین الظلّ و الشمس الّذی لیس من أحدهما فهو کذلک الخط الّذی لا عرض له أصلا،و حقیقته هو الوسط الحقیقیّ بین الأخلاق المتضادّه کالسخاوه بین التبذیر و البخل،و الشجاعه بین التهوّر و الجبن،و الاقتصاد بین الإسراف و التقتیر،و التواضع بین التکبّر و المهانه،و العفّه بین الشهوه و الخمود، و العداله بین الظلم و الانظلام.فالأوساط بین هذه الأطراف المتضادّه هی الأخلاق المحموده،و لکلّ واحد منها طرفا تفریط و إفراط هما مذمومان،و کلّ واحد منها هو غایه البعد بین طرفیه و لیس من طرف الزیاده و لا من طرف النقصان.قالوا:و تحقیق ذلک أنّ کمال الإنسان فی التشبّه.بالملائکه و هم منفکّون عن هذه الأوصاف المتضادّه و لیس فی إمکان الإنسان الانفکاک عنها بالکلّیه فغایته التباعد عنها إلی الوسط تباعدا یشبه

ص:۲۵۵

الانفكاک عنها.فالسّخی کأنّه لا بخیل و لا مبذّر.فالصراط المستقیم هو الوسط الحقّ الّذی لا میل له إلی أحد الجانبین و لا عرض له و هو أدقّ من الشعر.و لذلک قال تعالی «وَ لَنْ تَسْتَطِیعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَیْنَ النِّساءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِیلُوا کُلَّ الْمَیْلِ» (۱)و روی عن الصادق علیه السّلام و قد سئل عن قوله تعالی «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ» قال:یقول:أرشدنا للزوم الطریق المؤدّی إلی محبّتک و المبلّغ دینک و المانع من أن نتّبع أهوائنا فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلک.و عن الحسن العسکری علیه السّلام:الصراط صراطان:صراط فی الدنیا، و صراط فی الآخره.فأمّا الصراط المستقیم فی الدنیا فهو ما قصر عن الغلوّ و ارتفع عن التقصیر و استقام فلم یعدل إلی شیء من الباطل،و الصراط الآخر هو طریق المؤمنین إلی الجنّه لا یعدلون عن الجنّه إلی النار و لا إلی غیر النار سوی الجنّه.و الناس فی ذلک متفاوتون فمن استقام علی هذا الصراط و تعوّد سلوکه مرّ علی صراط الآخره مستویا و دخل الجنّه آمنا.

إذا عرفت ذلک فنقول: مزالق الصراط کنایه عن المواضع الّتی هی مظانّ انحراف الإنسان عن الوسط بین الأطراف المذمومه،و تلک المواضع هی مظانّ الشهوات و المیول الطبیعیّه ، و أهاویل زلله هی ما یستلزمه العبور إلی أحد طرفی الإفراط و التفریط من العذاب العظیم فی الآخره . و تارات أهواله تکرار ذلک تاره بعد اخری .

و قوله:فاتّقوا اللّه

و قوله: فاتّقوا اللّه .عود إلی الأمر بتقوی اللّه تقیّه من استجمع أوصاف الایمان:

أحدها: تقیّه من شغل التفکّر قلبه :أی فی أمر معاده عن محبّه الدنیا و باطلها .

الثانی: و أنصب الخوف بدنه :أی أتعبه و أنحله خوف اللّه تعالی و ما أعدّ للعصاه من الأهوال .

الثالث: و أسهرت العباده غرار نومه :أی لم تترک له نوما .

الرابع: کنایه و اظمأ الرجاء هو اجر یومه :أی اظمأه رجاء ما أعدّ اللّه لأولیائه الأبرار عوضا من طیّبات هذه الدار.و ظمأه فی جواهر یومه کنایه عن کثره صیامه فی أشدّ أوقاته

۱- ۱) ۱۲۸-۴.

حراره ،و إنّما جعل الهواجر مفعولا إقامه للظرف مقام المظروف،و هو من وجوه المجاز.

الخامس: استعاره و ظلف الزهد شهواته .استعار لفظ الإطفاء للزهد و هو من أوصاف الماء و نسبته إلى النار نسبه الزهد إلى الشهوات فلاحظ الشبه بين الشهوات و النار فى تأثيرهما المؤذى،و بين الزهد و الماء لما يستلزمانه من كون الإعراض عن الدنيا يستتبع قهر الشهوات و دفع مضارّها كما يفعله الماء بالنار.

السادس: و أسرع[أرجف خ]الذكر إلى لسانه :أى لتعوّده إيّاه و إدمانه فيه.

السابع: و قدّم الخوف لأمانه[لإبّانه خ] :أى خوف ربه.فعمل مخلصا له ليأمن عذابه.

الثامن: و تنكّب المخالج :أى عدل عن الامور المشغله إلى واضح سبيل اللّه.

التاسع: و سلك أقصد المسالك :أى أولاها بالقصد إلى النهج الواضح و الطريق المطلوب للّه من خلقه،و هو سبيله المستقيم فإنّ للناس فى سلوك سبيل اللّه مذاهب كثيره و لكن أحبّها إليه أولاها بالقصد إلى طريقه الموصل إليه.

العاشر: و لم تفتله فاتلات الغرور :أى لم تهلكه غفلاته فى لذّات الدنيا عن ربّه إذ لم يغفل عن طاعته.

الحادى عشر: و لم تعم عليه مشتبهات الامور :أى لم تظلم فى وجهه شبهه على حقّ فيسدّ عليه وجه تخليصه.

الثانى عشر: ظافرا بفرحه البشرى :أى بشرى الملائكه يومئذ: «بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» .

الثالث عشر: و راحه النعمى ،و الراحه فى مشاقّ الدنيا و متاعبها بنعمى الآخره.

و نعيم اللّه فى الآخره الجنّه.

الرابع عشر: مجازا إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه فى أنعم نومه :أى فى أطيب راحته،و أطلق لفظ النوم على الراحه فى الجنّه مجازا إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه.

الخامس عشر: مجازا إطلاقا لاسم الجزء على الكلّ و آمن يومه :أى آمن أوقاته،و أطلق لفظ اليوم على مطلق الوقت مجازا إطلاقا لاسم الجزء على الكلّ .

السادس عشر: قد عبر معبر العاجله :أى الدنيا. حميدا :أى محمود الطريقه.

السابع عشر: و قدم ذات الآجله سعيدا :أی عمله للآخره فحصل علی السعاده الأبدیّه،و حمیدا و سعیدا حالان.

الثامن عشر: و بادر من وجل :أی إلی الأعمال الصالحه من وجل خوف اللّه.

التاسع عشر: و أسرع فی مهل .أی إلی طاعه ربّه أیّام مهلته،و هی حیاته الدنیا.

العشرون: و رغب فی طلب :أی کان طلبه للّه عن رغبته له.

الحادی و العشرون: و ذهب عن هرب :أی کان ذهابه عمّا یبعّد عن اللّه عن هرب من خوف اللّه.و فی کلّ قرینتین من هذه العشره السجع المتوازی.

الثانی و العشرون: و راقب فی یومه غده :أی توقّع فی أیّام حیاته هجوم آخرته.

الثالث و العشرون: و نظر قدما أمامه :أی لم یلتفت فی نظره عن قصد اللّه إلی غیره.

ثمّ نبّه بقوله: فکفی بالجنّه ثوابا و نوالا .علی وجوب السعی لها دون غیرها،ثمّ تکون النار و بالا و عقابا علی وجوب الهرب منها دون غیرها ، و کفی باللّه منتقما و نصیرا علی وجوب الاقتصار علی خشیته و الاستعانه به، و بقوله: و کفی بالکتاب حجیجا :أی محتجّا و خصیما علی وجوب الانفعال عنه و ملاحظه شهادته فی الآخره علی من لم یتّبعه. مجاز و نسب الاحتجاج و الخصام إلی الکتاب مجازا ،و المنصوبات بکفی علی التمییز.

و قوله:اوصیکم بتقوی اللّه.

و قوله: اوصیکم بتقوی اللّه.

عود إلی الحثّ علی تقوی اللّه باعتبار امور ثلاثه:

أحدها:إعذاره إلی الخلق بما أنذرهم به من العقوبات.

الثانی:احتجاجه علیهم بما أوضحه بالدلائل و البیّنات.

الثالث:تحذیره لهم إبلیس و عداوته،و قد سبق معناه فی الخطبه الاولی.و ذکر له أوصافا هی کونه مجاز إطلاقا لاسم المکان علی المتمکّن نفذ فی الصدور خفیّا .و الإشاره به إلی النفس الأمّاره بالسوء،و تجوّز بلفظ الصدور فی القلوب إطلاقا لاسم المکان علی المتمکّن ، و کونه نفث فی الآذان نجیّا.

و هو إشاره إلی ما تلقیه شیاطین الإنس بعضهم إلی بعض من زخرف القول و غروره.و قد سبق ذلک فی الخطبه الاولی،و کونه أضلّ :أی جذب عن طریق الحقّ و أردی :أی فأرادهم فی قرار الجحیم ، و وعد و منّی :أی ببلوغ الآمال الکاذبه ، و زیّن سیّئات الجرائم :أی

قبايح المعاصى ، و هوّن موبقات العظائم :أى ما يهلكك من عظيم الذنوب.و تهوينه لها بمثل تمنّيه التوبه و مساعده العقل له بقوله «إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و بمثل الاقتداء بالغير الّذى هو أولى بالعفّه مثلاـ أو أكثر قدرا فى الدنيا،و ساير أوصاف الوساوس كما عرفت حقيقتها .

و قوله:حتّى إذا استدرج قرينته و استغلق رهينته

استعاره و قوله: حتّى إذا استدرج قرينته و استغلق رهينته فقرينته هى النفس الناطقه باعتبار موافقته و هى رهينته باعتبار إحاطه الذنوب بها من قبله كما يستغلق الرهن بما عليه من المال و لفظ الرهينه مستعار.و استدراجه لها تزيينه حالا بعد حال و تعويدها بطاعته .

و قوله:أنكر ما زيّن.إلى آخره .

و قوله: أنكر ما زيّن .إلى آخره.

إشاره إلى غايته من وسوسته و عود من النفس الأمّاره بالسوء إلى موافقتها لحكم العقل فى قبح ما كانت أمرت به ،و استعظام خطره و مساعدتها على التحذير منه بالامتناع من تحسينه بعد أن كانت تحثّ عليه و تزيّنه و تؤمن منه.و ذلك إمّا عند التوبه و قهر العقل لها أو عند معاينه المكروهات الجزئيّه من العقوبات و الآلام إمّا فى الدنيا أو بعد المفارقه و الحصول فى عذاب الجحيم بسبب الانهماك فيما كانت زيّنته من الباطل، و ذلك أنّ النفس إذا فارقت البدن حملت معها القوّه المتوهّمه فتدرك ما يلحقها من جزئيّات العقوبات كعذاب القبر و ما يتنوّع منه كما سبقت الإشاره إليه،و قد يتصوّر ذلك من شياطين الإنس فى تزيينهم الجرائم،و أمّا من الشيطان الظاهر فظاهر.

الفصل الثامن و منها فى صفه خلق الإنسان،

اشاره

و فى هذا الفصل فصلان.

الفصل الأوّل

اشاره

قوله:

أَمْ هَذَا الَّذِى أَنْشَأَهُ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ شُغُفِ الْأَسْتَارِ- نُطْفَهً دِهَاقاً وَ عَلَقَهً مِحَاقاً- وَ جَنِيناً وَ رَاضِعاً وَ وَلِيداً وَ يَافِعاً- ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَ لِسَاناً لاَفِظاً وَ بَصَراً لاَحِظاً- لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً وَ يُقَصِّرَ مُزْدَجِراً- حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ وَ اسْتَوَى

مِثَالُهُ- نَفَرَ مُسْتَكْبِراً وَ خَبَطَ سَادِراً مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ- كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ وَ بَدَوَاتِ أَرَبِهِ- ثُمَّ لاَ يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً وَ لاَ يَخْشَعُ تَقِيَّةً- فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً وَ عَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً- لَمْ يُفِدْ عِوَضاً وَ لَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً- دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ وَ سَنَنِ مِرَاحِهِ- فَظَلَّ سَادِراً وَ بَاتَ سَاهِراً فِي غَمَرَاتِ الْآلاَمِ- وَ طَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَ الْأَسْقَامِ بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ وَ وَالِدٍ شَفِيقٍ- وَ دَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً وَ لاَدِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً- وَ الْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ وَ غَمْرَةٍ كَارِثَةٍ- وَ أَنَّةٍ مُوجِعَةٍ وَ جَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ وَ سَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ- ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً وَ جُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً- ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ وَ نِضْوَ سَقَمٍ- تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ وَ حَشَدَةُ الْإِخْوَانِ إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ- وَ مُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ وَ مُفْرَدِ وَحْشَتِهِ- حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ وَ رَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ- أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ وَ عَثْرَةِ الاِمْتِحَانِ- وَ أَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ- وَ تَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ وَ فَوْرَاتُ السَّعِيرِ- وَ سَوْرَاتُ الزَّفِيرِ لاَ فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ- وَ لاَ دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَ لاَ قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ وَ لاَ مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ وَ لاَ سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ- بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ وَ عَذَابِ السَّاعَاتِ- إِنَّا بِاللَّهِ عَائِذُونَ

ص:۲۶۰

أقول:اعلم أنّ مدار هذا الفصل على وصف حال الإنسان من مبدء عمره بالنقصان و بيان نعم اللّه بترديده فى أطوار الخلقه،و تبكيته بمقابله نعمه بالكفر و الغفله فى متابعه الشيطان،و تذكيره بما يكون غايته من حياه الدنيا و هو الموت و ما يتبعه من أحوال الميّت بين أهله و أقاربه،و حالهم معه و ما يكون بعد الموت من العذاب فى القبر و السؤال و الحساب و سائر ما ينّفر طبعه منه،و يوجب له الالتفات إلى إصلاح معاده و تذكير مبدئه «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» .

اللغه

و الشغف بالغين المعجمه : جمع شغاف بالفتح و هو غلاف القلب .و الدفاق : المفرغه .

و المحاق : الناقصه .و اليافع : الغلام المرتفع .و السادر : اللاهى الّذى لا يهتمّ بشىء و الماتح : الجاذب للدلو من البئر .و البدوات : الخطرات الّتى تبدو:أى تظهر للخاطر .

و دهمه بالكسر : أى غشيه .و غبر شىء : بقيّته و جماحه : سعيه فى ركوب هواه .

و السادر ثانيا : المتحيّر .و اللدم : ضرب الصدر .و كارثه : موجبه لشدّه الغمّ .و الإبلاس : اليأس .

و الرجيع : من الإبل المردّد فى الأسفار .و النضو : الّذى قد هزلته .و حفده الولدان :

أعوانهم .و الحشده بفتح الحاء و الشين : المجتمون .و التفجّع : التوجّع .

و فى تفصيل هذا الفصل نكت :

الاولى:

أم للاستفهام.و هو استفهام فى معرض التقريع للإنسان و أمره باعتبار حال نفسه،و دلاله خلقته على جزئيّات نعم اللّه عليه مع كفرانه لها.و كان أم معادله لهمزه الاستفهام قبلها،و التقدير أليس فيما أظهره اللّه لكم من عجائب مصنوعاته عبره؟أم هذا الإنسان و تقلّبه فى أطوار خلقته و حالاته إلى يوم نشوره؟كقوله تعالى «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ» و فى بعض النسخ:أو هذا.و المعنى واحد.

اعلم أنّ فى ملاحظه خلقه الإنسان و ما جمع فيها من لطائف الأسرار عبره تامّه حتّى كان عالما مختصرا كما أو مأنا إليه قبل،و سيأتى .

الثانيه:

قيل أوّل أحوال تكوّن الإنسان زبديّه المنىّ و انتفاخ يظهر فيه فينمو به،و أوّل ما يتكوّن فيه وعاء الروح بفعل الملك المصوّر ثمّ تحدث ريح من قبل الطبيعه فتثقب ثقبا أمام فوهات العروق بحيث إذا تخلّقت محسوسه صارت عروقا ثمّ يبسط النطفه

فی أقطارها و تحدث فی الغشاء ثقبا موازیه لثقب العروق الّتی فی الرحم ینفتح عند الحیض،و یحصل لجمیعها مجاری فی الغشاء المذکور یؤدّی إلی مجری واحد نافذ إلی عمق النطفه مؤدّیا إلی باطنه الدم فی عرقین أو عرق و النفس فی عرقین فإذا تخلّقت هذه المجاری امتصّت النطفه حینئذ الغذاء من فوهات تلک العروق،و نفذ فی الصفاق دم یستحیل عن قریب إلی جوهر المنیّ و حدث لها خطوط لها مبادئ دمویّه،و نقطه اولی هی القلب ثمّ لا تزال الدمویّه تزداد فی النطفه حتّی تصیر علقه و تکون مثل الرغوه فی الأکثر لسته أیّام،و ابتداء الخطوط الحمر و النقطه بعد ثلاثه أیّام اخری ثمّ بعد ستّه أیّام و هو الخامس عشر من حین العلوق تنفذ الدمویّه فی الجمیع فتصیر علقه، و بعد ذلک باثنی عشر یوما تصیر لحما و تتمیّز قطعه لحم المضغه و تمیّز الأعضاء الرئیسه،و تمتدّ رطوبه النخاع ثمّ بعد تسعه أیّام ینفصل الرأس عن المنکبین و الأطراف عن الضلوع و البطن تمیّزا یحسّ به فی بعضهم و یخفی فی بعض حتّی یحسّ به بعد أربعه أیّام اخری تمام الأربعین فیصیر جنینا،و قد یتمّ ذلک فی ثلاثین یوما و قد یتمّ فی خمس و أربعین یوما،و قیل:العدل فی ذلک خمسه و ثلاثون یوما فیتحرّک فی سبعین یوما،و یولد فی مائتین و عشره أیّام و ذلک سبعه أشهر،و إذا کان الأکثر لخمسه و أربعین یوما فتحرّک فی تسعین یوما،و یولد فی مائتین و سبعین یوما،و ذلک تسعه أشهر.فهذه إشاره إلی تنقّله فی ظلمات الرحم بتدبیر الملک المقتدر و واسطه الملک المصوّر، و لو کشف الغطاء لرأینا هذه التخطیط و التصویر یظهر علیه شیئا فشیئا مع أنّا لا نری المصوّر و لا آلته.فسبحان المقتدر علی ما یشاء .

الثالثه:

إنّما وصف العلقه بالمحاق لأنها لم تفض علیها بعد صوره شخص الإنسان فهی بعد منمحقه .

الرابعه:

الولد ما دام یرضع فهو رضیع،و بعده ولید،فإذا ارتفع قیل:یافع.فإذا طرّشا ربه فهو غلام،فإذا أدرک فهو رجل،و للرجولیّه ثلاثه حدود:الشباب و هو إلی تمام النموّ،و بعده الکهوله،و بعدها الشیخوخه .

الخامسه:

ذکر الحفظ للقلب و اللفظ للسان و اللحظ للبصر بیان لفوایدها ،ثمّ ذکر

غایه تلک الفواید و مقصودها،و هو أن یفهم الإنسان معتبرا أی یستنبط من شواهد آلاء اللّه دلایل وحدانیّته و سایر نعوت جلاله و یعبر فیها إلی استکمال الفضایل النفسانیّه و یقصر مزدجرا:

أی یکفّ عمّا لا ینبغی من موبقات الأیّام و عن الخوض فیما لا یعنیه مزدجرا عنها .

السادسه:

قوله حتّی إذا قام اعتداله و استوی مثاله نفر مستکبرا إلی آخر الأوصاف.ربّما یعترض فیقال:إنّ کثیرا من الناس لا یکون بهذه الصفه و حینئذ لا تصدق علیهم هذه الأحکام.فجوابه:أنّ إشارته علیه السّلام إلی الإنسان المطلق الّذی هو فی قوّه البعض لا الإنسان العامّ،و ذلک أنّ الأوصاف المذکوره إذا صدقت علی المطلق فقد صدقت علی بعض الناس،و ذلک البعض هم العصاه المرادون بهذه الأوصاف،و التوبیخ بها لهم،و فیه تنبیه للباقین علی وجوب دوام شکر اللّه و البقاء علی امتثال أوامره و نواهیه .

السابعه:

استعاره مرشحه ماتحا فی غرب هواه .لمّا استعار لفظ الغرب لهواه الّذی یملأ به صحایف أعماله من المآثم کما یملأ ذو الغرب غربه من الماء رشّح تلک الاستعاره بذکر المتح .

الثامنه:

المنصوبات العشرون: نطفه و علقه و جنینا و راضعا و ولیدا و یافعا و معتبرا و مزدجرا و مستکبرا و سادرا و ماتحا و کادحا و غریرا و مبلسا و منقادا و سلسا و رجیع و صب و نضو سقم و نجیّا .کلّها أحوال،و العامل فی کلّ حال ما یلیه من الأفعال.و سعیا إمّا مفعول به و العامل کادحا أو مصدر استغنی عن ذکر فعله،و یسیرا صفه ظرف محذوف اقیمت مقامه:أی زمانا یسیرا،و روی أسیرا فعلی هذا یکون حالا،و جزعا و قلقا و تقیّه مفعول به،و استعار أسیرا للعاصی علی الروایه الثانیه،و وجه المشابهه أن صاحب الزلّه یقوده هواه إلی هوانه کما یقاد الأسیر إلی ما یکره .

التاسعه:

لم یفد عوضا :أی لم یستفد فی الدنیا عوضا ممّا یفوته منها فی الآخره، و العوض الّذی ضیّعه هو الکمالات الّتی خلق لیستفیدها و فرضت علیه من الطاعات و لم یقضها من العلوم و الأخلاق .

العاشره:

الواو فی المرء للحال و العامل لادمه .و الأنّه الموجعه أی لقلوب الواجدین علیه و الجذبه المکربه:أی جذب الملائکه للروح کما قال تعالی «وَ لَوْ تَری إِذِ الظّالِمُونَ فِی غَمَراتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلائِکَهُ باسِطُوا أَیْدِیهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَکُمُ» (۱)الآیه،و روی عن رسول اللّه

۱- ۱) ۹۳-۶.

صلی اللّه علیه و آله و سلّم قال:إنّ المؤمن إذا احتضر أتته الملائكه بحريره فيها مسك و ضبائر الريحان فينسلّ روحه كما تسلّ الشعره من العجين و يقال: «أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِی إِلی رَبِّكِ راضِيَهً مَرْضِيَّهً» إلى روح اللّه و كرامته فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك و الريحان و طويت عليه الحريره و بعث بها إلى علّيين،و إنّ الكافر إذا احتضر أمر اللّه الملائكه بمسح فيه جمره فنزع روحه انتزاعا شديدا و يقال:ايّتها النفس الخبيثه ارجعى ساخطه مسخوطا عليك إلى هوان اللّه و عذابه فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمره و كان لها نشيش،و يطوى عليها ذلك المسح،و يذهب بها إلى سجّين.

و اعلم أنّ تلك الجذبه تعود إلى ما يجده الميّت حال النزع و هو عباره عن ألم ينزل بنفس الروح يستغرق جميع أجزائه المنتشره فی أعماق البدن و ليس هو كسائر ما يجده الروح المختصّ ببعض الأعضاء كعضو شاكته شوكه و نحوه لاختصاص ذلك بموضع واحد فألم النزع يهجم على نفس الروح و يستغرق جميع أجزائه و هو المجذوب من كلّ عرق و عصب و جزء من الأجزاء و من أصل كلّ شعره و بشره.و لا تسئلنّ عن بدن يجذب منه كلّ عرق من عروقه،و قد يمثّل ذلك بشجره شوك كانت داخل البدن ثمّ جذبت منه فهی الجذبه المكربه ،و لمّا كان موت كلّ عضو من البدن عقيب الأمراض الّتی ربّما طالت تدريجا فتلك هی السوقه المتعبه .

الحادی عشر:

استعاره قوله: رجيع و صب و نضو سقم .استعار له وصفی الجمل فالرجيع باعتبار كونه قد ردّد فی أطوار المرض و تواتر عليه كما يردّد الجمل فی السفر مرّه بعد اخرى، و لفظ حو له من الأسقام كما ينحل الأسفار الجمل .

الثانيه عشر:

قوله: اقعد فی حفرته نجيّا لبهته السؤال.إلى آخره.

أقول:القول بعذاب القبر و سؤال منكر و نكير حقّ روى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال لعمر:يابن الخطّاب كيف بك إذا أنت متّ فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثه أذرع فی ذراع و شبر ثمّ رجعوا إليك فغسّلوك و كفنّوك ثمّ احتملوك حتّى يضعوك فيه ثمّ يهيلوا عليك التراب فيدفنوك فإذا انصرفوا عنك أتاك فتّانا القبر منكرا و نكيرا أصواتهما كالرعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف يجرّان أشعارهما و يحثان

ص:۲۶۴

القبر بانیا بهما فیبلبلانک و یزلزلانک فیقولان لک:من ربّک؟و من نبیّک؟و ما دینک؟ کیف بک عند ذاک یا عمر.فقال عمر:فیکون معی عقلی الآن؟قال صلی اللّه علیه و آله و سلّم:نعم قال:

فإذن أکفیهما.و فی وصفهما عنه صلی اللّه علیه و آله و سلّم أنّهما ملکان أسودان أرزقان أحدهما منکر و الآخر نکیر.

و اعلم أنّ الإیمان بما جاء من ذلک علی ثلاث مراتب:

أحدها:و هو الأظهر الأسلم أن یصدّق بأنّها موجوده و أنّ هناک ملکین علی الصوره المحکیّه،و حیّات و عقارب تلدغ المیّت،و إن کنّا لا نشاهدها إذ لا تصلح هذه العین لمشاهده الامور الملکوتیّه،و کلّ ما یتعلّق بالآخره فهو من عالم الملکوت کما کانت الصحابه یؤمنون بنزول جبرئیل،و کان النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم یشاهده و إن لم یکونوا یشاهدونه،و کما أنّ جبرئیل لا یشبه الناس فکذلک منکر و نکیر و فعلهما و الحیّات و العقارب فی القبر لیس من جنس حیّات عالمنا.فتدرک بمعنی آخر.

المقام الثانی:أن یتذکّر ما قد یراه النایم من صوره شخص هایل یضربه أو یقتله أو حیّه تلدغه و قد یتألّم بذلک حتّی تراه فی نومه یصیح و یعرق جبینه و ینزعج من مکانه کلّ ذلک یدرک من نفسه و یشاهده و یتأذّی به کما یتأذّی الیقظان و أنت تری ظاهره ساکنا و لا تری حوله شخصا و لا حیّه،و الحیّه موجوده فی حقّه متخیّله له و لا فرق بین أن یتخیّل عدوّا أو حیّه أو یشاهده.

المقام الثالث:أن تعلم أنّ منکرا و نکیرا و سایر أحوال القبر غایته الایلام و المولم فی حقّه لیس هو الشخص المشاهد و لا الحیّه بل ما حصل فیه من العذاب فالنفس العاصیه إذا فارقت البدن حملت القوّه المتخیّله معها و لم یتجرّد عن البدن منزّهه عن الهیئات البدنیّه و الأخلاق الردیئه المهلکه من الکبر و الریاء و الحسد و الحقد و الحرص و غیرها،و هی عند الموت عالمه بمفارقه البدن متوهّمه لنفسها الإنسان الّذی مات و علی صورته کما کان فی الرؤیا یتخیّل و یتوهّم بدنها مقبوره و یتخیّل الآلام الواصله إلیها عن کلّ خلق ردیء علی سبیل العقوبه الحسّیّه لها کما قرّرته الشریعه الصادقه،و انغرس فی الأذهان عنها علی صوره شخص منکر هائل الصوره یعنفه فی السؤال و یبهته بسوء

منظره و هول أصواته و يمتحنه فيتلجلج لسانه فيضربه و يعذّبه،و على مثال تتيّن يلدغه،و إن كانت النفس سعيده تخيّلت اللذّات الحاصله لها من كلّ خلق حسن و عمل صالح قدّمته فى صوره ملائمه فوق ما كانت يعتقده ممّا كان وصف لها من صور أشخاص بهيّه يدخل عليهم و يتلقّاهم بالبشاره كمبشّر و بشير و ساير الملائكه الّذين يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم و من فسحه القبر و الروح و الريحان و ساير ما وعد فيه.

فهذا عذاب القبر و ثوابه و إليه الإشاره بقول الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:القبر روضه من رياض الجنّه أو حفره من حفر النار.

فإن قلت:لم جعل أوّل داخل على الإنسان فى قبره سواء كان سعيدا أو شقيّا ملكين و لم يكن ثلاثه أو واحد مثلا.

قلت:قال بعض العلماء:إنّه لمّا كانت السعاده و الشقاوه الحاصلتين للنفس إنّما يحصل من جهه قوّتين نظريّه و عمليّه بهما جعل ما يكتسب عن كلّ واحده منهما ملكا.

فإن كان المكتسب جهلا مركّبا و رذائل أخلاق فمنكر و نكير و إن كان علما و مكارم فمبشّر و بشير.و اللّه أعلم بأسرار شريعته.

و اعلم أنّك متى تصوّرت معنى ثواب القبر و عذابه فى المقامات تصوّرت معنى ثواب الجنّه و عذاب النار .

الثالث عشر:

قوله لا فتره مزيحه و لا قوّه حاجزه .يجرى مجرى آيات الوعيد الناطقه بالتخليد،و هى مخصوصه بالكفّار الّذين لا مسكه لنفوسهم بعالم الملكوت و نحوه قوله تعالى «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» (۱)و أمّا أنّه ليس لهم قوّه حاجزه فلأنّ القوّه الحاجزه بينهم و بين العذاب مفقوده فى حقّهم و هى المسكه باللّه تعالى و محبّه الالتفات إلى عالم الغيب و الملأ الأعلى ،و أمّا عدم الموته الناجزه فلأنّ الإنسان غير قابل للفناء مرّه اخرى كما علم ذلك فى موضعه و أمّا سلب السنه عنهم إشاره إلى شدّه آلامهم و ما يلقونه من أليم العذاب لما أنّ الألم الشديد يستلزم عدم النوم فلا سلوه إذن بين حالات سكرات العذاب ، مجاز إطلاقا لذى الغايه على ما يصلح غايه له و إطلاق لفظ الموتات مجاز

ص:۲۶۶

۱- (۱) ۷۴-۴۳.

فى شدّه العذاب إطلاقا فذى الغايه على ما يصلح غايه له السجع المتوازى و قد لاحظ فى أكثر هذا الفصل السجع المتوازى و باللّه التوفيق.

الفصل الثانى

اشاره

قوله:

عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا وَ عُلِّمُوا فَفَهِمُوا- وَ أُنْظِرُوا فَلَهَوْا وَ سُلِّمُوا فَنَسُوا- أُمْهِلُوا طَوِيلًا وَ مُنِحُوا جَمِيلًا- وَ حُذِّرُوا أَلِيماً وَ وُعِدُوا جَسِيماً- احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَهَ وَ الْعُيُوبَ الْمُسْخِطَهَ- أُولِي الْأَبْصَارِ وَ الْأَسْمَاعِ وَ الْعَافِيَهِ وَ الْمَتَاعِ- هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ- أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ أَمْ لَا- «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ أَمْ بِمَا ذَا تَغْتَرُّونَ- وَ إِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَ الْعَرْضِ- قِيدُ قَدِّهِ مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ- الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَ الْخِنَاقُ مُهْمَلٌ وَ الرُّوحُ مُرْسَلٌ- فِي فَيْنَهِ الْإِرْشَادِ وَ رَاحَهِ الْأَجْسَادِ وَ بَاحَهِ الِاحْتِشَادِ- وَ مَهَلِ الْبَقِيَّهِ وَ أُنُفِ الْمَشِيَّهِ وَ إِنْظَارِ التَّوْبَهِ- وَ انْفِسَاحِ الْحَوْبَهِ قَبْلَ الضَّنْكِ وَ الْمَضِيقِ- وَ الرَّوْعِ وَ الزُّهُوقِ وَ قَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ- وَ إِخْذَهِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ

اللغه

أقول: ورّطته فى الأمر : خلّصته فيه .و المناص : الملجأ .و المحار : المرجع .

و أفكك : صرف .و قيد : قدّه مقدار قامته .و المعفر : المترب .و العفر : التراب .و الفينه :

ص:۲۶۷

الجبن .و أنف الشیء : أوّله .و الحوبه : الحاجه و المسکنه .و الضنک : الضیق .

و فی هذا

الفصل فوائد :

الاولی:

التنبیه و التقریع علی کفران جمله من نعم اللّه،فمنها أن عمّرهم فنعموا ، و علّمهم ففهموا ،و أنظرهم و سلّمهم من الآفات و أمهلهم طویلا ،و منحهم الجمیل ، و حذّرهم ألیم العذاب ،و وعدهم وعدا حسنا.و من کفرانهم لتلک النعمه أن اشتغلوا بلذّات الدنیا عن أوامره و لهوا عن الالتفات إلیه و نسوا ما ذکّرهم به و دعاهم إلیه .

الثانیه:

التحذیر من الذنوب المورّطهفی موارد الهلکه و أنواع العذاب ثمّ من العیوب المسخطه للّه و هی اکتساب رذائل الأخلاق .

الثالثه:

تنبیه اولی الأبصار و الأسماع و العافیه و المتاع فی الدنیا علی أنّه لا مناص:أی من أمر اللّه،و لا خلاص:أی من عذابه لمن حصل فیه ،و کذلک لا معاذ و لا ملاذ منه لمن استعدّ له .و لا فرار:أی من حکمه،و لا مرجع:أی بعد الموت.و إنّما خصّ اولی الأبصار و الأسماع و العافیه لکونهم أهل التکالیف التامّه، مجاز و العقول داخله فی إشارته إمّا بالإبصار و الإسماع مجازا أو فی العافیه، و إنّما خصّ اولی المتاع لأنّ أهل الاستمتاع بالدنیا هم المجذوبون عنها من جهه اشتغالهم بمتاعها عن سلوک سبیل اللّه، و هل استفهام عن الامور المذکوره علی سبیل الإنکار لها ثمّ استفهمهم عن وقت صرفهم، و عن مکان ذلک علی سبیل التقریع لهم،ثمّ عمّا یعتذرون به بعد لقاء اللّه فی ترک أو امره علی سبیل الإنکار للأعذار أیضا.و أم معادله لهل الاستفهامیّه .

الرابعه:التذکیر بأمر القبر و تعفیر الخدّ

فیه ممّا هو منفور عنه طبعا و فیه تنبیه علی وجوب الانتهاء عن الاستکثار من قینات الدنیا و جناتها لوجوب مفارقتها و أنّه لا نصیب للمجدّ فی تحصیلها منها إلاّ مقدار قامته و هو کنایه عن قبره .

الخامسه:التنبیه علی وقت العمل و الأحوال:

الّتی یمکنهم فیها. استعاره بالکنایه-استعاره مرشحه و کنّی ب الآن عن زمان الحیاه الدنیا،و ب الخناق عمّا تؤخذ به أعناق النفوس إلی بارئها و هو الموت کنایه بالمستعار،و وجه المشابهه کون کلّ واحد منهما مکروها یقاد به إلی مکروه و رشّح الاستعاره بذکر الإهمال،و کنّی به عن مدّه الإمهال فی الحیاه الدنیا و کذلک

أراد بإرسال الروح إهمالها،و يكون ذلك الإرسال فى فينه الارتياد :أى فى زمان ارتياد النفوس و طلبها لما تستعدّ به من الكمال للقاء اللّه،و روى الإرشاد:أى إرشاد النفوس إلى سبيل اللّه و جهه السعاده الأبديّه و كذلك مهل البقيّه :أى بقيّه الأعمار .

السادسه قوله:و انف المشيّه:

أى أوّل الإرادات للنفوس،و ذلك أنّه ينبغى أن يكون أوّل زمان الإنسان و أوائل ميول قلبه إلى طاعه اللّه و الانقياد لأوامره ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات المسعده فى الآخره واردا على لوح صاف عن كدر الباطل و أنّه متى عكس ذلك فجعل أوائل ميوله و إرادته لمعاصى اللّه تسوّد وجه نفسه بملكات السوء فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضاءه بنور الحقّ فكان من الأخسرين أعمالا .

السابعه:إنظار التوبه

إمهال اللّه العصاه لأجلها و لمّا كان غرض العنايه الإلهيّه سوق كلّ ناقص إلى كماله حسن أن يعبّر عن بقاء العاصى بأنّه إنظار للتوبه .

الثامنه:و انفساح الحوبه

اتّساع زمان العمل للحاجه فى الآخره.و الإضافه يكفى فيها أدنى ملابسه و ذلك أنّ كلّ حاجه فرضها الإنسان فى الدنيا فقد لا يكون فى محلّ الضروره،و الضيق الكلّى منها و إن كانت فى محلّ الضروره لكنّها فى مظنّه أن يرجى زوالها بخلاف الحاجه و الضروره فى الآخره إلى صالح الأعمال فإنّها لا يمكن زوالها بعد المفارقه و لا متّسع للعمل إلاّ فى الدنيا و كان أهلها منها فى أشدّ ضروره و أضيق حال و أقبح صوره ،و أشار بالضنک و الضيق إلى انحصار الإنسان فى أغلال الهيئات البدنيّه و سجن جهنّم،و بالروع و الزهوق إلى الفزع الأكبر من أهوال الموت و ما بعده .

التاسعه:

كنايه-استعاره مرشحه الغائب المنتظر كنايه عن الموت،و قدومه:هجومه،و لمّا استعار له لفظ الغائب مراعاه لشبهه بمسافر ينتظر رشّح تلک الاستعاره بلفظ القدوم .

العاشر:أخذه العزيز المقتدر

جذب الأرواح بحكم قدره اللّه العزيز الّذى لا يلحقه إذلال قاهر،المقتدر الّذى لا امتناع له لقدره قادر.و باللّه التوفيق.

۸۱-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

في ذكر عمرو بن العاص

عَجَباً؟لاِبْنِ النَّابِغَهِ؟ يَزْعُمُ لِأَهْلِ؟الشَّامِ؟ أَنَّ فِيَّ دُعَابَهً- وَ أَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَهٌ

ص:۲۶۹

أَعَافِسُ وَ أُمَارِسُ- لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِماً- أَمَا وَ شَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ- وَ يَسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَ يُسْأَلُ فَيَبْخَلُ وَ يَخُونُ الْعَهْدَ وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ- فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَ آمِرٍ هُوَ- مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا- فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَرْمَ سَبَّتَهُ- أَمَا وَ اللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ- وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَهِ- إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ؟مُعَاوِيَهَ؟ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّهً- وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَهً

اللغه

أقول: نبغ الشیء : ظهر و سمیّت امّ عمرو النابغه لشهرتها بالفجور و تظاهرها به .و الدعابه : المزاح .و التلعابه : کثیرا للعب و التاء للمبالغه .و المعافسه : المداعبه .

و الممارسه : المعالجه بالمصارعه و القرص و نحوه .و الإلّ : القرابه .و سبّته : سوءته .

و الأتیّه : العطیّه و الوزن واحد و کذلک الرضیخه .

و اعلم أنّ فی هذا الفصل ثلاثه فصول :

الأوّل ذکر دعوی عمرو فی حقّه علیه السّلام

من کونه لعّابا مزّاحا یکثر المعالجه بالمصارعه و ذکر هذه الدعوی مصدّره بالتعجّب من صدورها فی حقّه مختومه بالکذب لمدعیها و الرد لمقاله و ذلک قوله: عجبا إلی قوله:و نطق آثما و باطلا وصف للمصدر، و آثما حال و إنّما کنّی عنه بامّه لأنّ من عاده العرب النسبه إلی الامّ إذا کانت مشهوره بشرف أو خسّه و نحوها.

و اعلم أنّه علیه السّلام قد کان یصدر عنه المزاح بالقدر المعتدل الّذی لا یخرج به إلی حدّ رذیله الإفراط فیه فمن ذلک ما روی أنّه کان جالسا یوما علی رباوه من الأرض و کان أبو هریره جالسا معه و أخذ منه لفته و حذفه بنواه فالتفت إلیه أبو هریره فتبسّم علیه السّلام

فقال أبو هريره:هذا الّذى أخّرك عن الناس،و قد علمت أنّ ذلك من توابع حسن الخلق و لين الجانب فهو إذن فضيله و ليس برذيله و المدّعى لعمرو إنّما هو عبوره فى ذلك إلى حدّ الإفراط الّذى يصدق عليه أنّه لعب و هزل،و روى أنّه كان يقول لأهل الشام:

إنّا إنّما أخّرنا عليّا لأنّ فيه هزلا لا جدّ معه و نحوه ما كان يقوله أبوه العاص لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم إنّه لساحر و من أشبه أباه فما ظلم و تكذيبه عليه السّلام لعمرو إنّما هو فيما ادّعاه من الخروج إلى اللعب و أمّا أصل المزاح فلم ينكره و كيف و قد كان يصدر عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم كما صروى أنّه قال يوما لعجوز:إنّ العجايز لا يدخلن الجنّه فبكت فتبسّم و قال إنّ اللّه يجعلهنّ شوابّ ثمّ يدخلهنّ الجنّه و أهل الجنّه شباب جرد مرد و إنّ الحسن و الحسين عليهما السّلام سيّدى شباب أهل الجنّه.و كان يقول:أمزح و لا أقول إلاّ حقّا .

الثانى:قوله:أمّا و شرّ القول إلى قوله سبّته

و يشتمل على ذكر ما اجتمع فى هذا المدّعى من الرذائل الّتى توجب فسقه و سقوط دعواه لقوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا» (۱)الآيه و ذكر من تلك الرذائل خمسا.

الاولى:الكذب و ظاهر كونه شرّ القول و أنّه مفسده مطلقه فى الدين و الدنيا أمّا الدين فللمنقول و المعقول أمّا المنقول فقول الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم الكذب رأس النفاق،و أمّا المعقول فلأنّ الوجدان شاهد بأنّ الكذب ممّا يسوّد لوح النفس و يمنعه أن ينتقش بصور الحقّ و الصدق و يفسد المنامات و الإلهامات،و أمّا الدنيا فلأنّه سبب عظيم لخراب البلاد و قتل النفوس و سفك الدماء و أنواع الظلم و لذلك اتّفق أهل العالم من أرباب الملل و غيرهم على تحريمه و ادّعى المعتزله قبحه بالضروره و هو رذيله مقابله للصدق داخله تحت رذيله الفجور.

الثانيه :الخلف فى الوعد.

الثالثه :الغدر فى العهد و خيانته و هما رذيلتان مقابلتان للوفاء داخلتان تحت رذيله الفجور أيضا و الغدر يستلزم رذيله الخبث و هو طرف الإفراط من فضيله الذكاء و هما يستلزمان الكذب أيضا.

ص:۲۷۱

۱- (۱) ۶-۴۹

الرابعه :قطع الرحم و هی رذیله الإفراط من فضیله صله الرحم و حقیقتها عدم مشارکه ذوی اللحمه فی الخیرات الدنیویّه و هی رذیله تحت الظلم مستلزمه للبخل.

الخامسه :رذیله الجبن و هی طرف التفریط من فضیله الشجاعه و نبّه علیها بقوله:

فإذا کان عند الحرب فأیّ زاجر و آمر هو إلی قوله:سبّته ،و فیه تنبیه علی دناءه همّته و مهانه نفسه إذ کان علیّ الهمّه شهم النفس لا یفرّ من قراع الأقران إلی التخلّص من الموت بأقبح فعل یکون من کشف سوءته و بقاء ذلک سبّه فی عقبه علی مرور الدهور.و الدناء و المهانه رذیلتان تحت الجبن.

استفهام علی سبیل التعجّب و قوله: فأیّ زاجر و آمر.

هو استفهام علی سبیل التعجّب و المبالغه فی أمره و نهیه و ذکره فی معرض الذمّ هنا و إن کان من الممادح لغرض أن یردفه برذیلته لیکون ذلک خارجا مخرج الاستهزاء فیکون أبلغ وقعا فی النفوس و أشدّ عارا علیه إذ کان الأمر و النهی فی الحرب إنّما یحسن ممّن یشتهر بالشجاعه و الإقدام لا ممّن یأمر و ینهی فإذا اشتدّ القتال فرّ فرار الحمار من السبع و اجتهد فی البقاء و لو بأقبح مذمّه فإنّ عدم الأمر و النهی و الخمول بمثل هذا ألیق و أولی من وجودها و کأنّ أبا الطیّب حکی صوره حاله إذ قال.

و إذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده و النزالا

و أمّا صوره هذه الرذیله منه فروی أنّ علیّا علیه السّلام حمل علیه فی بعض أیّام صفّین فلمّا تصوّر أنّه قاتله ألقی نفسه عن فرسه و کشف سوءته مواجها له علیه السّلام فلمّا رأی ذلک منه غضّ بصره عنه و انصرف عمرو مکشوف العوره و نجا بذلک فصار مثلا لمن یدفع عن نفسه مکروها بارتکاب المذلّه و العار،و فیه یقول أبو فراس.

و لا خیر فی دفع الأذی بمذلّه کما ردّها یوما بسوءته عمرو

و روی مثل ذلک لبسر بن أرطاه معه فإنّه علیه السّلام حمل علی بسر فسقط بسر علی قفاه و رفع رجلیه فانکشفت عورته فصرف علیه السّلام وجهه عنه فلمّا قام سقطت البیضه عن رأسه فصاح أصحابه یا أمیر المؤمنین إنّه بسر بن أرطاه فقال:ذروه-لعنه اللّه-فلقد کان معاویه.

أولی بذلک منه.فضحک معاویه و قال:لا علیک یا بسر ارفع طرفک و لا تستحی فلک بعمرو

اسوه،و قد أراك اللّه منه و أراه منك.فصاح فتى من أهل الكوفه:ويلكم يا أهل الشام أما تستحيون لقد علّمكم عمرو كشف الأستار ثمّ أنشد:

أ فى كلّ يوم فارس ذو كريهه له عوره وسط العجاجه باديه

يكفّ لها عنه علىّ سنانه و يضحك منها فى الخلاء معاويه

بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه و عوره بسر مثلها حذو حاذبه

فقولا لعمرو و ابن أرطاه ابصرا نشدتكما لا تلقيا الليث تاليه

و لا تحمدا إلاّ الحيا و خصا كما هما كانتا و اللّه للنفس واقيه

و لو لا هما لم تنجوا من سنانه تلك بما فيها عن العود ناهيه

و كان بسر ممّن يضحك من عمرو فصار ضحكه له

الثالث:بيان وجه فساد مدّعى عمرو فى حقّه

و هو مستند المنع و ذكر وجهين:

أحدهما:يرجع إليه و هو أنّه عليه السّلام دائم الذكر للموت و التفكّر فى أحوال المعاد و الوجدان شاهد بأنّ المستكثر من إخطار الموت عليه يكون أبدا قصير الأمل و جلا من اللّه مترصّدا لهجوم الموت عليه مشغولا بذلك عن الالتفات إلى حظّ الشهوات من اللعب و نحوه فكيف يتصوّر اللعب ممّن هذه حاله.

الثانى :يرجع إلى حال عمرو و هو أنّه ممّن نسى الآخره،و ظاهر أنّ نسيانها مستلزم للكذب و ساير وجوه خداع أبناء الدنيا من المكر و الحيله و ما لا ينبغى من مناهى اللّه،و من كانت هذه حاله كيف يوثق بقوله،ثمّ نبّه بقوله : و لم يبايع معاويه.

إلى آخره على بعض لوازم نسيان الآخره،و هو أخذه لبيعته و قتاله مع الإمام الحقّ الّذى يخرج به عن ربقه الدين عوضا و ثمنا.و تلك العطيّه هى مصر كما سبقت الإشاره اليه.و باللّه العصمه و التوفيق.

۸۲-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

وَ أَشْهَدُ أَنْ «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ- الْأَوَّلُ لاَ شَيْءَ قَبْلَهُ وَ الْآخِرُ

لَا غَايَهَ لَهُ- لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِ‍فَهٍ- وَ لَا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّهٍ- وَ لَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَهُ وَ التَّبْعِيضُ- وَ لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَ الْقُلُوبُ

أقول:هذا الفصل يشتمل على إثبات ثمانى صفات من صفات الجلال :

الاولى الوحدانيّه مؤكّده بنفى الشركاء

و ذلك قوله: لا شريك له .و قد أشرنا إلى معقد البرهان العقلىّ على الوحدانيّه،و لمّا لم تكن هذه المسأله ممّا يتوقّف إثبات النبوّه عليها جاز الاستدلال فيها بالسمع كقوله تعالى «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَهٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا» (۱)و قوله «وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِ‍دٌ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ » .

الثانيه:

إثبات كونه أوّلا غير مسبوق بالغير .

الثالثه:إثبات كونه آخرا غير منته وجوده إلى غايه يقف عندها.

و قد سبق البحث عنهما مستقصى و نفى قبليّه شىء له و الغايه عنه تأكيدان .

الرابعه:من السلوب أنّه لا تلحقه الأوهام فيقع منه على صفه.

و قد علمت فيما سبق أنّ الأوهام لا يصدق حكمها إلاّ فيما كان محسوسا أو متعلّقا بمحسوس فأمّا الامور المجرّده من علايق المادّه و الوضع فالوهم ينكر وجودها أصلا فضلا أن يصدّق فى إثبات صفه لها و إنّما الحاكم بإثبات صفه له العقل الصرف،و قد علمت أنّ ما يثبته منها ليست حقيقه خارجيّه بل امورا اعتباريّه محدثها عقولنا عند مقايسته إلى الغير،و لا يفهم من هذا أنّه أثبت له صفه بل معناه أنّ الأوهام لا يصدق حكمها فى وصفه تعالى .

الخامسه:كونه تعالى لا يعقل له كيفيّه يكون عليها

،و بيان ذلك ببيان معنى الكيفيّه فنقول:إنّها عباره عن هيئه قارّه فى المحلّ لا يوجب اعتبار وجودها قسمه و لا نسبه،و لمّا بيّنا أنّه تعالى ليس له صفه تزيد على ذاته و هى محلّ لها استحال أن يعقد القلوب منه على كيفيّه .

السادسه:كونه تعالى لا تناله التجزيه و التبعيض

،و هو إشاره إلى نفى الكميّه عنه إذ كانت التجزيه و التبعيض من لواحقها و قد علمت أنّ الكمّ من لواحق الجسم

۱- ۱) ۲۱-۲۲

و البـارى تعـالى ليس بجسم و ليس بكمّ فليس بقابل للتبعيض و التجزيه و لأنّ كلّ قابل لهما منفعل من غيره و المنفعل عن الغير ممكن على ما مرّ .

السابعه:كونه تعالى لا تحيط به الأبصار

و هو كقوله تعالى «لاـ تُـدْرِكُهُ الْأَبْصـارُ» و هـذه المسأله ممّـا اختلف فيهـا علماء الإسـلام و قـد سـبق فيها الكلام.و خلاصـته:أنّ المـدرك بحـاسّه البصـر بالـذّات إنّمـا هو الألـوان و الأضواء و بالعرض المتلوّن و المضـىء و لمّا كان اللون و الضوء من خواصّ الجسم و كان تعالى منزّها عن الجسميّه و لواحقها وجب كونه منزّها عن الإدراك بحاسّه البصر.

الثامنه:كونه تعالى لا يحيط به القلوب

،و المراد أنّ العقول البشريّه قاصره عن الإحاطه بكنه ذاته المقدّسه و قد سبق تقرير ذلك.و باللّه التوفيق.

القسم الثانى

اشاره

و منهـا فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ- وَ اعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ- وَ ازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ- وَ انْتَفِعُوا بِالـذِّكْرِ وَ الْمَوَاعِظِ- فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَـالِبُ الْمَنِيَّهِ- وَ انْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلاَـئِقُ الْأُمْنِيَّهِ- وَ دَهِمَتْكُمْ مُفْظِعَـاتُ الْـأُمُورِ وَ السِّيَـاقَهُ إِلَى «الْـوِرْدُ الْمَوْرُودُ» - فَ «كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ» - سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَ شَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا

اللغه

أقول: الآى : جمع آيه .و الساطع : المرتفع .و النذر : جمع نذير .و مفظعات الامور : شدايدها .و الورد : المورد .

المعنى

و فى هذا الفصل فوائد :

الاولى:

مجاز إطلاقا لاسم الحال على المحلّ الأمر بالأتّعاظ بالعبر النوافع ،و اسم العبره حقيقه فى الاعتبار،و قد يطلق مجازا فيما يعتبر به،و يحتمل أن يراد هاهنا إطلاقا لاسم الحال على المحلّ و للاتّعاظ سـبب و حقيقه و ثمره أمّا سـببه فالنظر فى آثار الماضـين و تـدبّر قصصهم و تصريف قضاء اللّه و قدرته لأحوالهم و هو الاعتبار،و أمّا حقيقته فالخوف الحاصل فى نفس المعتبر من اعتباره و تأثّره عن أن يلحقه ما لحقهم إذ هو مثلهم و أولى بما لحقهم،و أمّا ثمرته

فالانزجار عن مناهی اللّه و إجابه داعیه و الانقیاد لسلوک سبیله .

الثانیه:

استعاره الأمر بالاعتبار بالآی السواطع و هو إرداف للأمر بالاتّعاظ بالأمر بسببه و أراد بالآی آیات آثار اللّه و عجایب مصنوعاته أو آیات القرآن المعذره و المنذره، و استعار لها لفظ السطوع،و وجه المشابهه ظهور إشراق أنوار الحقّ منها علی مرایا قلوب عباد اللّه کإشراق نور الصبح و سطوعه و هو استعاره لفظ المحسوس للمعقول و اعتباره بها انتقال ذهنه فیها فی مقام النظر و الاستدلال کما سلف بیانه .

الثالثه:الأمر بالازدجار بالنذر البوالغ

و هو أمر بفایده الاتّعاظ و النذر هی زواجر اللّه و وعیداته البالغه حدّ الکمال فی التخویف و الزجر عند اعتبارها .

الرابعه:الأمر بالانتفاع بالذکر و المواعظ

.و هو أمر بتحصیل ثمره الذکر و الموعظه عنهما،و ختم هذه الأمر بذکر الانتفاع ترغیبا و جذبا للنفوس إلی الذکر و قبول المواعظ .

الخامسه:

التخویف و التذکیر بالموت و ما یتبعه لیبادروا إلی امتثال أوامره السابقه استعاره بالکنایه-استعاره مرشحه فقوله. فکأن قد علقتکم مخالب المنیّه .استعار لفظ المخالب للمنیّه استعاره بالکنایه و رشّح بذکر العلوق ملاحظا فی ذلک تشبیه المنیّه بالسبع الّذی یهجم و یتوقّع إفراسه و کأن مخفّفه من کأنّ و اسمها ضمیر الشأن،و یحتمل أن یکون الناصبه للفعل دخلت علیها کاف التشبیه.

و قوله:و انقطعت عنکم علایق الامنیّه .

و قوله: و انقطعت عنکم علایق الامنیّه.

إشاره إلی ما ینقطع عن المیّت بانقطاع أمله من مال و جاه و سایر ما کان یتعلّق به آماله من علایق الدنیا و متاعها.

و قوله:و دهمتکم مفظعات الامور .

و قوله: و دهمتکم مفظعات الامور.

إشاره إلی ما یهجم علی المیّت من سکرات الموت و ما یتبعها من عذاب القبر و أهوال الآخره.

و قوله:و السیاقه إلی الورد المورود .

و قوله: و السیاقه إلی الورد المورود.

فالسیاقه هی السوقه المتعبه الّتی سلف ذکرها،و الورد المورود هو المحشر.

ص:۲۷۶

و قوله:و كلّ نفس معها سائق و شهيد .

اقتباس و قوله: و كلّ نفس معها سائق و شهيد.

اقتباس للآيه «وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ » فالسائق الّذى يسوقها إلى المحشر هو حكم القضاء الإلهى و أسباب الموت القريبه الحاكمه على النفس برجوعها إلى معادها فإن كانت من أهل الشقاوه فيا لها من سوقه متعبه و جزيه مزعجه «وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ» الآيات،و إن كانت من أهل السعاده ساقها سايق رؤوف سوقا لطيفا «وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّهُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» «وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّهِ زُمَراً حَتّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ» و أمّا الشاهد عليها[بعملها]فقد سبقت الإشاره إليه.و باللّه التوفيق.

القسم الثالث و منها فى صفه الجنه:

اشاره

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ وَ مَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ- لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَ لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا- وَ لاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا وَ لاَ يَبْأَسُ سَاكِنُهَا

المعنى

أقول:اعلم أنّ ألذّ ثمار الجنّه هى المعارف الإلهيّه بالنظر إلى وجه اللّه ذى الجلال و الإكرام.و السعداء فى الوصول إلى نيل هذه الثمره على مراتب متفاوته و درجات متفاضله.فالاولى:مرتبه من اوتى الكمال فى حدس القوّه النظريّه حتّى استغنى عن معلّم بشرىّ رأسا و اوتى مع ذلك ثبات قوّته المتفكّره و استقامه وهمه منقادا تحت قلم العقل فلا يلتفت إلى العالم المحسوس بما فيه حتّى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الأحوال و يستثبتها فى اليقظه فيصير العالم و ما يجرى فيه متمثّلا فى نفسه فيكون لقوّته النفسانيّه أن يؤثّر فى عالم الطبيعه حتّى ينتهى إلى درجه النفوس السماويّه،و تلك هى النفوس القدسيّه اولات المعارج و هم «السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» ،و هم أفضل النوع البشرىّ و أحقّه بأعلى درجات السعاده فى الجنّه.

المرتبه الثانيه مرتبه من له الأمر ان الأوّلان دون الثالث أعنى التأثير فى عالم الطبيعه،و هذه مرتبه أصحاب اليمين و تحتها مراتب.

فأحدها:مرتبه من له استعداد طبيعىّ لاستكمال قوّته النظريّه دون العمليّه الثانيه:من اكتسب ذلك الاستكمال فى قوّته النظريّه اكتسابا تكليفيّا دون تهيّؤ طبيعىّ و لا حصّه له فى أمر القوّه العمليّه.

الثالثه:مرتبه من ليس له تهيّؤ طبيعىّ و لا اكتساب تكليفى فى قوّته النظريّه و له ذلك التهيّؤ فى القوّه العمليّه.

الرابعه:مرتبه من له تكلّف فى إصلاح الأخلاق و اكتساب الملكات الفاضله دون تهيّؤ طبيعىّ لذلك.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ للمقرّبين البالغين فى الملكات الشريفه لذّات عظيمه فى الجنّه قد فازوا بنعيم الأبد و السرور الدائم فى حضره جلال ربّ العالمين «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» غير مخرجين عن لذّاتهم لهم «فِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ» و هم «فِيها خالِدُونَ» كما قال عليه السّلام: لا يظعن مقيمها .جرد عن عوارض الأبدان و شوائب الموادّ مرد عن مزاحمه القوى المتغالبه المتجاذبه المؤدّيه إلى الهرم و الموت مكحّلين بالأنوار الساطعه ينظرون إلى ربّهم بوجوههم المفارقه،وَ أَمّا «أَصْحابِ الْيَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ» و لهم لذّات دون الوصول إلى مرتبه السابقين،و قد يخالط لذّات هؤلاء شوب من لذّات المقرّبين كما اشير إليه فى التنزيل الإلهىّ فى وصف شراب الأبرار« «وَ مِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» و لكلّ من المراتب كمال يخصّه و درجات من السعاده فى الجنّه تخصّه كما قال«ل «هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللّهِ» »و قال« «يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ» »و قال« «لَهُمْ غُرَفٌ» مبنيّه «مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ» «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» ».

و إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى المتن فنقول:أمّا قوله : لا ينقطع نعيمها فلقوله تعالى «وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّهِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» و قوله «إِنَّ هذا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ» و لأنّ الكمال الّذى حصل للإنسان فاستحقّ به سعاده فى الجنّه ملكات ثابته فى جوهره لا تزول

و لا تتغيّر و مهما دام الاستحقاق القابل لجود اللّه و نعمته وجب دوام ذلك الجود و فيض تلك النعمه إذ هو الجواد المطلق الّذى لا بخل من جهته و لا منع .

و أمّا قوله: و لا يظعن مقيمها فلقوله تعالى «لَهُمْ جَنّاتُ النَّعِيمِ» ... «خالِدِينَ فِيها أَبَداً» و قوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خالِدِينَ فِيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً» و لأنّ النعيم الأبدىّ مطلوب بالذات غير ممنوع منه فلا يكون مهروبا عنه بالذات .

و أمّا قوله: و لا يهرم خالدها و لا ييأس ساكنها :أى لا يصيبه بؤس فلأنّ الهرم مستلزم للتعب و النصب و كذلك البؤس عن الضعف،و هذه اللوازم منفيّه عن أهل الجنّه لقوله تعالى «وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ اَلَّذِى أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَهِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ» و بانتفاء هذه اللوازم ينتفى عنهم ملزومها و هو الهرم.و باللّه التوفيق.

٨٣–و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و فيها فصول:

الأوّل:

اشاره

قوله:

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ وَ خَبَرَ الضَّمَائِرَ- لَهُ الْإِحَاطَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَ الْغَلَبَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ- وَ الْقُوَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

و هذا الفصل يشتمل على بعض أوصاف الحقّ سبحانه:

الأوّل :كونه عالما بالسرائرو هو كقوله تعالى «يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ» .

الثانى :كونه خبيرا بالضماير.و هو قريب من المرادف للعالم بالسراير فإنّ الخبير هو الّذى لا يعزب عنه الأخبار الباطنه و لا تضطرب نفس و لا تسكن إلّا و يكون عنده خبرها و ذلك بعينه هو العالم مضافا إلى السرائر و الخفايا الباطنه و إن كان مطلق العلم أعمّ.

الثالث :كونه محيطا بكلّ شيء.و هو إشاره إلى علمه بكلّيّات الأشياء و جزئيّاتها،

و علیه اتّفاق جمهور المتکلّمین و الحکماء:أمّا المتکلّمون فظاهر،و أمّا المحقّقون من الحکماء فملخّص کلامهم إجمالا-فی کیفیّه علمه تعالی أنّه یعلم ذاته بذاته و یتّحد هناک المدرک و المدرک و الإدراک و لا یتعدّد إلاّ بحسب الاعتبارات العقلیّه الّتی تحدثها العقول البشریّه.و أمّا معلولاته القریبه منه فیکون بأعیان ذواتها و یتّحد هناک المدرک و الإدراک و لا یتعدّدان إلاّ باعتبار عقلیّ و یغایرهما المدرک،و أمّا معلولاته البعیده کالمادیّات و المعدومات الّتی من شأنها إمکان أن توجد فی وقت أو یتعلّق بموجود فیکون بارتسام صورها المعقوله من المعلولات القریبه الّتی هی المدرکات لها أوّلا و بالذات و کذلک إلی أن ینتهی إلی إدراک المحسوسات بارتسامها فی آلات مدرکاتها.قالوا:و ذلک لأنّ الموجود فی الحاضر حاضر و المدرک للحاضر مدرک لما یحضر معه فإذن لا یعزب عن علمه «مِثْقالُ ذَرَّهٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرُ» لکون ذوات معلولاته القریبه مرتسمه بجمیع الصور و هی الّتی یعبّر عنها تاره بالکتاب المبین و تاره باللوح المحفوظ و تسمّی عندهم عقولا فعّاله.

الرابع :کونه تعالی غالبا لکلّ شیء.

الخامس :کونه قویّا علی کلّ شیء،و هما إشارتان إلی وصف قدرته تعالی بالتمام علی کلّ مقدور فإنّ القوّه علیها و الغلبه لها من تمام القدره و یفهم من الغالب زیاده علی القویّ و یعود إلی معنی القاهر.و قد سبق بیانه،و أمّا بیان صدق هاتین لقضیّتین فببیان أنّه تعالی مبدء کلّ موجود و أنّ کلّ ممکن مفتقر فی سلسله الحاجه إلیه،و قد فرغ من ذلک فی الکتب الکلامیّه.

الفصل الثانی

اشاره

قوله:

فَلْیَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْکُمْ فِی أَیَّام مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ- وَ فِی فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ- وَ فِی مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ یُؤْخَذَ بِکَظَمِهِ- وَ لْیُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَ قَدَمِهِ وَ لْیَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ- فَاللَّهَ اللَّهَ أَیُّهَا النَّاسُ فِیمَا اسْتَحْفَظَکُمْ مِنْ کِتَابِهِ-

وَ اسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى- وَ لَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَ لاَ عَمًى قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ- وَ عَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَ كَتَبَ آجَالَكُمْ- وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ «تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ» - وَ عَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ- فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ- وَ أَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهَهُ- وَ نَوَاهِيَهُ وَ أَوَامِرَهُ وَ أَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ- وَ اتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ وَ قَدَّمَ «إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ» - وَ أَنْذَرَكُمْ «بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ» فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ وَ اصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ- فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ- وَ التَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ وَ لاَ تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ- فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ- وَ لاَ تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الْإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ- عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ- وَ إِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ- وَ الْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ وَ الْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ- وَ السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ- وَ الشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ- وَ مُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ وَ مَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ- جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ- الصَّادِقُ عَلَى شَرَفِ مَنْجَاةٍ وَ كَرَامَةٍ- وَ الْكَاذِبُ عَلَى شَرَفِ مَهْوَاةٍ وَ مَهَانَةٍ- وَ لاَ تَحَاسَدُوا-

فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ- وَ لاَ تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَهُ- وَ اعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ- وَ يُنْسِي الذِّكْرَ فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ- فَإِنَّهُ غُرُورٌ وَ صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ

المعنى

اشاره

أقول:الفصل إلى آخره شروع فى الموعظه و المشوره،و لمّا قدّم الإشعار بأنّ اللّه تعالى عالم بما فى الصدور غالب على كلّ مقدور أمرهم بعده بالعمل و أراد الأعمال الصالحه المطلوبه بالتكاليف الشرعيّه و أن يجعلوها مهادا لثبات أقدامهم على الصراط المستقيم المأمور بسلوكه ثمّ تلطّف بالجذب إلى العمل بتذكيرهم بأنّهم فى أيّام مهله و فراغ و متنفّس خناق يمكنهم فيه العمل و أنّ الّذى يعملونه من الصالحات هو زاد لهم فى سفرهم إلى اللّه و إلى دار إقامتهم و أنّ وراء هذه المهله إدراك أجل بعده شغل بأهوال الآخره كنايه و أخذ بالكظم ، و كنّى به عن عدم التمكّن من العمل إذ لم تكن الآخره دار عمل ثمّ أبّه بالناس و حذّرهم ربّهم أن يخالفوا فيما أمرهم بحفظه و هو كتابه،و عنى بحفظه تدبّر ما فيه و المحافظه على العمل بأوامره و نواهيه و هى حقوقه الّتى استودعهم إيّاها ثمّ علّل ذلك بتنبيههم على أنّ اللّه تعالى لم يخلقهم عبثا خاليا عن وجه الحكمه بل خلقهم ليستكملوا الفضايل النفسانيّه بواسطه الآلات البدنيّه و لم يجعلهم فى وجودهم مهملين بل ضبط آثارهم و أعمالهم و كتب آجالهم فى كتابه المبين و ألواحه المحفوظه إلى يوم الدين و نظم وجودهم برسول كريم عمّره فيهم و كتاب أوضح لهم فيه السبيل الّتى لسلوكها خلقهم و أكمل لهم و لنبيّه دينهم الّذى ارتضى لهم و ما أهّلهم له من الكمالات المسعده فى الآخره كما قال تعالى «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً » (1)هو بلّغهم على لسانه ما أحبّ لهم من الخيرات الباقيه و كرّهه لهم عن الشرور المشقيه فى الآخره كما اشتملت عليه أوامره و نواهيه و أبان لهم فيه الأعذار و أوضح فيه الحجج و شحنه بالوعيد و النذر استعاره بالكنايه بين يدى عذاب شديد ،و استعار لفظ اليدين للعذاب و كنّى ببين يديه عن

۱- ۱) ۵-۵

الوقت المتقدّم على عذاب الآخره المشارف له،و وجه المشابهه أنّ الإنذار بالمخوف يكون من ذى سطوه و بأس شديد فكأنّه نزّل العذاب الشديد بمنزله المعذّب فاستعار له يدين و جعل الإنذار و التخويف منه متقدّما له بين يديه و ذلك من الجواذب اللطيفه ،ثمّ عاد إلى أمرهم باستدراك بقيّه أوقاتهم فى الدنيا و أن يصبّروا لها أنفسهم:أى يلزموا أنفسهم فيها الصبر على الأعمال الصالحه،و فى لفظ الاستدراک إشعار بتقديم تفريط منهم فى جنب اللّه و لذلک قال : فإنّها قليل فى كثير الأيّام الّتى تكون منكم فيها الغفله و التشاغل عن الموعظه .و إنّما قال:لها.لأنّ كلّ وقت يستحقّ أن يوقع فيه ما ينبغى من الأفعال فصدق عليها أنّ ذلک الفعل لها .

قوله:و لا ترخّصوا لأنفسكم.إلى قوله:المعصيهالمصيبه خ.

قوله: و لا ترخّصوا لأنفسكم.إلى قوله:المعصيه[المصيبه خ].

أقول:ليس المقصود بالرخصه هنا الرخصه الشرعيّه بل ما يتساهل الإنسان فيه مع نفسه من تنويع المآكل و المشارب و المناكح و الخروج فيها إلى ما لا ينبغى فى نفس الأمر و يتأوّل له تأويلا و حيله يخيّل أنّها جايزه فى الشريعه و يروّج بها اتّباعه لهواه،و نحوه الاجتماع فى السماع لغير أهله،و حضور مجالس الفسّاق،و معاشره الظالمين.و الضابط الكلّى فى هذا الباب هو توسّع الإنسان فى الامور المباحه و استيفاؤه حدّه فإنّه من فعل ذلک شارف المكروه ثمّ ربما لحظ أنّه لا عقاب فى فعله فقادته شهوته إلى فعله فاستوفى حدّه فشارف المحظور،و ذلک أنّ العقل إذا أطاع النفس الأمّاره بالسوء فيما تأمر به مرّه و مرّه لم يبق له نفار عمّا تقوده إليه لوقوع الانس به.و ظاهر أنّ ارتكاب بعض مأموراتها يجرّ إلى ارتكاب بعض فيؤدّى ذلک إلى تجاوز الحدود الشرعيّه و عبورها إلى الوقوع فى حبائل الشيطان و التهوّر فى المحظورات الّتى هى مهاوى الهلاک،و لذلک ما ورد فى الخبر:

من رتع حول الحمى أو شک أن يقع فيه و قد شبّه العارفون القلب بالحصن و الشيطان بعدّ و يريد أن يدخله و لم يمكن دفع ذلک العدوّ و التحفّظ منه إلّا بضبط أبواب ذلک الحصن الّتى منها الدخول إليه و حراستها و هى أبواب كثيره كساير المحرّمات و مساهله النفس فى التوسّع فى المباحات و الدخول فى الامور المشتبهه من أعظم تلک الأبواب و دخول الشيطان منه أسهل و هو عليه أقدر و لذلک قال عليه السّلام : فتذهب بكم الرخص فيها مذاهب

الظلمه،و لا ـ تـداهنوا فيهجم بكم الإدهـان على المعصـيه[المصـيبه خ] .و مـذاهب الظلمه مسالكهـا و طرقهـا العادله من العـدول،و روى:أنّ إبليس ظهر ليحيى بن ذكريّا عليه السّـلام فرأى عليه معـاليق كلّ شـىء فقال له:يا إبليس ما هـذه المعاليق؟قال:هـذه هى الشـهوات الّتى اصـيب بهنّ قلوب بنى آدم فقال:هل بى فيها شىء؟قال:نعم ربّما شبعت فشغلناك عن الصلاه و عن الذكر قال:هل غير ذلك؟قال:لا قال:للّه علىّ أن لا أملأ بطنى من طعام أبـدا فقال إبليس:للّه علىّ أن لا أنصـح مسـلما أبـدا . و لا تـداهنوا :أى لا تسالموا الظلمه و تساهلوا معهم فى السكوت عما ترونه من منكراتهم فيهجم بكم الإدهان على المعصيه:

أى إذا آنستم بمشاهده المعاصى و ألفتم تكرارها كنتم بذلك عصاه و ربّما ساقكم ذلك إلى فعل المنكر و مشاركتهم فيه .

و قوله:عباد اللّه.إلى آخره إخبارات فى معنى الأوامر و النواهى

و قوله: عبـاد اللّه .إلى آخره إخبارات فى معنى الأوامر و النواهى و أوامر و نواهى صـريحه مشـتمله على جواذب إلى طاعه اللّه و لزوم دينه .

فالأوّل:قوله:إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه

،و بيانه أنّه لمّا كان غرض الناصح إنّما هو جلب الخير و المنفعه إلى المنصوح،و كان أجّل خير و منفعه هو السعاده الباقيه الأبديّه و مشاهده الحضـره الربوبيّه،و كانت تلك السـعاده إنّما تنال بطاعه اللّه تعالى فكلّ من كانت طاعته للّه أتمّ فكان هو أنصح الناس لنفسه بمبالغته فى طاعته .

الثانى:قوله:و إنّ أغشّهم لنفسه أعصاهم لربّه

.و هو ظاهر ممّا قرّرناه فإنّه لمّا كانت غايه الغشّ إنّما هو جلب الشرّ و المضرّه إلى المغشوش،و كان أعظم شرّ و ضرر يلحق العبد هو الشقاوه الأبديّه فى قرار الجحيم،و كانت تلك إنّما يحصل الإنسان عليها بمعصيه اللّه تعالى فكلّ من كانت معصيته أتمّ كانت شقاوته أتمّ فكانت هو أغشّ الناس لنفسه بمبالغته فى معصيته.و حاصل القضيّه الاولى الأمر بالطاعه أتمّ ما يمكن و الثانيه النهى عن المعصيه أتمّ ما يمكن.و رغّب فى الطاعات بذكر نصيحه النفس لما أنّ النصيحه محبوبه و نفّر عن المعصيه بذكر غشها .

الثالث:قوله:و المغبون من غبن نفسه

.و المراد من غبنها بالمعصـيه المسـتلزمه لدخول النار فكأنّ الإنسان بمتابعه شـيطانه خادع لنفسه،و قد بخسها ما تستحقّه من ثواب اللّه،

و لمّا کانت السعاده الاخرویّه أعظم ما یتنافس فیه لا جرم کان أعظم مغبون من لم یفز بها فلذلک حصر المغبون فیه علی طریق المبالغه و هو خبر فی معنی النهی عن المعصیه،و نفّر عنها بذکر غبن النفس .

الرابع:قوله:و المغبوط من سلم له دینه

،و الغبطه أن یتمنّی الإنسان مثل ما لغیره من حال أو مال مع قطع النظر عن تمنّی زوال تلک الحال عمّن هی له،و بهذا القید یتمیّز عن الحسد،و القضیّه ظاهره ممّا قبلها فإنّه لمّا کان من سلم دینه فائزا بالسعاده الکبری الباقیه مع کونها أجلّ ما یغبط به و یتنافس فیه لا جرم کان هو أعظم مغبوط و لذلک حصر المغبوط فیه مبالغه،و رغّب فی المحافظه علی الدین بکون من سلم له مغبوطا .

الخامس:قوله:و السعید من وعظ بغیره

،و قد صارت هذه القضیّه فی معنی المثل:

أی السعید فی الآخره من اعتبر حال غیره فشاهد بعین بصیرته مصیر الظالمین فخاف عاقبتهم فعدل عن طریقهم و تذکّر حال المتّقین فمال إلی جادّتهم و سلک مسالکهم و رغّب فی الاتّعاظ بالغیر بذکر استلزامه للسعاده .

السادس:و کذلک الشقیّ فی الآخره

من انخدع لهواه و غروره و نفّر عن اتّباع الهوی بذکر الخداع و الغرور .

السابع:التنبیه علی أنّ یسیر الریاء شرک

.و قد سبق منّا بیان أنّ الریاء فی العباده و إن قلّ التفات مع اللّه إلی غیره و إدخال له بالقصد بالعمل و الطاعه و ذلک فی الحقیقه شرک خفیّ اتّفقت علیه أرباب القلوب .

الثامن:قوله:و مجالسه أهل الهوی منساه للایمان و محضره للشیطان

.أراد بأهل الهوی الفسّاق المنقادین لدواعی الشیطان إلی الشهوات الخارجه عن حدود اللّه،و نفّر عن مجالستهم بأنّها محلّ للأمرین:أحدهما:نسیان الإیمان و هو ظاهر فإنّ أهل الهوی أبدا مشغولون بذکر ما هم فیه من لعب و لهو خائضون فی أصناف الباطل و.أنواعه فمجالستهم عن رغبه مظنّه الغفله عن ذکر اللّه و الانجذاب إلی ما هم علیه عن الأعمال الصالحه و تلک أرکان الإیمان و قواعده،و قد علمت أنّ کثره الغفلات عن الشیء تؤول إلی نسیانه و انمحائه عن لوح الخیال و الذکر،و ربّما یتجوّز فی مطلق الغفله عن أوقات العباده و

الذکر بالنسیان تسمیه للشیء باسم ما یؤول إلیه.الثانی:کونها محلاّ لحضور الشیطان، و قد علمت معنی الشیطان و أنّ کلّ محلّ عصی اللّه فیه فهو محضر للشیطان و موطن له .

التاسع:الأمر بمجانبه الکذب

و نفّر عنه بقوله: فإنّه مجانب للإیمان ،و هو حدیث نبویّ،و معنی المجانبه کون کلّ منهما فی جانب فإن کانت الأعمال الصالحه داخله فی مسمّی الایمان فالصدق من جملتها و مضادّ الصدق مضادّ للایمان و أحد الضدین مجانب للآخر فالکذب مجانب للایمان،و إن لم یکن کذلک قلنا:إنّ الکذب أعظم الرذائل الموبقه،و الایمان أعظم الفضایل المنقذه،و بین الفضایل و الرذائل منافاه ذاتیّه فالکذب مناف للایمان و مجانب له،و یحتمل أن یکون معنی مجانبته له کونه غیر لایق أن یجامعه فی محلّ واحد و غیر مناسب له.و بالجمله کونه لیس منه فی شیء،و قد بیّنا ما یشتمل علیه الکذب من المضارّ المهلکه،ثمّ أردف ذلک بالترغیب فی الصدق بکون الصادق علی شرف منجاه :أی مشارف لنجاه و کرامه أو لمحلّهما و هو الجنّه إذ الصدق باب من أبوابها ثمّ بالتنفیر عن الکذب بکون الکاذب علی شرف مهواه و مهانه :أی هوی و هوان أو محلّهما و هو حضیض الجحیم الّذی هو محلّ الهوان إذ الکذب باب من أبوابها،و من انتهی إلی الباب فقد شارف الدخول،و عن الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم:إیّاکم و الکذب فإنّه یهدی إلی الفجور،و إنّ الفجور یهدی إلی النار،و إنّ الرجل لیکذب حتّی یکتب عند اللّه کذّابا،و علیکم بالصدق فإنّ الصدق یهدی إلی البرّ و إنّ البرّ یهدی إلی الجنّه و إنّ الرجل لیتحرّی الصدق حتّی یکتب عند اللّه مصداقا،و قال صلی اللّه علیه و آله و سلّم:الکذب رأس النفاق.و هو ظاهر فإنّ مدار النفاق علی المصانعه بالقول الغیر المطابق لما فی نفس الأمر و هو حقیقه الکذب .

العاشر:النهی عن الحسد

،و قد اتّفق أرباب القلوب علی أنّه من أعظم أبواب الشیطان الّتی یدخل بها علی القلب و هو أحد العوارض الردیئه للنفس و یتولّد من اجتماع البخل و الشریّه فی النفس،و أعنی بالشریر من تلتذّ طباعها بمضارّ تقع بالناس و یکره ما یوافقهم و إن کانوا ممّن لا یرونه و لم یسیئوا إلیه،و قد علمت أنّ من هذه صفته مستحقّ للمقت من اللّه عزّ و جلّ و ذلک أنّه مضادّ لإرادته إذ هو تعالی المتفضّل علی المزید للخیر

المطلق للكلّ.و قد رسّم الحسد بأنّه اغتمام الإنسان بخير يناله غيره من حيث لا مضرّه منه عليه،و قد يوجد الحسد ممّن له نفع ما من المحسود،و يسمّى الحسد البالغ.

و أمّا تعليله وجوب تركه بأنّه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب:

فاعلم أنّ العلماء قد اتّفقوا على أنّ الحسد مضرّ بالنفس و الجسد:أمّا بالنفس فلأنّه يذهلها و يغرق فكرها بالاهتمام بأمر المحسود حتّى لا يفرغ للتصرّف فيما يعود نفعه عليها بل و ينسى ما حصلت عليه من الملكات الخيريّه الّتى هى الحسنات المنقوشه فى جوهرها و يضمحلّ على طول تعوّد الحسد و اشتغال الفكر فيه و طول الحزن و الهمّ لأنّ نعم اللّه على عباده أكثر من أن تحصى فإذا كان الحسد بها دام فانقطع وقت الحاسد به عن تحصيل الحسنات،و أمّا بالجسد فلأنّه يعرض له عند حدوث هذه الأعراض للنفس طول السهر و سوء الاغتذاء و يعقّب ذلك رداءه اللون و سوء السجيّه و فساد المزاج.

إذا عرفت ذلك فنقول:إنّه قد استعار هاهنا لفظ الأكل لكون الحسد ماحيا لما فى النفس من الخواطر الخيريّه الّتى هى الحسنات و مانعا من صيرورتها ملكات و ذلك بسبب استغراقها فى حال المحسود و اشتغالها به،و شبّه ذلك بأكل النار الحطب.و وجه الشبه ما يشترك فيه الحسد و النار من إفناء الحسنات و الحطب و استهلاكهما .

الحادى عشر:النهى عن التباغض

و تعليله ذلك بأنّها الحالقه،و اعلم أنّه لمّا كان أمر العالم لا ينتظم إلّا بالتعاون و التضافر،و كان التعاون إنّما يتمّ بالالفه و كان أقوى أسباب الالفه هو المودّه و المؤاخاه بين الخلق كانت المودّه من المطالب المهمّه للشارع،و لذلك آخا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم،بين أصحابه لتخلص محبّتهم و تصفو الفتهم و يصدق بينهم التعاون و التضافر و الاتّحاد فى الدين،و قال صلى اللّه عليه و آله و سلّم:المرء كبير بأخيه و لا خير فى صحبه من لا يرى لك من الحقّ مثل ما ترى له.فلذلك كان التباغض بينهم منهيّا عنه مكروها فى الشريعه لما يستلزمه من التقاطع بينهم و عدم تعاونهم و تضافرهم،و بسبب ذلك تتخطّف كلّا منهم أيدى حاسديه و تتحكّم فيه أهواء أعاديه فلم تسلم له نعمه و لا تصفو له مدّه بل يكون بذلك بواره و اضمحلال النوع و هلاكه،و لذلك قال عليه السّلام:

استعاره فإنّها الحالقه .و أصل هذا اللفظ مستعار ممّا يحلق الشعر كالموسى و نحوها للدواهى و

أسباب الشرّ ثمّ صار مثلا و قد وقع هاهنا موقعه من الاستعاره،و وجه المشابهه أنّ الموسى مثلا كما أنّها سبب لحلق الشعر و استيصاله كذلك التباغض سبب لاستيصال الخلق بعضهم بعضا .

الثانی عشر:التنبيه على مضارّ الأمل للدنيا

تنفيرا عنه و الأمر بتكذيبه المستلزم للنهى عنه.فأمّا مضارّه:

فأحدها:أنّه يوجب سهو العقل:أى عمّا هو الأولى بالإنسان فى معاشه و معاده و هو ظاهر فإنّ الآمل أبدا مشغول الفكر بما يأمله و يرجوه و فى كيفيّه تحصيله و كيفيّه العمل به بعد حصوله و شغله بذلك يستلزم إعراضه عن غيره إذ ما جعل اللّه لرجل من قلبين فى جوفه.

الثانيه:أنّه ينسى الذكر :أى ذكر اللّه تعالى بعد الموت من أحوال الآخره،و ذلك باستغراقه فيما يأمله من أحوال الدنيا كما مرّ.

الثالثه: مجاز من باب إطلاق اسم اللازم على ملزومه أنّه غرور و صاحبه مغرور ،و روى بفتح الغين من غرور و ضمّها،و وجه الفتح أنّ الأمل ليس هو نفس الغفله عن الذكر و غيره بل مستلزم لها فلذلك صدقت نسبه الغرور إليه،و وجه الضمّ أنّه مجاز من باب إطلاق اسم اللازم على ملزومه ،و أمّا تكذيبه فبذكر الموت و دوام إخطاره بالبال و ملاحظه المرجع و المعاد،و إنّما سمىّ ردّ الأمل تكذيبا له لأنّ النفس حال توقّعها للمأمول تكون حاكمه حكما و هميّا ببلوغه و نيله فإذا رجعت إلى صرف العقل و ملاحظه الموت و جواز الانقطاع به عن بلوغ مارجته كان تجويزها ذلك مكذّبا لما جزم به الوهم من الأحكام و رادّا له.و باللّه التوفيق.

۸۴-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و فيها فصول.

الفصل الأوّل:فى صفات المتّقين

اشاره

و هو قوله:

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْداً- أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ- وَ تَجَلْبَبَ الْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِی قَلْبِهِ- وَ أَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ

النَّازِلِ بِهِ- فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ وَ هَوَّنَ الشَّدِيدَ- نَظَرَ فَأَبْصَرَ وَ ذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ- وَ ارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ- فَشَرِبَ نَهَلًا وَ سَلَكَ سَبِيلًا جَدَداً- قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ وَ تَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ- إِلَّا هَمّاً وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ فَخَرَجَ مِنْ صِفَهِ الْعَمَى- وَ مُشَارَكَهِ أَهْلِ الْهَوَى وَ صَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى- وَ مَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى- قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَ سَلَكَ سَبِيلَهُ وَ عَرَفَ مَنَارَهُ- وَ قَطَعَ غِمَارَهُ وَ اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا- وَ مِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ- قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ- مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ وَ تَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ- مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ كَشَّافُ عَشَوَاتٍ مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ- دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ دَلِيلُ فَلَوَاتٍ يَقُولُ فَيُفْهِمُ وَ يَسْكُتُ فَيَسْلَمُ- قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ- فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ وَ أَوْتَادِ أَرْضِهِ- قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ- يَصِفُ الْحَقَّ وَ يَعْمَلُ بِهِ لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَهً إِلَّا أَمَّهَا- وَ لَا مَظِنَّهً إِلَّا قَصَدَهَا قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ- فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ- وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ

اللغه

أقول: القرى : الضيافه .و الفرات : صادق العذوبه .و النهل : الشرب فى أوّل الورد .و الجدد : الأرض المستويه .و السرابيل : القمصان .و المنار : الأعلام .و الغمار :

ص:۲۸۹

جمع غمره و هى الزحمه من كثره الناس و الماء و نحوه .و العشوات : جمع عشوه و هى ركوب الأمر على جهل به .و الغشوه بالغين المعجمه : هى الغطاء .و المبهمه : الأمر الملتبس .

و المعضلات : الشدائد .

المعنى

و ذكر من صفاتهم الّتى هى سبب محبّه اللّه لهم أربعين وصفا

،و قد علمت أنّ محبّه اللّه تعالى تعود إلى إفاضه الكمالات النفسانيّه على نفس العبد بحسب قربه بالاستعداد لها إلى جوده فمن كان استعداده أتمّ كان استحقاقه أوفى فكانت محبّه اللّه له أكمل .

فالأوّل من تلك الأوصاف:كونه أعانه اللّه على نفسه

:أى أفاضه قوّه على استعداد يقوّى به عقله على قهر نفسه الأمّاره بالسوء .

الثانى:أن يستشعر الحزن

:أى يتّخذه شعارا له.و أراد الحزن على ما فرّط فى جنب اللّه و اكتسب من الإثم فإنّه من جمله ما أعدّته المعونه الإلهيّه لاستشعاره ليستعدّ به لكمال أعلى .

الثالث:

استعاره أن يتجلبب الخوف و هو اتّخاذه جلبابا.استعار لفظ الجلباب و هو الملحفه للخوف من اللّه و الخشيه من عقابه،و وجه المشابهه ما يشتركان فيه من كون كلّ منهما متلبّسابه،و هو أيضا معونه من اللّه للعبد على تحصيل السعاده .

الرابع:

استعاره زهره مصباح الهدى فى قلبه ،و هو إشاره إلى شروق نور المعارف الإلهيّه على مرآه سرّه،و هو ثمره الاستعداد بالحزن و الخوف و لذلك عطفه بالفاء،و استعار لفظ المصباح لنور المعرفه لما يشتركان فيه من كون كلّ منهما سببا للهدى و هو استعاره لفظ المحسوس للمعقول .

الخامس:

استعاره كونه أعدّ القرى ليومه النازل به .استعار لفظ القرى للأعمال الصالحه و أراد باليوم النازل به يوم القيامه و استلزمت الاستعاره تشبيهه لذلك اليوم بالضيف أو بيوم القرى للضيف المتوقّع نزوله،و وجه المشابهه أنّ القرى كما يبيّض به وجه القارى

عند ضـيفه و يخلص به من ذمّه و يكسبه المحمده و الثناء منه كذلك الأعمال الصالحه فى ذلك اليوم تكون سببا لخلاص العبد من أهواله و تكسبه رضاء الحقّ سبحانه و الثواب الجزيل منه .

ص:۲۹۰

السادس:و قرّب على نفسه البعيد.

يحتمل وجهين:احدهما:أن يشير بالبعيد إلى رحمه اللّه فإنّها بعيده من غير مستحقّها و المستحقّ لقبولها قريبه ممّن حسن عمله و كمل قبوله فالعبد إذا راض بالأعمال الصالحه نفسه و أعدّها قرى يومه كانت رحمه اللّه على غايه من القرب منه كما قال تعالى «إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» ،الثانى:يحتمل أن يريد بالبعيد أمله الطويل فى الدنيا و بتقريبه له على نفسه تقصيره له بذكر الموت دون بلوغه كما سبق .

السابع:كونه قد هوّن الشديد.

و يحتمل أيضا معنيين:أحدهما:أن يريد بالشديد أمر الآخره و عذاب الجحيم و تهوينه لها بالأعمال الصالحه و استشراف أنوار الحقّ و ظاهر كونها مهوّنه لشديد عذاب اللّه،الثانى:أن يريد بالشدائد شدائد الدنيا من الفقر و الاهتمام بالمصائب الّتى تنزل به من الظلم و فقد الأحبّه و الأقرباء و نحو ذلك و تهوينه لذلك تسهيله على خاطره و استحقاره فى جنب ما يتصوّره من الفرحه بلقاء اللّه و ما أعدّ له من الثواب الجزيل فى الآخره كما قال تعالى «وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ اَلَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَهٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِکَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَهٌ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » (١)

الثامن:كونه نظر:

أى تفكّر فى ملكوت السماوات و الأرض و ما خلق اللّه من شىء فأبصر :أى فشاهد الحقّ سبحانه فى عجائب مصنوعاته بعين بصيرته .

التاسع:و ذكر فاستكثر

:أى ذكر ربّه و معاده فاستكثر من ذكره حتّى صار الذكر ملكه له و يجلّى المذكور فى أطوار ذكره لمرآه سرّه.و الاستكثار من الذكر باب عظيم من أبواب الجنّه .

العاشر:

استعاره مرشحه كونه ارتوى من عذب فرات .شبّه العلوم و الكمالات النفسانيّه الّتى تفاض على العارف بالماء الزلال فاستعار له لفظ العذوبه،و رشّح تلك الاستعاره بذكر الارتواء، و قد سبق وجه هذه الاستعاره مرارا.

(يا)كونه سهلت له موارده.

الفايزون لقصب السبق فى طرائق اللّه لا ينفكّون عن تأييد إلهىّ بخاصيّه مزاجيّه لهم بها سرعه الاستعداد لقبول الكمالات الموصله إليه.

۱- ۱) ۲-۱۵۲

إذا عرفت ذلك فنقول:موارد تلك الكمالات من العلوم و الأخلاق هى معادنها و مواطنها المنتزعه منها و هى النفوس الكامله الّتى يهتدى بها و تؤخذ عنها أنوار اللّه كالأنبياء، و تصدق تلك الموارد أيضا على بدايع صنع اللّه الّذى يردّها ذهن العبد و تكسب بها الملكات الفاضله و سهوله تلك الموارد لهم هو سرعه قبولهم لأخذ الكمالات عنها بسهوله بأذهان صافيه هيّأتها العنايه الإلهيّه لقبولها و يسرّ بها لذلك .

(يب) فشرب نهلا

استعاره فشرب نهلا .اى أخذ تلك الكمالات سابقا إليها كثيرا من أبناء نوعه و متقدّما فيها لسهوله موردها عليه،و هى ألفاظ مستعاره لأخذه لها و سبقه إليها ملاحظه لشبهه بشرب السوابق من الأبل إلى الماء .

(يج)كونه قد سلك سبيلا جددا:

أى سبيل اللّه الواضح المستقيم العدل بين طرفى التفريط و الإفراط .

(يد) قد خلع سرابيل الشهوات

استعاره مرشحه-استعاره بالكنايه كونه قد خلع سرابيل الشهوات .أكثر الأوصاف السابقه أشار فيها إلى تحصيل العلم و الاستعداد له،و أشار بهذا الوصف إلى طرف الزهد،و استعار لفظ السرابيل للشهوات،و وجه المشابهه تلبّس صاحبها بها كما يتلبّس بالقميص،و رشّح بلفظ الخلع، و كنّى به عن طرحه لاتّباع الشهوه و التفاته عنها فيما يخرج به عن حدّ العدل .

(يه)و تخلّى من الهموم إلاّ همّا واحدا

:أى من هموم الدنيا و علائق أحوالها و طرح كلّ مقصود عن قصده إلاّ همّا واحدا انفرد به،و هو الوصول إلى مراحل عزّه اللّه و توجيه سرّه إلى مطالعه أنوار كبريائه و استشراقها و هو تمام الزهد الحقيقىّ و ظاهر كونه منفردا عن غيره من أبناء نوعه .

(يو)فخرج عن صفه العمى:

أى عمى الجهل بما حصل عليه من فضيله العلم و الحكمه و عن مشاركه أهل الهوى فى إفراطهم و فجورهم إذ هو على حاقّ الوسط من فضيله العفّه .

(يز) فصار من مفاتيح أبواب الهدى

استعاره فصار من مفاتيح أبواب الهدى .فأبواب الهدى هو طرقه و سبله المعدّه لقبول من واهبه و قد وقف عليها العارفون و دخلوا منها إلى حضره جلال اللّه فوقفوا على مراحلها و منازلها و مخاوفها فصاروا مفاتيح لما انغلق منها على أذهان الناقصين،و مصابيح فيها لنفوس

الجاهلين،و لفظ المفتاح مستعار للعارف،و وجه المشابهه ظاهر .

(يح)و مغاليق أبواب الردى.

فأبواب الردى هى أطراف التفريط و الإفراط و المسالك الّتى يخرج فيها عن حدود اللّه المردى سلوكها فى قرار الجحيم.و العارف لمّا سدّ أبواب المنكرات الّتى يسلكها الجاهلون و لزم طريق العدل لا جرم أشبه المغلاق الّذى يكون سببا لسدّ الطريق أن يسلك فاستعير لفظه له،و فى القرينتين مطابقه فالمغاليق بإزاء المفاتيح و الردى بإزاء الهدى .

(يط)قد أبصر

:أى بنور بصيرته طريقه :أى المأمور بسلوكها و المجذوب بالعنايه الإلهيّه إليها و هى صراط اللّه المستقيم .

(ک)و سلک سبيله

:أى لمّا أبصر السبيل سلكها إذ كان السلوک هو المقصود الأوّل .

(كا)و قد عرف مناره.

لمّا كان السالک إلى اللّه قد لا يستقيم به طريق الحقّ إتّفاقا و ذلک كسلوک من لم تستكمل قوّته النظريّه بالعلوم و قد يكون سلوكه بعد استكماله بها.فالسالک كذلک قد عرف بالبرهان مناره:أى أعلامه المقصوده فى طريقه الّتى هى سبب هدايته و هى القوانين الكلّيه العمليّه،و يحتمل أن يريد بالمنار ما يقصده بسلوكه و هو حضره جلال اللّه و ملائكته المقرّبون .

(كب)قد قطع غماره

،و أشار بالغمار إلى ما كان مغمورا فيه من مشاقّ الدنيا و همومها و التألّم بسبب فقدها و مجاذبه أهلها لها فإنّ العارف بمعزل عن ذلک و التألّم بسببه .

(كج) و استمسک من العرى بأوثقها و من الحبال بأمتنها

استعاره و استمسک من العرى بأوثقها و من الحبال بأمتنها .أراد بأوثق العرى و أمتن الحبال سبيل اللّه و أوامره استعاره و وجه المشابهه أنّ العروه كما تكون سببا لنجاه من تمسّک بها و كذلک الحبل،و كان أجودها ما ثبت و تمتن و لم ينفصم كذلک طريق اللّه المؤدّى إليه يكون لزومه و التمسّک بأوامره سببا للنجاه من أهوال الآخره و هى عروه لا انفصام لها و أوامرها حبال لا انقطاع لها،و إليها الإشاره بقوله تعالى «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقى لاَ انْفِصامَ لَها » (۱).

(كد)فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس

:أی فكان بتمسّكه بأوامر اللّه و نواهيه

ص:۲۹۳

۱- ۱) ۲-۲۵۷

و مجاهدته فى سبيله قد استشرق أتمّ أنوار اليقين فصار شاهدا بعين بصيرته عالم الملكوت رائيا بها الجنّه و النار عين اليقين كما يرى بصره الظاهر نور الشمس فى الوضوح و الجلاء

(كه)قد نصب نفسه للّه سبحانه فى أرفع الامور من إصدار كلّ وارد عليه و تصيير

كلّ فرع إلى أصله

:أى لمّا كمل فى ذاته نصب نفسه لأرفع الامور من هدايه الخلق و إفادتهم لقوانين طريق اللّه فصار كالمصباح يقتبس منه أنوار العلم فهو لكونه متلبّسا بها [مليّا بها خ]قايم بإصدار الأجوبه عن كلّ ما ورد عليه من الأسئله الّتى استبهم أمرها على الأذهان،واف بردّ كلّ فرع من فروع العلم إلى أصله المنشعب عنه .

(كو) مصباح ظلمات

استعاره كونه مصباح ظلمات :أى يهتدى به التائهون فى ظلمات الجهل إلى الحقّ.

و لفظ المصباح مستعار له كما سبق .

(كز)كونه كشّاف عشوات:

أى موضح لما اشكل أمره و ركّب فيه الجهل من الأحكام الملتبسه مميّز وجه الحقّ منها،و من روى بالغين المعجمه فالمراد كشّاف أغطيه الجهالات عن إبصار البصائر .

(كح)و كذلک كونه مفتاح مبهمات:

أى فاتح لما انغلق على أذهان الخلق و استبهم وجه الحقّ فيه من الأحكام .

(كط)كونه دفّاع معضلات:

أى يدفع كلّ حيره فى معضله من معضلات الشرع صعب على الطالبين تميّز وجه الحقّ فيه و يجيبهم ببيانه عن التردّى فى مهاوى الجهل .

(ل) دليل فلوات

استعاره و كذلک كونه دليل فلوات .و استعار لفظ الفلوات لموارد السلوک و هى الامور المعقوله،و وجه المشابهه أنّ الفلوات كما لا يهتدى لسالكها إلّا الأدلّاء الّذين اعتادوا سلوكها و ضبطوا مراحلها و منازلها حتّى كان من لا قايد له منهم لا بدّ و أن يتيه فيها و يكون جهله بطرقها سببا لهلاكه كذلک الامور المتصوّره المعقوله لا يهتدى لطريق الحقّ فيها إلّا من أخذت العنايه الإلهيّه

بضبعیه فألقت بزمام عقله إلی استاد مرشد یهدیه سبیل الحقّ منها و من لم یکن کذلک حتّی حاد عن طریق الحقّ فیها خبط فی ظلمات الجهل خبط عشواء،و سلکت به شیاطینه أبواب جهنّم،و العارفون هم أدلاّء هذا الطریق و الواقفون علی أخطارها و منازل السلامه فیها بعیون بصایرهم .

(لا)کونه یقول فیفهم

،و ذلک لمشاهدته عین الحقّ من غیر شبهه تعتریه فیما یقول و لا اختلاف عباره عن جهل بالمقول .

(لب)کونه یسکت فیسلم

:أی من خطر القول.و لمّا کانت فایده القول الإفهام و الإفاده،و فایده السکوت السلامه من آفات اللسان و کان کلامه فی معرض المدح لا جرم ذکرهما مع فائدتهما.و المقصود أنّ العارف یستعمل کلّا من القول و السکوت فی موضعه عند الحاجه إلیه فقط .

(لج)کونه قد أخلص للّه فاستخلصه

.و قد عرفت أنّ الإخلاص للّه هو النظر إلیه مع حذف کلّ خاطر سواه عن درجه الاعتبار،و استخلاص الحقّ للعبد هو اختصاصه من بین أبناء نوعه بالرضی عنه و إفاضه أنواع الکمال علیه و إدنائه إلی حضره قدسه و انفراده بمناجاته.و ظاهر أنّ إخلاصه سبب استخلاصه کما قال تعالی «وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مُوسی إِنَّهُ کانَ مُخْلَصاً وَ کانَ رَسُولاً نَبِیًّا وَ نادَیْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَیْمَنِ وَ قَرَّبْناهُ نَجِیًّا » (۱).

(لد) فهو من معادن دینه

استعاره فهو من معادن دینه .استعار لفظ المعدن له،و وجه المشابهه اشتراکهما فی کون کلّ منهما أصلا تنتزع منه الجواهر:من المعادن أنواع الجوهر المحسوسه،و من نفس العارف جواهر العلوم و الأخلاق و سائر ما اشتمل علیه دین اللّه

(له)کونه من أوتاد أرضه

استعار له لفظ الوتد،و وجه المشابهه کون کلّ منهما سببا لحفظ ما یحفظ به فبالوتد یحفظ الموتود،و بالعارف یحفظ نظام الأرض و استقامه امور هذا العالم،و قد سبق مثله فی الخطبه الاولی:و وتّد بالصخور میدان أرضه .

(لو)کونه لزم نفسه العدل

فکان أول عدله نفی الهوی عن نفسه .لمّا کان العدل ملکه تنشأ من الملکات الثلاث:و هی الحکمه و العفّه و الشجاعه،و کان العارفون قد راضوا أنفسهم بالعباده و غیرها حتّی حصلوا علی هذه الملکات الخلقیّه لا جرم کان بسعیه فی حصولها قد ألزم نفسه العدل،و لمّا کان العدل فی القوّه الشهویّه و هو أن یصیر عفیفا لا خامد الشهوه و لا فاجرا أصعب من العدل علی سایر القوی لکثره موارد الشهوه

۱- ۱) ۵۲-۱۹

و میلها بالإنسان إلی طرف الإفراط و لذلک کان أکثر المناهی الوارده فی الشریعه هی موارد الشهوه لا جرم کان مقتضی المدح أن یبدء بذکر نفی الهوی عن نفسه،و لأنّ السالک أوّل ما یبدء فی تکمیل القوّه العلمیّه بإصلاح القوّه الشهویّه فیقف عند حدود اللّه و لا یتجاوزها فی مأکول أو منکوح أو کسب و نحوه .

(لز)کونه یصف الحقّ و یعمل به

:أی یتبع قول الحقّ بعمله فإنّ الخلف فی القول عند الخلق قبیح و مع اللّه أقبح و لذلک عاتب اللّه المؤمنین «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ» (۱)و کانوا قالوا:

لنفعلنّ فی سبیل اللّه ما فیه رضاه.فلمّا کان یوم احد لم یثبتوا.و أکّد عتابه بشدّه مقته لخلفهم و عدم مطابقه أقوالهم لأفعالهم .

(لح)کونه لا یدع للخیر غایه إلاّ أمّها

.لمّا فرغ من جزئیّات أوصاف العارف شرع فیها إجمالا فذکر أنّه طالب لکلّ غایه خیریّه:أی لا یقنع ببعض الحقّ و یقف عنده بل یتناهی فیه و یستقصی غایاته .

(لط)و کذلک هو قاصد لکلّ مظنّه له

:و مظنّته کلّ محلّ أمکنه أن ینتزعه منه و یستفیده کالأولیاء و مجالس الذکر و غیرها .

(م) کونه قد أمکن الکتاب من زمامه فهو قائده.إلی آخره

استعاره بالکنایه کونه قد أمکن الکتاب من زمامه فهو قائده.إلی آخره فتمکینه الکتاب کنایه عن انقیاده لما اشتمل علیه من الأوامر و النواهی،و استعار لفظ الزمام لعقله و وجه المشابهه ما یشترکان فیه کون کلّ منهما آله للانقیاد،و هی استعاره لفظ المحسوس للمعقول،و کذلک استعار لفظ القائد للکتاب لکونه جاذبا بزمام عقله إلی جهه واحده مانعا عن الانحراف عنها و کذلک لفظ الإمام لکونه مقتدیا به ،و قوله: یحلّ حیث حلّ ثقله و ینزل .استعار وصفی الحلول و النزول الّذین هما من صفات المسافر،و کنّی بحلوله حیث حلّ عن لزوم أثره و العمل بمقتضاه و متابعته له فی طریق سفره إلی اللّه بحیث لا ینفکّ عنه وجودا و عدما ،و باللّه التوفیق.

الفصل الثانی:

اشاره

قوله:

۱- ۱) ۲-۶۱

وَ آخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَ لَيْسَ بِهِ- فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَ أَضَالِيلَ مِنْ ضُلاَّلٍ- وَ نَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وَ قَوْلِ زُورٍ- قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ- وَ عَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ- يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ وَ يُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ- يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَ فِيهَا وَقَعَ- وَ يَقُولُ أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَ بَيْنَهَا اضْطَجَعَ- فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَ الْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ- لاَ يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ- وَ لاَ بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ وَ ذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ

أقول:و هذا الفصل من صفات بعض الفسّاق فى مقابله الموصوف السابق

اشاره

،و خصّص من تسمّى عالما و ليس بعالم بالذكر فى معرض الذمّ لأنّه أشدّ فتنه و أقوى فسادا للدين لتعدّى فتنته من نفسه إلى غيره.و ذكر له أوصافا :

الأوّل:كونه قد تسمّى عالما و ليس بعالم.

طلبا للرياسه و تحصيل الدنيا و هذا الصنف من الناس كثير و العلماء فيهم مغمورون .

الثانى:

مجاز كونه قد اقتبس جهائل من جهّال و أضاليل من ضلّال .و الجهايل:جمع جهاله،و أراد الجهل المركّب،و هو الاعتقاد الغير المطابق لما فى نفس الأمر،و هذا الوصف أحد أسباب الأوّل.و نسبه الاقتباس إلى الجهل نسبه مجازيّه لما أنّ الجهل يشبه العلم فى كونه مستفادا على وجه التعلّم و التعليم،و الأضاليل من لوازم الجهالات و هو الانحراف عن سواء السبيل،و إنّما قال من جهّال و ضلّال ليكون إثبات الجهل و الضلال له آكد فإنّ تلقّفهما عن الجهّال الضلّال و اعتقادهما أثبت و أرسخ فى النفس من ساير الجهالات .

الثالث:

استعاره مرشحه كونه نصب للناس أشراكا من حبال غرور و قول زور .استعار لفظ الأشراك و الحبال لما يغرّ علماء السوء به الناس من الأقوال الباطله و الأفعال المزخرفه، و وجه المشابهه ما يشترك فيه الشرك من الحبال و غيره و ساير ما يجذب به الخلق من

ص:۲۹۷

أقوالهم و أفعالهم فى كونها محصّله للغرض فالشرک للصيد و غرور هؤلاء لقلوب الخلق، و رشّح تلک الاستعاره بذکر النصب .

الرابع:قد حمل الکتاب على آرائه

للجاهل فى تفسير کتاب اللّه تعالى مذاهب عجيبه و يکفيک منها ما تعتقده المجسّمه من ظواهره المشعره بتجسيم الصانع جلّت قدرته و تفسيرهم للکتاب على ما اعتقدوه من باطلهم .

الخامس:و عطف الحقّ على أهوائه

من فسّر ألفاظ القرآن على حسب عقيدته الفاسده و رأيه الباطل فقد عطف الحقّ على هواه:أى جعل کلّ هوى له حقّا يتّبع بتأويل ما «وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ » .

السادس:کونه يؤمّن من العظائم و يهوّن کبير الجرائم

:أى يسهّل على الناس أمر الآخره فى موضع يحتاجون فيه إلى ذکر و عيد اللّه و تذکير هم بأليم عقابه کما يخطى الجاهلون و يعرضون عن أوامر اللّه تعالى و نواهيه فإذا حضروا مجالس جهّال الواعظين و الزهّاد توسّلوا إلى استجلاب قلوبهم و تشييد مناصبهم باجتماعهم عليهم بأن ذکروا لهم مواعيد اللّه کقوله «إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً» و نحوه فيهوّن عليهم بذلک عظيم الوعيد و أهوال الآخره و تصغّر عندهم جرائمهم الّتى ارتکبوها فى جنب ما تصوّروه من الوعد الکريم و يساعدهم ميل طباعهم إلى المشتهيات الخارجه عن حدود اللّه فيعاودوا ما اقترفوه و لا کذلک العالم إذ من شأنه أن يستعمل کلاّ من آيات الوعد و الوعيد فى موضعها ليبقى السامعون بين خوف و رجاء فلا ينهمکوا فى اللذّات الفانيه اتّکالا على الوعد و لا يقنطوا من رحمه اللّه نظرا إلى الوعيد .

السابع:يقول:أقف عند الشبهات

أى إذا انتهيت إلى أمر فيه شبهه لا أقدم عليه و فيها وقع و ذلک لجهله بمواقع الشبهه و غيرها .

الثامن:يقول أعتزل البدع:

أى ما يبتدع من الامور المخالفه لقوانين الشريعه استعاره بالکنايه و بينها اضطجع کنّى باضطجاعه بين البدع عن تورّطه فيها کنايه بالمستعار،و ذلک أيضا لجهله باصول الشريعه و کيفيّه تفريعها .

التاسع:فالصوره صوره الإنسان و القلب قلب حيوان

أراد بالحيوان غير الإنسان

كما هو مختصّ فى العرف.و أطلق قلبه أنّه قلب حيوان كالحمار و نحوه لما بينهما من المناسبه و هو عدم صلاحيّتهما لقبول المعارف و العلوم مع ميلهما إلى الشهوات .

العاشر:كونه لا يعرف باب الهدى فيتّبعه و لا باب الردى فيصدّ عنه

:أى لا يعرف بجهله قانون الهدايه إلى طرق الحقّ فيسلكه و لا وجه دخوله فى الباطل فيعرض عنه، و ذلك أنّ الجاهل الجهل المركّب لمّا حاد عن سبيل اللّه و جزم بما اعتقده من الباطل امتنع مع ذلك الجزم أن يعرف باب الهدى و مبدء الدخول إليه فامتنع منه اتّباعه و لمّا اعتقد أنّ ما جزم به من الباطل هو الحقّ امتنع أن يعرف مبدء دخوله فى الجهل و هو باب العمى فامتنع منه أن يصدّ عنه ثمّ حكم عليه السّلام عن تلك الأوصاف أنّه ميّت الأحياء أمّا كونه ميّتا فلأنّ الحياه الحقيقيّه الّتى تطلب لكلّ عاقل و الّتى وردت الشرائع و الكتب الالهيّه بالأمر بتحصيلها هى حياه النفس باستكمال الفضائل الّتى هى سبب السعاده الباقيه،و قد علمت أنّ الجهل المركّب هو الموت المضادّ لتلك الحياه فالجاهل بالحقيقه ميّت.و أمّا أنّه ميّت الأحياء فلأنّه فى صوره الحىّ

الفصل الثالث:

القسم الأول

اشاره

قوله:

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ» وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ- وَ الْأَعْلاَمُ قَائِمَهٌ وَ الْآيَاتُ وَاضِحَهٌ وَ الْمَنَارُ مَنْصُوبَهٌ- فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَ بَيْنَكُمْ عِتْرَهُ نَبِيِّكُمْ- وَ هُمْ أَزِمَّهُ الْحَقِّ وَ أَعْلاَمُ الدِّينِ وَ أَلْسِنَهُ الصِّدْقِ- فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ ؟الْقُرْآنِ؟- وَ رِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ- أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ؟خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ص؟- إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ- وَ يَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِبَالٍ- فَلاَ تَقُولُوا

بِمـا لاَ تَعْرِفُونَ- فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ- وَ اعْـذِرُوا مَنْ لاَ حُجَّهَ لَكَمْ عَلَيْهِ وَ هُوَ أَنَا- أَ لَمْ أَعْمَلْ فِيكَمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ- وَ أَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْـغَرَ- قَـدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَهَ الْإِيمَـانِ- وَ وَقَفْتُكُمْ عَلَى حُـدُودِ الْحَلاَلِ وَ الْحَرَامِ- وَ أَلْبَسْـتُكُمُ الْعَافِيَهَ مِنْ عَـدْلِي- وَ فَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي- وَ أَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلاَقِ مِنْ نَفْسِـي- فَلاَ تَسْـتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لاَ يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَـرُ- وَ لاَ تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ

اللغه

أقول: تؤفكون: تصرفون .و التيه: الضلال .و العمه: الحيره و التردّد .و عتره الرجل: أقاربه من ولده و ولد ولده و أدانى بنى عمّه .و الهيم: الإبل العطاش .

المعنى

و أعلم أنّه لمّا قدّم المتّقين بصفاتهم و الفاسقين بصفاتهم كان فى ذكرهما تنبيه على وصفى طريقى الحقّ و الباطل و لوازمهما فلذلك أعقبهما بالتنبيه على كونهم فى ضلال و تيه و عمى عن الحقّ ثمّ بالتخويف و التبكيت و التذكير بكتاب اللّه و عتره رسوله ليلزموا سمتهم و يسلكوا بهم طريق أهل التقوى و يفيئوا عن ضلالهم إلى اقتباس أنوار الحقّ من أهله .

فقوله:فأين تذهبون.إلى قوله:منصوبه.

فقوله: فأين تذهبون.إلى قوله:منصوبه.

سؤال عمّا يذهبون إليه و عن وقت صرفهم عن ذلك الغىّ سؤالا على سبيل الإنكار لما هم عليه من الطريق الجائره،و الواو فى قوله : و الأعلام .للحال.و أشاره بالأعلام إلى أئمّه الدين،و وضوحها ظهورها بينهم.و كذلك المنار ،و نصبها قيام الأئمّه بينهم و وجودهم فيهم،ثمّ أردف ما أنكره من ذهابهم و تعجّب منه بتفسيره فقال : فأين يتاه بكم و كيف تعمهون ،و نبّه به إلى أنّ الذهاب الّذى سئلهم عنه هو تيه فى الضلال و حيره الجهل و التردّد فى الغىّ،و تبيّن منه أنّ قوله : و أنّى تؤفكون :أى متى تصرفون عن تيهكم و ذهابكم فى الضلاله.!

ص:۳۰۰

و قوله : و بينكم عتره نبيّكم.

الواو للحال أيضا فالعامل تعمهون،أويتاه بكم،و كذلك الواو فى قوله : و هم أزمّه الحقّ :و المعنى كيف يجوز أن تتيهوا فى ظلمات الجهل مع أنّ فيكم عتره نبيّكم، و أراد بعترته أهل بيته عليهم السّـلام و إليه الإشاره بقول الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:و خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا كتاب اللّه و عترتى أهل بيتى لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض.

استعاره و استعار لهم لفظ الأزمّه ،و وجه المشابهه كونهم قاده للخلق إلى طريق الحقّ كما يقود الزمام الناقه إلى الطريق ،و كذلك استعار لهم لفظ الألسنه ،و وجه المشابهه كونهم تراجمه الوحى الصادق كما أنّ اللسان ترجمان النفس،و يحتمل أن يريد بكونهم ألسنه الصدق أنّهم لا يقولون إلاّ صدقا .

و قوله:فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن.

و قوله: فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن.

فاعلم أنّ للقرآن منازل:

الاولى القلب.و هو فيه بمنزلتين:إحداهما منزله الإكرام و التعظيم،و الثانيه منزله التصوّر فقط من دون تعظيم.الثالثه:منزلته فى الوجود اللسانىّ بالتلاوه.

الرابعه:منزلته فى الدفاتر و الكتب،و أحسن منازله هى الاولى.فالمراد إذن الوصيّه بإكرامهم و محبّتهم و تعظيمهم كما يكرم القرآن بالمحبّه و التعظيم .

و قوله:وردوهم ورود الهيم العطاش.

تشبيه و قوله: وردوهم ورود الهيم العطاش.

إرشاد لهم إلى اقتباس العلوم و الأخلاق منهم إذ كانوا معادنها.و لمّا كانت العلماء و الأئمّه تشبه بالينابيع،و العلم يشبه بالماء العذب،و عادمه بالعطشان حسن منه أن يأمرهم بورودهم و أن يشبه الورود المطلوب منهم بورود الإبل العطاش .

و قوله:أيّها الناس.إلى قوله:ببال

و قوله: أيّها الناس.إلى قوله:ببال .

لمّا كان عليه السّـلام فى معرض ذكر الفائده فكأنّها قد تقدّم ذكرها فلذلك أحسن إبراز الضمير فى قوله : خذوها .و إن لم يسبق لها ذكر،و إشاره النبىّ بهذه الكلمه تقرير لقوله تعالى «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»

«فَرِحِينَ» (۱)و لما اتّفقت علیه کلمه العلماء،و نطقت به البراهین العقلیّه أنّ أولیاء اللّه لا یموتون و لا یبلون و إن بلیت أجسادهم.

قال بعض الخائضین فیما لا یعنیه قوله :و یبلی من بلی منّا نصّ جلیّ علی أنّ أجساد الأولیاء تبلی و ذلک یخالف ما یعتقده الناس من أنّ أجسادهم باقیه إلی یوم القیامه بحالها.

قلت الاعتقاد المذکور لبعض الناس إنّما نشأ من قول الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم فی قتلی بدر زمّلوهم بکلومهم و دمائهم فإنّهم یحشرون یوم القیامه و أوداجهم تشخب دما و قوله تعالی «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ» الآیه و لیس و لا واحد منهما بدالّ علی أنّ الأجساد لا تموت و لا تبلی أمّا الخبر فلیس مقتضاه أنّها تبقی صحیحه تشخب دما إلی یوم القیامه بل ذلک ممّا یشهد ببطلانه الحسّ بل یحمل علی أنّها کما تعاد یوم القیامه تعاد مجروحه تشخب جراحها دما کهیئتها یوم موتها،و أمّا الآیه فالّذی أجمع علیه علماء المفسّرین أنّ الحیاه المذکوره فیها هی حیاه النفوس و هو ظاهر فی سبب نزولها عن ابن عباس-رضوان اللّه علیه-قال:قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم:لمّا اصیب إخوانکم باحد جعل اللّه أرواحهم فی أجواف طیور خضر ترد أنهار الجنّه و تأکل من ثمارها و تأوی إلی قنادیل من ذهب معلّقه فی ظلّ العرش فلمّا وجدوا طیب مأکلهم و مشربهم و مقیلهم قالوا:من یبلغ إخواننا عنّا أنّا فی الجنّه نرزق لئلاّ یزهد فی الجهاد و لا ینکلوا عند الحرب فقال اللّه عزّ و جلّ أنا أبلغهم عنکم فنزلت «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا» الآیه فإذن لا منافاه بین کلامه علیه السّلام و ما ورد فی القرآن و الخبر و مقصوده بهذه الکلمه تقریر فضیلتهم و أنّهم أولیاء باقون عند ربّهم فی ظلّ کرامته.

و قوله:فلا تقولوا بما لا تعرفون .

و قوله: فلا تقولوا بما لا تعرفون.

تنبیه علی الرجوع إلی العتره العارفین بما ینبغی أن یقال و قوله:فإنّ أکثر الحقّ فیما تنکرون تأکید للأمر بالتثبّت فی الأقوال و النهی عن التسرّع إلیها،و الجاهل قد ینکر الحقّ إذا خالف طبعه أو نبا عنه فهمه أو سبق اعتقاد ضدّه إلیه بشبهه أو تقلید فتبّه علی أنّ أکثر الحقّ فیما ینکرونه لئلاّ یتسرّعوا إلی القول من غیر علم،

۱- ۱) ۳-۱۶۳.

و لذلک ذکر هذه القضیّه مرتّبه بفاء التعلیل.

و قوله:و أعذروا من لا حجّه لکم علیه و هو أنا .

و قوله: و أعذروا من لا حجّه لکم علیه و هو أنا.

طلب علیه السّلام العذر منهم فیما یلحقهم من عذاب اللّه بسبب تقصیرهم فإنّ الضرر اللاحق لهم قد انذروا به و توعّدوا فلو قصّروهو علیه السّلام فی تذکیرهم بتلک الوعیدات أو الإنذارات مع کون ذلک مأخوذا علیه من اللّه تعالی فکانت حجّتهم علیه قائمه و لمّا کان له عذر لکنّه بلّغ و حذّر و قد أعذر من أنذر و إنّما ذکّرهم بسلب الحجّه عنهم فی ذلک لیتذکّروا خطأهم و لعلّهم یرجعون.

و قوله:أ لم أعمل فیکم إلی قوله:من نفسی .

استفهام تقریعی و قوله: أ لم أعمل فیکم إلی قوله:من نفسی.

تفصیل لما جاءهم به من الجواذب إلی اللّه فأعذر إلیهم بها و أتی بلفظ الاستفهام علی سبیل التقریع و التبکیت و الثقل الأکبر کتاب اللّه،و أشار بکونه أکبر إلی أنّه الأصل المتّبع المقتدی به،و الثقل الأصغر الأئمّه من ولده علیهم السّلام، استعاره بالکنایه-استعاره مرشحه و کنّی برایه الإیمان عن سنّه المتّبعه و طریقه الواضحه فی العمل بکتاب اللّه و سنّه رسوله کنایه بالمستعار،و وجه المشابهه کونه طریقه یهتدی بها إلی سلوک سبیل اللّه کما یهتدی بالأعلام و الرایات أمام الجیش و غیره ،و لفظ الرکز ترشیح للاستعاره کنّی به عن إیضاحها لهم و توقیفه علی حدود الحلال و الحرام تعریفهم إیّاها و أراد بالعافیه السلامه عن الأذی الحاصل من أیدی الظالمین ،و استعار لفظ اللباس لها،و وجه الاستعاره أنّ العافیه تشمل المعافی کالقمیص ،و کذلک استعار لفظ الفرش للمعروف لکونه إذا وطیت قواعده یستراح به کالفراش .

و قوله:و أریتکم کرایم الأخلاق من نفسی

و قوله: و أریتکم کرایم الأخلاق من نفسی :أی أوضحتها لکم و شاهدتموها منّی متکرّره.

و قوله:فلا تستعملوا الرأی إلی آخره .

و قوله: فلا تستعملوا الرأی إلی آخره.

نهی لهم عن الاشتغال بالخوض فی صفات اللّه و البحث عن ذاته علی غیر قانون و استاد مرشد بل بحسب الرأی و التخمین فإنّ تلک الدقایق لمّا کانت لا ساحل لها و لا غایه یقف الفکر عندها و إن تغلغل فی أعماقها و کانت مع ذلک فی غایه العسر و الدقه و کثره الاشتباه

كان تداولهم للاشتغال بها مؤدّيا إلى الخبط و افتراق المذاهب و تشتّت الكلمه و الاشتغال بذلك عن الانتظام فى سلك الدين و الاتّحاد فيه كما عليه من ينتسب إلى العلم بعده و كلّ ذلك منه مطلوب الشارع فإنّ الالفه و الاتّحاد فى الدين من أعظم مطلوباته و يحتمل أن يريد مطلق دقايق العلم و تفريع الفقه على غير قانون من إمام هدى بل الرأى عن أدنى وهم.

القسم الثانى

اشاره

منها:حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَهٌ عَلَى؟بَنِی أُمَيَّهَ؟- تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَ تُورِدُهُمْ صَفْوَهَا- وَ لاَ يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّهِ سَوْطُهَا وَ لاَ سَيْفُهَا وَ كَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ- بَلْ هِیَ مَجَّهٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَهً- ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَهً

اللغه

أقول: معقوله: محبوسه .و المجّه: الفعله من مجّ الشراب إذا قذفه من فيه .و البرهه:

المدّه من الزمان فيها طول .و لفظ كذا:ألقاه من فيه.

المعنى

و هذا الكلام من فصل يذكر فيه حال بنى اميّه و طول مدّتهم و بلاء الخلق بهم فقوله: يظنّ الظانّ .إلى قوله: سيفها .غايه من غايات طول عناء الناس معهم استعاره-مجاز استعمالا للفظ السبب فى المسبّب-استعاره بالكنايه و استعار للدنيا أوصافا:

أحدها:كونها معقوله ،و وجه الاستعاره ملاحظه شبهها بالناقه فى كونها محبوسه فى أيديهم كما تحبس الناقه بالعقال.

الثانى:كونها ذات درّ نمنحهم إيّاه ،و وجه الاستعاره أيضا تشبيهها بالناقه فى كون ما فيها من فوائدها و خيرها مهيّئه لهم و مصبوبه عليهم كما تبذل الناقه درّها حالبها.

الثالث:كونها توردهم صفوها ،و نسبه الايراد إليها مجاز،و تجوّز بالسوط و السيف فيما فيه الامّه معهم من العذاب و القتل و نحوه استعمالا للفظ السبب فى المسبّب و قوله : و كذب الظانّ لذلك. إلى آخره ردّ لما عساه يظنّ من ذلك بتحقير ما حصلوا عليه من الأمر و لذّتهم به و تحقير مدّته ،و استعار لذلك لفظ المجّه ،و كنّى بكونها مطعومه لهم عن تلذّذهم هامده إمرتهم ،و بكونها ملفوظه عن زوال الآخره عنهم،و أكّد

ص:۳۰۴

ذلك الزوال بقوله:جمله:أی بكلّيّتها و هی كنايه بالمستعار تشبيها لها باللقمه الّتی لا يمكن إساغتها ،و باللّه التوفيق.

۸۵-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِی دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَ رَخَاءٍ- وَ لَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَ بَلَاءٍ- وَ فِی دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ- وَ مَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ- وَ مَا كُلُّ ذِی قَلْبٍ بِلَبِيبٍ وَ لَا كُلُّ ذِی سَمْعٍ بِسَمِيعٍ- وَ لَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ- فَيَا عَجَباً وَ مَا لِیَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ- عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِی دِينِهَا- لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِیٍّ وَ لَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِیٍّ- وَ لَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَ لَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ- يَعْمَلُونَ فِی الشُّبُهَاتِ وَ يَسِيرُونَ فِی الشَّهَوَاتِ- الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا وَ الْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا- مَفْزَعُهُمْ فِی الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ- وَ تَعْوِيلُهُمْ فِی الْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ- كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ- قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وَ أَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ

اللغه

أقول: القصم بالقاف : الكسر .و الأزل بفتح الهمزه: الضيق و الشدّه .و اقتصّ أثره : تبعه .

المعنی

اشاره

و مقصود هذا الفصل توبيخ الامّه على اختلاف آرائهم فی الدين و استبداد كلّ منهم بمذهب بحسب رأيه فی المسايل الفقهيّه و نحوها مع وجوده عليه السّلام بينهم،و إعراضهم عن مراجعته مع علمهم بقيامه بذلك.

فقوله:أمّا بعد.إلى قوله:ببصير .

فقوله: أمّا بعد.إلى قوله:ببصير.

صدر الخطبه و كأنّه عليه السّلام فهم ممّن خرجت هذه الخطبه بسببه أنّهم إنّما يستبدّون بآرائهم من دون مراجعه عن كبر منهم على التعلّم و الاستفاده و محبّه الراحه من تحمّل كلفه التحرّى فى الدين و التحرّز من الغلط فيه و مشقّه الطلب فلذلك خوّفهم من حال الجبابره و أن تصيبهم بترك قواعد الدين إلى آرائهم المتفرّقه فيستعدّوا للهلاك بقوله : إنّه لم يقصم جبّارى دهر إلاّ بعد إمهالهم و رخائهم فإنّهم إذا امهلوا و انغمسوا فيما هم فيه من الرخاء و الترف أعرضوا عن الآخره و نسوا ذكر اللّه تعالى فاستعدّوا بتركهم لقوانين الدين الّتى بها نظام العالم للهلاك و نحوه قوله تعالى «وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً» (۱)و كذلك استعاره بالكنايه قوله : و لم يجبر عظم أحد من الامم إلاّ بعد أزل و بلاء .كنّى بجبران العظم عن قوّتهم بعد الضعف كنايه بالمستعار، و صدق هذه القضيّه ظاهر فإنّ أحدا من الامم المتّبعين لأنبيائهم أو لملوكهم فى إظهار دين أو طلب ملك لن يصلوا إلى مطلوبهم إلاّ بعد قوّتهم و تضاعفهم و تظاهر بعضهم ببعض و معناه بلاء أثر بلاء بحيث يستعدّون بذلك للفزع إلى اللّه تعالى فيهيّىء قلوبهم لقبول الالفه و يعدّها باجتماع عزائمها لقبول صوره النصر ،و فيه تنبيه على وجوب الاتّحاد فى الدين و عدم تشتّت الآراء فيه فإنّ ذلك يدعو إلى التحزّب و التفرّق و يدخل عليهم الوهن و الضعف و كلّ ذلك ضدّ مطلوب الشارع كما سبق، كنايه و يحتمل أن يكنّى بقوله:

لم يقصم جبّارى دهر .عن جبّارى وقته كمعاويه و أصحابه،و بقوله: لم يجبر عظم أحد من الامم إلاّ بعد أزل و بلاء .عن أصحابه فنبّههم بالكلمه الاولى على أنّ اولئك الجبّارين و إن طالت مدّتهم و قويت شوكتهم فإنّما ذلك إملاء من اللّه لهم ليستعدّوا به للهلاك، و بالكلمه الثانيه على أنّكم و إن ضعفتم و ابتليتم فذاك عاده اللّه فيمن يريد أن ينصره ثمّ عقّب ذلك بتوبيخهم على الاختلاف و تشعّب الآراء و المذاهب فى الدين لما أنّ ذلك يؤدّى إلى طول محنتهم و ضعفهم عن مقاومه عدوّهم.

و قوله:و فى دون ما استقبلتم من عتب

و قوله: و فى دون ما استقبلتم من عتب :أى من عتابى لكم و استدبرتم من خطب:

۱- ۱) ۱۷-۱۷.

أی من الأهوال الّتی کنتم ترونها من المشرکین فی مبدء الإسلام حیث کنتم قلیلین و امرتم أن یثبت الواحد منکم لعشره منهم ثمّ أیّدکم اللّه بنصره بالتألیف بین قلوبکم و جبر عظمکم بمن أسلم و دخل فی دینکم و ذلک أیّ معتبر و فیه أیّ اعتبار فإنّکم لو لم تتّحدوا فی الدین و تقاسوا مراره ذلک النصیر و اختلفت آراؤکم فی ذلک الوقت کاختلافها الآن،و کنتم إذن علی غایه من الکثره لم تغن عنکم کثرتکم شیئا فکأنّه قال:فیجب من ذلک الاعتبار أن لا تفترقوا فی الرأی و أن تتّحدوا فی الدین و تراجعوا أعلمکم باصوله و فروعه.

و قوله:فما کلّ ذی قلب بلبیب.إلی قوله:ببصیر .

و قوله: فما کلّ ذی قلب بلبیب.إلی قوله:ببصیر.

أراد بذی القلب الإنسان،و ظاهر أنّ الإنسان قد یخلو عن اللبّ و أراد باللبّ العقل و الذکاء و استعماله فیما ینبغی علی الوجه الّذی ینبغی،و بالجمله فاللبیب من ینتفع بعقله فیما خلق لأجله و کذلک السمیع و البصیر هما اللذان یستعملان سمعهما و بصرهما فی استفاده العبره و إصلاح أمر المعاد و نحوه قوله تعالی «أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ یَمْشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَیْدٍ یَبْطِشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَعْیُنٌ یُبْصِرُونَ بِها أَمْ لَهُمْ آذانٌ یَسْمَعُونَ بِها» (۱)و قوله «فَإِنَّها لا تَعْمَی الْأَبْصارُ وَ لکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ» (۲)و فائده هذه الکلمات تحریک النفوس إلی الاعتبار کیلا یعدّ التارک له غیر لبیب و لا سمیع و لا بصیر.

و قوله:یا عجبا.إلی آخره .

و قوله: یا عجبا .إلی آخره.

أردف تعجّبه بما یصلح جواب سؤال مقدّر عمّا یتعجّب منه فکأنّه فهم من تقدیر ذلک السؤال تعجّب السائل من تعجّبه المستلزم لتبرّمه و تضجّره حتّی کأنّ السائل قال:و ممّ تتعجّب و علام هذا التبرّم و الأسف فقال : ما لی لا أعجب من خطأ هذه الفرق .ثمّ شرع فی تفصیل الخطایا و المذامّ الّتی کان اجتماعها فیهم سببا لتعجّبه منهم فأشار إلی ترکهم لما ینبغی و قدّم علی الکلّ ذکر اختلاف حججهم فی دینهم و ذلک هو الأصل الّذی نشأت عنه أکثر هذه الرذائل فأمّا ترکهم لما ینبغی ففی صور:

أحدها :ترکهم لاقتصاص أثر نبیّهم فإنّهم لو اقتصّوا أثره لما اختلفوا إذ لا اختلاف فیما جاء به کما سبق بیانه لکنّهم اختلفوا فلم یقتصّوا أثر نبیّهم.

ص:۳۰۷

۱- ۱) ۱۹۴-۷.

۲- ۲) ۴۵-۲۲.

الثانيه :ترکهم الاقتداء بعمل الوصیّ و هو إشاره إلی نفسه و هذه أقطع لإعذارهم فإنّ الاختلاف فی الدین قد یعرض عن ضروره و هی عدم إصابه الکلّ للحقّ مع عدم الشارع الّذی یرجع إلیه فی التوقیف علی أسرار الشریعه فأمّا إذا کان الموقف موجودا بینهم کمثله علیه السّلام امتنع أن یقعوا فی تلک الضروره فیعتذروا بها فی الاختلاف.

الثالثه :ترکهم الإیمان بالغیب:أی التصدیق به و الطمأنینه فی اعتقاده.و للمفسّرین فی تفسیر الغیب أقوال:

أحدها:عن ابن عبّاس:هو ما جاء به من عند اللّه.

الثانی:عن عطاء:هو اللّه سبحانه.

الثالث:عن الحسن:هو الدار الآخره و الثواب و العقاب و الحساب.

الرابع:قیل:یؤمنون بظهر الغیب کقوله تعالی «یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَیْبِ» فالمعنی قوله علیه السّلام:أی لا یحفظون شرایط الإیمان فی عقیب بعضهم علی بعض.

الخامس:عن ابن عیسی:الغیب ما غاب عن الحواسّ ممّا یعلم بالدلیل.

السادس:عن الأخفش یؤمنون بما غاب عن أفهامهم من متشابهات القرآن.

الرابعه :ترکهم العفّه عن عیب و هو إشاره إلی الغیبه و ظاهر أنّها فجور و عبور إلی طرف الإفراط من فضیله العفّه.و أمّا فعلهم لما لا ینبغی فامور:

أحدها:أنّهم یعملون فی الشبهات :أی لا یتوقّفون فیما أشبه علیهم أمره و لا یبحثون عن وجه الحقّ فیه بل یعملون فیه بما قادهم إلیه الهوی.

الثانی :کونهم یسیرون فی الشهوات لمّا لحظ مشابهه میل قلوبهم إلی شهواتها الدنیویّه و انهماکها فیها قاطعه مراحل الأوقات بالتلذّذ لسلوک السائر فی الطریق و نحوها استعار لذلک السلوک لفظ السیر.

الثالث:کون المعروف فیهم ما عرفوا و المنکر ما أنکروا :أی أنّ المعروف و المنکر تابعان لإرادتهم و میولهم الطبیعیّه فما أنکرته طباعهم کان هو المنکر بینهم و إن کان معروفا فی الشریعه و ما اقتضته طباعهم و مالت إلیه کان هو المعروف بینهم و إن کان منکرا فی الدین،و الواجب أن یکون إرادتهم و میولهم تابعه لرواسم الشریعه فی اتّباع ما کان فیها

معروفا و إنكار ما كان فيها منكرا.

الرابع: كنايه كون مفزعهم فى المعضلات إلى أنفسهم و تعويلهم فى المبهمات إلى آرائهم و هو كنايه عن كون أحكامهم فى كلّ ما يرد عليهم من مشكلات الدين و يستبهم من أحكامه تابعه لأهوائهم لا يجرونها على قانون شرعىّ يعرف حتّى أشيهت نفوسهم الأمّاره بالسوء الّتى هى منبع الأهواء المخالفه للشريعه الأئمّه الّتى يرجع إليهم فى استفاده الأحكام فكلّ منهم يأخذ عن نفسه:أى يتمسّك فيما يراه و يحكم به بآراء كأنّها عنده عرى وثيقه:أى لا يضلّ من تمسّك بها و أسباب محكمات:أى نصوص جليّه و ظواهر واضحه لا اشتباه فيها،و قد عرفت معنى الحكم، استعاره و لفظ العرى مستعار،و قد سبق وجه الاستعاره.

و باللّه العصمه و التوفيق.

۸۶-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَهٍ مِنَ الرُّسُلِ- وَ طُولِ هَجْعَهٍ مِنَ الْأُمَمِ وَ اعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ- وَ انْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ وَ تَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ- وَ الدُّنْيَا كَاسِفَهُ النُّورِ ظَاهِرَهُ الْغُرُورِ- عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا- وَ إِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَ اغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا- قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وَ ظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى- فَهِىَ مُتَجَهِّمَهٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَهٌ فِى وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا الْفِتْنَهُ- وَ طَعَامُهَا الْجِيفَهُ وَ شِعَارُهَا الْخَوْفُ وَ دِثَارُهَا السَّيْفُ- .فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ- وَ اذْكُرُوا تِيكَ الَّتِى آبَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ- وَ عَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ- وَ لَعَمْرِى مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَ لَا بِهِمُ الْعُهُودُ- وَ لَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَ الْقُرُونُ- وَ مَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِى أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ-.وَ اللَّهِ مَا أَسْمَعَكُمُ؟الرَّسُولُ؟ شَيْئاً-

ص:۳۰۹

إلاّ وَ هَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوهُ- وَ مَا أَسْمَاعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ- وَ لاَ شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ- وَ لاَ جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ فِى ذَلِكَ الزَّمَانِ- إِلاَّ وَ قَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِى هَذَا الزَّمَانِ- وَ وَ اللَّهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ- وَ لاَ أُصْفِيتُمْ بِهِ وَ حُرِمُوهُ- وَ لَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا رِخْواً بِطَانُهَا- فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ- فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ

اللغه

أقول: الفتره: ما بين زمانى الرساله .و الهجعه : النومه .و الاعتزام: العزم،و روى:

اعترام الفتن بالراء المهمله:أى كثرتها،و روى:اعتراض من اعترض الفرس الطريق إذا مشى عرضا من غير قصد .و تلظّت الحرب : تلهبّت .و التجهّم: العبوس .و الأحقاب : جمع حقب بضمّ الحاء و القاف و هو الدهر .و البطان : حزام البعير للقتب .

المعنى

و صوره هذا الفصل تذكيرهم بنعمه اللّه تعالى الّتى نفت ما كانوا فيه من بؤس و هى بعثه الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و ما استلزمته من الخيرات ليعتبروا فيشكروا و يخلصوا التوجّه إلى اللّه تعالى فأشار أوّلا إلى النعمه المذكوره ثمّ أردفها بالأحوال المذمومه الّتى تبدلّت بتلك النعمه الجسيمه،و عدّ منها امورا:

أحدها :الفتره من الرسل و ظاهر أنّ خلوّ الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود الشرور و وقوع الهرج و المرج،و تلك أحوال مذمومه يلحق ذلك الزمان بها من الذمّ بمقدار ما يلحق زمان وجود الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم من المدح.

الثانى :طول الهجعه من الأمم،و كنّى بالهجعه عن الغفله فى أمر المعاد و ساير المصالح الّتى ينبغى.

الثالث : كنايه الاعتزام من الفتن أمّا على الروايه الاولى فنسبه العزم إلى الفتن مجاز كنّى به عن وقوعها بين الخلق المشبه لقصدها إيّاهم ،و على الروايه الثانيه:أى على

كثره من الفتن،و على الروايه الثالثه فالمعنى أنّ الفتن لمّا كانت غير واقعه على قانون شرعىّ و لا نظام مصلحىّ و لذلك سميّت فتنه لا جرم أشبهت المعترض فى الطريق من الحيوان الماشى على غير استقامه،و لذلك استعير لها لفظ الاعتراض.

الرابع :و على انتشار من الامور:أى تفرّق امور الخلق و أحوالهم و جريان أفعالهم على غير قانون عدلىّ.

الخامس : استعاره بالكنايه التلظّى من الحروب .و قد سبق تشبيه الحرب بالنار فلذلك أسند إليها التلظّى على سبيل الاستعاره،و كنّى بها عن هيجانها و وجودها بينهم زمان الفتره.

السادس: استعاره بالكنايه-استعاره مرشحه و الدنيا كاسفه ،و الواو للحال:أى كاسف نورها،و نور الدنيا كنايه عن وجود الأنبياء و ما يأتون به من الشرائع و ما ينتج عنهم من الأولياء و العلماء كنايه بالمستعار،و وجه المشابهه ما يستلزم النور و وجود الأنبياء و الشرائع من الاهتداء بهما،و رشّح تلك الاستعاره بذكر الكسوف،و عبّر به عن عدم ذلك النور منها ملاحظه لشبهها بالشمس.

السابع : ظاهره الغرور :أى كلّ قد اغترّ بها و انهمك فى مشتهياتها و خدعته بخوادعها.

الثامن: استعاره بالكنايه كونه أرسل على حين اصفرارهن ورقها و إياس من ثمرها و اغورار من ماءها .استعار لفظ الثمره و الورق لمتاعها و زينتها،و لفظ الاصفرار لتغيّر تلك الزينه عن العرب فى ذلك الوقت و عدم طلاوه عيشهم إذن و خشونه مطاعمهم كما يذهب حسن الشجره باصفرار ورقها فلا يتلذّذ بالنظر إليها و عنى بالإياس من ثمرها انقطاع آمال العرب إذن من الملك و الدوله و ما يستلزمه من الحصول على طيّبات الدنيا،و كذلك استعار لفظ الماء لموادّ متاع الدنيا و طرق لذّاتها و لفظ الاغورار لعدم تلك الموادّ من ضعف التجارات و المكاسب و عدم التمليك للأمصار و كلّ ذلك لعدم النظام العدلىّ بينهم و كلّها استعارات بالكنايه و وجه الاستعاره الاولى أنّ الورق كما أنّه زينه للشجره و به كما له كذلك لذّات الدنيا و حياه الدنيا و زينتها،و وجه الثانيه أنّ الثمر كما أنّه مقصود الشجره غالبا و غايتها كذلك متاع الدنيا و الانتفاع به هو مقصودها المطلوب منها لأكثر الخلق،

و وجه الثالثه أنّ الماء كما أنّه مادّه الشجر و به حياتها و قيامها فى الوجود كذلك مولود تلك اللذّات هى المكاسب و التجارات و الصناعات،و قد كانت العرب خاليه من ذلك،و وجوه باقى الاستعارات ظاهره.

التاسع: استعاره بالكنايه دروس أعلام الهدى .و كنّى بأعلام الهدى عن أئمّه الدين،و كتبه الّتى بها يهتدى لسلوك سبيل اللّه و بدروسها عن موت اولئك و عدمهم كنايه بالمستعار كما سبق.

العاشر :ظهور أعلام الردى.و هم أئمّه الضلال الداعين إلى النار.

الحادى عشر: استعاره بالكنايه كون الدنيا متجهّمه لأهلها عابسه فى وجوه طلاّبها ،و كنّى بذلك عن عدم صفائها فإنّ طيب العيس فى الدنيا إنّما يكون مع وجود نظام العدل و التصفيه بين أهلها و عدم التظالم و ذلك فى زمان الفتره مفقود بين العرب،و هو كنايه بالمستعار،و وجه المشابهه ما يلزمه المستعار عنه و له من عدم تحصيل المطلوب معهما.

الثانى عشر: استعاره كون ثمرها الفتنه :أى غايه سعيهم فيها على خبط فى ظلمات جهلهم إنّما هو الفتنه:أى الضلال عن سبيل اللّه و التيه فى ظلمات الباطل.و غايه كلّ شىء هو مقصوده فتشبه الثمره الّتى هى مقصود الشجره فلذلك استعير لها لفظها.

الثالث عشر: استعاره و طعامها الجيفه .يحتمل أن يكون لفظ الجيفه هنا مستعارا لطعام الدنيا و لذّاتها،و وجه المشابهه أنّه لمّا كانت الجيفه عباره عمّا أنتن و تغيّرت رائحته من جثّه حيوان و نحوها فخبث مأكله و نفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا و لذّاتها فى زمان الفتره أكثر ما يكون من النهب و الغاره و السرقه و نحوهما ممّا يخبث تناوله شرعا و ينفر العقل منه و تأباه كرائم الأخلاق فأشبه ما يحصل من متاعها إذن الجيفه فى خبثها و سوء مطعمها و إن كان أحد الخبيثين عقليّا و الآخر حسّيا فاستعير لفظها له،و يحتمل أن يكنّى بالجيفه عمّا كانوا يأكلون فى الجاهليّه من الحيوان غير مذكّى و هو ما حرّمه القرآن الكريم من ذلك فى قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَهُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَهُ وَ الْمَوْقُوذَهُ» : (1)أى المضروبه بالخشب حتّى تموت و يبقى الدم فيها فيكون

ص:۳۱۲

۱- ۱) ۴-۵.

أطيب كما زعم المجوس،و المتردّيه:أى الّتى تردّت من علوّ فماتت.فإنّ كلّ ذلک إذا مات فکثيرا ما يتعفّن و يؤكل فيصدق أن طعامهم كان الجيفه .

الرابع عشر:كون شعارها الخوف .

الخامس عشر: استعاره كون دثارها السيف .استعار لفظ الشعار للخوف و الدثار للسيف، و وجه الاستعاره الاولى أنّ الخوف و إن كان من العوارض القلبيّه إلاّ أنّه كثيرا ما يستتبع اضطراب البدن و انفعاله بالرعده فيكون شاملا له شمول ما يتّخذه الإنسان شعارا،و وجه الثانيه أنّ الدثار و السيف يشتركان فى مباشره المدّثر و المضروب من فوقهما .

و قوله: فاعتبروا عباد اللّه شروع فى المقصود.فقوله : و اذكروا تلک. إشاره إلى وجه العبره من قبايح الأعمال:أى تلک الأعمال الّتى كانت عليها آباؤكم و إخوانكم زمان الفتره و زمان دعوه الرسول لكم،و قوله: فهم بها مرتهنون :أى محبوسون فى سلاسل الهيئات البدنيّه و أغلال ما اكتسبوا منها،و محاسبون عليها .و قوله: تشبيه و لعمرى.إلى قوله:ببعيد.

إلحاق بهم بآبائهم فى تشبيه زمانهم بزمانهم و تقارب ما بين الزمانين و تشبيه أحوالهم بحالهم فى امور:

أحدها:أنّ اولئک كانوا آبائكم و ليس زمان الابن و حاله ببعيد من حال أبيه فيما يأتى و يذر .

الثانى:أنّ الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم لم يسمعهم شيئا إلاّ و أسمعتكم إيّاه فلا فرق بينكم و بينهم من هذه الجهه .

الثالث:أنّه لا تفاوت بين إسماعكم و إسماعهم .

الرابع:أنّ ساير الآلات البدنيّه الّتى كانت لاولئک فاكتسبوا بها كما لا و لم تكتسبوا حاصله لكم أيضا.

الخامس :أنّكم لم تعلموا شيئا كان آباؤكم جهلوه حتّى يكون ذلک سببا للفرق بينكم و بينهم.

السادس :و لا اصفيتم من الدنيا بشىء لم يكن لآبائكم مثله،و غرضه من إلحاقهم بآبائهم فى هذه الأحوال أمران:أحدهما:التنفير عن حال من سبق من العاصين بمخالفه

أو امر اللّه تعالى.الثانى:الجذب و الترغيب فى حال من سبق ممّن أطاع اللّه و الرسول فإنّه إذا حصلت المشابهه بينهم و بين السابقين و المتشابهان يتّحدان فى اللوازم كان من تشبّه بسابق فى عصيانه لزمه ما لزمه من أليم العقاب،و من تشبّه به فى طاعته و انقياده للّه لزمه ما لزمه من الوصول إلى جزيل الثواب .

استعاره بالكنايه و قوله: و لقد نزلت بكم البليّه.

يشبه أن يكون إنذارا بابتلاء الخلق بدوله بنى اميّه و ملوكها ، استعاره بالكنايه و قوله: جائلا خطامها .كنايه بالمستعار عن خطرها و صعوبه حال من يركن إليها فإنّها لمّا كانت دوله خارجه عن نظام الشريعه جاريه على وفق الأوهام كان الراكن إليهم على خطر فى دينه و نفسه كما أنّ من ركن إلى الناقه الّتى جال خطامها،أى لم يثبت فى وجهها و ارتخى حزامها فركبها كان على خطر أن تصرعه فيهلك ، استعاره ثمّ أردف ذلك بالنهى عن الاغترار بما أصبح فيه أهل الغفله من متاع الدنيا و طيّباتها و نفّر عنه باستعاره لفظ الظلّ له،و وجه المشابهه ما يشتركان فيه من كونه ممدودا ينتهى عند أجل و يزول به .و باللّه التوفيق.

۸۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

:اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَهٍ وَ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّهٍ- الَّذِى لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ- وَ لاَ حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ وَ لاَ لَيْلٌ دَاجٍ وَ لاَ بَحْرٌ سَاجٍ- وَ لاَ جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَ لاَ فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ- وَ لاَ أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَ لاَ خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ- ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَ وَارِثُهُ وَ إِلَهُ الْخَلْقِ وَ رَازِقُهُ- وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبَانِ فِى مَرْضَاتِهِ- يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ وَ أَحْصَى آثَارَهُمْ وَ أَعْمَالَهُمْ- وَ عَدَدَ أَنْفُسِهِمْ وَ خَائِنَهَ أَعْيُنِهِمْ- وَ مَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ- وَ مُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ

الْأَرْحَامِ وَ الظُّهُورِ- إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ هُوَ الَّذِی اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَی أَعْدَائِهِ فِی سَعَهِ رَحْمَتِهِ- وَ اتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِیَائِهِ فِی شِدَّهِ نِقْمَتِهِ- قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ وَ مُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ وَ مُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ- وَ غَالِبُ مَنْ عَادَاهُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَیْهِ کَفَاهُ وَ مَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ- وَ مَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ وَ مَنْ شَکَرَهُ جَزَاهُ- عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا- وَ حَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا- وَ تَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِیقِ الْخِنَاقِ وَ انْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّیَاقِ- وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ یُعَنْ عَلَی نَفْسِهِ- حَتَّی یَکُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَ زَاجِرٌ- لَمْ یَکُنْ لَهُ مِنْ غَیْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَ لَا وَاعِظٌ

اللغه

أقول: الأرتاج : الأغلاق .و الساجی : الساکن .و الفجاج : الاتّساع .و الفجّ:

الواسع .و دائبان : مجدّان فی سیرهما .و عازّه : غالبه .و المناواه : المعاداه .

المعنی

و قد صدر هذا الفصل باعتبارات إضافیّه للحقّ سبحانه فی معرض تمجیده :

فالأوّل:کونه تعالی معروفا من غیر رؤیه

،و قد سبق معنی معرفته تعالی و مراتبها و بیان کونه منزّها عن الرؤیه بحاسّه البصر .

الثانی:کونه تعالی خالقا من غیر رویّه

،و قد سبق أیضا بیانه فی قوله فی الخطبه الاولی:بلا رویّه أجالها .

الثالث:کونه لم یزل دائما

،و ذلک لکون وجوب وجوده مستلزما لاستحاله عدمه أزلا و أبدا.

الرابع:کونه قائما.

یجوز أن یرید به معنی الدائم الباقی،و یجوز أن یرید به القائم بامور العالم،و للمفسّرین فیه علی هذا الوجه أقوال:

الأوّل:عن ابن عبّاس-رضی اللّه عنه-کونه عالما بالخلق أینما کانوا و ضابطا

لأحوالهم.

الثانی:قیامه توکیله الحفظه علیهم و هو المشار إلیه بقوله تعالی «أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلی کُلِّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ» .

الثالث:القائم علی الشیء هو الحافظ له و المدبّر لأمره.

الرابع:هو المجازی بالأعمال.

الخامس:هوالقاهرلعباده المقتدر علیهم

،و قوله : إذ لا سماء.إلی قوله:ذو اعتماد إشاره إلی جهه اعتبار أزلیّه قیامه بذاته و سبقه لکلّ ممکن و دوامه تقریرا لقول الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم:کان اللّه و لا شیء. استعاره بالکنایه فأمّا الحجب ذات الأرتاج فیحتمل أن یرید بها السماوات علی ظاهر الشریعه و أنّه تعالی فی السماء فأشبهت الحجب له فأطاق له لفظها علیها،و کونها ذات أرتاج کنایه عن عدم التمکّن من فتحها و الدخول فیها کنایه بالمستعار ،و قال بعض الفضلاء:أراد بها الهیئات البدنیّه و محبّه الدنیا و الظلمات الحاصله للنفس الحاجبه لها عن مشاهده أنوار جلال اللّه حتّی کأنّها أقفال علیها کما قال تعالی «أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها» و قوله : و لا خلق ذو اعتماد :أی ذو قوّه و بطش .

السادس:کونه مبتدع الخلق

:أی مخترعه علی غیر مثال سبق.

السابع:کونه وارثه:

أی کما أنّه مبدأه فهو مآله و مرجعه،و ذلک إشاره إلی کونه دائما قائما لم یزل و لا یزال .

الثامن:کونه إله الخلق

و هو اعتبار یلحقه بالقیاس إلی ایجاده لهم و استعباده إیّاهم.

التاسع:کونه رازقهم

و هو اعتبار له بالقیاس إلی إفاضه سایر نعمه علیهم.

أحدها :کون الشمس و القمر دائبین فی مرضاته:أی علی وفق إرادته للخیر المطلق و النظام الکلّی،و ذکرهما فی معرض تمجیده لکونهما من أعظم آیات ملکه،و قوله :

یبلیان کلّ جدید .نسب الإبلاء إلیهما لکون حرکاتهما من الأسباب لحدوث الحوادث فی هذا العالم و تغیّراته،و کذلک قوله : و

يقرّبان كلّ بعيـد ،و فيه جـذب إلى ذكر المعاد و العمل له فكونهما يبليان كلّ جديد متبّه على عدم الثقه و الاعتماد على ما يروق و يعجب من حسن الأبدان وجدتها،و كذلك ما يحدث و يتجدّد من قينات الدنيا و لذّاتها

ص:۳۱۶

لوجوب دخولها فيما يبلى و كونهما يقرّبان البعيد تنبيه مع ذلک على الحذر ممّا يستبعده أهل الغفله من الموت و الفناء فى صحّه أبدانهم و سلامتهم فى حياتهم الدنيا .

العاشر:كونه تعالى قسم أرزاقهم

كقوله «نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا» (١)أى وهب لكلّ من الخلق ما كتب له فى اللوح المحفوظ .

الحادى عشر:كونه أحصى آثارهم.

إلى قوله: من الأرحام و الظهور :أى أحصى كلّ ذلک منهم بقلم القضاء الإلهى فى الألواح المحفوظه و إليه الإشاره بقوله تعالى «وَ اللّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ» و قوله «وَ ما مِنْ غائِبَهٍ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» (٢)و قوله «يَعْلَمُ خائِنَهَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ» (٣)و قوله «وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِي الْأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللّهِ رِزْقُها وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» (۴)و قوله : إلى أن تتناهى بهم الغايات :أى يعلم كلّ أحوالهم من حين ابتدائهم إلى أن يقف كلّ عند غايته المكتوبه له من خير أو شرّ .

الثانى عشر:هو الّذى اشتدّت نقمته على أعدائه فى سعه رحمته و اتّسعت رحمته

لأوليائه فى شدّه نقمته

و أشار بذلک إلى كمال ذاته بالنسبه إلى ملوک الدنيا مثلا فإنّ أحدهم فى حاله غضبه على عدوّه لا يتّسع لرحمته و لا رحمه غيره،و كذلک فى حال رحمته لأوليائه لا يجتمع معها غضبه عليهم،و لمّا ثبت أنّه تعالى هو الغنىّ المطلق المنزّه عن صفات المخلوقين و أنّه المعطى لكلّ قابل ما يستحقّه من غير توقّف فى وجوده على أمر من ذاته و كان أعداء اللّه مستعدّون ببعدهم عنه لقبول سخطه و شدّه نقمته فى الآخره لا جرم أولاهم ذلک و إن كانوا فى الدنيا فى سعه رحمته و شمول نعمته،و كذلک أولياؤه لمّا استعدّوا لقبول رحمته و شمول نعمته أفاضها عليهم فهم فى حضره قدسه على غايه من البهجه و السعاده و ضروب الكرامه و إن كانوا بأجسادهم فى ضروب من العذاب و شقاوه الفقر و الضنک فى الدنيا،و ذلک لا يملكه إلاّ حليم لا يشغله غضب عن رحمته،عدل حكيم لا تمنعه رحمته عن إنزال عقوبته سبحانه ليس إلاّ هو .

ص:٣١٧

١- ١) ٣١-۴٣

٢- ٢) ٧٧-٢٧

٣- ٣) ٢٠-۴٠

۴- ۴) ٧-١١

الثالث عشر:قاهر من عازّه.

إنّه تعالى قاهر باعتبار أنّه قاصم ظهور الجبابره من أعدائه فيقهرهم بالموت و الإذلال كفرعون إذ قال: «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى فَأَخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الْآخِرَهِ وَ الْأُولى» .و هو الّذى يلحق هذا الاعتبار مطلقا إذ كلّ موجود فهو مسخّر تحت قدرته و قهره عاجز فى قبضته .

الرابع عشر:

و مدمّر من شاقّه .

الخامس عشر:

و مذّل من ناوأه .

السادس عشر:و غالب من عاداه.

فمشاقّه اللّه اتّباع غير سبيله من بعده ما يتبيّن للمنحرف الهدى،و مناوأته الإعراض عن أوامره و اتّباع الشهوات و إذلاله تعالى حينئذ هو إفاضته لصوره الحاجه إلى غيره .

السابع عشر:

كافى من توكّل عليه .

الثامن عشر:

و معطى من سأله .

التاسع عشر:

و قاضى من أقرضه .

العشرون:

و مجازى من شكره. و هذه الاعتبارات تعود إلى حرف واحد و هو أنّ العبد إذا استعدّ بحسن التوكّل و السؤال و الصدقه و الشكر لنعم اللّه وجب فى جود اللّه و حكمته إفاضه كفايته فيما توكّل عليه فيه فكفايته من الكمالات إفاضه تمامها عليه، و من رفع النقصانات دفعها عنه ثمّ إعطاؤه ما سأل إذا استعدّ لقبوله ثمّ أداؤه عن قرضه أضعافه ثمّ جزاؤه على شكر زياده إنعامه،و أطلق لفظ القرض لما يعطى الفقير مجازا كما قال تعالى «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً» (۱)أى بريئا من جهات الرياء و السمعه

خالصا لوجه اللّه فيضاعفه له أضعافا كثيره،و وجه المناسبه كون الفقراء أهل اللّه و عياله فكان المعطى هو اللّه تعالى .

و قوله:عباد اللّه إلى آخره.

و قوله: عباد اللّه .إلى آخره.

شروع فى الشصور و الموعظه فقوله : زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا .زنه النفوس فى الدنيا اعتبار أعمالها و ضبطها بميزان العدل:أى مراعاه استقامتها على حاقّ الوسط من طرفى

ص:۳۱۸

۱- ۱) ۲۴۶-۲

الإفراط و التفريط اللـذين هما ككفّتى الميزان مهما رجحت إحداهما فالنقصان لازم و الخسـران قايم،و أمّا الميزان الاخروى فأمّا على رأى المتكلّمين و ظاهر الشـريعه فظاهر و أمّا على رأى محقّقى السالكين من الصوفيّه فما أشار إليه الإمام الغزّالىّ-رضى اللّه عنه-كـاف فى بيـانه قـال:إنّ تعلّق النفس بالجسـد كالحجـاب لهـا عن حقـايق الاـمور و بـالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى «فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» (۱)و ممّـا ينكشف له تأثير أعماله فيما يقرّبه إلى اللّه تعالى و يبعّـده عنه،و مقادير تلـك الآثـار و أنّ بعضـها أشـدّ تـأثيرا من بعض،و فى قـدره اللّه تعـالى أن يجرى شـيئا يعرف الخلق به فى لحظه واحـده مقـادير الأعمـال بالإضـافه إلى تأثيراتهـا فى التقريب و الإبعـاد فحـدّ الميزان مـا به يتميّز الزيـاده و النقصـان و إن اختلف مثـاله فى العـالم المحسوس فمنه الميزان المعروف و منه القبّان و الاصـطرلاب لحركـات الفلك،و المسطره لمقادير الخطوط،و العروض لمقادير حركات الأصوات فهذه كلّها أمثله للميزان الحقيقىّ،و هو ما يعرف به الزياده و النقصان و هو موجود فيها بأسرها،و صورته تكون للحسّ عند التشكيك و للخيال بالتمثيل .

و قوله:و حاسبوه قبل أن تحاسبوا.

اشاره

و قوله: و حاسبوه قبل أن تحاسبو.

محاسبه النفس ضبط الإنسان على نفسه أعمالها الخيريّه و الشريّه ليزكّيها بما ينبغى لها و يعاقبها على فعل ما لا ينبغى،و هى باب عظيم من أبواب المرابطه فى سبيل اللّه فإنّ

للعارفين فى سلوك سبيل اللّه و مرابطتهم مع أنفسهم مقامات خمسه:

الاولى:المشارطه ثمّ المراقبه ثمّ المحاسبه ثمّ المعاتبه ثمّ المجاهده و المعاقبه.

و ضـربوا لذلك مثالا فقالوا:ينبغى أن يكون حال الإنسان مع نفسه كحاله مع شـريكه إذا سلّم إليه ما لا ليتّجر به فالعقل هو التاجر فى طريق الآخره،و مطلبه و ربحه تزكيه النفس إذ بـذلك فلاحها كما قال تعالى «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها» (۲)و إنّما علاجها بالأعمال الصالحه فالعقل يستعين بالنفس فى هذه التجاره إذا يستسـخرها فيما يزكّيها كما يستعين التاجر بشريكه،و كما أنّ الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه فى الربح فيحتاج أن يشارطه أوّلا،و يراقبه ثانيا،و يحاسبه ثالثا،و يعاتبه أو يعاقبه

۱- (۱) ۲۱-۵۰

۲- (۲) ۹-۹۱

رابعا فکذلک العقل یحتاج إلی مشارطه النفس أوّلا فیوظّف علیها الوظایف،و یأمرها بسلوک طریق الحقّ،و یرشدها إلیها،و یحرّم علیها سلوک غیرها کما یشترط التاجر علی شریکه.

الثانیه:أن لا یغفل عن مراقبتها لحظه فلحظه

عند خوضها فی الأعمال و یلاحظها بالعین الکالئه و إلی مقام المراقبه الإشاره بقوله تعالی «وَ الَّذِینَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ وَ الَّذِینَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ» (۱)و قوله صلی اللّه علیه و آله و سلّم:اعبد اللّه کأنّک تراه،و قد سبق بیان حقیقه المراقبه،و لا بدّ منها فإنّ الإنسان لو غفل عن نفسه و أهملها لم یر منها إلاّ الخیانه و تضییع رأس المال کالعبد الخائن إذا انفرد بمال سیّده.

الثالثه:ثمّ بعد الفراغ من العمل ینبغی أن یحاسبها و یطالبها بالوفاء بما شرط

فإنّ هذه تجاره ربحها الفردوس الأعلی فتدقیق الحساب فی هذا أهمّ من التدقیق فی أرباح الدنیا لحقارتها بالنسبه إلی نعیم الآخره فلا ینبغی أن یهمل من مناقشتها فی ذرّه من حرکاتها و سکناتها و خطراتها و لحظاتها فإنّ کلّ نفس من أنفاس العمر جوهره نفیسه لا عوض لها یمکن أن یشتری بما کنزه من کنوز الآخره لا یتناهی.قالوا:و ینبغی للإنسان أن یخلو عقیب فریضه کلّ صبح مع نفسه بالوصیّه و یقول:أی نفس لیس لی بضاعه إلاّ العمر و مهما فنی فقد فنی رأس مالی،و وقع الیأس من التجاره و طلب الربح،و هذا یوم جدید قد أمهلنی اللّه فیه و هو صاحب البضاعه و ربّها و لو توفّانی لقلت: «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ» :فاحسبی إنّک رددت فإیّاک و تضییع هذا الیوم و الغفله فیه.و اعلمی أنّ الیوم و اللیله أربع و عشرون ساعه،و قد ورد فی الخبر أنّه یفتح للعبد فی کلّ یوم و لیله أربع و عشرون خزانه مصفوفه فیفتح لها فیها خزانه فیراها مملوّه نورا من حسناته الّتی عملها فی تلک الساعه فینال من الفرح و الاستبشار بمشاهده تلک الأنوار ما لو قسّم علی أهل النار لأغناهم عن الإحساس بآلامها،و یفتح له خزانه اخری فیراها سوداء مظلمه یفوح نتنها و یغشاهم ظلامها و هی الساعه الّتی عصا اللّه تعالی فیها فینا له من الهول و الفزع ما لو قسّم علی أهل الجنّه لتغصّ علیهم نعیمها،و یفتح له خزانه اخری فارغه

۱- ۱) ۳۲-۷۰

لیس فیها ما یسرّه و ما یسوءه و هی الساعه الّتی نام فیها أو غفل فی شیء من مباحات الدنیا فیتحسّر علی خلوّها و یناله من الغبن الفاحش ما ینال من قدر علی ربح کثیر ثمّ ضیّعه،و إلیه الإشاره بقوله تعالی «یَوْمَ یَجْمَعُکُمْ لِیَوْمِ الْجَمْعِ ذلِکَ یَوْمُ التَّغابُنِ» (۱)و قال بعضهم:هب أنّ المسیئ قد عفی عنه ألیس فاته ثواب المحسنین.و هو إشاره إلی الغبن و الحسره یومئذ،ثمّ یستأنف وصیّته لأعضائه السبعه:و هی العین و الاذن و اللسان و البطن و الفرج و الید و الرجل،و یسلّمها إلیها فإنّها رعایا خادمه لها فی التجاره و بها یتمّ أعمال هذه التجاره،و أنّ لجهنّم سبعه أبواب لکلّ باب منهم جزء مقسوم،و إنّما یتعیّن تلک الأبواب لمن عصی اللّه تعالی بهذه الأعضاء،و یوصی کلّ عضو بما ینبغی له و ینهاه عمّا لا ینبغی له،و یرجعه فی تفصیل تلک الأوامر و النواهی إلی مراسم الشریعه ثمّ یشترط علیها إن خالفت ذلک عاقبها بالمنع من شهواتها،و هذه الوصیّه قد تکون بعد العمل و قد تکون قبله للتحذیر کما قال تعالی ف «اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ یَعْلَمُ ما فِی أَنْفُسِکُمْ فَاحْذَرُوهُ» (۲).

الرابعه:المجاهده و المعاقبه،

و هو بعد المحاسبه إذا رأی نفسه قد تاقت معصیه فینبغی أن یعاقبها بالصبر عن أمثالها و یضیّق علیها فی مواردها و ما یقود إلیها من الامور المباحه و إن رآها توانت و کسلت عن شیء من الفضایل و ورد من الأوراد فینبغی أن یؤدّ بها بتثقیل الأوراد علیها و یلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات.روی:أنّ ابن عمر أخّر صلاه المغرب حتّی طلع کوکبان فأعتق رقبتین.

الخامسه:توبیخ النفس و معاتبتها،

و قد علمت أنّ لک نفسا أمّاره بالسوء میّاله إلی الشرّ،و قد امرت بتقویمها و قودها[عودها ج]بسلاسل القهر إلی عباده ربّها و خالقها و بمنعها عن شهواتها و لذّاتها المألوفه فإن أهملتها شردت و جمحت و لم تظفر بها بعد ذلک،و إن لازمتها بالتوبیخ و المعاتبه و اللائمه کانت نفسک هی النفس اللوّامه،و سبیل المعاتبه أن تذکّر النفس عیوبها و ما هی علیه من الجهل و الحمق و ما بین یدیها من مغافصه الموت و ما تؤول إلیه من الجنّه و النار و ما علیه اتّفاق کلمه أولیاء اللّه الّذین هم بتسلیمها سادات

۱- ۱) ۹-۶۴.

۲- ۲) ۲۳۶-۲.

الخلق و رؤساء العالم من وجوب سلوك سبيل اللّه و مفارقه معاصيه،و تذكيرها بآيات اللّه و أحوال الصالحين من عباده.فهذه محاسبات النفس و مرابطاتها،و أمّا حسابها الاخرویّ فقد سبقت الاشاره إليه .

و قوله و تنفّسوا من قبل ضيق الخناق.

استعاره و قوله و تنفّسوا من قبل ضيق الخناق.

استعار لفظ النفس لتحصيل الراحه و البهجه فی الجنّه بالأعمال الصالحه فی الدنيا المستلزمه لها كما يستلزم النفس راحه القلب من الكرب،و استعار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت،و وجه المشابهه ما يستلزمه ضيق الخناق و الموت من عدم التمكّن و التصرّف و العمل:أی انتهزوا الفرصه للعمل قبل تعذّره بزوال وقته و ضيقه .

و قوله:و انقادوا قبل عنف السياق.

و قوله: و انقادوا قبل عنف السياق.

أی انقادوا لأوامر اللّه إلی طاعته قبل السوق العنيف و هو سوق ملك الموت بالجذبه المكربه كما سبق .

و قوله:و اعلموا أنّه من لم يعن علی نفسه إلی آخره.

و قوله: و اعلموا أنّه من لم يعن علی نفسه .إلی آخره.

أی من لم يعنه اللّه علی نفسه.و إعانته له هو إعداد العنايه الإلهيّه لنفسه الناطقه أن تقبل السوانح الخيريّه،و تأييدها بها علی النفس الأمّاره بالسوء لتقوی بتلك السوانح علی قهرها و علی الانزجار عن متابعتها و الانجذاب إلی ما تدعوها إليه من الشهوات فإنّه متی لم يكن لها ذلك الاستعداد و القبول لم ينفعها وعظ غيرها و لم يقبله إذ لا قبول بدون استعداد للمقبول.و فی ذلك تنبيه علی وجوب الاستعانه باللّه فی أحوال النفس و دفع الشيطان عنها.و باللّه التوفيق.

۸۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

تعرف بخطبه الأشباح،

و هی من جلائل خطبه،و كان سائل سئله أن يصف اللّه تعالی حتّی كأنّه يراه عيانا فغضب لذلك،و قال الخطبه.روی مسعده بن صدقه عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام أنّه قال:خطب أمير المؤمنين عليه السّلام هذه الخطبه علی منبر الكوفه،و ذلك أنّ رجلا أتاه فقال له:يا أمير المؤمنين صف لنا ربّنا لنزداد له حبّا و به معرفه فغضب

و نـادى:الصـلاه جامعه.فـاجتمع الناس حتّى غصّ المسجد بأهله فصعد المنبر و هو مغضب متغيّر اللون فحمـد اللّه و أثنى عليه و صلّى على النّبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ خطبها.

و أعلم أنّ فى الخطبه فصولا:

الفصل الأوّل.

اشاره

قوله:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لاَ يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَ الْجُمُودُ- وَ لاَ يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ- إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلاَهُ- وَ هُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ وَ عَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَ الْقِسَمِ- عِيَالُهُ الْخَلاَئِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ- وَ نَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ وَ الطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ- وَ لَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ- الْأَوَّلُ الَّذِى لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ- وَ الْآخِرُ الَّذِى لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ- وَ الرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ- مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ- وَ لاَ كَانَ فِى مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الاِنْتِقَالُ وَ لَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ- وَ ضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَ الْعِقْيَانِ- وَ نُثَارَهِ الدُّرِّ وَ حَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِى جُودِهِ- وَ لاَ أَنْفَدَ سَعَهَ مَا عِنْدَهُ- وَ لَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لاَ تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ- لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِى لاَ يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ- وَ لاَ يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ

ص:۳۲۳

اللغه

أقول: الأشباح : الأشخاص .و يفره: يزيد ماله وفورا و يتمّمه .و يكديه : ينقص خيره .و تنفّست عنه : انفرجت .و الفلزّ : ما ينقيه الكير ممّا يذاب من جواهر الأرض .و العقيان : الذهب الخالص .و المرجان : صغار اللؤلؤ .و ألحّ فى سؤاله : إذا أدام عليه .

و قد شرع فى وصف اللّه سبحانه باعتبارات له إلى آثاره :

الأوّل:

أنّه لا يتزيّد بما حرمه و منعه من فضله .

الثانى:و لا ينقصه عطاؤه و جوده.

ثمّ ردّ حكم الوهم عليه سبحانه بدخوله فى عموم المنتقصين بالعطايا بقوله: إذ كلّ معط منتقص سواه ،و كذلك قدّسه عن الدخول فى زمره المذمومين بمنعهم ما فى أيديهم عن طالبه بقوله: و كلّ مانع مذموم ما خلاه فكانت هاتان القضيّتان مؤكّدتين للاولیین،و برهانهما أنّ التزيّد بالمنع و التنقّص بالإعطاء إنّما يطلق فى حقّ من ينتفع و يتضرّر بالزياده و النقصان و الانتفاع و التضرّر على اللّه محال فالتزيّد و التنقّص عليه محال،و لأنّهما يقضيان عليه بالحاجه و الإمكان،و لأنّ مقدوراته غير متناهيه،و نبّه بقوله: إذ .على جهه الفرق بينه و بين خلقه،و إنّما انتقص المعطى من خلقه لحاجته إلى ما يعطيه و انتفاعه به،و إنّما استحقّ المانع منهم الذمّ دونه سبحانه لكون ما يصدر عنه من منع و إعطاء مضبوطا[منوطا خ]بنظام الحكمه و العدل دون غيره من المانعين فإنّ غالب منعهم يكون عن شحّ مطاع و هوى متّبع.و اعلم أنّ صدق الكلّيّه فى المنتقصين بالعطاء ظاهر،و أمّا فى المذمومين بالمنع فتحقيقها أنّ كلّ مانع للمال فهو إنّما يمنعه خوف الفقر و نحوه،و ظاهر أنّ الخائف من الفقر فى الدنيا محبّ لها و هو بمعزل عن عباد اللّه المتوكّلين عليه الزاهدين فى متاع الدنيا و قيناتها،و إذا كان العبد مأمورا بأن يكون من هؤلاء و فى زمرتهم فبالحرىّ أن يكون مستحقّا للذمّ على ما يمنعه من ماله فيكون حجابا لوجهه عن النظر إلى وجه اللّه الكريم فصدق الكلّيّه إذن ظاهر.و فى أدعيه زين العابدين عليه السّلام:يا من لا يزيده كثره العطاء إلاّ كرما وجودا.و فيه سرّ لطيف فإنّه لمّا كان جوده سبحانه غير متوقّف إلاّ على وجود الاستحقاق،و كانت كلّ نعمه صدرت عنه معدّه لمحلّها و مهيّئه له لقبول نعمه اخرى كانت كثره عطائه مستلزمه لكثره الاعداد المستلزمه لزياده الجود .

ص:۳۲۴

الثالث:أنّه المنّان بفوائد النعم

،و المنّه تـذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته و التطاول عليه بها كقوله تعالى «يا بَنِی إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» (۱)فی غير موضع من كتابه و هی صفه مدح للحقّ سبحانه و إن كانت صفه ذمّ لخلقه،و السبب الفارق كون كلّ منعم سواه فيحتمل أن يتوقّع لنعمته جزاء و يستفيد كما لا يعود إليه ممّا أفاده و أيسره توقّع الذكر و يقبح ممّن يقابل بنعمته و يتوقّع لها جزاء أن يمّن بها لما يستلزمه المنّ من التطاول و الكبر،و توقّع الجزاء و الحاجه إليه مع التطاول و الكبر ممّا لا يجتمعان فی العرف.إذ التطاول و الكبر إنّما يليقان بالغنیّ عن ثمره ما تطاول به و لأنّ التطاول ممّا يتأذّى به المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفس المنعم لقبول رحمه اللّه و جزائه و لذلك ورد النهی عن المنّه فی قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى» (۲)فجعلهما سببا لبطلان الصدقه:أی عدم استحقاق ثوابها،و فوائد النعم:ما أفاد منها . و عوائد المزيد و القسم :معتادهما .

الرابع:

استعاره كون الخلائق عياله ضمن أرزاقهم و قدّر أقواتهم ،و استعار لفظ العيال للخلق بالنسبه إلى ربّهم،و وجه المشابهه أنّ عيال الرجل هو من جمعهم كيفيّتهم و يصلح حالهم كذلك الخلق إنّما خلقهم و جمعهم تحت عنايته ليصلح أحوالهم فی معاشهم و معادهم،و كذلك استعار لفظ الضمان لما وجب فی الحكمه الإلهيّه من وجود ما لا بدّ منه فی تدبير إصلاح حالهم من الأقوات و الأرزاق،و تقدير أقواتهم إعطاء كلّ ما كتب له فی اللوح المحفوظ من زائد و ناقص .

الخامس:كونه نهج سبيل الراغبين إليه و الطالبين ما لديه

،و ذكر أوّلا ما يصلح حالهم فی الدنيا و هو ضمان الأرزاق و تقدير الأقوات ثمّ أردفه بما هو سبب صلاح حالهم فی الآخره من نهج السبيل و ايضاحه و أشار به إلى ايضاح الشريعه لطريق السالكين الراغبين فی النظر إلى وجهه الكريم و الطالبين لما عنده من النعيم المقيم .

السادس:كونه ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسئل

،و يستلزم بيان هذا الوصف إشاره لطيفه و هو أنّ فيضان ما صدر عنه سبحانه له اعتباران:أحدهما:بالنظر إلى جوده

۱- ۱) ۴۴-۲.

۲- ۲) ۲۶۶-۲.

و هو من تلک الجهه غیر مختلف فی جمیع الموجودات بل نسبتها إلیه علی سواء بذلک الاعتبار.فلا یقال:هو بکذا أجود منه بکذا.و إلاّ لاستلزم ذلک أن یکون ببعض الأشیاء أبخل أو إلیها أحوج فیلزمه النقصان تعالی اللّه عن ذلک،و الثانی:بالنظر إلی الممکن نفسه و الاختلاف الواقع فی القرب و البعد إلی جوده إنّما هو من تلک الجهه فکلّ ممکن کان أتمّ استعدادا و أقبل للوجود و أقلّ شرطا و معاندا کان أقرب إلی جوده.إذا عرفت ذلک فاعلم أنّ السائل و إن حصل له ما سأل من اللّه تعالی دون ما لم یسئل فلیس منعه ما لم یسئله لعزّته عند اللّه و لیس بینه و بین ما سئل بالنسبه إلی جود اللّه تعالی فرق و تفاوت بل إنّما خصّ بما سئل لوجوب وجوده له عند تمام قبوله له بسؤاله دون ما لم یسئله و لو سئل ما لم یسئله و استحقّ وجوده لما کان فی الجود الإلهیّ بخل به و لا منع فی حقّه و إن عظم خطره و جلّ قدره و لم یکن له أثر نقصان فی خزائن ملکه و عموم جوده.و إلی هذا أشار علیّ بن موسی الرضا علیه السّلام و قد سئل عن الجواد فقال:لسؤالک وجهان إن أردت المخلوق فالّذی یؤدّی ما افترض اللّه علیه و البخیل الّذی یمنع ما افترض اللّه علیه و إن أردت الخالق فهو الجواد إن أعطی و إن منع لأنّه إن أعطی أعطی من له و إن منع منع من لیس له.فقوله:له.و لیس له،إشارتان إلی أنّ الجود الإلهیّ إنما یهب.و یتوقّف فی هبته علی وجود المستحقّ.و قد نزّهه علیه السّلام بهذا الوصف عن ضنّه الخلق إذ کان من شأنهم أن یکونوا بما سئلوا أجود منهم بما لم یسألوا لکونه أسهل علیهم و من شأن السائل أن لا یسألهم ما هو أعزّ عندهم و لذلک کانوا بما سئلوا أجود .

السابع:

الأوّل الّذی لم یکن له قبل فیکون شیء قبله .

الثامن:و الآخر الّذی لیس له بعد فیکون شیء بعده

،و قد أشرنا إلی هذین الوصفین فیما سلف و نزیدهما بیانا فنقول:الأولیّه و الآخریّه اعتباران إضافیّان تحدثهما العقول لذاته المقدّسه و ذلک أنّک إذا لاحظت ترتیب الوجود فی سلسله الحاجه إلیه سبحانه وجدته تعالی بالإضافه إلیها أوّل إذ کان انتهائها فی سلسله الحاجه إلی غناه المطلق فهو أوّل بالعلیّه و الذات و الشرف،و إذ لیس بذی مکان فالتقدّم بالمکان منفیّ عنه و الزمان متأخّر عنه.إذ هو من لواحق الحرکه المتأخّره عن الجسم المتأخّر عن علّته فلم یلحقه القبلیّه

الزمانيّه فضلا أن تسبق عليه فلم يكن شىء قبله مطلقا لا من الزمانيّات و لا من غيرها و إذا اعتبرته بالنظر إلى ترتيب السلوك و لاحظت مراتب السالكين المسافرين فى منازل عرفانه وجدته آخرا إذ هو آخر ما ترتقى إليه درجات العارفين و معرفته هى الدرجه القصوى و المنزل الآخر،و لأنّ كلّ موجود سواه فهو ممكن العدم فله من ذاته أن لا يستحقّ وجودا فضلا أن يستحقّ الآخريّه و البعديّه المطلقه،و هو تعالى الواجب لذاته فهو المستحقّ لبعديّه الوجود و آخريّته لذاته و بالقياس إلى كلّ موجود.فإذن هو الأوّل المطلق الّذى لا شىء قبله و الآخر المطلق الّذى لا شىء بعده .

التاسع:الرادع اناسىّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه

،و قد سبق أنّ القوّه الباصره إنّما تتعلّق بذى وضع و جهه و البارى تعالى منزّه عنهما فيستحيل أن يدرك بحاسّه البصر و ردعه لها قهرها بذلّ النقصان عن قبول إدراكه .

العاشر:كونه لم يختلف عليه دهر فيختلف عليه الحال.

لمّا كان الزمان مبدءا للتغيّرات و اختلاف الأحوال،و كان ذاته سبحانه منزّهه عن لحوق الزمان كانت مبرّءه عن تغيّر الأحوال الجاريه على الزمانيّات و اختلافها .

الحادى عشر:و لا كان فى مكان فيجوز عليه الانتقال.

لمّا كان من شأن ذى المكان جواز أن ينتقل من مكانه،و كان سبحانه منزّها عن المكان و إلاّ لزمه النقصان اللازم للإمكان لا جرم لم يجز عليه الانتقال .

الثانى عشر:كونه لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال

و ضحكت عنه أصداف البحار من فلزّ اللجين و العقيان.إلى قوله: مطالب الأنام .إنّما عدّد هذه الأشياء فى معرض المدح له تعالى لكونها أعظم ما يقتدر عليه الإنسان و يقتنيه و أجلّ ما يتنافس فيه أبناء الدنيا تنبيها على كمال قدرته و عدم تناهى مقدوراته إذ سبق أنّه إنّما يتأثّر بهبه مثل ذلك جود المحتاجين الّذين يتعاقب عليهم الانتفاع و التضرّر، استعاره و استعار لفظ الضحك للأصداف، و وجه الشبه انفتاح الصدفتين و إسفارهما عن اللؤلؤ الشبيه فى بدوّه بأسنان الإنسان حال ضحكه و عن لحمه تشبه اللسان فى رقّه طرفه و لطافته .و من صادف الصدفه عند فتحها وجدها كالإنسان يضحك، استعاره و كذلك استعار لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ ملاحظه

لشبهه بما يحصد من الحنطه و غيرها ،و اعلم أنّ الصدف و إن كان حيوانا ذو حسّ و حركه إلّا أنّ له شبها بالنبات و لحوقا به من جهه أنّه ذو عرق فی الأرض يغتذی به.و قد أجمل ما يخرج من معادن البرّ و البحر لتمييز السامعين بينهما،و قوله : لأنّه الجواد الّذی لا يغيضه سؤال السائلين و لا يبخله إلحاح الملحّين .إنّما كان هذا علّه لعدم تأثّر جوده بهبه ما يعظم قدره و نقصان خزائنه بإخراجه منها لأنّ الجواد الّذی شأنه ما ذكر إنّما كان كذلک لكونه ليس من شأنه أن يلحقه النفع و الضرر و النقص بل نعمه غير متناهيه، استعاره و استعار لفظ الغيض لنعمه ملاحظه لشبهها بالماء الّذی له مادّه تامّه لا ينقص بالنزح، و من روی:بغضبه.فلأنّ الغضب من لواحق المزاج،و الباری تعالی منزّه عنه فيتنزّه عن لواحقه،و كذلک البخل رذيله مكتسبه من البدن و المزاج تبعث إليها الحاجه و النقصان فمن لا يتزيّد و لا يتنقّص فلا يؤثّر فی ملكه أن يهب الدنيا لمن سألها.

الفصل الثانی:

اشاره

قوله:

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ- فَمَا دَلَّکَ؟الْقُرْآنُ؟ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ- وَ اسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَ مَا كَلَّفَکَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ- مِمَّا لَيْسَ فِی الْكِتَابِ عَلَيْکَ فَرْضُهُ- وَ لاَ فِی سُنَّهِ؟النَّبِیِّ ص؟ وَ أَئِمَّهِ الْهُدَی أَثَرُهُ- فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَی اللَّهِ سُبْحَانَهُ- فَإِنَّ ذَلِکَ مُنْتَهَی حَقِّ اللَّهِ عَلَيْکَ- وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِی الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ- عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَهِ دُونَ الْغُيُوبِ- الْإِقْرَارُ بِجُمْلَهِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ- فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَی اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ- عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً- وَ سَمَّی تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ- فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً- فَاقْتَصِرْ عَلَی ذَلِکَ- وَ لاَ تُقَدِّرْ عَظَمَهَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَی قَدْرِ عَقْلِکَ- فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ

ص:۳۲۸

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِی إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ- لِتُدْرِکَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ- وَ حَاوَلَ الْفِکْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ- أَنْ یَقَعَ عَلَیْهِ فِی عَمِیقَاتِ غُیُوبِ مَلَکُوتِهِ- وَ تَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَیْهِ لِتَجْرِیَ فِی کَیْفِیَّهِ صِفَاتِهِ- وَ غَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِی حَیْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ- لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ رَدَعَهَا- وَ هِیَ تَجُوبُ مَهَاوِیَ سُدَفِ الْغُیُوبِ مُتَخَلِّصَهً إِلَیْهِ سُبْحَانَهُ- فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَهً- بِأَنَّهُ لَا یُنَالُ بِجَوْرِ الِاعْتِسَافِ کُنْهُ مَعْرِفَتِهِ- وَ لَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِی الرَّوِیَّاتِ خَاطِرَهٌ مِنْ تَقْدِیرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ الَّذِی ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَی غَیْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ- وَ لَا مِقْدَارٍ احْتَذَی عَلَیْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ کَانَ قَبْلَهُ- وَ أَرَانَا مِنْ مَلَکُوتِ قُدْرَتِهِ- وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِکْمَتِهِ- وَ اعْتِرَافِ الْحَاجَهِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَی أَنْ یُقِیمَهَا بِمِسَاکِ قُوَّتِهِ- مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِیَامِ الْحُجَّهِ لَهُ عَلَی مَعْرِفَتِهِ- فَظَهَرَتِ الْبَدَائِعُ- الَّتِی أَحْدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَ أَعْلَامُ حِکْمَتِهِ- فَصَارَ کُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّهً لَهُ وَ دَلِیلًا عَلَیْهِ- وَ إِنْ کَانَ خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِیرِ نَاطِقَهٌ- وَ دَلَالَتُهُ عَلَی الْمُبْدِعِ قَائِمَهٌ فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَکَ بِتَبَایُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِکَ- وَ تَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَهِ لِتَدْبِیرِ حِکْمَتِکَ- لَمْ یَعْقِدْ غَیْبَ ضَمِیرِهِ عَلَی مَعْرِفَتِکَ- وَ لَمْ یُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْیَقِینُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَکَ- وَ کَأَنَّهُ لَمْ یَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِینَ مِنَ الْمَتْبُوعِینَ- إِذْ یَقُولُونَ «تَاللَّهِ إِنْ کُنّا

ص:۳۲۹

«لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ إِذْ نُسَوِّیکُمْ بِرَبِّ الْعالَمِینَ» - کَذَبَ الْعَادِلُونَ بِکَ إِذْ شَبَّهُوکَ بِأَصْنَامِهِمْ- وَ نَحَلُوکَ حِلْیَهَ الْمَخْلُوقِینَ بِأَوْهَامِهِمْ- وَ جَزَّءُوکَ تَجْزِئَهَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ- وَ قَدَّرُوکَ عَلَی الْخِلْقَهِ الْمُخْتَلِفَهِ الْقُوَی بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ- وَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاکَ بِشَیْءٍ مِنْ خَلْقِکَ فَقَدْ عَدَلَ بِکَ- وَ الْعَادِلُ بِکَ کَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْکَمَاتُ آیَاتِکَ- وَ نَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَیِّنَاتِکَ- وَ إِنَّکَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِی لَمْ تَتَنَاهَ فِی الْعُقُولِ- فَتَکُونَ فِی مَهَبِّ فِکْرِهَا مُکَیَّفاً- وَ لاَ فِی رَوِیَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَکُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً

اللغه

أقول: الاقتحام : الدخول فی الأمر بشدّه دفعه .و السدد : جمع سدّه و هی الأبواب و الحجب .و جاب البلاد : أی قطعها .و السدف : جمع سدفه و هی الظلمه :و الجبه : الردّ .

و احتذی علیه : أی سلک مسلکه .و الحقاق : جمع حقّ و هو أطراف عظام المفاصل ،و العادل :

الجاعل للّه عدیلا .و القریحه : قوّه الفکر .

المعنی

و صدر هذا الفصل تأدیب الخلق

فی وصفهم للّه سبحانه و تعلیمهم کیفیّه السلوک فی مدحه و الثناء علیه بما هو أهله و إن کان الخطاب للسائل إذ هو السبب فی هذه الخطبه،و ذلک علی طریقه قولهم:إیّاک أعنی و اسمعی یا جاره .فأرشده فی ذلک إلی کتاب اللّه،و أمره أن یجعله إماما یقتدی به و یستضیء بأنواره فی سلوک سبیل اللّه و کیفیّه وصفه فإنّ أولی ما وصف به تعالی هو ما وصف به نفسه ،و أمره بأن یکل علم ما لم یجده مفروضا علیه علمه فی کتاب اللّه أوفی سنّه رسوله و آثار أئمّه الهدی القائمین مقامه فی إیضاح الدین و حفظه إلی علم اللّه تعالی و هو المراد بالتفویض و ذلک أنّ أئمّه الهدی أعلم بوجوه نسبته تعالی إلی خلقه و بما یناسب تلک الاعتبارات من الألفاظ و یفیدها فیطلق علیه.و نفّر عن طلب ذلک و البحث عنه بإشارته إلی أنّه تکلیف الشیطان و ظاهر

أنّ طلب ما وراء حدود الشريعه الّتى نهيت عن تجاوزها إنّما هو بسبب وسوسه الشيطان و حرص الطبع على ما يمنع منه .ثمّ اعلم أنّ ذلك هو منتهى حقّ اللّه عليه و مطلوبه منه، و لمّا كان مطلوب الشارع حين وضع الشريعه و تقرير قواعدها هو جمع قلوب العالم على قانون واحد و اتّحادهم فيه بحيث لا يفترقوا فى اعتقاد أمر ما لئلّا يكون ذلك الافتراق سببا لضعف الدين و عدم تعاونهم على تشييده كما سبق بيانه لا جرم وجب فى الحكمه أن يحرم حينئذ عليهم الخوض فيما وراء ذلك لتثبت قواعد الدين فى قلوبهم و ترسخ و لا يخرج بهم البحث عن ما ورائها إلى إطراحها و فساد اعتقاد كثير من الخلق لها و لغيرها ممّا وراها.إذ لم يكن فيهم من يستعدّ لقبول ما وراء تلك الظواهر إلّا الفرد النادر و إن كنّا نعلم أنّه كان صلى اللّه عليه و آله و سلّم إذا علم من أحد استعدادا لقبول شىء من أسرار الشريعه و وثق به أن يحمله ألقاه إليه كعلىّ عليه السّلام دون أبى هريره و أمثاله ،ثمّ وصف بعد ذلك الراسخين فى العلم الممدوحين فى القرآن الكريم بقوله تعالى «لٰكِنِ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ» (۱)الآيه و قوله «وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا» (۲)و فسّر معنى الرسوخ فقال: هم الّذين أغناهم اللّه عن اقتحام السدد المضروبه دون الغيوب الإقرار بجمله ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب.فمدح اللّه اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما،و سمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخا ،و ممّا :

إشاره إلى السدد المضروبه و حجب الغيوب.

فلنشر إلى ما كشف عنه بعض العلماء الصوفيّه هاهنا و أشار إليه الخبر عن سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله و سلّم:

إنّ للّه تعالى سبعين حجابا من نور و ظلمه لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كلّ من أدرك بصره.و لمّا ثبت أن اللّه تعالى متجلّى لذاته بذاته فالحجاب لا بدّ و أن يكون بالنسبه إلى محجوب

فأقسام المحجوبين ثلاثه:

منهم من حجب بمجرّد ظلمه،و منهم من حجب بمجرّد نور،و منهم من حجب بنور مقرون بظلمه،و تحت كلّ قسم من هؤلاء أقسام كثيره لا تحصى فيكفينا الإشاره إلى اصولها فنقول:

۱- ۱) ۴-۱۶۰.

۲- ۲) ۵-۳.

القسم الأوّل:المحجوبون بمجرّد الظلمه

و هؤلاء هم الملحده الّذين لا يؤمنون باللّه و هم صنفان:فصنف منهم طلبوا للعالم سببا فأحالوه على الطبع و قد علمت أنّ الطبع صفه جسمانيّه مظلمه خاليه عن المعرفه و الإدراك،و صنف منهم لم يتفرّغوا لذلك و لم يتنبّهو الطلب السبب بل اشتغلوا بأنفسهم و عاشوا عيش البهايم فكانوا محجوبين بكدورات نفوسهم و شهواتهم المظلمه و لا ظلمه أشدّ من الهوى و لذلك قال اللّه تعالى «أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ» (۱)و قال النبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم:الهوى أبغض إله عبد على وجه الأرض.

و تحت هؤلاء فرق كثيره لا حاجه إلى ذكرها.

القسم الثانى:المحجوبون بنور مقرون بظلمه

و هم ثلاثه أصناف:

فصنف منهم

منشأ ظلمته الحسّ،

و صنف منهم منشأها الخيال،و صنف منهم منشأها مقايسات عقليّه فاسده.فالأوّلون أيضا طوائف:

الاولى:عبده الأوثان

فإنّهم علموا على سبيل الجمله أنّ لهم ربّا و أوجبوا إيثاره على أنفسهم و اعتقدوا أنّه أعزّ و أنفس من كلّ شىء،و لكنّهم حجبوا بظلمه الحسّ عن أن يتجاوزوا العالم المحسوس فى إثبات ربّهم فاتّخذوا من أنفس الجواهر كالفضّه و الذهب و الياقوت أشخاصا مصوّره بأحسن صوره و جعلوها آلهه فهؤلاء محجوبون بنور العزّ و الجلال من صفات اللّه لكنّهم وضعوها فى الأجسام المحسوسه فصارت حجبهم أنوارا مكدّره بظلمه الحسّ إذ الحسّ ظلمه بالإضافه إلى عالم المعقولات.

الثانيه:طائفه ترقّوا عن رتبه الأحجار فكانوا أدخل من عبده الأوثان فى ملاحظه

الأنوار

كما يحكى عن قوم من أقاصى الترك ليس لهم ملّه و لكن يعتقدون أنّ لهم ربّا هو أجمل الأشياء فإذا رأو إنسانا فى غايه الجمال أو فرسا أو شجرا عبدوه،و قالوا:هو ربّنا فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمه الحسّ أيضا.

الثالثه:طائفه ترقّوا عن هؤلاء و قالوا:ينبغى أن يكون الربّ نورانيّا فى

صورته ذا سلطان فى نفسه مهيبا لا يطاق القرب منه،

و لم يترقّوا عن درجه المحسوس فعبدوا النار إذ وجدوها بهذه الصفات فهؤلاء محجوبون بنور السلطنه و البهاء و كلّ ذلك من

ص:۳۳۲

۱- ۱) ۲۲-۴۵.

أنوار اللّه مع ظلمات حسّهم.

الرابعه:طائفه ترقّوا عن ذلک فرأوا أنّ النار تطفی و تقهر فلا تصلح للإلهيّه

فقالوا:

بل ما يکون بهذه الصفات و لکن نکون نحن تحت تصرّفه و يکون مع ذلک موصوفا بالعلوّ.

و کان المشهور بينهم علم النجوم و إضافه التأثيرات إليها فعبدوا النجوم فمنهم عبده المشترى و منهم عبده الشعرى و غيرهم فهؤلاء محجوبون مع ظلمه الحسّ بنور الاستعلاء و الإشراف و هی من أنوار اللّه تعالى.

الخامسه:طائفه ترقّوا عن هؤلاء فقالوا:و إن وجب أن يکون الربّ بالصفات

المذکوره إلاّ أنّه ينبغی أن يکون أکبر الکواکب

فعبدوا الشمس فهؤلاء محجوبون مع ظلمه الحسّ بنور الکبرياء و العظمه مع بقيّه الأنوار.

السادسه:طائفه ترقّوا عن ذلک فقالوا:إنّ الشمس لا تتفرّد بالنور بل لغيرها

أنوار

و الإله لا يجوز أن يکون له شريک فی نورانيّته فعبدوا النور المطلق على کلّ نور، و زعموا أنّه إله العالم و الخيرات کلّها منسوبه إليه ثمّ رأوا فی العالم شرورا فلم يستحسنوا إضافتها إلى ربّهم تنزيها له فجعلوا بينه و بين الظلمه منازعه و أحالوا العالم إلى النور و الظلمه و هؤلاء الثنويّه.

الصنف الثانی:المحجوبون ببعض الأنوار مقرونه بظلمه الخيال

و هم الّذين جاوزوا الحسّ و أثبتوا وراء المحسوس أمرا لکنّهم لم يهتدوا إلى مجاوزه الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش و أخسّهم رتبه المجسّمه ثمّ أصناف الکراميّه و أرفعهم درجه من نفى الجسميّه و جميع عوارضها إلاّ الجهه فخصّصوه بجهه فوق،و هؤلاء لم يثبتوا موجودا غير محسوس و لا متخيّل حتّى ينزّهوه عن الجهه.

الصنف الثالث:المحجوبون بأنوار الإلهيّه مقرونه بمقايسات عقليّه فاسده مظلمه

فعبدوا إلها سميعا بصيرا متکلّما عالما قادرا منزّها عن الجهات لکن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبه صفاتهم،و ربّما صرّح بعضهم فقال:کلامه صوت مثل کلامنا.

و ربّما ترقّى بعضهم فقال:لا بل هو کحديث أنفسنا و لا صوت و لا حرف.و لذلک إذا حقّق القول عليهم رجعوا إلى التشبيه فی

المعنى و إن أنكروه لفظا إذ لم يدركوا كيفيّه

ص:۳۳۳

إطلاق هذه الألفاظ فى حقّ اللّه.فهؤلاء محجوبون بجمل من الأنوار مع ظلمات المقايسات العقليّه.

القسم الثالث:المحجوبون بمحض الأنوار،

و هم أصناف لا تحصى أيضا لكن نذكر منهم ثلاثه أصناف:

الأوّل:الّذين عرفوا معانى هذه الصفات و فرّقوا بين إطلاق أسمائها على اللّه تعالى

و بين إطلاقها على البشر

فتحاشوا من تعريفه بهذه الصفات و عرّفوه بالإضافه إلى المخلوقات فقالوا:ربّنا ربّ السماوات و الأرض لن ندعو من دونه إلها و هو الربّ المنزّه عن هذا المفهوم الظاهر و هو محرّك السماوات و مدبّرها.

الصنف الثانى:الّذين عرفوا أنّ فى السماوات ملائكه كثيره

،و أنّ محرّك كلّ سماء منها موجود آخر يسمّى ملكا،و أنّ هذه السماوات فى ضمن فلك يتحرّك الجميع بحركته فى اليوم و الليله مرّه واحده و الربّ تعالى هو المحرّك للفلك الأقصى منها المشتمل عليها.

الصنف الثالث:الّذين ترقّوا عن هؤلاء و قالوا:إنّ تحريك الأجسام الفلكيّه

من الملائكه يكون خدمه لربّ العالمين و عباده له

،و يكون الربّ تعالى هو المحرّك للكلّ بطريق الأمر.فهؤلاء كلّهم محجوبون بأنوار محضه وقفت بهم عمّا وراءها.و وراء هؤلاء صنف رابع تجلّى لهم أنّ هذا المطاع موصوف بصفه الوحده المطلقه و الكمال البالغ و كشفت عنهم حجب المقايسات و الاعتبارات إلى الغير و هم الواصلون.فمنهم من أحرق ذلك التجلّى فى تلك الأنوار جميع ما أدركه بصره بالكلّيّه و بقى ملاحظا لرتبه الحقّ فيها فانمحقت فيه المبصرات دون المبصر،و منهم من تجاوز هؤلاء و هم خواصّ الخواصّ فأحرقتهم سبحات وجهه و غشيهم سلطان الجلال فانمحقوا و تلاشوا فى أنفسهم فلم يبق لهم إليها التفات و ملاحظه لفنائهم عن أنفسهم و لم يبق إلّا الواحد الحقّ و هؤلاء هم الواصلون كما سبقت الإشاره إليه،و ينتهى الكلّ إلى حجاب الإمكان الّذى يهلك فيه كلّ موجود و لا يبقى إلّا وجه اللّه ذى الجلال و الإكرام.

إذا عرفت ذلك فنقول:السدد المضروبه و حجب الغيب الّتى أشار إليها هى درجات

الانتقالات فی مفهومات صفات اللّه تعالی و مراتب عرفانه و معرفه ملائکته و مراتبهم و کمالاتهم و سایر حجب الأنوار الّتی حجب بها أهل القسم الثالث ،و الراسخون الّذین أشار إلیهم هم فی ظاهر کلامه الواقفون فی المرتبه الاولی و هم الّذین اقتصروا فی صفات اللّه و ملائکته و عالم غیبه علی ما وقفتهم الشریعه علیه علی سبیل الجمله کما أوصل إلی أفهامهم الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم و عقلوا فی وصفه تعالی بصفات الکمال و نعوت الجلال أنّه لیس علی حدّ وصف البشر بها و رسخ فی أذهانهم ما تصوّروه إجمالا لو فصّل لکان مطابقا.و من أعدّته العنایه الإلهیّه لقبول التفصیل وصل إلیه.و بقی هاهنا بحث لطیف و هو أنّه لمّا کان التکلیف فی نفس الأمر إنّما هو علی قدر العقول و تفاوت مراتبها و لذلک قال صلی اللّه علیه و آله و سلّم بعثت لأکلّم الناس علی قدر عقولهم.کان کلّ عقل قوی علی رفع حجاب من حجب الغیب و قصر عمّا ورائه و اعترف به و بالعجز عنه فذلک تکلیفه و هو من الراسخین فعلی هذا الرسوخ لیس مرتبه واحده هی تقلید ظواهر الشریعه و اعتقاد حقیّتها فقط بل تقلیدها مرتبه اولی من مراتب الرسوخ و ما ورائها مراتب غیر متناهیه بحسب مراتب السلوک و قوّه السالکین علی رفع حجب الأنوار الّتی أشرنا إلیها و کلامه علیه السّلام لا ینافی ما قلناه بل یصدق إذا نزّل علیه فإنّ قوله : و سمّی ترک التعمّق فیما لم یکلّفهم البحث عن کنهه رسوخا صادق أیضا علی من قطع جمله من منازل السلوک و عجز عمّا ورائها فوقف ذهنه عن التعمّق فیه و البحث إذ لا یکلّف بما لا یفی به قوّته .

و قوله:فاقتصر علی ذلک

و قوله: فاقتصر علی ذلک :أی علی ما نطق به الکتاب العزیز و دلّت علیه السنّه النبویّه و أرشدت إلیه أئمّه الهدی .

و قوله:و لا تقدّر عظمه اللّه تعالی علی قدر عقلک فتکون من الهالکین.

و قوله: و لا تقدّر عظمه اللّه تعالی علی قدر عقلک فتکون من الهالکین.

فالمقدّر لعظمه اللّه بقدر عقله هو المعتقد أنّ عقله قدّره و أحاط به علما و هو تصغیر لعظمه اللّه بحسب عقله الضعیف و عظمه اللّه تعالی أعظم و أجلّ من أن یضبطها عقل بشری، و إنّما ینشأ ذلک الحکم لمن حصل له هو الوهم الحاکم بمثلیّه اللّه تعالی لمدرکاته من الأجسام و الجسمانیّات،و ذلک فی الحقیقه کفر لاعتقاد غیر الصانع صانعا و ضلال عن طریق معرفه اللّه و هو مستلزم للهلاک فی تیه الجهل.

ص:۳۳۵

و اعلم أنّ فى إحالته عليه السّلام لطالب المعرفه على الكتاب و السنّه و بيان الأئمّه دلاله على أنّ مقصوده ليس أن يقتصر على ظاهر الشريعه فقط بل يتّبع أنوار القرآن و السنّه و آثار أئمّه الهدى،و قد ورد فى القرآن الكريم و السنّه و كلام الأئمّه من الإشارات و التنبيهات على منازل السلوك و وجوب الانتقال فى درجاتها ما لا يحصى كثره و نبّهوا على كلّ مقام أهله و أخفوه من غير أهله إذ كانوا أطبّاء النفوس و كما أنّ الطبيب يرى أنّ بعض الأدويه لبعض المرضى ترياق و شفاء و ذلك الدواء لشخص آخر سمّ و هلاک كذلك كتاب اللّه و الموضحون لمقاصده من الأنبياء و الأولياء يرون أنّ بعض الأسرار الإلهيّه شفاء لبعض الصدور فيلقونها إليهم و ربّما كانت تلك الأسرار بأعيانها لغير أهلها سببا لضلالهم و كفرهم إذا القيت إليهم.فإذن مقصوده عليه السّلام قصر كلّ عقل على ما هو الأولى به و ما يحتمله،و الجمع العظيم المخاطبون هم أصحاب الظاهر الّذين يجب قصرهم عليه.و اللّه أعلم .

و قوله.:هو القادر الّذى إذا ارتمت.إلى آخره.

و قوله: هو القادر الّذى إذا ارتمت .إلى آخره.

إشاره إلى اعتبارات اخر جمليّه فى وصفه تعالى نبّه على أن غايه استقصاء العقول و تعمّقها و غوص فطنها طالبه لتفصيل صفات كماله و نعوت جلاله أن تقف خاسئه و ترجع حسيره معترفه بالعجز و فقوله: إذا ارتمت إلى قوله :ردعها شرطيّه متّصله فى قوّه شرطيّات متعدّده المقدّمات و تاليها واحد.فالمقدّم الأوّل قوله :إذا ارتمت الأوهام لتدرک منقطع قدرته و ارتماؤها استرسالها مجدّه فى المطالعه و التفتيش و منقطع قدرته منتهاها،و المقدم الثانى قوله :و حاول الفكر المبرّء من خطرات وساوس الشيطان و شوائب الأوهام أن يقع عليه ليكيّف ذاته و يستثبتها بكلّ ما ينبغى لها من الكمالات فى عميقات غيوب ملكوته :أى فى أسرار عالم الغيب العميقه .و المقدّم الثالث قوله: و تولّهت القلوب :أى اشتدّ شوقها إليه لتجرى فى كيفيّه صفاته .و المقدّم الرابع قوله : و غمضت مداخل العقول :أى وقت مواقع دخولها بحيث لا تبلغه الصفات:أى انتهت العقول إلى حدّ أنّها لا تعتبر مع ملاحظه ذات الحقّ صفه له بل يحذف كلّ خاطر و كلّ اعتبار من صفه و غيرها من ملاحظه قدسه لينال علم ذاته بالكنه،و قوله: ردعها .هو تالى هذه

الشرطيّات،و ردعها هو ردّها خاسئه حسيره،و سبب ذلك فى كلّ من هذه المدركات هو خلقها قاصره عن إدراك ما يطلبه من هذه المطالب العظيمه:فالأوهام لقصورها عن إدراك ما ليس بمحسوس و لا متعلّقا بالمحسوس،و ردع الفكر أن يقع عليه و تولّه القلوب أن تجرى فى كيفيّه صفاته فتحدّها و تحصرها لخلقها قاصره عن الإحاطه بما لا نهايه له إذ كانت صفات الكمال و نعوت الجلال كذلك،و ردع العقول أن يحيط بكنه ذاته لخلقها قاصره عن إدراك كنه ما ليس بذى حدّ و تركيب.فكان مستند ذلك الردع هو قدرته فلذلك قدّم على الشرطيّه اعتبار كونه قادرا فقال :هو القادر الّذى من شأنه كذا .

و قوله:و هى تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلّصه إليه سبحانه.

استعاره و قوله: و هى تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلّصه إليه سبحانه.

الجمله فى موضع الحال و العامل ردعها،و استعار لفظ السدف لظلمات الجهل بكلّ معنى غيبىّ من صفات جلاله و طبقات حجبه:أى ردعها عن تلك المطالب حال ما هى قاطعه لمهاوى تلك الظلمات،و وجه الاستعاره ما يشتركان فيه من عدم الاهتداء فيها.

و متخلّصه حال أيضا و العامل إمّا تجوب أوردعها.و تخلّصها إليه توجّهها بكليّتها فى طلب إدراكه.

و قوله:فرجعت إذ جبهت.إلى قوله:عزّته.

و قوله: فرجعت إذ جبهت.إلى قوله:عزّته.

معترفه حال و العامل رجعت،و جور الاعتساف شدّه جولانها فى تلك المنازل و ظاهر أنّ جور الاعتساف غير نافع فى تحصيل ما لا يمكن،و اولو الرويّات أصحاب الفكر:إى رجعت معترفه بأمرين:أحدهما:أنّه لا ينال كنه معرفته،و الثانى :أنّ الفكر لا يقدر جلال عزّته:أى لا يحيط بكماله خبرا.و ظاهر أن صدق هذه الأحكام للنفس موقوف على ارتماء أفكارها فى طلب هذه المعارف و عجزها عنها .

و قوله:الّذى ابتدع الخلق على غير مثال.إلى قوله:قبله.

و قوله: الّذى ابتدع الخلق على غير مثال.إلى قوله:قبله.

إشاره إلى أنّ الصنائع البشريّه إنّما تحصل بعد أن يرتسم فى الخيال صوره المصنوع بل و كلّ فعل لا يصدر إلّا عن تصوّر وضعه و كيفيّته أوّلا،و تلك التصوّرات تاره تحصل عن أمثله للمصنوع بل و مقادير له خارجيّه يشاهدها الصانع و يحذو حذوها،و تاره تحصل بمحض الإلهام و الاختراع كما يفاض على أذهان كثير من

الأذكياء صوره شكل لم يسبق إلى تصوّره فيتصوّره و يبرز صورته إلى الخارج،و كيفيّه صنع اللّه للعالم و جزئيّاته منزّهه عن الوقوع على أحد هذين الوجهين:أمّا الأوّل فلأنّا بيّنا أنّه لا قبل له فلا قبل لمصنوعاته فلا مثال امتثله:أى عمل مثله ،و لا مقدار احتذى حذوه.و أمّا الثانى و إن سمّى الفاعل على وفقه مخترعا لكن التحقيق يشهد بأنّه إنّما فعل على وفق ما حصل فى ذهنه من الشكل و الهيئه و هما مستفادان من الصانع الأوّل جلّت عظمته فكان فى الحقيقه فاعلا على غير مثال سابق محتذيا لمقدار غيره،و علم الأوّل سبحانه ليس على النحو المذكور من حصول صوره مساويه للمعلوم فى ذاته كما تحقّقته من قبل فإذن فعله بمحض الإبداع و الاختراع على أبعد ما يكون عن حدّ و مثال.

و قوله:و أرانا من ملكوت قدرته.إلى قوله:معرفته.

و قوله : و أرانا من ملكوت قدرته.إلى قوله:معرفته.

ملكوت قدرته ملكها و إنّما نسبه إلى القدره لأنّ اعتبارها مبدء الوجود كلّه فهى مبدء المالكيّه،و آثار حكمته ما صدر عنها من الأفعال و الأحكام و انقياد كلّ ناقص إلى كماله، استعاره و استعار لفظ النطق للسان حال آثاره تعالى المفصحه عن كمال الحكمه المعجبه بتمام النظام و حسن الترتيب،و وجه المشابهه ما اشترك فيه النطق و حال مصنوعاته من ذلك الإفصاح و البيان ،و اعتراف عطف على عجائب ،و إلى أن متعلّق بالحاجه،و ما فى قوله : و ما دلّنا هى المفعول الثانى لأرانا:أى و أرانا من اعتراف الخلق لحاجتهم إلى أن يقيمهم فى الوجود بمساك قدرته الّتى تمسك السماوات و الأرض أن تزولا ما دلّنا باضطرار قيام الحجّه له على معرفته ،و قوله:على معرفته متعلّق بدلّنا:أى ما دلّنا على معرفته فلزمت قيام الحجّه له بالضروره .

و قوله:و ظهرت فى البدائع.إلى قوله:قائمه.

و قوله: و ظهرت فى البدائع.إلى قوله:قائمه.

استعاره استعار لفظ الأعلام لما يدلّ على حكمه الصانع فى فعله من الإتقان و الإحكام .

و اعلم أنّ كلّ ما ظهرت فيه آثار حكمه اللّه فهو ناطق بربوبيّته و كمال الوهيّته فبعض ناطق.بلسان حاله و مقاله كالإنسان،و بعض بلسان حاله فقط إذ لا ـ عقل له و لا ـ لسان كالجماد و النبات،و الضمير المضاف إليه فى قوله : فحجّته يحتمل عوده إلى اللّه،و يحتمل أن يعود إلى الخلق الصامت.و قد علمت أنّ السالكين فى سماع هذا النطق من آثار اللّه و مشاهدته

فی مصنوعاته علی درجات و منازل متفاوته کما أشرنا إلیه غیر مرّه .

و قوله:و أشهد أنّ من شبّهک.إلی قوله:بربّ العالمین.

و قوله: و أشهد أنّ من شبّهک.إلی قوله:بربّ العالمین.

التفات إلی خطاب اللّه تعالی علی طریق قوله «مالِکِ یَوْمِ الدِّینِ إِیّاکَ نَعْبُدُ» و المشبّه به فی الحقیقه هو الخلق و إنّما جعل المشبّه به هو تباین أعضائهم و تلاحم حقاق مفاصلهم لأنّه فی معرض ذمّ المشبّهه و التنبیه علی وجوه أغلاطهم و تباین الأعضاء و تلاحمها من لوازم المشبّه به و هما مستلزمان للترکیب و اجتماع المفردات المستلزم لظهور الحاجه إلی المرکّب و الجامع و یمتنع علی محلّ یظهر حاجته أن یتشبّه به الصانع المطلق البریء عن الحاجه بوجه ما فقدّمهما لجریانهما مجری الأوسط فی لزوم الترکیب للمشبّه به فیظهر تنزیه الإله عن التشبّه به و إن کان التقدیر من شبّهک بخلقک فی أعضائهم المتباینه المتلاحمه.

و الّذی یقال من وجه الحکمه فی احتجاب المفاصل هو أنّها لو خلقت ظاهره عریّه عن الأغشیه لیبست رباطاتها و قست فیتعذّر تصرّف الحیوان بها کما هو الآن و أنّها کانت معرضه للآفات المفسده لها و غیر ذلک من خفیّ تدبیره و لطیف حکمته و قد شهد علیه السّلام علی المشبّه للّه بخلقه بأمرین:أحدهما :أنّه لم یعرفه،و الثانی :أنّه لم یتیقّن تنزیهه عن المثل.و القرآن و البرهان مصدّقان لشهادته فی الموضعین:أمّا القرآن فما نبّه علیه بقوله :

و کأنّه لم یسمع تبرّؤ التابعین المتبوعین إذ یقولون الآیه،و وجه الاستدلال علی المطلوب الأوّل أنّ المشبّهه و عبده الأصنام ینکشف لهم فی الآخره أنّهم کانوا ضالّین فی تشبیه أصنامهم بربّ العالمین فیترتّب دلیل هکذا:المشبّهه ضالّون من جهه تشبیههم اللّه بخلقه و کلّ من کان کذلک فلیس بعارف باللّه و المقدّمه الاولی ثابته بمنطوق الآیه،و أمّا الثانیه فلأنّه لو کان المشبّه له عارفا به مع تشبیهه له بخلقه لما کان فی ضلال مبین من تلک الجهه لکنّه فی ضلال مبین من تلک الجهه فإذن هو لیس بعارف له.و أمّا البرهان فلأنّ اللّه سبحانه لمّا تقدّس عن أن یشبه خلقا فی شیء کان المشبّه له بخلقه و المکیّف له بکیفیّه یحویها وهمه غیر عارف به بل متصوّر لأمر آخر هو فی الحقیقه غیر الإله، و أمّا صدقه فی القضیّه الثانیه فلأنّ المشبّه للّه ضالّ من جهه ما هو مشبّه له و کلّ من کان کذلک فلیس بمنزّه له عن النّد و المثل،و صدق الاولی ظاهر من الآیه،و أمّا

الثانيه فلأنّه لو كان منزّها له عن النّد بكونه مشبّها له لما كان ضالاّ من تلك الجهه لكنّه ضالّ منها فليس بمنزّه له عنه،و أمّا البرهان العقلىّ فلأنّ النّد و المثل هو الشبيه و كلامنا فى المشبّه و فى الآيه تنفير عن مذهب التشبيه بذكر تبرّؤ التابعين ممّن اتّبعوه و شبّهوا به خالقهم،و ندامتهم على تفريطهم فى ذلك،و حسرتهم على الرجعى لتدارك الأعمال و الاعتقادات الصالحه،و اعترافهم بأنّهم كانوا بتشبيههم فى ضلال مبين .

و قوله:كذب العادلون.إلى قوله:عقولهم.

و قوله: كذب العادلون.إلى قوله:عقولهم.

تكذيب للعادلين به و أشار إلى تفصيل جهات كونهم عادلين و إلى سبب ذلك و هو الوهم،و قد علمت أنّ منشأ التشبيه هو الوهم إذ كان حكمه لا يترفّع[يرتفع خ] عن المحسوسات و ما يتعلّق بها فإنّ حكمه فى المجرّدات بحكم قدرها محسوسه ذات أحجام و ألحقها أحكام المحسوس و لذلك لم يترفّع المشبّهه للّه عن تشبيهه بالأصنام و أشخاص الأجسام كصوره الإنسان و أعضائه و كذلك غير عبده الأوثان من ساير فرق المشبّهه حتّى كانت غايه تنزيه من نزّهه منهم أن توهّمه فى جهه فوق و قد علمت أنّ الجهه و الكون من عوارض الأجسام المخلوقه فكانوا عن آخرهم قد تحلّوه حليه المخلوقين و صفاتهم بأوهامهم الفاسده.فمنهم من أثبت له أعضاء من يدو ساق و عين و وجه و ساير ما ورد فى القرآن الكريم و السنّه النبويّه حملا على ظاهرها،و منهم من تجاسر على وصف هيئته فقال:إنّه مجوّف الأعلى عصمت الأسفل و إنّه قطط الشعر إلى غير ذلك من هذياناتهم و كفرهم تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا-و تجزيته بخواطرهم تجزيه المجسّمات و هى إثباتهم الأعضاء المذكوره و ذلك عن تقديرهم له على الخلقه المختلفه القوى بقرائح عقولهم الجامده متابعه لأوهامهم الفاسده و تقليد من سلف من آبائهم فإنّ الأعضاء إنّما تتولّد و تكمل بواسطه قوى طبيعيّه و نباتيّه و حيوانيّه و غيرها و هى قوى مختلفه بحقائقها و متضادّه فى أفعالها محتاجه إلى الجامع و المركّب مؤذنه بالإمكان الّذى تنزّه قدس الصانع أن يتطرّق إليه بوجه .

و قوله:و أشهد أنّ من ساواك بشىء من خلقك.إلى قوله:بيّناتك.

و قوله: و أشهد أنّ من ساواك بشىء من خلقك.إلى قوله:بيّناتك.

شهاده ثانيه على من شبّهه و جعل له مثلا بالكفر و إشاره إلى برهانها بقياس من

الشکل الأوّل أسند بیان کبراه إلی کتاب اللّه و نصوص آیاته المحکمه،و بیّناته:الأنبیاء.

و شواهد حججهم:هی تلک الآیات:أی حججهم الشاهده هی کقوله تعالی «قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً» (۱)و قوله «أَ إِنَّکُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَهً أُخْری قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنَّنِی بَرِیءٌ مِمّا تُشْرِکُونَ» (۲)و الإشراک کفر و نحو ذلک.و أمّا المقدّمه الاولی فلأنّ الشبیه هو المثل و العدیل و قد علمت أنّ البرهان العقلیّ ممّا یشهد بصدق هذه الشهاده فإنّ المشبّه للّه بخلقه مع براءته عن شبهیّه الغیر إذا اعتقد أنّ ذلک الّذی یشیر إلیه بوهمه هو صانع العالم فقد اعتقد غیر الصانع صانعا و ذلک عین الکفر و الضلال .

و قوله:و إنّک أنت اللّه الّذی لم تتناه فی العقول.إلی قوله:مصرّفا.

و قوله: و إنّک أنت اللّه الّذی لم تتناه فی العقول.إلی قوله:مصرّفا.

شهاده ثالثه هی خلاصه الشهادتین الاولیین بتنزیهه عن تناهیه فی العقول البشریّه و أفکارها:أی إحاطتها بحقیقته و ما له من صفات الکمال و نعوت الجلال بحیث لا یکون وراء ما أدرکته شیء آخر و تنبیه فی هذه الشهاده علی ما یلزم ذلک التناهی من کونه ذا کیفیّه تکیفها له القوی المتخیله لتستثبته بها العقول،و مهابّ الفکر جهاتها.فیلزم من ذلک کونه محدودا إذ کانت الحقائق إنّما تدرک بکنهها من حدودها .

و قوله:و مصرّفا

و قوله: و مصرّفا :أی محکوما فی ذاته بالتجزیه و التحلیل و الترکیب إذ کان من شأن المحدود ذلک،و لمّا کانت هذه اللوازم باطله لبرائته عن الکیفیّه و الأجزاء و الترکیب کان ملزومها و هو التناهی فی العقول باطلا.

الفصل الثالث:

اشاره

و منها- قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْکَمَ تَقْدِیرَهُ وَ دَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِیرَهُ- وَ وَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ یَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ- وَ لَمْ یَقْصُرْ دُونَ الاِنْتِهَاءِ إِلَی غَایَتِهِ- وَ لَمْ یَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِیِّ عَلَی إِرَادَتِهِ- فَکَیْفَ وَ إِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِیئَتِهِ-

ص:۳۴۱

۱- (۱) ۸-۴۱.

۲- (۲) ۱۹-۶.

الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّهٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا- وَ لاَ قَرِيحَهِ غَرِيزَهٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا- وَ لاَ تَجْرِبَهٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ- وَ لاَ شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ- فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَ أَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ- لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ وَ لاَ أَنَاهُ الْمُتَلَكِّئِ- فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا وَ نَهَجَ حُدُودَهَا- وَ لاَءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا- وَ وَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا وَ فَرَّقَهَا أَجْنَاساً- مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَ الْأَقْدَارِ وَ الْغَرَائِزِ وَ الْهَيْئَاتِ- بَدَايَا خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا وَ فَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَ ابْتَدَعَهَا

اللغه

أقول: آل : رجع .و أذعن : خضع و ذلّ .و الريث : البطؤ و كذلك الأناه .و المتلكّى التباطؤ عن الأمر و التوقّف فيه .و الأود : الاعوجاج ،و بدايا : جمع بديه و هى الخلقه العجيبه .

المعنى

فقوله:قدّر ما خلق فأحكم تقديره .

فقوله: قدّر ما خلق فأحكم تقديره .إشاره إلى أنّ كلّ مصنوع قدرّه فى الوجود فعلى وفق حكمته بحيث لو زاد على ذلك المقدار أو نقص منه لاختلّت مصلحه ذلك المقدّر و تغيّرت منفعته .

و قوله:و دبّره فألطف تدبيره

و قوله: و دبّره فألطف تدبيره إيجاده على وفق المصلحه و لطفه فى ذلك تصرّفه فى جميع الذوات و الصفات تصرّفات كلّيّه و جزئيّه من غير شعور غيره بذلك .

و قوله:و وجّهه لوجهته.إلى قوله:إلى غايته

و قوله: و وجّهه لوجهته.إلى قوله:إلى غايته :أى ألهم كلاّ و يسّره لما خلق له و لما كتب له فى اللوح فلم يتجاوز مرسوم تلك المنزله المعلومه له:أى لم يعبرها و لم يقصر دونها و إلاّ لزم التغيّر فى علمه سبحانه و إنّه محال .

و قوله:و لم يستعصب إذ امر بالمضىّ على إرادته

و قوله: و لم يستعصب إذ امر بالمضىّ على إرادته :أى لمّا أمر المخلوق بالتوجّه إلى وجهه على وفق إراده اللّه و ساقت الحكمه الإلهيّه كلاّ إلى غايته لم يمكن تخلّفه

و استصعابه عن ذلک الأمر،و أمره له إشاره إلی توجیه أسبابه بحسب القضاء الإلهیّ علیه بذلک .

و قوله:و کیف و إنّما صدرت الامور عن مشیئته

و قوله: و کیف و إنّما صدرت الامور عن مشیئته :أی و کیف یستعصب.ثمّ أشار إلی علّه عدم استصعابه و سرعه طوعه و انقیاده بذکر علّته و هو استناد جمیع الآثار إلی مشیئته.إذ کلّ أثر فهو واجب عن مؤثّره و الکلّ منته فی سلسله الحاجه إلی إرادته واجب عنها و قد علم ذلک فی العلم الإلهیّ .

و قوله:المنشیء أصناف الأشیاء.إلی قوله:عجائب الامور.

و قوله: المنشیء أصناف الأشیاء.إلی قوله:عجائب الامور.

قد سبق فی الخطبه الاولی بیان أنّ الرویّه و الفکر و التجربه ممّا یلحق الإنسان و یخصّه و أنّ الباری سبحانه منزّه عن شیء منها فی کیفیّه إبداعه لخلقه،و أمّا الشریک فمنزّه عنه ببرهان الوحدانیّه کما سبقت الإشاره إلیه أیضا.و قریحه الغریزه قوّه الفکر للعقل .

و قوله:فأتمّفتمّ خخلقه و أذعن لطاعته و أجاب إلی دعوته.

و قوله: فأتمّ[فتمّ خ]خلقه و أذعن لطاعته و أجاب إلی دعوته.

تمام مخلوقاته من جهه جوده بإفادتها ما ینبغی لها فإن عرض لشیء منها فوت کمال فلعدم استعداده و قبوله لذلک و إذعانه ذلّته فی رقّ الحاجه و الإمکان و تصریف القدره و إجابته إلی دعوته کونه فی الوجود عن قوله: «کُنْ » .

و قوله:و لم یعترض دونه ریث المبطئ و لا أناه المتلکّیء.

و قوله: و لم یعترض دونه ریث المبطئ و لا أناه المتلکّیء.

تنزیه لفعله تعالی و أمره أن یعرض فی طاعه الأشیاء له شیء من هذه الکیفیّات إذ کلّ شیء فی قهره و علی غایه من السرعه إلی إجابه أمره و لما کان تعالی «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ» ،و فی قوله کن هبه ما ینبغی لذلک المأمور و ما یعدّه لإجابه أمره بالکون فی الوجود و یجب عنه فکیف یمکن أن یعرض له فی إجابه الأمر بطوء أو تلکّیء بل یکون کلمح البصر کما قال تعالی «وَ ما أَمْرُنا إِلاّ» «کَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» و یحتمل أن یکون ذلک تنزیها له تعالی أن یعرض له من جهه ما هو فاعل شیء من هذه الکیفیّات فإنّ البطؤ و الأناه و التلکّیء من عوارض الحرکه الّتی هی من عوارض الجسم، و اعتراضها فیمن یفعل بالآله و تشتدّ حرکته و تضعف،و قد علمت تنزیه اللّه تعالی عن

جمیع ذلک .

و قوله:فأقام من الأشياء أودها.إلى قوله:و الهيئات.

و قوله: فأقام من الأشياء أودها.إلى قوله:و الهيئات.

إقامته لأودها رفعه لاعوجاج کلّ شیء بإعداده لما ینبغی له و إفاضه کماله،و نهجه لجددها أو لحدودها علی الروایتین هو ایضاحه لکلّ شیء و جهته و غایته الّتی تیسّرها له،و ملائمته بین متضادّها کجمعه العناصر الأربعه علی تضادّ کیفیّاتها فی مزاج واحد و قد سبق بیانه،و وصله لأسباب قرائنها إشاره إلی أنّ الموجودات لا تنفکّ عن أشیاء تقترن بها من هیئه أو شکل أو غریزه و نحوها و اقتران الشیئین لا محاله مستلزم لاقتران أسبابهما و اتّصالهما لاستحاله قیام الموجود بدون أسبابه،و ذلک الوصل مستند إلی کمال قدرته إذ هو مسبّب الأسباب.و قال بعض الشارحین:أراد بالقرائن النفوس.و علی هذا یحتمل أن یکون معنی وصله لأسبابها هدایتها إلی عبادته و ما هو الأولی بها فی معاشها و معادها و سوقها إلی ذلک إذ المفهوم من قول القائل:وصل الملک أسباب فلان.إذا علّقه علیه و وصله إلی برّه و إنعامه،و الأوّل أظهر .

و قوله و فرّقها أجناسا مختلفات فی الحدود و الأقدار و الغرائز و الهيئات.

و قوله. و فرّقها أجناسا مختلفات فی الحدود و الأقدار و الغرائز و الهیئات.

لا یرید بالأجناس و الحدود ما اصطلح علیه قوم فی عرفهم بل ما اختلف بالامور المذکوره کلّها أو بعضها فهو مختلف الجنس لغه،و حدّ الشیء منتهاه و ما یحیط به،و الأقدار المقادیر و الأشکال أیضا،و الغرائز القوی النفسانیّه و الأخلاق و الهیئات و الصفات.و إن حملنا الحدود علی ما هو المتعارف کان حسنا فإنّ حکمه الخالق سبحانه اقتضت تمیّز بعض الموجودات عن غیرها بحدودها و حقایقها و بعضها بأشکالها و هیئاتها و مقادیرها و غرائزها و أخلاقها کما یقتضیه نظام الوجود و أحکام الصنع و حکم الإراده الإلهیّه .

و قوله:بدا يا خلايق أحكم صنعها و فطرها على ما أراد و ابتدعها.

و قوله: بدا یا خلایق أحکم صنعها و فطرها علی ما أراد و ابتدعها.

أی هی بدایا:أی عجائب مخلوقات أحکم صنعها علی وفق إرادته.و باللّه التوفیق.

الفصل الرابع منها فی صفه السماء:

اشاره

وَ نَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا- وَ لاَحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا

ص:۳۴۴

وَ وَشَّجَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَزْوَاجِهَا- وَ ذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ- وَ الصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَهَ مِعْرَاجِهَا- وَ نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا- وَ فَتَقَ بَعْدَ الاِرْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا- وَ أَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا- وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تُمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ- وَ أَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ- وَ جَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا- وَ قَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا- وَ أَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا- وَ قَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا- لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِهِمَا- وَ لِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَ الْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا- ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا وَ نَاطَ بِهَا زِينَتَهَا- مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا- وَ رَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا- وَ أَجْرَاهَا عَلَى أَذْلاَلِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا- وَ مَسِيرِ سَائِرِهَا وَ هُبُوطِهَا وَ صُعُودِهَا وَ نُحُوسِهَا وَ سُعُودِهَا

اللغه

أقول: الرهوات : جمع رهوه و هى الفرجه المتّسعه .و أيده : قوّته ،و بايده : هالكه .

و مار : تتحرّك .و ناط : علق و الصدوع : الشقوق .و وشّج بالتشديد : أى شبّك .و الحزونه:

الصعوبه .و الأشراج : جمع شرج بالفتح و هى عرى العيبه الّتى تخاط بها و تنقل و يطلق أيضا على حروفها الّتى تخاط .و الارتتاق : الالتصاق و النقاب : جمع نقب بفتح النون و هو الطريق فى الجبل .و الدرارى : الكواكب المضيئه .

و هذا الفصل يشتمل على كيفيّه خلق السماء

فقوله:و نظم بلا تعليق.إلى قوله:انفراجها

استعاره فقوله: و نظم بلا تعليق.إلى قوله:

انفراجها يقتضى بظاهره أنّ السماء كانت ذات فرج و صدوع،و هذا على رأى المتكلّمين ظاهر فإنّ الأجسام لمّا كانت عندهم مركّبه من الأجزاء الّتى لا تتجزّىء كانت قبل تأليفها

ذات فرج و صدوع،و أمّا على رأى غيرهم فقالوا:يحتمل أمرين:أحدهما:أنّه لمّا كانت السماوات مركّبه من أجزاء و كانت بين أجزاء كلّ مركّب مباينه لولا المركّب و المؤلّف استعار عليه السّلام لفظ الرهوات و الفرج لما يتصوّر من المباينه بين أجزاء السماء عند قطع النظر عن صانعها و مركّبها سبحانه،و نظامه لرهوات فرجها إفاضته لصورها على قوابلها حتّى تمّت مركّبا منتظما متلاحم الصدوع و الفرج ،و الثانى:يحتمل أن يشير بالفرج إلى ما بين أطباق السماوات من التباين،و نظمه لرهواتها و ملاحمه صدوعها خلقها اكرا متماسّه لا خلاء بينها،و نبّه على كمال قدره اللّه تعالى بقوله: بلا تعليق .فإنّ الأوهام حاكمه بأنّ السماء واقفه فى خلاء كما يقف الحجر فى الهواء و ذلك منشأ حيرتها و تعجّبها فحرّكها بذلك القول إلى التعجّب و الاستعظام .

و قوله:و وشّج بينها و بين أزواجها.

و قوله: و وشّج بينها و بين أزواجها .أراد بأزواجها نفوسها الّتى هى الملائكه السماويّه بمعنى قرائنها و كلّ قرين زوج:أى ربط ما بينها و بين نفوسها بقبول كلّ جرم سماوىّ لنفسه الّتى لا يقبلها غيره .

و قوله:و ذلّل للهابطين بأمره.إلى قوله:انفراجها.

و قوله: و ذلّل للهابطين بأمره.إلى قوله:انفراجها.

قد سبقت الإشاره إلى أنّ الملائكه ليست أجساما كساير الحيوان فإذن ليس هبوطها و صعودها الهبوط و الصعود المحسوسين و إلاّ لكان البارى-جلّ قدسه عن أوهام المتوهّمين-فى جهه إليه يصعد و عنه ينزل فإذن هو استعاره لفظ النزول من الجهه المحسوسه إلى أسفل لنزول العقول من سماء الجود الإلهىّ إلى أراضى الموادّ القابله للإفاضات العاليه،و بذلك المعنى يكون هبوط الملائكه عباره عن إيصالها إلى كلّ ما دونها كماله متوسّطه بينه و بين مبدعه و موجده و هم المرسلون من الملائكه بالوحى و غيره استعاره و كذلك الصاعدون بأعمال الخلق هم الملائكه أيضا،و أمّا معنى الصعود بها فيعود إلى كونها منقوشه فى ذوات الصاعدين بها،و قد لاح فيما سبق أنّ علمه تعالى بمعلولاته البعيده كالزمانيّات و المعدومات الّتى من شأنها أن توجد فى وقت و تتعلّق بزمان يكون بارتسام صورها المعقوله فى تلك الألواح،و هو أيضا مستعار كلفظ الهبوط للمعنى الّذى ذكرناه من أراضى النفوس إلى الألواح المحفوظه .فأمّا الانفراج الّذى ذلّل حزونته لهم و سهل عليهم سلوكه فيعود

إلی عـدم حجبها و منعها لنفوذ علوم الملائکه بأعمال الخلایق و ما یحری فی هـذا العالم و کما أنّ الجسم المتصدّع لا یمنع نفوذ جسم آخر فیه من حیث هو متصدّع و الوصول إلی ما رواءه کذلک السـماء لا تحجب علوم الملائکه أن تتعلّق بما فی هذا العالم من الموجودات فجرت مجری المنفرح من الأجسـام فـاطلق علیه لفظ الانفراج و تـذلیله لحزونه ذلک الانفراج لهم هو کونها غیر مانعه بوجه ما لجریان علوم الملائکه المقرّبین فی هذا العالم .

و قوله:و ناداها بعد إذ هی دخان فالتحمت عری أشراجها و افتتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها.

و قوله: و ناداها بعد إذ هی دخان فالتحمت عری أشراجها و افتتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها.

فیه احتمالان:الأوّل:أنّک قـد علمت ممّا سبق ما معنی کون السـماء من دخان فأمّا نداؤه لها فإشاره إلی أمره لها بالإتیان و الکون فی قوله تعالی «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ » (۱)و أمّا التحامها فاعتبار ترکیبها بانضمام جزئها الصوریّ إلی جزئها القابل کما یلتحم طرفا العیبه بتشریج عراها ،و افتتاق صوامت أبوابها بعد ذلک الارتتاق هو جعلها أسبابا لنزول رحمته و مـدبّرات تنزل بواسـطه حرکاتها علی هـذا العالم أنواع رحمه اللّه فکانت حرکاتها تشبه الأبواب إذ هی أبواب رحمته و مفاتیح جوده.الثـانی:أنّ العرب تقول لکـلّ مـا علاـک:فهو سـماؤک.فعلی هـذا یحتمـل أن یکون المراد بالسـماء مـا هو أعمّ من السـماء المعهوده،و یکون قوله: و ناداهـا إشـاره إلی سـماء السـحاب اسـتعاره و کونهـا دخانـا هو کونها بخارا قبل الانعقاد یشـبه الـدخان فاسـتعیر له لفظه و التحـام عری أشـراجها إشـاره إلی التحـام تلک الأجزاء البخاریّه و انعقادها سـحابا و افتتاق صوامت أبوابها هو إنزال المطر منها کما.قال تعالی: «فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ » (۲).

و قوله:و أقام رصدا من الشهب الثواقب علی نقابها.

استعاره-استعاره مرشحه و قوله: و أقام رصدا من الشهب الثواقب علی نقابها.

له معنیان:أحدهما:أن یکون استعار لفظ النقاب لکونها بحیث لا یمنع تعلّق العلوم بما ورائها من الأجسام و المجرّدات،و قد سبق معنی الشهب و إقامتها رصدا.الثانی:أن

۱- (۱) ۱۰-۴۱

۲- (۲) ۱۱-۵۴

یکون استعار لفظ الرصد لهذه الشهب المحسوسه و رشّح بذکر النقاب إذ شأن الرصد و الحرسه حفظ الفرج و الأبواب ،و یکون سرّ ذلک و وجه الحکمه فیه أنّ العرب کانت تعتقد أنّ الشیاطین تصعد إلی السماء فتسترق الغیب من الملائکه ثمّ تلقیه إلی الکهنه و السحره و نحوهم فلمّا آن دور الستر و النهی عن التکهّن و نحوه لما بیّنا فیه من فساد أذهان الخلق و صرف قلوبهم عن غرض الشریعه ألقی الوحی إلیهم أنّ هذه الشهب الّتی تنقضّ إنّما جعلت رجوما للشیاطین مسترقی السمع کلّ من استمع منهم رمی بشهاب منها و حجبت السماوات عنهم فلا یصلون إلیها لینغرس فی أذهان الخلق انقطاع مادّه الکهانه و نحوها فنسبوا اعتقادهم فیه فیکون ذلک کسرا لأوهامهم الّتی بیّنا أنّها شیاطین النفوس و قمعا لها.و باللّه التوفیق .

و قوله:و أمسکها من أن تمور فی خرق الهواء بأیده و أمرها أن تقف مستسلمه لأمره.

و قوله: و أمسکها من أن تمور فی خرق الهواء بأیده و أمرها أن تقف مستسلمه لأمره.

أی حفظها عن أن تحرّکها الریح المخترعه فیها مجیئا و ذهابا و حکمت الحکمه الإلهیّه علیها بالاستقرار انقیادا لقهره،و الأمر الأوّل إشاره إلی حکم القضاء،و الأمر الثانی إشاره إلی اعتبار القدره .

و قوله:و جعل شمسها آیه مبصره لنهارها و قمرها آیه ممحوّه من لیلها.

و قوله: و جعل شمسها آیه مبصره لنهارها و قمرها آیه ممحوّه من لیلها.

کقوله تعالی «وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ فَمَحَوْنا آیَهَ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَهَ النَّهارِ مُبْصِرَهً» (۱)و کونهما آیتین:أی لدلالتهما علی کمال قدرته،و نقل عن أئمّه التفسیر فی إبصار آیه النهار و محو آیه اللیل وجوه:

أحدها:أنّ إبصار آیه النهار هو بقاء الشمس بحالها و تمام ضیائها فی کلّ حال، و محو آیه اللیل هو اختلاف أحوال القمر فی إشراقه و محاقه بحیث لا یبقی لیلتین علی حاله واحده بل کلّ لیله فی منزل بزیاده أو نقصان.

الثانی:ما نقل أن ابن الکوّاء سئل علیّا علیه السّلام عن اللطخه الّتی فی وجه القمر فقال:

ذلک محو آیه اللیل.

الثالث:عن ابن کثیر:أنّ الآیتین هما ظلمه اللیل و ضیاء النهار،و التقدیر

۱- ۱) ۱۳-۱۷.

و جعلنا الليل و النهار ذوى آيتين فقوله: «فَمَحَوْنا آيَهَ اللَّيْلِ» :أى لم نجعل للقمر نورا من ذاته بل من ضوء الشمس،و إبصار آيه النهار كون الشمس مضيئه بذاتها و من هنا لابتداء الغايه أو لبيان الجنس متعلّق بممحوّه أو بجعل،و قيل:أراد من آيات ليلها .

و قوله:فأجراهما فى مناقل مجراهما و قدّر سيرهما فى مدارج درجهما.

و قوله: فأجراهما فى مناقل مجراهما و قدّر سيرهما فى مدارج درجهما.

الّتى قدّر سيرهما فينا هى بروجهما و منازلهما.و لنشر إلى مفهومات الدرج و البروج و المنازل و هو أنّ الناس قسموا دور الفلك الّذى يسير منه الكواكب باثنى عشر قسما و سمّوا كلّ قسم برجا و قسّموا كلّ برح قسما و سمّوا كلّ قسم درجه و سمّوا تلك البروج أسماء:

الحمل الثور الجوزاء السرطان الأسد السنبله الميزان العقرب القوس الجدى الدلو الحوت.

و الشمس تسير كلّ برج منها فى شهر واحد،و القمر يسير كلّ برج منها فى أزيد من يومين و نقص من ثلاثه أيّام،و أمّا منازل القمر فثمانيه و عشرون و أسماؤها:

الشرطين البطين الثريّا الدبران الهقعه الهنعه الذراع النثره الطرفه الجبهه الزبره الصرفه العوا.السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشوله النعايم البلده سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبيه الفرغ المقدّم الفرغ المؤخّر الرشاء.

و القمر يكون كلّ يوم فى منزل منها «وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» ... «ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » .

و قوله:ليميّز بين الليل و النهار.إلى قوله:بمقاديرهما.

و قوله: ليميّز بين الليل و النهار.إلى قوله:بمقاديرهما.

أى بمقادير سيرهما،و قد سبق بيانه فى الخطبه الاولى .

و قوله:ثم علّق فى جوّها فلكها.

و قوله: ثم علّق فى جوّها فلكها.

لمّا أشار أوّلا إلى تركيبها أشار إلى إقرارها فى أحيازها و هو المشار إليه بتعليق فلكها فى جوّها.

فإن قلت:فقد قال أوّلا:بلا تعليق ثمّ قال هاهنا:و علّق.فما وجه الجمع؟.

قلت:التعليق أمر إضافىّ يصدق سلبه و إثباته باعتبارين:فالمراد بالأوّل أنّها غير معلّقه بجسم آخر فوقها،و بالثانى أنّه علّقها فى جوّها بقدرته.و لا منافاه،و أراد بالفلك اسم الجنس و هو أجسامها المستديره الّتى يصدق عليها هذا الاسم .

و قوله:و ناط بها زينتها من خفيّات دراريها و مصابيح كواكبها.

و قوله: و ناط بها زينتها من خفيّات دراريها و مصابيح كواكبها.

كقوله تعالى «وَ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ » (۱)و رمى مسترقى السمع بثواقب شهبها كقوله تعالى «فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ» و قد تقدّم بيانه،و إنّما أعاد ذكر الشهب لأنّه ذكر أوّلا أنّه أقامها رصدا و ذكر هنا أنّه جعلها رصدا له:أى لرقى مسترقى السمع بها .

و قوله:و أجراها على إذلال تسخيرها.

و قوله: و أجراها على إذلال تسخيرها.

كقوله تعالى «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ» (۲)و الذلّه:ذلّه الإمكان و الحاجه إلى الإيجاد و التدبير .و أمّا الثابت و السائر منها فالساير:هى الكواكب السبعه:زحل و المشترى و المرّيخ و الشمس و الزهره و عطارد و القمر.

و يسمّى الشمس و القمر بالنيّرين و الخمسه الباقيه بالمتحيّره لأنّ لكلّ واحد منها استقامه ثمّ وقوفا ثمّ رجوعا ثم وقوفا ثانيا ثمّ عودا إلى الاستقامه،و ليس للنيّرين غير الاستقامه.و باقى الكواكب الّتى على السماء غير هذه السبعه تسمّى بالثوابت و فلكها الثامن و كلّ واحد من السبعه يتحرّك حركه مخصوصه يخالف حركه الآخر .فأمّا صعودها و هبوطها:فصعودها طلبها لشرفها و شرف الشمس فى الدرجه التاسعه عشر من الحمل، و شرف القمر فى الدرجه الثالثه من الثور،و شرف زحل فى الحاديه و العشرين من الميزان، و شرف المشترى فى الخامسه عشر من السرطان،و شرف المرّيخ فى الثامنه و العشرين من الجدى،و شرف الزهره فى السابعه و العشرين من الحوت،و شرف عطارد فى الخامسه و العشرين من السنبله،و شرف الرأس فى الثالثه من الجوزا،و شرف الذنب فى الثالثه من القوس،و برج الشرف كلّه شرف إلاّ أنّ تلك الدرجات قويّه فما دام الكواكب متوجّها إلى قوّه الشرف فهو فى الازدياد و الصعود فإذا جاز صار فى الانتقاص و الهبوط.و هبوط

۱- (۱) ۱۱-۴۱

۲- (۲) ۱۲-۱۶.[۱]

کلّ کوکب یقابل شرفه و صعوده،و أمّا نحوسها و سعودها فقالوا:زحل و المرّیخ نحسان أکبرهما زحل،و المشتری و الزهره سعدان أکبرهما المشتری،و عطارد سعد مع السعود و نحس مع النحوس،و النّیران سعدان من التثلیث و التسدیس نحسان من المقابله و التربیع و المقاربه،و الرأس سعد،و الذنب و الکبد نحسان،و معنی سعودها و نحوسها کون اتّصالاتها أسبابا لصلاح حال شیء من الأشیاء من أحوال هذا العالم.و باللّه التوفیق

الفصل الخامس و منها فی صفه الملائکه:

اشاره

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْکَانِ سَمَاوَاتِهِ- وَ عِمَارَهِ الصَّفِیحِ الْأَعْلَی مِنْ مَلَکُوتِهِ- خَلْقاً بَدِیعاً مِنْ مَلاَئِکَتِهِ- وَ مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا وَ حَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا- وَ بَیْنَ فَجَوَاتِ تِلْکَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِینَ- مِنْهُمْ فِی حَظَائِرِ الْقُدُسِ- وَ سُتُرَاتِ الْحُجُبِ وَ سُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ- وَ وَرَاءَ ذَلِکَ الرَّجِیجِ الَّذِی تَسْتَکُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ- سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا- فَتَقِفُ خَاسِئَهً عَلَی حُدُودِهَا-.وَ أَنْشَأَهُمْ عَلَی صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَ أَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ- «أُولِی أَجْنِحَهٍ» تُسَبِّحُ جَلاَلَ عِزَّتِهِ- لاَ یَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِی الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ- وَ لاَ یَدَّعُونَ أَنَّهُمْ یَخْلُقُونَ شَیْئاً مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ- «بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ» - جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِیمَا هُنَالِکَ أَهْلَ الْأَمَانَهِ عَلَی وَحْیِهِ- وَ حَمَّلَهُمْ إِلَی الْمُرْسَلِینَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَ نَهْیِهِ- وَ عَصَمَهُمْ مِنْ رَیْبِ الشُّبُهَاتِ- فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِیلِ مَرْضَاتِهِ- وَ أَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَهِ- وَ أَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّکِینَهِ- وَ فَتَحَ لَهُمْ

أَبْوَاباً ذُلُلًا إِلَى تَمَاجِيدِهِ- وَ نَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَهً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ- لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُؤْصِرَاتُ الْآثَامِ- وَ لَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ- وَ لَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَهَ إِيمَانِهِمْ- وَ لَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ- وَ لَا قَدَحَتْ قَادِحَهُ الْإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ- وَ لَا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَهُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ- وَ مَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَ هَيْبَهِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ- وَ لَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ- وَ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ- وَ فِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ وَ فِي قَتْرَهِ الظَّلَامِ الْأَيْهَمِ- وَ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى- فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ- وَ تَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَهٌ- تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَهِ- قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ- وَ وَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ- وَ قَطَعَهُمُ الْإِيقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ- وَ لَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ- قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَهَ مَعْرِفَتِهِ- وَ شَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ- وَ تَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَهُ خِيفَتِهِ- فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَهِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ- وَ لَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَهِ إِلَيْهِ مَادَّهَ تَضَرُّعِهِمْ- وَ لَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَهِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ- وَ لَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ- وَ لَا تَرَكَتْ

لَهُمُ اسْتِكَانَهُ الْإِجْلَالِ- نَصِيباً فِى تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ- وَ لَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُءُوبِهِمْ- وَ لَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ- وَ لَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاهِ أَسَلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ- وَ لَا مَلَكَتْهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ- وَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِى مَقَاوِمِ الطَّاعَهِ مَنَاكِبُهُمْ- وَ لَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَهِ التَّقْصِيرِ فِى أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ-.وَ لَا تَعْدُو عَلَى عَزِيمَهِ جِدِّهِمْ بَلَادَهُ الْغَفَلَاتِ- وَ لَا تَنْتَضِلُ فِى هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ- قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَهً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ- وَ يَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ- لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَهِ عِبَادَتِهِ- وَ لَا يَرْجِعُ بِهِمُ الِاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ- إِلَّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَهٍ مِنْ رَجَائِهِ وَ مَخَافَتِهِ- لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَهِ مِنْهُمْ فَيَنُوا فِى جِدِّهِمْ- وَ لَمْ تَأْسِرْهُمُ الْأَطْمَاعُ- فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ- لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ- وَ لَوِ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ- وَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِى رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ- وَ لَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ وَ لَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ- وَ لَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ- وَ لَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ- فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَ لَا عُدُولٌ- وَ لَا وَنًى وَ لَا فُتُورٌ- وَ لَيْسَ فِى أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ

إِلاّ وَ عَلَيْهِ مَلَکٌ سَاجِدٌ- أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَهِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً- وَ تَزْدَادُ عِزَّهُ رَبِّهِمْ فِی قُلُوبِهِمْ عِظَماً

اللغه

أقول: الصفيح : السطح .و الفجاج : الطريق الواسع .و الجوّ : المکان المتّسع العالی .و الفجوه : الفرجه .و الزجل : الأصوات .و السرادق : الستر الّذی يمدّ فوق البيت .و الرجيج : الزلزله و الاضطراب .و تستکّ الأسماع : تصمّ .و خاسئه : متحيّره و الإخبات : التذلّل و الاستکانه .و ذللا- : سهله .و الموصرات : المثقلات .و العقب: جمع عقبه و هی المدّه من التعاقب :و النوازغ بالغين المعجمه : المفسده.و بالمهمله القسیّ .و الإحن:

جمع أحنه و هی الحقد .و لاق : التصق .و أثناء : جمع ثنی و هی تضاعيف الشیء .و الرين:

الغلبه و التغطيه .و الدلّح : جمع دالحه و هی الثقال .و الشمّخ : العاليه .و قتره الظلام:

سواده و الأبهم : الّذی لا يهتدی فيه .و التخوم جمع تخم بفتح التاء و هی منتهی الأرض و حدودها .و الريح الهفّافه : الساکنه الطيّبه و الوشيجه : عروق الشجره .و الربق : جمع ربقه و هی الحلقه من الحبل ،و الدؤوب : الجدّ فی العمل .و الأسله : طرف اللسان .

و الجؤار : رفع الصوت بالدعاء و نحوه .و الهمس : الخفیّ من الصوت .و الانتضال : الرمی بالسهم .و استهتر بالأمر : أعجبه و تظاهر به . وشيک السعی : مرتبته .و النسخ : الإزاله و الاستحواذ علی الشیء : الإحاطه و الغلبه عليه .و أخياف الهمم . مختلفاتها واحده أخيف و الحفد : السرعه .

و اعلم أنّ هذا الفصل يشتمل علی وصف الملائکه

اشاره

الّذين هم أشرف الموجودات الممکنه بکمال العبوديّه للّه إذ کان فی معرض تمجيده و وصف عظمته،و قد سبق ذکر أنواع الملائکه و إسکانهم أطباق السماوات،و بيّنا مقاصده بقدر الإمکان.و لنشر هاهنا إلی ما يختصّ بهذا الموضع من المباحث :

الأوّل:ثمّ خلق سبحانه إلی قوله:من الملائکه

يحتمل أن يشير بالصفيح الأعلی إلی الفلک التاسع و هو العرش لکونه أعظم الأجرام و أعلاها و سکّانه الملائکه المدبّرون له،و يحتمل أن يريد به محلّ عباده الملائکه من حضرت جلال ربّ العالمين و عالم الملکوت

و مقعدهم الصدق من معرفته فإنّ خلقهم إنّما كان لعماره ذلك المحلّ و هو البيت المعمور بجلال اللّه و عبادتهم له،و لمّا كانوا من أشرف الموجودات كانوا هم الخلق البديع التامّ المعجب .

الثانى:

استعاره مرشحه ملأ-بهم فروج فجاجها و حشا بهم فتوق أجوائها .استعار لفظ الفروج و الفجاج و الفتوق لما يتصوّر بين أجزاء الفلك من التباين لولا-الملائكه الّذين هم أرواح الأفلاك و بهم قام وجودها و بقاء جواهرها محفوظه بهم.و وجه المشابهه ظاهر،و رشّح تلك الاستعاره بذكر الملء و الحشو،و أمّا فجاجها و فروجها فإشاره إلى ما يعقل بين أجزائها و أجوائها المنتظمه على التباين لولا الناظم لها بوجود الملائكه فيكون حشو تلك الفرج بالملائكه كنايه عن نظامها بوجودها و جعلها مدبّره لها .

الثالث:

استعاره و بين فجوات تلك الفروج.إلى قوله:المجد. استعار لفظ الزجل لكمال عبادتهم كما أنّ كمال الرجل فى رفع صوته بالتضرّع و التسبيح و التهليل و كذلك لفظ الحظائر لمنازل الملائكه من عالم الغيب و مقامات عبادتهم،و ظاهر كونها حظاير القدس لطهارتها و براءتها عن نجاسات الجهل و النفس الأمّاره بالسوء ،و كذلك استعار لفظ سترات الحجب و السرادقات لما نبّهنا عليه من حجب النور الّتى حجبت بها عن الأذهان أو لتجرّدهم عن الموادّ و الأوضاع المحسوسه،و وجه المشابهه كونهم محتجبين بذلك عن رؤيه الأبصار و الأوهام .و ظاهر كون تلك الحجب سرادقات المجد لكمال ذواتهم و شرفهم بها على من دون تلك الحجب.

الرابع:

استعاره مرشحه-استعاره بالكنايه و وراء ذلك الرجيج الّذى تستكّ.إلى قوله:حدودها. استعار لفظ الرجيج لعبادات الملائكه كما استعار لفظ الزجل و رشّح استعاره الرجيج بقوله : تستكّ منه الأسماع و كنّى به من كمال عبادتهم ،و يحتمل أن يشير بذلك الزجل و الرجيج إلى ما يسمعه الأنبياء من أصوات الملائكه كما علمت كيفيّته فى سماع الوحى و بيّناه فى المقدّمه و أشار بسبحات النور الّتى وراء ذلك الرجيج إلى جلال وجه اللّه و عظمته و تنزيهه أن يصل إليه أبصار البصائر،و نبّه بكون ذلك وراء رجيجهم إلى أنّ معارفهم لا تتعلّق به كما هو،بل وراء علومهم و عباداتهم أطوار اخرى من جلاله تقصر معارفهم عنها

ص:۳۵۵

و تردع أبصار البصائر عن إدراكها فترجع حسيره متحيّره واقفه عند حدودها و غاياتها من الإدراک .

الخامس:

أنشأهم على صور مختلفات .إلى قوله: عزّته . کنایه اختلاف صورهم کنایه عن اختلافهم بالحقایق و تفاوت أقدارهم تفاوت مراتبهم فی الکمال و القرب منه استعاره و لفظ الأجنحه مستعار لقواهم الّتی بها حصلوا على المعارف الإلهیّه و تفاوتها بالزیاده و النقصان کما قال تعالى «أُولِی أَجْنِحَهٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» (۱)کنایه عن تفاوت إدراکهم لجلال اللّه و علومهم بما ینبغی له و لذلک جعل الأجنحه هی الّتی تسبّح جلال عزّته فإنّ علمهم بجلاله منزّه عمّا لا ینبغی لکرم وجهه و لا یناسب جلال عزّته .

السادس:

لا ینتحلون إلى قوله: یعملون :أی لا ینسون بعض مصنوعاته إلى قدرهم و إن کانوا وسایط فیها و لا یدّعون أنّهم یقدرون على شیء منها إلاّ بإقداره لهم،بل غایتهم أنّهم وسائط فی إفاضه الجود على مستحقّه و ما لم یجعلهم وسائط فیه بل انفرد بذاته فی إبداعه فلا یدّعون القدره علیه أصلا و ذلک لکمال معارفهم بأقدارهم و نسبتهم إلى بارئهم و قد أکرمهم اللّه تعالى بالتقدیس عن النفوس الأمّاره بالسوء الّتی هی مبدء مخالفه أمره و الخروج عن طاعته .

السابع:

جعلهم فیما هنا لک .إلى قوله: و نهیه :أی فی مقاماتهم من حضره قدسه.

و قد سبقت الإشاره إلى کلّ ذلک فی الخطبه الاولى .

الثامن:

و عصمهم .إلى قوله: مرضاته .منشأ الشکوک و الشبهات و الزیغ عن سبیل اللّه هو معارضه النفس الأمّاره للعقل و جذبها له إلى طرق الباطل و الملائکه مبرّؤون عنها فکانوا معصومین ممنوعین ممّا تقود إلیه و تأمر به من الزیغ و الانحراف عن قصد اللّه .

و إمدادهم بفواید المعونه زیادتهم فی کمالاتهم على غیرهم و دوام ذلک بدوام وجوده .

التاسع:

استعاره و أشعر قلوبهم تواضع إخبات السکینه استعار لفظ التواضع و الاستکانه لحالهم من الاعتراف بذلّ الحاجه و الإمکان إلى جوده و الانقهار تحت عظمته:أی جعل ذلک الاعتراف شعارا لازما لذواتهم،أو من الشعور و هو الإدراک .

۱- ۱) ۱-۳۵.

العاشر:

و فتح لهم أبوابا ذللا إلى تماجيده.الأبواب الذلل وجوه معارفهم الإلهيّه الّتى بها يمجّدونه حقّ تمجيده و هى أبوابهم و وسائلهم إلى تنزيهه و تعظيمه و ظاهر كونها سهله إذ حصولها لهم ليس اكتسابا عن طرق توعّرت بتراكم الشكوك و الشبهات و منازعات الأوهام و الخيالات كما عليه علومنا .

الحادى عشر:

استعاره و نصب لهم منارا واضحه على أعلام توحيده .قيل:استعار المنار الواضحه للوسائط من الملائكه المقرّبين بينهم و بين الحقّ سبحانه إذ أخباره عن الملائكه السماويّه،و لفظ الأعلام لصور المعقولات فى ذواتهم المستلزمه لتوحيده و تنزيهه عن الكثره،و وجه المشابهه أنّ المنار و الأعلام كما يكون وسائط فى حصول العلم بالمطلوب كذلك الملائكه المقرّبون و المعارف الحاصله بواسطتهم يكون وسائط فى الوصول إلى المطلوب الأوّل محرّك الكلّ عزّ سلطانه .

الثانى عشر:

لم تثقلهم موصرات الآثام.لمّا لم يكن النفوس الأمّاره بالسوء موجوده لهم استلزم عدمها نفى آثارها عنهم من الآثام و الشرور .

الثالث عشر:

و لم ترتحلهم عقب الليالى و الأيّام :أى لم يستلزم تعاقب الزمان رحيلهم عن الوجود و ذاك لتجرّدهم و براءه المجرّدات عن لحوق الزمان و التغيّرات الحادثه بسببه .

الرابع عشر:

و لم ترم الشكوك بنوازغها عزيمه إيمانهم و لم تعترك الظنون على معاقد يقينهم .عزيمه إيمانهم ما لزم ذواتهم من التصديق بمبدعهم و ما ينبغى له، و معاقد يقينهم اعتقاداتهم اليقينيّه و اعتراك الشكوك و الظنون منشأه الأوهام و الخيالات و علوم الملائكه المجرّدين مبرّأه عنها، استعاره مرشحه و لفظ الرمى مستعار لانبعاث النفوس الأمّاره بالسوء و إلقائها الخواطر الفاسده إلى النفس المطمئنّه،و من روى النوازع بالعين المهمله فهو ترشيح للاستعاره استعاره و كذلك استعار لفظ الاعتراك لاختلاط الظنون و الأوهام على القلوب و جولانها فى النفوس،و وجه المشابهه ظاهره .

الخامس عشر:

و لا قدحت قادحه الإحن فيما بينهم :أى لم تثر بينهم الأحقاد شيئا من الشرور كما تثير النار قادحا لبراءتهم عن قوى الغضب و الشهوه .

السادس عشر:

و لا سلبتهم الحيره ما لاق من معرفته بضمائرهم إلى قوله:صدورهم.

لمّا كانت الحيره تردّد العقل فى أىّ الأمرين أولى بالطلب و الاختيار و كان منشأ ذلك هو معارضات الوهم و الخيال للعقل فحيث لا وهم و لا خيال فلا حيره تخالط معارفهم و تزيل هيبه عظمته من صدورهم، كنايه و الهيبه كنايه عن استشعار عظمته استعاره ،و لفظ الصدور مستعار لذواتهم .

السابع عشر:

مجاز و لم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم .و قد مرّ تفسير الوسوسه،و فاعل الطمع هاهنا إمّا مضمر على تقدير حذف المضاف و إقامه المضاف إليه مقامه:أى أهل الوساوس و هم الشياطين،أو يكون الفاعل هو الوساوس و إسناد الطمع إليه مجازا كقوله تعالى «وَ أَخْرَجَتِ اَلْأَرْضُ أَثْقالَها» (١)و رينها غلبه الشكوك اللازمه عنها على وجوه عقولهم و أبصار ذواتهم الّتى بها ينظرون إلى وجه ربّهم.

و انتفاؤها عنهم لانتفاء أسبابها و هى النفوس الأمّاره .

الثامن عشر:

منهم من هو فى خلق الغمام إلى قوله: الأبهم .هذا التقسيم يعود إلى جنس الملائكه فأمّا الأوصاف السابقه فكانت خاصّه بسكّان السماوات منهم و قد وردت فى الشريعه أنّ فى الغمام ملائكه تسبّح اللّه و تقدّسه و كذلك فى الجبال و الأماكن المظلمه و هم من الملائكه الأرضيّه،و قد علمت ما قيل فيها فى الخطبه الاولى .

التاسع عشر:

استعاره و منهم من خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى إلى قوله:المتناهيه .

يشبه أن يكون هذا القسم من الملائكه السماويّه أيضا و استعار لفظ الأقدام لعلومهم المحيطه بأقطار الأرض السفلى و نهاياتها،و وجه المشابهه كون العلوم قاطعه للمعلوم و ساريه فيه واصله إلى نهايته كما أنّ الأقدام تقطع الطريق و تصل إلى الغايه منها و شبّهها بالرايات البيض النافذه فى مخارق الهواء من وجهين:

أحدهما:فى البياض فإنّ البياض لمّا استلزم الصفاء عن الكدر و السواد كذلك علومهم صافيه من كدورات الباطل و ظلمات الشبه.

الثانى:فى نفوذها فى أجزاء المعلوم كما تنفذ الرايات فى الهواء ،و أشار بالريح

۱- ۱) ۲-۹۹.

الّتى تحبس الأقدام على حيث انتهت من الحدود إلى حكمه اللّه الّتى أعطت كلاما يستحقّه و قصرت كلّ موجود على حدّه،و بهفوفها إلى لطف تصرّفها و جريانها فى المصنوعات .

العشرون:

قد استفرغتهم أشغال عبادته إلى قوله:و شيجه خيفته:أى لم يجعل لهم فراغا لغيرها،و قد علمت أنّ تحريك الملائكه السماويّه لأجرام الأفلاك الجاريه لها مجرى الأبدان بحركه إراديّه و شوقيّه للتشبّه بالملائكه المتوسّـطه بينها و بين الحقّ سبحانه فى كمال عبادتهم له و تلك الحركات الدائمه الواجبه مستفرغه لهم عن الاشتغال بغيرها كما قال «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ » و حقايق الايمان تصديقهم الحقّ بوجوده عن شاهد وجودهم و ظاهر كونه سببا لإراده معرفته التامّه و الدوام عليها و إبراز ما فى قوّتهم من الكمال بها إلى الفعل فإنّ التصديق بوجود الشىء الواجب تحصيله أقوى الأسباب الباعثه على طلبه.فصار الإيمان و التصديق الحقّ اليقين بوجوده وسيله جامعه بينه و بين معرفته و الاستكمال بها و قاطعا لهم إلى الوله إليه و العشق له و ثبات الرغبات على ما عنده دون غيره ، استعاره مرشحه-استعاره بالكنايه و لمّا استعار لفظ الذوق لتعقّلاتهم و لفظ الشرب بما تمكّن فى ذواتهم فى عشقه و كمال محبّته رشّح الاستعاره الاولى بذكر الحلاوه و كنّى بها عن كمال ما يجدونه من اللذّه بمعرفته كما يلتذّ ذايق الحلاوه بها،و الثانيه بذكر الكأس الرويّه إذ من كمال الشرب أن يكون بكأس رويّه:أى من شأنها أن تروى،و كنّى بها عن كمال معرفتهم بالنسبه إلى غيرهم و كذلك رشّح استعاره لفظ القلوب بذكر سويدائها إذ كان من كمال تمكّن العوارض القلبيّه كالمحبّه و الخوف أن يبلغ إلى سويدائه استعاره ،و أشار بوشيجه خيفته إلى العلاقه المتمكّنه من ذواتهم لخيفته و هى كمال علمهم بعظمته،و لفظ الخيفه مستعار كما سبق لانقهارهم فى ذلّ الإمكان عند اعتبار عزّه و قهره .

الحادى و العشرون:

مجاز من باب إطلاق لاسم المسبّب على السبب فحنوا بطول الطاعه اعتدال ظهورهم .تجوّز بانحناء الظهور فى كمال خضوعهم فى عبادتهم و هو إطلاق لاسم المسبّب على السبب .

الثانى و العشرون:

و لم ينفذ طول الرغبه إليه مادّه تضرّعهم .لمّا كان من شأن أحد إذا رغب فى أمر إلى بعض الملوك و فزع فيه إليه بالتضرّع و الخدمه أن ينقطع تضرّعه

بانقطاع مادّته.و مادّته إمّا دواعى نفسه إلى الطلب و ميولها و انقطاعها باستيلاء الملال على نفسه و ضعفها عن تحمّل المشقّه،أو مطلوبه و تصوّره لإمكان تناوله و انقطاعه إمّا بإياسه منه أو بإعطائه إيّاه و كانت مادّه تضرّعهم و عبادتهم له تعالى على التقديرين بريئه عن القواطع أمّا من ذواتهم فلأنّ الكلال و الملال من عوارض المركّبات العنصريّه و أمّا مطلوبهم فلأنّه كمال معرفه اللّه بعد تصورّهم لعظمه ذلك المطلوب.و علمت أنّ درجات الوصول إليه غير متناهيه لا جرم سلب عنهم فى معرض مدحهم انقطاع مادّه تضرّعهم ليستلزم ذلك سبب انقطاع تضرّعهم و عبادتهم له .

الثالث و العشرون:

استعاره و لا أطلق عنهم عظيم الزلفه ربق خشوعهم .لمّا كان من قرب من السلطان مثلا من شأنه أن يقوى نفسه و يخفّف هيبته منه و كان ذلك لتناهى ملك ملوك الدنيا و كونه مكتسبا لها و تصوّر المتقرّب إليهم مثليّه لهم و إمكان وصوله إلى ما وصلوا إليه.و كان سلطان اللّه لا يتناهى عظمه و عزّه و عرفانا لم يتصوّر من العارف المتقرّب إليه أن يخفّف هيبته أو ينقص خشوعه و عبادته بل كلّما ازدادت معرفته به ازدادت عظمته فى نفسه إذ كان يقدّر فى سلوكه عظمه اللّه بقدر عرفانه به فكلّما غيّر منزلا من منازل المعرفه علم عظمه خالقه فكمل عقد يقينه بذلك و علم نقصان ذاته فكمل خشوعه و صدن خضوعه،و استعار لفظ الربق لما حصلوا فيه من الخشوع .

الرابع و العشرون:

و لم يتولّهم الإعجاب إلى قوله: حسناتهم :أى لم يستول عليهم،و الإعجاب:هو استعظام الإنسان نفسه عمّا يتصوّر أنّه فضيله له،و منشأ ذلك الحكم هو النفس الأمّاره فيتوهّم الإنسان أنّ تلك الفضيله حصلت له عن استحقاق وجب له بسعيه و كدّه مع قطع النظر عن واهب النعم و مفيضها،و الملائكه السماويّه مبرّؤون عن الأوهام و أحكامها غرقى فى الوله إليه و دوام مطالعه آلائه و الاستكانه تحت جلال عزّته فلا يستكثرون ما سلف منهم من عباده و لا يستعظمون ما صدر عنهم من خير .

الخامس و العشرون

و لم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم ،قد ثبت أنّ الملائكه السماويّه دائمه التحريك لأجرامها حركه لا يتخلّلها سكون و لا يكلّها و يفترها إعياء

ص:٣٦٠

و تعب،و لبيان ذلك بالبرهان اصول ممهّده فى مواضعها،و أمّا بالقرآن فلقوله تعالى «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ» (۱)و قد سبق .

السادس و العشرون:

استعاره و لم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم .المخالفه عن الشىء العدول عنه،و قد سبق أنّ رغبات الملائكه السماويّه و أشواقها إلى كمالاتها دائمه ثابته فكانت لذلك دائمه الرجاء لها من واهبها،و لفظ الغيض مستعار كما سبق .

السابع و العشرون:

استعاره مرشحه-كنايه و لم تجفّ لطول المناجاه أسلات ألسنتهم .طول مناجاتهم يعود إلى توجيه وجوههم دائما إليه،و استعار لفظ الألسنه و رشّح بذكر الأسلات ملاحظه للتشبيه بأحدنا فى مناجاته،و كنّى بعدم جفاف ألسنتهم عن عدم فتورهم و عدم لحقوق الكلال و الإعياء لهم و ظاهر أنّه لا ألسنه لحمانيّه لهم فلا جفاف .

الثامن و العشرون:

استعاره و لا ملكتهم إلى قوله:أصواتهم :أى لم تضعفهم العباده فتنقطع أصواتهم فتضعف فتخفى بالتضرّع إليه.و هو تنزيه لهم عن الأحوال البشريّه و العوارض البدنيّه من الضعف و الإعياء و كلال الأعضاء عند كثره الأشغال و قوّتها.و قد مرّ أنّ الملائكه السماويّه لا يجوز عليها شىء من تلك العوارض،و استعار لفظ الأصوات كما استعار لفظ الألسنه .

التاسع و العشرون:

استعاره و لم يختلف فى مقاوم الطاعه مناكبهم إلى قوله:رقابهم. استعار لفظ المقاوم من ريش الطائر و هى عشر فى كلّ جناح لما سبق وجوبه من طاعه اللّه و كان أهمّ عباداته كمعرفته فى التوجّه إليه،و لفظ المناكب و هى أربع ريشات بعد المقاوم فى كلّ جناح لذواتهم،و وجه المشابهه أنّ المناكب تاليه للمقادم و على نظامها و ترتيبها لا يخالف صفّها و نسقها كذلك الملائكه لا تختلف ذواتهم و أجرامهم فى نسق ما أهمّ من عباده ربّهم و معرفته بل صافّون لا يخالف بعضهم بعضا فى استقامه طريقهم إليه و لا يخرجون عن نظام ترتيبه لهم فى التوجّه إليه كما أشار إليه فى الخطبه الاولى:و صافّون لا يتزايلون ،و كذلك استعار لفظ الرقاب و لفظ الثنى:أى لم يلتفتوا إلى الراحه من تعب العباده فيقصروا فى أوامره.و المقصود نفى الأحوال البشريّه عنهم من التعب و الراحه

ص:۳۶۱

۱- ۱) ۲۰-۲۱.

لكونهما عن توابع هذه الأبدان .

الثلاثون:

و لا ـ تعدو إلى قوله: الشهوات .قد عرفت معنى الغفله فيما سبق.و البلاده هى طرف التفريط من فضيله الذكاء و كلاهما من عوارض هذا البدن و بواسطته.و كذلك الشهوات و الملائكه السماويّه بريئه عنها فلم يجز أن يطرأ على قصودهم لما توجّهوا له غفله و لا بلاده حتّى يكون ذلك سببا لإعراضهم عن التوجّه فيه و لم يجز أن ترمى الشهوات هممهم بسهام خدايعها، استعاره و لفظ الانتضال مستعار لنوادر جواذب الشهوه على النفس الناطقه مع كونها مؤدّيه لها و مرديه فى قرار الجحيم .

الحادى و الثلاثون:

قد اتّخذوا إلى قوله: برغبتهم .أشار بيوم فاقتهم إلى حال حاجتهم فى الاستكمال إلى جوده و إن كان ذلك دائما فهو ذخرهم الّذى إليه يرجعون و و كذلك الإشاره بقوله: عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين .إلى حال الحاجه أيضا فإنّه إنّما يكون ذخيره لهم لرجوعهم إليه فيما يحتاجون و إنّما يتحقّق قصدهم له برغبتهم حال الحاجه إليه .

الثانى و الثلاثون:

لا يقطعون إلى قوله: و مخافته .لمّا كانت غايه عبادته هو الوصول إلى كمال معرفته و كانت درجات المعارف الإلهيّه غير متناهيه لم يكن قطعهم لتلك الغايه ممكنا،و لمّا كانوا غرقى فى محبّته عالمين بكمال عظمته و أنّ ما يرجونه من تمام جوده أشرف المطالب و أربح المكاسب،و ما يخشى من انقطاع جوده و نزول حرمانه أعظم المهالك و المعاطب لا جرم دام رجاؤهم له و خضوعهم فى رقّ الحاجه إليه و الفزع من حرمانه و كان ذلك الرجاء و الخوف هو مادّه استهتارهم بلزوم طاعته الّتى يرجعون إليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها .

الثالث و الثلاثون:

لم تنقطع أسباب الشفقّه عنهم فيتوانى جدّهم .الشفقّه:الاسم من الإشفاق:أى لم ينقطع أسباب خوفهم له و أسبابه حاجتهم إلى القيام فى الوجود إلى الاستكمال بجوده فإنّ الحاجه الضروريّه إلى الغير فى مطلوب يستلزم الخوف منه فى عدم قضائه و يوجب الإقبال على الاستعداد بجوده بلزوم طاعته.و حاجتهم إليه دائمه فجدّهم فى عبادته دائم فالتوانى فيه مفقود .

الرابع و الثلاثون:

و لم يأسرهم إلى قوله: اجتهادهم .سلب لبعض أوصاف البشر عنهم فإنّ كثيرا من العابدين قد يصرفهم عن الاجتهاد فى طاعه اللّه سبب ما يظهر لهم من كمالات الدنيا و زينتها فيؤثرون ما قرب من السعى فى تحصيله على ما يستبعدونه من تحصيل السعاده الاخرويّه الباقيه،و قد عرفت أنّ ذلك من جواذب الشهوات و الغفله عمّا وراء هذه الدار و الملائكه مبرّؤون عن الشهوات و ما يلزمها من أسر الأطماع الكاذبه لهم، استعاره و لفظ الأسر استعاره لقود الأطماع إلى ما يطمع فيه .

الخامس و الثلاثون:

و لم يستعظموا ما مضى من أعمالهم إلى قوله:رجلهم.معنى هذه الشرطيّه أنّهم لو استعظموا ذلك لكان رجاؤهم لثواب عبادتهم عظيما فكان لقوّته ماحيا لإشفاقهم و خوفهم منه و هذا كما أنّ الإنسان إذا عمل لبعض الملوك عملا يستعظمه فإنّه يرى فى نفسه استحقاق أتمّ جزاء له و يجد التطاول به و الدالّه عليه فيهوّن ذلك ما يجده من خوفه،و كلّما ازداد استعظامه لخدمته ازداد اعتقاده فى قربه من الملك قوّه و بمقدار ذلك ينقص خوفه و يقلّ هيبته لكنّ الملائكه خائفون أبدا كما قال تعالى «يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ» ... «وَ الْمَلائِكَهُ مِنْ خِيفَتِهِ» فينتج أنّهم لا يستعظمون سالف عبادتهم .

السادس و الثلاثون:

و لم يختلفوا فى ربّهم باستحواذ الشيطان عليهم:أى فى إثباته و استحقاقه كمال العباده و ذلك لعدم سلطان عليهم و هو سلب لبعض أحوال البشر و كذلك قوله: و لم يفرّقهم إلى قوله:أخياف الهمم .تنزيه لهم عن امور من عوارض البشريّه:

سوء التقاطع أحدها:و هو كتقاطع المتعادين و تباينهم الناشى عن الغضب و الشهوه .

الثانى:غلّ الحسد،و قد علمت أنّ الحسد رذيله نفسانيّه تنبعث عن البخل و الشره و منبعهما النفس الأمّاره .

الثالث:تشعّب مصارف الريب لهم و الريب الشكوك و الشبه و مصارفها هى الامور الباطله الّتى تنصرف أذهانهم إليها عن الشبه أو تلك الشبهه و الشكوك أنفسها و تشعّبها لهم اقتسامها بحيث يذهب كلّ واحد من شبهه إلى باطل،و قد علمت أنّ منشأ الشكوك و الشبهات هو الوهم و الخيال،و لمّا كانوا مبرّئين عن النفوس الأمّاره وجب تنزيههم عن هذه الامور الثلاثه ،الرابع:لمّا كان معبودهم واحدا و هو غايه مطلوبهم

كانت هممهم ز فيه واحده فلم يلتفتوا إلى شىء آخر و لم يفترقوا فيها .

السابع و الثلاثون:

استعاره مرشحه فهم اسراء الايمان.إلى قوله:و لا فتور .استعار لفظ الأسر و رشّح بذكر الربقه و نزّههم عن أن يجذبهم عن الايمان أحد الامور الأربعه،و قد سبق وجه تنزيههم عنها .

الثامن و الثلاثون:

استعاره بالكنايه و ليس فى أطباق السماوات إلى قوله:عظما .المراد أنّ السماوات مملوّه بالملائكه فبين ساجد لوجه ربّه و بين ساعى مجدّ فى أمره.و اعلم أنّ فى السماء ملائكه مباشره لتحريكها و ملائكه على رتبه من اولئك هم الآمرون لهم بالتحريك فيشبه أن يكون الإشاره بالساجدين منهم إلى الأمرين،و السجود كنايه عن كمال عبادتهم و يكون الإشاره بالساعين المسرعين إلى المتولّين للتحريك فأمّا زيادتهم بطول الطاعه علما بربّهم فلمّا ثبت أن حركاتهم إنّما هو شوقيّه للتشبّه بملائكه أعلى رتبه منهم فى كمالهم بالمعارف الإلهيّه و ظهور ما فى ذواتهم بالقوّه إلى الفعل.و زياده عزّه ربّهم عندهم عظما بحسب زيادتهم معرفتهم له تابعه لها كما نبّهنا عليه قبل.

و باللّه التوفيق.

الفصل السادس و منها فى صفه الأرض و دحوها على الماء.

اشاره

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَهٍ- وَ لُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَهٍ تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا- وَ تَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا- وَ تَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا- فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا- وَ سَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا- وَ ذَلَّ مُسْتَخْذِياً إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا- فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِياً مَقْهُوراً- وَ فِي حَكَمَهِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً- وَ سَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّهً فِي لُجَّهِ تَيَّارِهِ- وَ رَدَّتْ مِنْ نَخْوَهِ بَأْوِهِ وَ اعْتِلَائِهِ

وَ شُمُوخِ أَنْفِهِ وَ سُمُوِّ غُلَوَائِهِ- وَ كَعَمَتْهُ عَلَى كِظَّةِ جَرْيَتِهِ فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ- وَ لَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ- فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا- وَ حَمْلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا- فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا- وَ فَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا- وَ عَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا- وَ ذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا- فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا- وَ تَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا- وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرَضِينَ وَ جَرَاثِيمِهَا- وَ فَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَ بَيْنَهَا وَ أَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا- وَ أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا- ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ- الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا- وَ لَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا- حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا- وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا- أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ وَ تَبَايُنِ قَزَعِهِ- حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ وَ الْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ- وَ لَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ وَ مُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ- أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ- تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ وَ دُفَعَ شَآبِيبِهِ-.فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بِوَانَيْهَا- وَ بَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا- أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ- وَ مِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ

فَهِیَ تَبْهَجُ بِزِینَهِ رِیَاضِهَا- وَ تَزْدَهِی بِمَا أَلْبِسَتْهُ مِنْ رَیْطِ أَزَاهِیرِهَا- وَ حِلْیَهِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا- وَ جَعَلَ ذَلِکَ بَلاَغاً لِلْأَنَامِ وَ رِزْقاً لِلْأَنْعَامِ- وَ خَرَقَ الْفِجَاجَ فِی آفَاقِهَا- وَ أَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِکِینَ عَلَی جَوَادِّ طُرُقِهَا فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ- اخْتَارَ؟آدَمَ ع؟ خِیرَهً مِنْ خَلْقِهِ- وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ وَ أَسْکَنَهُ جَنَّتَهُ- وَ أَرْغَدَ فِیهَا أُکُلَهُ- وَ أَوْعَزَ إِلَیْهِ فِیمَا نَهَاهُ عَنْهُ- وَ أَعْلَمَهُ أَنَّ فِی الْإِقْدَامِ عَلَیْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِیَتِهِ- وَ الْمُخَاطَرَهَ بِمَنْزِلَتِهِ- فَأَقْدَمَ عَلَی مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاهً لِسَابِقِ عِلْمِهِ- فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَهِ- لِیَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ- وَ لِیُقِیمَ الْحُجَّهَ بِهِ عَلَی عِبَادِهِ- وَ لَمْ یُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ- مِمَّا یُؤَکِّدُ عَلَیْهِمْ حُجَّهَ رُبُوبِیَّتِهِ- وَ یَصِلُ بَیْنَهُمْ وَ بَیْنَ مَعْرِفَتِهِ- بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ- عَلَی أَلْسُنِ الْخِیَرَهِ مِنْ أَنْبِیَائِهِ- وَ مُتَحَمِّلِی وَدَائِعِ رِسَالاَتِهِ- قَرْناً فَقَرْناً- حَتَّی تَمَّتْ بِنَبِیِّنَا؟مُحَمَّدٍ ص؟ حُجَّتُهُ- وَ بَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَ نُذُرُهُ وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَکَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا- وَ قَسَّمَهَا عَلَی الضِّیقِ وَ السَّعَهِ- فَعَدَلَ فِیهَا لِیَبْتَلِیَ- مَنْ أَرَادَ بِمَیْسُورِهَا وَ مَعْسُورِهَا- وَ لِیَخْتَبِرَ بِذَلِکَ الشُّکْرَ وَ الصَّبْرَ مِنْ غَنِیِّهَا وَ فَقِیرِهَا- ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِیلَ فَاقَتِهَا- وَ بِسَلاَمَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا- وَ بِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا- وَ خَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَ قَصَّرَهَا وَ قَدَّمَهَا وَ أَخَّرَهَا-

وَ وَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا- وَ جَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا- وَ قَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ- وَ نَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ وَ خَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ- وَ عُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ- وَ مَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ- وَ مَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ- وَ غَيَابَاتُ الْغُيُوبِ- وَ مَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ- وَ مَصَايِفُ الذَّرِّ وَ مَشَاتِي الْهَوَامِّ- وَ رَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ وَ هَمْسِ الْأَقْدَامِ- وَ مُنْفَسَحِ الثَّمَرَهِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ الْأَكْمَامِ- وَ مُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ الْجِبَالِ وَ أَوْدِيَتِهَا- وَ مُخْتَبَإِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَ أَلْحِيَتِهَا- وَ مَغْرِزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ- وَ مَحَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ- وَ نَاشِئَهِ الْغُيُومِ وَ مُتَلَاحِمِهَا- وَ دُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا- وَ مَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا وَ تَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا- وَ عَوْمِ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ- وَ مُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَهِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ- وَ تَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ- وَ مَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ- وَ حَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ- وَ مَا غَشِيَتْهُ سُدْفَهُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ- وَ مَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ- وَ سُبُحَاتُ النُّورِ وَ أَثَرِ كُلِّ خَطْوَهٍ- وَ حِسِّ كُلِّ حَرَكَهٍ وَ رَجْعِ كُلِّ كَلِمَهٍ- وَ تَحْرِيكِ كُلِّ شَفَهٍ وَ مُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَهٍ- وَ مِثْقَالِ

كُلِّ ذرَّهٍ و هَمَاهِم كُلِّ نَفْسٍ هامَّهٍ- و ما عَلَيْهَا مِنْ ثَمرِ شَجرَهٍ أَوْ ساقِطِ وَرَقهٍ- أَوْ قَرَارَه نُطْفَهٍ أَوْ نُقَاعَه دَم و مُضْغَهٍ- أَوْ نَاشِئَهِ خَلْقٍ و سُلاَلَهٍ- لَمْ يَلْحَقْهُ فِی ذَلِکَ کُلْفَهٌ- وَ لاَ اعْتَرَضَتْهُ فِی حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَهٌ- وَ لاَ اعْتَوَرَتْهُ فِی تَنْفِیذِ الْأُمُورِ وَ تَدَابِیرِ الْمَخْلُوقِینَ مَلاَلَهٌ وَ لاَ فَتْرَهٌ- بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ وَ أَحْصَاهُمْ عَدَدُهُ- وَ وَسِعَهُمْ عَدْلُهُ وَ غَمَرَهُمْ فَضْلُهُ- مَعَ تَقْصِیرِهِمْ عَنْ کُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِیلِ- وَ التَّعْدَادِ الْکَثِیرِ- إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَیْرُ مَأْمُولٍ وَ إِنْ تُرْجَ فَخَیْرُ مَرْجُوٍّ- اللَّهُمَّ وَ قَدْ بَسَطْتَ لِی فِیمَا لاَ أَمْدَحُ بِهِ غَیْرَکَ- وَ لاَ أُثْنِی بِهِ عَلَی أَحَدٍ سِوَاکَ- وَ لاَ أُوَجِّهُهُ إِلَی مَعَادِنِ الْخَیْبَهِ وَ مَوَاضِعِ الرِّیبَهِ- وَ عَدَلْتَ بِلِسَانِی عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِیِّینَ- وَ الثَّنَاءِ عَلَی الْمَرْبُوبِینَ الْمَخْلُوقِینَ- اللَّهُمَّ وَ لِکُلِّ مُثْنٍ عَلَی مَنْ أَثْنَی عَلَیْهِ مَثُوبَهٌ مِنْ جَزَاءٍ- أَوْ عَارِفَهٌ مِنْ عَطَاءٍ- وَ قَدْ رَجَوْتُکَ دَلِیلاً عَلَی ذَخَائِرِ الرَّحْمَهِ- وَ کُنُوزِ الْمَغْفِرَهِ- اللَّهُمَّ وَ هَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَکَ بِالتَّوْحِیدِ الَّذِی هُوَ لَکَ- وَ لَمْ یَرَ مُسْتَحِقّاً لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَ الْمَمَادِحِ غَیْرَکَ- وَ بِی فَاقَهٌ إِلَیْکَ لاَ یَجْبُرُ مَسْکَنَتَهَا إِلاَّ فَضْلُکَ- وَ لاَ یَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلاَّ مَنُّکَ وَ جُودُکَ- فَهَبْ لَنَا فِی هَذَا الْمَقَامِ رِضَاکَ- وَ أَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَیْدِی إِلَی سِوَاکَ- «إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ»

اللغه

أقول: كبسها : أغاصها فى الماء بقوّه .و المور : التردّد فى الحركه .و مستفحله:

صائله :و التلاطم : الترادّ .و الأواذىّ : جمع آذىّ و هو ما عظم من موج البحر .و الاصطفاق:

الترادّ أيضا .و الأثباج : جمع ثبج و هو معظمها و عواليها .و هيج الفرس : إذا غلب صاحبه و لم يملكه .و الارتماء : التقاذف و الترادّ .و الكلكل : الصدر .و المستخذى:

الخاضع .و التمعّك : التمرّغ .و اصطخاب أمواجه : غلبتها و أصواتها .و الساجى : الساكن .

و الحكمه : ما أحاط من اللجام بحنك الدابّه و الدحو : البسط .و التّيار : الموج .

و النخوه : الكبر و الترفّع .و البأو : الفخر .و شمخ بأنفه : تكبّر .و الغلواء : تجاوز الحدّ .

و كعمته : سددت فاه .و الكظّه : شدّه البطنه .و همد : سكن و خمد .و النزق : الخفّه و الطيش .و لبد : لصق بالأرض ساكنا .و الزيفان : التبختر .و البذّخ : العاليه .و العرنين :

أعلى الأنف عند ملتقى الحاجبين .و السهوب : جمع سهب و هو الفلاه الواسعه .و البيد :

جمع بيداء و هى الفلاه أيضا .و الاخدود : الشقّ فى الأرض .و الجلاميد : الصخور .

و الشناخيب : رؤس الجبال و الشمّ : العاليه .و الصيخود : الصخره الصلبه .و أديمها:

سطحها .و تغلغله : دخوله فى أعماقها .و التسرّب : الدخول فى السرب .و الجوبه : الفرجه فى الأرض .و جراثيم الأرض : أعاليها و ما اجتمع منها .و أرض جرز : لا نبات بها لانقطاع الماء عنها .و الروابى : عوالى الأرض .و القزع : قطع السحاب الرقيقه الواحده قزعه .

و الكفّه بالضمّ : ما استطال من السحاب و ما استدار.و بالكسر:الوميض و اللمعان .و الكنهور :

العظيم من السحاب .و الرباب : الغمام الأبيض .و السح : الصبّ .و أسفّ : دنا من الأرض لثقله .و هيدبه : ما تهدّب منه إلى الأرض أى تدلى .و تمريه : تستخرج ما فيه من الماء و الدرر جمع درّه بالكسر و هى كثره اللبن و سيلانه .و الأهاضيب : جمع هضاب و هو جمع هضب و هو جلبات القطر بعد القطر .و الشآبيب : جمع شؤبوب و هو الرشقه القويّه من المطر .و البرك : الصدر .و البوانى : ما يلى الصدر من الأضلاع .و بعاع السحاب ثقله بالمطر .و العبء : الثقل .و جبله زعراء : لا نبت بها .و تزدهى : تتكبّر .و الريط : جمع ريطه و هى الأزاهير المنيره .و سمطت : زينت بالسمط و هو العقد،و من روى شمطت بالشين لمعجمه أراد خلطت .و الجبلّه : الخلقه .و أوعز إليه بكذا : تقدّم إليه به .و العقابيل :

بقايا المرض .و الترح : الحزن .و الفاقه : الفقر .و الخلج : الجذب و الانتزاع .و الأشطان :

جمع شطن و هى الحبال .و المرائر : أيضا الحبال اللطيفه الفتل .و التخافت : المسارّه .

و الرجم بالظنّ : القول عنه .و الغيابه : ظلمه قعر البئر .و مصائخ الأسماع : خروقها .

و الإصاخه : التسمّع .و الولائج : المداخل .و الأكمام : جمع كمّ بالكسر و هو غلاف الطلع .و المنقمع : محلّ الانقماع و هو الارتداع .و لحاء الشجره : قشرها .و الأفنان:

الأغصان .و الأمشاج : النطفه المختلطه بالدم ،و تعفو : تمحو .و شناخيب الجبال :

رؤوسها .و ذراها : أعاليها .و التغريد : ترديد صوت الطائر .و الدياجير : جمع ديجور و هو الظلام و السدفه : الظلمه .و ذرّ الشارق : طلع .و رجع الكلمه : جوابها .و النقاعه:

نقره يجتمع فيها الدم .و اعتورته : أحاطت به .و العارفه : المعروف .و الخلّه . الفقر .

و أنعشه : أنهضه من عثرته .

و اعلم أنّ هذا الفصل يشتمل على فصول :

الفصل الأوّل:فى تمجيد اللّه تعالى باعتبار خلقه للأرض فى الماء و جمله من أحوالها

و هو.إلى قوله: جواد طرقها ،و فيه أبحاث:

البحث الأوّل:فى الاستعارات و التشبيهات و أبحاث لفظيّه.

الأوّل:

استعاره استعاره لفظ الكبس لخلقه لها غائصا معظمها فى الماء كما يغوص بعض الزقّ المنفوخ و نحوه بالاعتماد عليه .

الثانى:

استعاره استعاره لفظ الاستفحال للموج،و وجه المشابهه ما اشترك فيه الموج و الفحل من الاضطراب و الهيجان و الصوله .

الثالث:

تشبيه تشبيهه بالفحول أيضا و وجه الشبه ما يظهر على رؤس الموج عند اضطرابه و غليانه من رغوه الزبد كما يظهر من فم الفحل عند هياجه .

الرابع:

استعاره استعار لفظ الجماح لحركه الماء على غير نسق و اضطراب لا يملك معه تصريفه كما يجمح الفرس .

الخامس:

استعاره مرشحه-استعاره بالكنايه استعار أوصاف الناقه من الكلكل و الكاهل للأرض و رشّح تلك الاستعاره بالوطى و التمعّك.و إنّما خصّ الصدر و الكاهل لقوّتهما و كنّى بالمجموع عن إلحاقها بالناقه .

ص:٣٧٠

السادس:

استعاره بالكنايه استعار للماء لفظ الاستخذاء و القهر و لفظ الحكمه و الانقياد و الأسر و كنّى بها عن إلحاقه بحيوان صايل قهر كالفرس و أضاف الحكمه إلى الذلّ إضافه للسبب إلى المسبّب .

السابع:

استعاره استعار لفظ النخوه ،و البأو،و شموخ الأنف،و الغلواء،و النزق، و الزيفان،و الوثبات للماء فى هيجانه و اضطرابه ملاحظه لشبهه بالإنسان المتجبّر التيّاه فى حركاته المؤذنه بتكبّره و زهوه .

الثامن:

استعاره استعار لفظ الأكتاف للأرض،و وجه المشابهه كون الأرض محلّا لحمل ما يثقل من الجبال كما أنّ كتف الإنسان و غيره محلّ لحمل الأثقال .

التاسع:

استعاره بالكنايه استعار لفظ العرنين و الأنف لأعالى رؤس الجبال كنايه عن إلحاقها بالإنسان .

العاشر:

استعاره بالكنايه كنّى بالتغلغل و التسرّب عمّا يتوهّم من نفوذ الجبال فى الأرض و غوصها فيها،و استعار لفظ الخياشيم لتلك الأسراب الموهومه.و لمّا جعل للجبال انوفا جعل تلك الأسراب المتوهّم قيام الجبال فيها خياشيم .

الحادى عشر:

استعاره بالكنايه استعار لفظ الركوب للجبال و الأعناق للأرض كنايه عن إلحاقهما بالقاهر و المقهور .

الثانى عشر:

استعاره بالكنايه استعار لفظ الوجدان و الذريعه للجداول كنايه عن إلحاقها بالإنسان عديم الوسيله إلى مطلوبه .

الثالث عشر:

الضميران فى تغلغلها و ركوبها و الضمير فى خياشيمها يعود إلى الأرض و باقى الضمائر ظاهر .

الرابع عشر:

مجاز تجوّز فی إسناد لفظ الإحیاء و الاستخراج إلی السحاب إذ المخرج هو اللّه تعالی .

الخامس عشر:

کنایه کنّی بعدم النوم عن عدم إخفاء استعاره بالکنایه و میض البرق فی السحاب کنایه بالمستعار .

السادس عشر:

استعاره استعار لفظ الهدب لقطرات المطر المتّصله یتلو بعضها بعضا ملاحظه لشبهها بالخیوط المتدلّیه[المستدلیه خ] .

ص:۳۷۱

السابع عشر:

استعاره بالكنايه استعار لفظ الدرر و الأهاضيب و هى الجلباب للغمام كنايه عن إلحاقها بالناقه .

الثامن عشر:

مجاز أسند المرى إلى الجنوب مجازا أو لأنّ لها سببيّه ما فى نزول الغيث و إنّما خصّ الجنوب لأنّها فى أكثر البلاد حارّه رطبه أمّا الحراره فلأنّها تأتى من الجهه المتسخّنه بمقاربه الشمس،و أمّا الرطوبه فلأنّ البخار أكثرها جنوبيّه و الشمس تفعل فيها بقوّه و يتبخّر عنها أبخره تخالط الرياح و إذا كان كذلك كان الجنوب أولى بالذكر من وجهين:أحدهما:أنّها أكثر استصحابا للأبخره فلذلك كان السحاب أكثر انعقادا معها و مصاحبه لها الثانى:أنّها لحرارتها تفتح المسامّ،و لرطوبتها ترخى فكان درور المطر عنها أكثر .

التاسع عشر:

استعاره بالكنايه استعار لفظ البرك و البوانى للسحاب و أسند إليه الإلقاء كنايه عن إلحاقه بالجمل الّذى أثقله الحمل فرمى بصدره إلى الأرض .

العشرون:

مجاز نسب الابتهاج و الازدهاء و اللبس إلى الأرض ذات الأزاهير مجازا ملاحظه لشبهها بالمرأه المتبجّحه بما عليها من فاخر الملبوس و جميل الثياب .

البحث الثانى:أن مقتضى الكلام أنّ اللّه خلق الماء قبل الأرض ثمّ دحاها فيه

و سكن بها مستفحل أمواجه

،و هذا ممّا شهد به البرهان العقلىّ فإنّ الماء لمّا كان حاويا لأكثر الأرض كان سطحه الباطن المماسّ لسطحه الظاهر مكانا لها و ظاهر أنّ للمكان تقدّما باعتبار ما على المتمكّن فيه و إن كان اللفظ يعطى تقدّم خلق الماء على خلق الأرض تقدّما زمانيّا كما هو المقبول عند السامعين.

البحث الثالث:أنّه اشير إلى كونها مدحوّه فى القرآن الكريم أيضا

«وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰاهٰا» مع أنّ الأرض كره كما ثبت بيانه فى علم الهيئه.فلا بدّ من التأويل و قد نبّهنا إليه فى قوله:اللهم داحى المدحوّات،و قد ورد فى الخبر:أنّ الأرض دحيت من تحت الكعبه.قال بعض العارفين:الإشاره بالكعبه إلى كعبه وجود واجب الوجود الّتى هى مقصد وجوه المخلصين الّتى جعلت هذه الكعبه فى عالم الشهاده مثالا لها و دحوها من تحتها عباره عن وجودها عن ذلك المبدأ.

البحث الرابع:الإشاره إلی خلق الجبال فیها و کونها سببا لسکونها

.و للناس فی تکوین ما تکوّن من الجبال فیها وجوه:أحدها:أنّه قد یکون عن بخار زالت میاهها.

الثانی:قد یکون عن زلزله فصلت قطعه علی ناحیه فارتفعت.الثالث:قد تکون عن ریاح جمعت بهبوبها ترابا فتراکم و علا.الرابع:قد تکون لعمارات تراکمت فتخرّبت.

فأمّا کونها أسبابا لسکون الأرض فقد سبقت الإشاره إلیه فی الخطبه الاولی،و اعلم أنّ البرهان مطابق علی الشهاده بسکونها کما اشیر إلیه فی مظانّه.

البحث الخامس:فی تفجیر ینابیع العیون فی الجبال و غیرها

،و قد أشار العلماء إلی أسبابه فقالوا:إنّ الأدخنه و الأبخره ما یحتبس منها تحت الأرض و فیه ثقب و فرج فیها هواء تبرّد الأبخره و الهواء فیصیر ماء فما له قوّه و مدد یتفجّر عیونا و یجری علی الولاء لعدم مدخل الهواء بین الخارج و ما یتّصل به و یتبعه،و ما لا مدد له من العیون یرکد،و ما له مدد إلاّ أنّ أجزاءه مبدّده و الأرض واهیه لا تحتاج إلی مقاومه یتحصّل منه القنوات،و ماء البئر أیضا من قبیل ماله مدد لکنّه لم یجد سبیلا إلی أحد الجوانب لعدم رخاوه أرضه فخالف القنوات.و إنّما خصّ الجبال بتفجّر العیون منها لأنّ العیون أکثر ما یتفجّر من الجبال و الأماکن المرتفعه و ذلک لشدّه احتقان الأبخره تحتها بالنسبه إلی سایر الأماکن الهابطه الرخوه فإنّ الأرض إذا کانت رخوه نفضت البخار عنها فلا یکاد یجتمع منه قدر ما یعتدّ به و لأنّ هذا التخصیص أدّل علی حکمه الصانع و عنایته بالخلق.و هو فی معرض تمجیده و تعدید آلائه .

البحث السادس:أنّه أعدّ الهواء لساکنها

،و اعلم أنّه سبحانه کما جعل الهواء عنصرا لأبدان الحیوان و أرواحه البدنیّه کذلک جعله مددا یصل إلی الأرواح و یکون علّه لصلاحها و بقاءها بالتعدیل و ذلک التعدیل یکون بفعلین:أحدهما:التزویح، و الثانی:التفتیه.أمّا التزویح فهو تعدیل مزاج الروح الحارّ إذا أفرط بالاحتقان فی الأکثر فإنّ الهواء الّذی یحیط بنا أبرد بکثیر من ذلک المزاج فإذا وصل إلیه باستنشاق الریه و من مسامّ منافس النبض و صدمه و خالطه منعه عن الاستحاله إلی الناریّه الاحتقانیّه المؤدیّه إلی سوء مزاج یزول به عن الاستعداد لقبول التأثیر النفسانیّ الّذی

هو سبب الحياه،و أمّا التنقيه فهى باستصحابه عند ردّ النّفس لما سلّمته إليه القوّه المميّزه من البخار الدخانىّ الّذى نسبته إلى الروح نسبه الخلط الفضلىّ إلى البدن فكما أنّ التعديل هو بورود الهواء على الروح عند الاستنشاق فالتنقيه بصدوره عنه عند ردّ النفس و ذلک أنّ الهواء المستنشق إنّما يحتاج إليه فى تعديله أوّل وروده لكونه باردا بالفعل فإذا استحال إلى كيفيّه الروح بالتسخّن لطول مكثه بطلت فايدته فاستغنى عنه و احتيج إلى هواء جديد يدخل و يقوم مقامه فدعت الضروره إلى إخراجه لإخلاء المكان لمعاقبه و ليندفع معه فضول جوهر الروح.فهذا معنى قوله عليه السّلام: و أعدّ الهواء متنسّما لساكنها.

و اعتبار إعداده لمنفعه الحيوان أعمّ ممّا ذكرنا فإنّه أيضا معدّ لساير الأمزجه المعدنيّه و النباتيّه و الحيوانيّه الّتى يحتاج الإنسان فى بقائه إليها و كونه عنصرا لها و معتبرا فى بقائها.و عند ملاحظه هذه المنافع عن الهواء يظهر أثر نعمه اللّه به .

البحث السابع:فى إخراجه تعالى أهل الأرض إليها بعد تمام مرافقها

كما قال تعالى «وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ» (۱)و الإشاره بأهلها المخرجين إليها إلى الحيوان مطلقا.

و أعلم أنّ أوّل ارتفاقهم بها أن جعلها قرارا لهم صالحا للسكنى عليها كما قال تعالى «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً» و لكونها فراشا شرايط:

أحدها:أن تكون ساكنه ليصحّ الاستقرار عليها و التصرّف فيها بحسب الاختيار و موافقه المصلحه دون كونها متحرّكه.

الثانى:أن تكون خارجه من الماء و ذلک أنّ الإنسان و غيره من الحيوان البريّه لا يمكنه أن يعيش فى الماء فاقتضت عنايه الحقّ سبحانه بالحيوان أن أبرز بعضها من الماء ليعيش فيه و يتصرّف عليه.

الثالث:أن لا يكون فى غايه الصلابه كالحجر و إلّا لكان النوم و المشى عليها مولما،و أيضا لم يكن لينبت فيها أنواع النبات و الأشجار،و أيضا لكانت تسخن فى الصيف

۱- ۱) ۱۹-۱۵.

كثيرا و تبرد كثيرا فى الشتاء فما كانت تصلح لسكنى الحيوان،و أيضا كان يتعذّر حفرها و تركيب بعضها ببعض.

الرابع:أن لا يكون فى غايه الرخاوه كالماء و غيره من المايعات الّتى يغوص فيه الإنسان.

الخامس:أنّه سبحانه لم يخلقها فى غايه الشفّافيّه و اللطافه فإنّها إن كانت مع ذلك جسما سيّالا كالهواء لم يتمكّن من الاستقرار عليه و إن كان جسما ثابتا صيقلا برّاقا احترق الحيوان و ما عليها بسبب انعكاس أشعّه الشمس عليها كما يحترق القطن إذا قرب من المرايا المحاذيه للشمس و البلّور لكنّه خلقها غبراء ليستقرّ النور على وجهها فيحصل فيها نوع من السخونه،و خلقها كثيفه لئلّا تنعكس الأشعّه منها على ما فيها فتحرقه فصارت معتدله فى الحرّ و البرد تصلح أن تكون فراشا و مسكنا للحيوان.

المنفعه الثانيه:خلق الجبال فيها و تفجيرها بالماء كما سبقت الإشاره إليه.

المنفعه الثالثه:ما يتولّد فيها من المعادن و النبات و الحيوان و فى أنواع كلّ من هذه الموجودات و اختلاف أصنافه و ألوانه و روايحه و طعومه ولينه و صلابته و ملاسته و خشونته ما لا يحصى من المنافع الّتى يحتاج إليها الإنسان فى بقائه و صلاح حاله.

المنفعه الرابعه:كونها أصلا لبدن الإنسان،و ذلك أنّ الماء لرقّته و رطوبته لا يحفظ الشكل و التصوير فإذا خلط بالتراب حصل له قوام و استمساك و حصل قبول الأشكال و التخطيط كما قال تعالى «إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ» .

المنفعه الخامسه:قبولها للحياه بعد الموت كما قال تعالى «وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها » .

البحث الثامن:فى تمجيده تعالى باعتبار إنشائه للسحاب و البرق

،و النظر فى وجه الحكمه فيه و فى أصله و فى حياه الأرض به :أمّا وجه الحكمه فى إنشائه فكونه مادّه لما ينبت فى الأرض الجرز ممّا هو قوام بدن الحيوان و غذاء له كما أشار إليه عليه السّلام بقوله: ثمّ لم يدع جرز الأرض الّتى تقصر مياه العيون و الأنهار عنها و لا تجد جداول الأرض ذريعه إلى بلوغها إلى قوله:و جعل ذلك بلاغا للأنام و رزقا للأنعام. و نحوه قوله

تعالی «أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَی الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْکُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَ فَلا یُبْصِرُونَ » (۱)

البحث التاسع:فی تمجیده باعتبار تخریقه للفجاج فی آفاقها:

أی الطرق الواسعه فی نواحیها کما قال تعالی «وَ جَعَلْنا فِیها فِجاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ» (۲)ثمّ باعتبار إقامته المنار للسالکین فیها.و الإشاره بالمنار إمّا إلی لنجوم کما قال تعالی «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ» أو إلی الجبال.

الفصل الثانی:فی تمجیده تعالی باعتبار خلقه لآدم

و اختیاره له و إتمام نعمته علیه،و مقابلته بالعصیان و مقابله عصیانه بقبول توبته و إهباطه إلی الأرض و إکرام ذریّته بعده ببعثه الأنبیاء منهم و إلیهم و قسمته بینهم معیشتهم و آجالهم بالقلّه و الکثره و ابتلائه لهم بذلک ،و هو من قوله: فلمّا مهّد أرضه و أنفذ أمره.إلی قوله:و قاطعا لمرائر أقرانها ،و اعلم أنّ الکلام فی قصّه آدم علیه السّلام قد سبق فی الخطبه الاولی مستوفی فلا نعیده غیر أنّ فی هذا الکلام فوائد:

الفائده الاولی:

استعاره معنی قوله: مهّد أرضه :أی جعلها مهادا کقوله تعالی «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً» أو جعلها مهدا کقوله تعالی «جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ مَهْداً» و علی التقدیر الأوّل أراد أنّه لمّا خلقها بحیث یسهل علی العباد أن یتصرّفوا فیها بالقعود و القیام و الزراعه و سایر جهات المنفعه و أنفذ أمره فی خلق آدم خلقه بعد ذلک،و علی التقدیر الثانی یکون لفظ المهد استعاره لها ملاحظه لتشبیهها بمهد الصبیّ فی کونه محلّ الراحه و النوم .

الفائده الثانیه:

قوله: و أنفذ أمره :أی فی إیجاد مخلوقاته و تمامها فحکم علی العالم بالتمام باختیار نوع الإنسان الّذی هو تمام دائره الوجود فقال له کن فکان .

الفائده الثالثه:

قوله: خیره من خلقه نصب علی الحال و یحتمل النصب علی المصدر و الشاهد علی کونه خیره اللّه من خلقه قوله تعالی «إِنَّ اللّهَ اصْطَفی آدَمَ» و قوله «وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ»

۱- ۱) ۲۷-۳۲.

۲- ۲) ۳۲-۲۱.

«مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً» (۱)و بیان هذا التکریم من وجهین:

أحدهما:قال أبو یزید البسطامیّ:إنّ أنواع کرامات اللّه تعالی فی حقّ البشر غیر متناهیه کما قال تعالی «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَهَ اللّهِ لا تُحْصُوها» هذا علی سبیل الإجمال أمّا التفصیل فمن وجوه:

الأوّل:أنّه سبحانه یمطر کلّ ساعه علی المتوکّلین مطر الکفایه کما قال تعالی «وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» .

الثانی:أنّه یمطر کلّ ساعه علی المطیعین مطر الموده کما قال تعالی «سَیَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا» (۲).

الثالث:أنّ یمطر علی المجتهدین مطر الهدایه کما قال تعالی «وَ الَّذِینَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنا» (۳).

الرابع:أنّه یمطر علی الشاکرین مطر الزیاده کما قال «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ» الخامس:أنّه یمطر علی المتذکّرین مطر البصیره کما قال تعالی «إِنَّ الَّذِینَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّیْطانِ» «فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ» (۴)الثانی:أنّ التکریم لآدم علیه السّلام و ذریّته إمّا بأحوال داخله فی الإنسان أو خارجه عنه و الداخله فیها إمّا بدنیّه أو غیرها:أمّا البدنیّه الّتی اکرم بها فامور:

الأوّل:الصوره الحسنه کما قال تعالی: «وَ صَوَّرَکُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَکُمْ» .

الثانی:حسن القامه و التعدیل کما قال تعالی «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ» و ذلک أنّ الشیء کلّما کان أکثر علوّا و ارتفاعا کان أشرف فی نوعه فإنّ أحسن الأشجار أعلاها امتدادا.

الثالث:أنّه أکرمه بتمکینه من القیام و القعود و الاستلقاء و الانبطاح و الاضطجاع و ذلک أنّه تعالی رکّب الخلق علی أصناف أربعه:أحدها:ما یشبه القائمین کالأشجار، و ثانیها:ما یشبه الراکعین کالبهائم،و ثالثها:ما یشبه الساجدین کالحشرات الّتی تدبّ علی وجوهها و بطونها،و منها ما یشبه القاعدین کالجبال ثمّ إنّه سبحانه خلق الإنسان

۱- ۱) ۷۲-۱۷.

۲- ۲) ۹۶-۱۹.

۳- ۳) ۶۹-۲۹.

۴- ۴) ۶۶-۴۰.

قادرا علی جمیع هـذه الهیئات،و مکنّه من ذکره علی جمیع هـذه الأحوال کما قال تعالی «الَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِهِمْ» (۱)و أمّا الأحوال الّتی اکرم بها غیر بدنیّه فامور:

أحـدها:الروح الّتی هی محلّ العلم بأشـرف الموجودات و مبـدئها و هو اللّه تعالی کما قال «وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ» و شـرّفه بإضافه روحه إلیه،و بهذا التشریف تمیّز عن سایر الموجودات فی هذا العالم.

الثانی:العقل و شرفه من وجوه:

الأوّل:روی أنّ اللّه تعالی أوحی إلی داود علیه السّلام إذا رأیت عاقلا فکن له خادما.

الثانی:قول الرسول صـلی اللّه علیه و آله و سـلّم:أوّل مـا خلق اللّه العقـل فقـال له:أقبـل فأقبل ثمّ قال له:أدبر فأدبر فقال:و عزّتی و جلالـی مـا خلقت خلقـا أکرم علیّ منـک،بـک آخـذوا بـک اعطی و بـک اثیب و بک اعاقب.و اعلم أنّ للعقل بـدایه و نهایه و کلاهما یسـمّیان عقلا:أمّا الأوّل:فهو القوّه المهیّئه للعلوم الکلّیّه الضروریّه کما للطفل و هو المشار إلیه بقول النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم،و الثانی:العقل المستفاد و هو المشار الیه بقوله صلی اللّه علیه و آله و سلّم لعلیّ علیه السّلام:

إذا تقرّب الناس إلی خالقهم بأبواب البرّ فتقرّب أنت إلیه بعقلک تسبقهم بالدرجات و الزلفی عند الناس فی الدنیا و عند اللّه فی الآخره.

الثـالث:العلم و الحکمه الّتی هی ثمره العقـل کمـا قـال تعالی «یَرْفَعِ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ» (۲)و قال «یُؤْتِی الْحِکْمَهَ مَنْ یَشاءُ وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً وَ ما یَذَّکَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ» (۳)و سـمّاه حیاه و نورا فقال «أَ وَ مَنْ کانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی النّاسِ» (۴)و أمّا التکرمه الخارجه عنه فامور:

أحـدها:أنّه خلق مـا سواه منفعه له فقـال: «هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً» و قال: «وَ سَـخَّرَ لَکُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً» (۵)ففرش الأرض و جعل السـماء سـقفا محفوظا و جعل ما أخرج من الأرض رزقا له و ما أرسـله من السحاب من ماء مادّه لذلک کما قال تعالی «وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَکُمْ»

۱- ۱) ۱۸۸-۳

۲- ۲) ۱۲-۵۸

۳- ۳) ۲۷۲-۲

۴- ۴) ۱۲۲-۶

۵- ۵) ۷-۱۸

«وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ» (۱)و أكرمه بخلق الشمس و القمر و النجوم كما قال «وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ» و قوله «جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» و قال:

«وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ» (۲)و أكرمه بخلق الأنعام فجعل منها غذاءه و ملبوسه و راحته و جماله و زينته فقال «وَ الْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَ مَنافِعُ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ وَ لَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ» إلى قوله «وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ » (۳).

الثاني:روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى تفسير قوله تعالى «وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ» أنّه قال:بالدعوه إلى الجنّه كما قال «وَ اللّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ» .

الثالث:أنّه أكرمهم بتخيّر قلوبهم لمعرفته و ألسنتهم لشهادته و أبدانهم لخدمته فشرّفهم بتكليفه و بعثه الأنبياء إليهم من أنفسهم كما قال تعالى «لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ» (۴)ثمّ جعل آدم و الأنبياء من ذريّته أكرم عباده لديه فحباهم بالنبوّه و الرساله كما قال تعالى «إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ» (۵)ثمّ فضل اولى العزم منهم فقال: «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» ثمّ فضّل بعضهم على بعض و هو الخليل و الكليم و الروح و الحبيب فقال «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (۶)ثم فضل محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم على الكلّ فقال «وَ كانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً» (۷)و جعله غايه طينتهم و خاتمه كمالهم فقال «وَ لكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ » (۸).

الفائده الرابعه

:قوله: و جعله أوّل جبلّته إشاره إلى أنّ آدم أوّل شخص تكوّن فى الوجود من نوع الإنسان ،و قوله: و المخاطره بمنزلته :أى عند اللّه و كونه مستحقّا للقرب منه ،و قوله: موافاه لسابق علمه إشاره إلى أنّ وقوعه فى الوجود بقدر عن ضابط القلم

۱- ۱) ۳۷-۱۵.

۲- ۲) ۱۳-۱۷.

۳- ۳) ۸-۱۶.

۴- ۴) ۱۲۹-۹.

۵- ۵) ۳۰-۳.

۶- ۶) ۲۵۴-۲.

۷- ۷) ۱۴-۱۲.

۸- ۸) ۴۰-۳۳.

و القضاء الإلهیّ السابق .

الفائده الخامسه:

قوله: فأهبطه بعد التوبه .من قال:إنّ المراد بآدم هو نوع النفوس البشریّه و قد ثبت أنّه حادث أو أنّه هو الشخص الأوّل منها قال:إنّ التوبه قبل الإهباط هی التوبه بالقوّه المعلومه للّه من عصاه أولاد آدم التائبین إلیه قبل إهباط نفوسهم من درجات عرفانه،و إلفات وجوههم إلی عماره الأرض،و الاشتغال بالحرث و النسل،و الأنبیاء علیهم السّلام یرجعون عن المباحات إلی ما هو الأولی و الأهمّ من عباده اللّه و مطالعه أنوار کبریائه و یعدّون ما رجعوا عنه ذنوبا،و رجوعهم عنه توبه کما قال النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم:

إنّه لیغان علی قلبی فأستغفر اللّه فی الیوم سبعین مرّه،و لیس ذلک المستغفر منه إلاّ اشتغال ذهنه بتدبیر امور الأرض و عمارتها و اشتغاله بذلک عن الخلوه باللّه و استشراق أنوار قدسه .

الفائده السادسه:

قوله: و لیقیم الحجّه به علی عباده الّذین بعث آدم حجّه علیهم أمّا أولاده الموجودون فی زمانه و المنقول أنّه مات عن أربعین ولد،أو من بلغته سنّته منهم بعد وفاته و المنقول أنّ اللّه تعالی أنزل من الأحکام تحریم المیته و الدم و لحم الخنزیر و حروف المعجم فی أحدی و عشرین ورقه و هو أوّل کتاب کان فی الدنیا أجری اللّه علیه الألسنه کلّها .

الفائده السابعه:

قوله: و لم یخلهم بعد أن قبضه ممّا یؤکّد علیهم حجّه ربوبیّته :

أی أنّ حجّه ربوبیّته قائمه علیهم فی کیفیّه تخلیقه لهم،و خلق ما یستدلّون علیه به من صنعه کما قال تعالی «سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتّٰی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (۱)الآیه و غیره من الآیات.و إنّما یکون بعث الأنبیاء مؤکّده لتلک الحجج مذکّره للغافلین عنها بها و متبّهه علی وجودها و موصله بینهم و بین معرفته بما جاءت به من الکتب المنزله و السنن الشرعیّه ،و قوله: بلغ المقطع عذره و نذره :أی إعذاره إلی الخلق و إنذاره لهم بلغ الغایه.و مقطع کلّ شیء غایته .

الفائده الثامنه:

تقدیر اللّه أرزاقهم تقسیمه لهاو إعطاء کلّ مخلوق ما کتب له فی اللوح المحفوظ منها من قلیل و کثیر و ضیّق و واسع و متیسّر و متعسّر و معاقبه الأضداد

ص:۳۸۰

۱- ۱) ۵۳-۴۱

علیهم من تنغیض سعه الغنی بلواحق الفقر و الفاقه کما قال:و بینما الإنسان فی ملکه أصبح محتاجا إلی الفلس.و کذلک إلحاقه السلامه فی النعم بطوارق الآفات من غرق أو حرق أو غصب ظالم و غلب غاشم و کذلک وسعه الأرزاق و فرج أفراحها و تکدیرها بغصص أحزانها و أتراحها ثمّ خلقه الآجال متفاوته بالطول و القصر و التقدّم و التأخّر .

الفائده التاسعه:

تقدیره للموت متّصلا بأسبابها،و لمّا کان الأجل عباره عن وقت ضروره الموت و کانت أسباب حلول تلک الآفات هی بعض الأمراض أو القتل مثلا لا جرم صدق أنّ الموت الّذی هو عباره عن مفارقه الأرواح لأجسادها متّصلا بتلک الأسباب ، استعاره مرشحه و استعار لفظ الخلج و هو الجذب للموت،و رشّح بذکر الأشطان،و وجه المشابهه ما یستلزمه الموت من قرب الأجل کما یستلزمه الجاذب من قرب المجذوب إلیه فقدّر الموت جاذبا للأجل بالحبال کما یجذب بها الإنسان ما یرید ، استعاره و أمّا کونه قاطعا لمرائر أقرانها فاستعار أیضا لفظ المرائر لأسباب العلاقه بین اقتران الآجال و هم المتقاربون فی الزمان الواحد الّذی یتّصل بهم الأجل و تلک الأسباب کالصداقه و الاخوّه و سایر أسباب العلاقه بین الناس،و ظاهر کون الموت قاطعا لتلک المرائر .

الفائده العاشره:

أنّه علیه السّلام جعل قسمه اللّه تعالی للأرزاق و تقدیرها بالکثره و القلّه و الضیق و السعه صوره ابتلاء من اللّه للشکر من الأغنیاء و الصبر من الفقراء و قد أشرنا فی قوله: ألا إنّ الدنیا دار لا یسلم منها إلّا فیها .إلی أنّ المراد بالإبتلاء من اللّه معاملته تعالی لعباده معامله المبتلین المختبرین لأنّه سبحانه عالم الخفیّات و السرائر فلا یتصوّر فی حقّه الاختبار حقیقه،إلاّ أنا نزیده هاهنا بیانا فنقول:إنّ العبد إذا تمکّن فی خاطره أنّ ما یفعله اللّه من إفاضه نعمه علیه أو حرمانه لها ابتلاء لشکره أو صبره فشکر أو صبر حصل من شکره أو صبره علی ابتلائه ملکات فاضله فی نفسه یستعدّ بها لمزید الکمال و تمام النعمه کما قال تعالی «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ» و قال «وَ بَشِّرِ الصّابِرِینَ اَلَّذِینَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَهٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ أُولئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَهٌ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (۱)و أمّا التحقیق فی أمثال هذه القسمه من ضیق

ص:۳۸۱

۱- ۱) ۲-۱۵۲

رزق أوسعه أو طول أجل أو قصره أو معاقبته شدّه لرخاء و حزنا لفرح فهو أنّ لكلّ واحد من هذه الامور أسباب قد تخفى على من تعرّض له و لا بدّ من انتهائها إلى قضاء اللّه فما عدّ منها خيرا فهو داخل فى الإراده الكلّيه للخير المطلق بالذات و ما عدّ منها شرّا فداخل فى القصاء الإلهىّ بالعرض كما علم ذلك فى مظانّه،و باللّه التوفيق .

الفصل الثالث:فى تمجيده سبحانه باعتبار كونه عالما بالأشياء

و عدّ من جزئيّاتها جمله هى من قوله: عالم السرّ من ضماير المضمرين إلى قوله:أو ناشئه خلق و سلاله .و لنشر إلى ما عساه يشكل من ألفاظه:

الأوّل: استعاره خواطر رجم الظنون .لمّا كان الخاطر الظنىّ للإنسان يتعلّق بمظنون لا محاله بعد أن لم يكن أشبه تعلّقه به الرجم و هو الرمى بالحجر و نحوه فاستعير لفظه له و إنّما خصّ الظنّ بذلك دون العلم لما أنّ كثيرا ما يظنّ ما لا يجوز ظنّا غير مطابق كما يظنّ ببعض الناس ما يقبح منه و يصل إليه بسببه أذى و إن لم يكن صدقا فكان أشبه الأشياء برميه بالحجر المستلزم لأذاه.

الثانى : عقد عزيمات اليقين ما انعقد فى النفس من العزم عن يقين.

الثالث: استعاره و مسارق إيماض الجفون :لمّا أشبه شعاع البصر البرق فى وميضه و اختفائه عند فتح الجفون و طبقها استعار لفظ الوميض لبروزه و لفظ المسارق لمخارجه.

الرابع:استعار لفظ الأكنان للقلوب بالنسبه إلى ما أخفته من الأسرار،و لفظ الغيابات للغيوب،و وجه المشابهه كون القلوب حافظه كالبيوت،و كون الظلمات مانعه من إدراك المبصرات كما تمنع الغيوب إدراك ما فيها.

الخامس : مصائف الذرّ و مشاتى الهوامّ :بيوتها و إشرابها الصيفيّه و الشتويّه من بطن الأرض الواقيه لها حرّ الصيف و برد الشتاء .و رجع الحنين من المولهه:ترديد صوت الثكلى فى بكائها و حنينها إلى من فقدته.

السادس : و لائج غلف الأكمام .إنّما حسنت الإضافه هنا لأنّ كلّ كمّ غلاف و لا ينعكس فجاز تخصيص العامّ بالإضافه إلى بعض جزئيّاته.

السابع : محطّ الأمشاج :محلّ نزول النطف من الأصلاب،و مساربها،و هى الأوعيه

الّتى يتسرّب فيها المنى و الأخلاط الّتى تتولّد عنها.

الثامن: استعاره و ما تسقى الأعاصير بذيولها :أى ما تثيره و تذروه من التراب،و استعار لفظ الذيول لما اخذ الأرض منها.

التاسع :استعار لفظ العوم لدخول عروق النبات فى نواحى الأرض لملاحظه شبهها بالماء ،و روى:بنات الأرض بتقديم الباء.و هى الهوامّ الّتى تنشأ فى الرمل و تغوص فيه و تسير كالحلكه،و هى دويبه كالعظاءه دون الشبر صفراء ملساء تستعملها العرب للسمنه و كنوع من الحيّات و غيرها.

العاشر: استعاره و تغريد ذوات المنطق استعار لفظ المنطق للطير،و وجه المشابهه أنّ مدلول تغريدها معلوم للّه فأشبه النطق المفيد من الإنسان.

الحادى عشر : ما أوعبته الأصداف كاللؤلؤ و المرجان و ما حضنت عليه أمواج البحار من لؤلؤ و حيوان و غيرهما،و لفظ الحضن مستعار للأمواج ملاحظه لشبهها بالحواضن فى انطباقها على البيض و الفراخ.

الثانى عشر : سبحات النور ما تنزّه منه عن كدر الظلمه،و لفظ النور مستعار لمعارف جلال اللّه،و الضمير فى قوله : عليها .يرجع إلى الأرض،و قراره النطفه :مستقرّها من الأرحام،و لفظ النقاعه استعاره لمحلّ دم الحيض ،و المضغه الولد فى بعض أطوار خلقته كما عرّفناه قبل ،و ناشئه الخلق:ما نشأ من مخلوقاته.

الثالث عشر : لم يلحقه فى ذلك كلفه.إلى قوله:و لا فتره .الكلفه:كون الفعل مستلزما لفاعله نوع مشقّه و تلك المشقّه إمّا لضعف قوّه الفاعل أو ضعف آلته أو قصور علمه عن تصوّر ما يفعل،و البارى تعالى منزّه عن هذه الامور لاستلزمها الحاجه،و كذلك العارضه من عوارض موانع العلوم و نفوذها يستلزم وجود المقام و المثل و قد تنزّه قدس الحقّ عنهما و أمّا الملاله فالمفهوم انصراف النفس عن الفعل بسبب تحلّل الأرواح الدماغيّه و ضعفها عن العمل أو لعارض آخر لها،و قد علمت أنّها من لواحق الأجسام و كذلك الفتره.و البارى منزّه عنهما.

الرابع عشر:قوله : بل نفذ فيهم علمه.إلى قوله:و غمرهم فصله .أثبت كلّ واحده من

هذه القراين الأربع مقابله للأربع الّتى نفاها:فنفاذ علمه فيهم مقابل لما نفاه من لحوق الكلفه فى علمه بهم،و إحصاؤهم بعده مقابل للأعراض العارضه فى حفظ خلقه،و وسع عدله لهم مقابل لنفى اعتوار الملاله فى تنفيذ اموره و تدبير مخلوقاته إذ كان معنى عدله فيهم وضعه لكلّ موجود فى مرتبته و هبته له ما يستحقّه من زياده و نقصان مضبوطا بنظام الحكمه و اعتراض الملاله سبب لاختلاف نظام الفعل،و قوله:و غمرهم فضله مقابل لنفى الفتره فإنّ فتور الفاعل عن الفعل مانع له عن تتمّه فعله و تمام وجوده،و قوله :مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله تنبيه على حقاره عبادتهم فى جنب عظمته و استحقاقه لما هو أهله ليدوم شكرهم و ثنائهم و لا يستكبروا شيئا من طاعتهم،و باللّه التوفيق .

الفصل الرابع:فى تمجيده خطابا له و دعاء و طلبا لجزاء ما سبق من ثنائه

و تعديد أوصافه الجميله و هو رضاه عنه و إغناؤه من غيره.

و فيه إشارات:

الاولى:

قوله: أنت أهل الوصف الجميل و التعداد الكثير .إشاره إلى أنّه تعالى بحسب استحقاقه الوصف بأشرف طرفى النقيض كان أهل الوصف الجميل و باعتبار تعدّد ثنائه و حمده بالنظر إلى كلّ جزئىّ من جزئيّات نعمه هو أهل التعداد الكثير .

الثانيه:

و قد بسطت لى فيما لا أمدح به غيرك و لا أثنى به على أحد سواك إشاره إلى إذنه له فى شكره و الثناء عليه بالأوصاف الجميله الّتى لا يستحقّها حقيقه إلّا هو و لا ينبغى أن تطلق إلّا له.و معنى هذه الإذن إمّا إلهام حسن شكر المنعم و مدحه و إذ لا منعم فى الحقيقه إلّا هو فلا يستحقّ التمجيد المطلق إلّا هو.و مخاطبته له بايجاب الشكر كقوله تعالى «وَ اشْكُرُوا لِلّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ» و بالتسبيح فى قوله تعالى «وَ مِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضى» و قوله: «وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً » استعاره و استعار لفظ المعادن للخلق،و وجه المشابهه أنّ معدن الشىء كما أنّه مظنّه المطلوب منها كذلك الخلق أرباب النعم الفانيه مظانّ خيبه طالبها من أيديهم و حرمانها ،و كذلك مواضع الريبه أى الشكّ فى منعهم و عطائهم لها و لذلك فسّره بقوله: و عدلت بلسانى من مدايح الآدميّين و الثناء على المربوبين المخلوقين .

الثالثه:

قوله: دليلا نصب على الحال أو المفعول،و المراد برجائه دليلا على ذخاير

الرحمه رجاؤه أن يسوقه بهدايته إلى وجوه الاستعدادات إلى رحمته و يستر عليه بتهيّئه للالتفات إليه عن كلّ خاطر سواه فإنّ كلّ خاطر سوى الحقّ سبحانه ذنب فى حقّ مثله عليه السّلام،و لفظ الذخيره و الكنوز مستعاران لجوده .

الرابعه

:قوله: هذا مقام من أفردك بالتوحيد .إشاره إلى مقامه بين يديه بهذا الذكر و التوحيد فى خطبته،و هو توطئه لذكر مطلوبه و استنزال رحمه اللّه ثمّ قال : و لى فاقه إليك فذكر وجه استحقاقه لجوده أوّلا و قصر سدّ تلك الفاقه على فضله إذ لم تكن فاقه فى أمر دنيوىّ يمكن المخلوقين الإتيان به ثمّ أردفه بذكر مطلوبه و هو رضا اللّه و إغناؤه عمّن سواه و ظاهر أنّ حصولها مستلزم لما رجاه اللّه دليلا عليه من ذخاير رحمته و كنوز مغفرته .و باللّه العصمه و التوفيق.

٨٩-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

لما أريد على البيعه بعد قتل عثمان

دَعُونِى وَ الْتَمِسُوا غَيْرِى- فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً- لَهُ وُجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ- لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ- وَ لاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ- وَ إِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ- وَ الْمَحَجَّهَ قَدْ تَنَكَّرَتْ-.وَ اعْلَمُوا أَنِّى إِنْ أَجَبْتُكُمْ- رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ- وَ لَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَ عَتْبِ الْعَاتِبِ- وَ إِنْ تَرَكْتُمُونِى فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ- وَ لَعَلِّى أَسْمَعُكُمْ وَ أَطْوَعُكُمْ- لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ- وَ أَنَا لَكُمْ وَزِيراً- خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّى أَمِيراً

المعنى

اشاره

أقول:حاصل هذا الفصل أنّه لا بدّ لكلّ مطلوب على أمر من تعزّز فيه و تمنّع.

و الحكمه فى ذلك أنّ الطالب له يكون بذلك أرغب فيما يطلب فإنّ الطبع حريص على ما منع سريع النفره عمّا سورع إلى إجابته فيه فأراد عليه السّلام التمنّع عليهم لتقوى رغبتهم إليه فإنّه لم يصل إليه هذا الأمر إلّا بعد اضطراب فى الدين فى قتل عثمان و الجرأه على الدم

فاحتاج فى تقويم الخلق و ردّهم إلى قواعد الحقّ إلى أنّ يزدادوا فيه رغبه بهذا الكلام و مثله فقال : دعونى و التمسوا غيرى .ألا ترى أنّه نبّههم بعد هذه التمنّع على أنّ هاهنا امورا صعبه مختلفه يريد أن ينكرها عليهم و يقاوم ببعضهم فيها بعضا و يحملهم على الصلاح،و جعل استقباله لتلك الامور الصعبه علّه لاستقالته من هذا الأمر فقال :

قوله فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب

استعاره بالكنايه فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لاـ تقوم له القلوب :أى لاـ تصبر و لاـ تثبت عليه العقول بل تنكره و تأباه لمخالفته الشريعه و مضادّته لنظام العالم،و ذلك الأمر هو ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بضروب من التأويلات الفاسده و الشبهات الباطله كتهمه معاويه و أهل البصره له بدم عثمان و كتأويل الخوارج عليه فى الرضا بالتحكيم و نحو ذلك،و هو المكنىّ عنه بالوجوه و الألوان كنايه بالمستعار .

و قوله:و إنّ الآفاق قد أغامت و المحجّه قد تنكّرت.

استعاره و قوله: و إنّ الآفاق قد أغامت و المحجّه قد تنكّرت.

استعار لفظ الغيم لما غشى آفاق البلاد و أقطار القلوب المتغيّره العازمه على الفساد من ظلمات الظلم و الجهل،و وجه المشابهه ما تستلزمه هذه الظلمات من توقّع نزول الشرور منها كما يتوقّع نزول المطر و الصواعق من الغيم،و أشار بالمحجّه إلى واضح طريق الشريعه،و تنكّرها جهل الناس بها و عدم سلوكهم لها .

و قوله:و اعلموا.إلى قوله:عتب العاتب.

و قوله: و اعلموا.إلى قوله:عتب العاتب.

لمّا تمنّع عليهم و علم صدق رغبتهم فيه شرع فى تقرير ما يريد أن يفعله تقريرا إجماليّا عليهم مع تمنّع دوين الأوّل فأعلمهم أنّه على تقدير إجابتهم إلى هذا الأمر لا يركب بهم إلاّ ما يعلم من أمر الشريعه و لا يصغى إلى قول قائل خالف أمر اللّه لمقتضى هواه،و لا عتب عاتب عليه فى أنّه يفضّله أو لم يرضه بما يخالف ما يعلم من الشريعه إذ القائل و العاتب فى ذلك مفتر على اللّه و عاتب عليه و لقد وفى عليه السّلام بما وعدهم به من ذلك كما سنذكره فى قصّه أخيه عقيل لمّا استماحه صاعا من برّ أو شعير فحمى له حديده و قرّبها منه فأنّ عقيل فقال له:ثكلتك الثواكل أتإنّ من حديده حماها إنسان للعبه و لا تأنّ من نار أجّجها جبّار لغضبه. استعاره و لفظ الركوب مستعار لاستوائه على ما يعلم .

و قوله:و إن تركتمونى إلى آخره.

و قوله: و إن تركتمونى .إلى آخره.

ص:۳۸۶

أی کنت کأحدکم فی الطاعه لأمیرکم بل لعلّی أکون أطوعکم له:أی لقوّه علمه بوجوب طاعته الإمام،و إنّما قال لعلّی لأنّه علی تقدیر أن یولّوا أحدا یخالف أمر اللّه لا یکون أطوعهم له بل أعصاهم و احتمال تولیتهم لمن هو کذلک قایم فاحتمال طاعته و عدم طاعته له قائم فحسن إیراد لعلّ،و الواو فی قوله : و أنا .للحال،و وزیرا و أمیرا حالان،و العامل ما تعلّق بهما الجار و المجرور،و أراد الوزیر اللغویّ و هو المعین و الظهیر الحامل لوزر من یظاهره و ثقله،و ظاهر أنّه علیه السّلام کان وزیرا للمسلمین و عضدا لهم، و الخیریّه هاهنا تعود إلی سهوله الحال علیهم فی أمر الدنیا فإنّه إذا کان أمیرا لهم حملهم علی ما تکره طباعهم من المصابره فی الحروب و التسویه فی العطایا و منعهم ما یطلبون ممّا فیه للشریعه أدنی منع،و لا کذلک إذا کان وزیرا لهم فإنّ حظّ الوزیر لیس إلاّ الشور و الرأی الصالح و المعاضده فی الحروب و قد یخالف فی رأیه حیث لا یتمکّن من إلزام العمل به و إنّما کان هذا لتمنّع دوین الأوّل لأنّ قوله: إن أجبتکم .فیه إطماع لهم بالاجابه.

و باللّه التوفیق.

۹۰-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

أَمَّا بَعْدَ أَیُّهَا النَّاسُ- فَأَنَا فَقَأْتُ عَیْنَ الْفِتْنَهِ- وَ لَمْ یَکُنْ لِیَجْتَرِئَ عَلَیْهَا أَحَدٌ غَیْرِی- بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَیْهَبُهَا- وَ اشْتَدَّ کَلَبُهَا- فَاسْأَلُونِی قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِی- فَوَ الَّذِی نَفْسِی بِیَدِهِ- لاَ تَسْأَلُونِی عَنْ شَیْءٍ- فِیمَا بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَ السَّاعَهِ- وَ لاَ عَنْ فِئَهٍ تَهْدِی مِائَهً وَ تُضِلُّ مِائَهً- إِلاَّ أَنْبَأْتُکُمْ بِنَاعِقِهَا- وَ قَائِدِهَا وَ سَائِقِهَا وَ مُنَاخِ رِکَابِهَا- وَ مَحَطِّ رِحَالِهَا- وَ مَنْ یُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً- وَ مَنْ یَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً- وَ لَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِی- وَ نَزَلَتْ بِکُمْ کَرَائِهُ الْأُمُورِ- وَ حَوَازِبُ الْخُطُوبِ- لَأَطْرَقَ

كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ- وَ فَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ- وَ ذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ- وَ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ- وَ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً- تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ- حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ- إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ- وَ إِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ- يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ- وَ يُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ- يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً- وَ يُخْطِئْنَ بَلَداً- أَلَا وَ إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ؟بَنِي أُمَيَّةَ؟- فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا- وَ خَصَّتْ بَلِيَّتُهَا- وَ أَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا- وَ أَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا- وَ ايْمُ اللَّهِ لَتَجِدُنَّ؟بَنِي أُمَيَّةَ؟ لَكُمْ- أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ- تَعْذِمُ بِفِيهَا وَ تَخْبِطُ بِيَدِهَا- وَ تَزْبِنُ بِرِجْلِهَا وَ تَمْنَعُ دَرَّهَا- لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ- أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ- وَ لَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ- حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ- إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ- وَ الصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ- تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً- وَ قِطَعاً جَاهِلِيَّةً- لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى وَ لَا عَلَمٌ يُرَى- نَحْنُ؟أَهْلَ الْبَيْتِ؟ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَ لَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ- ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ- بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً وَ يَسُوقُهُمْ عُنْفاً- وَ يَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ- وَ لَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ- فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ؟قُرَيْشٌ؟ بِالدُّنْيَا- وَ مَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً

وَاحِداً- وَ لَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ- لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلاَ يُعْطُونِيهِ

المعنى

أقول: فقات عينه : عيّرتها .و ماج : اضطرب .و الغيهب : الظلمه :و الكلب : الشرّ و الكلب:داء معروف .و الفئه : الطائفه .و ناعقها : الداعى لها .و المناخ بالضمّ: محلّ البروك و حوازب الخطوب : ما حزب منها:أى أصاب .و التقلّص : التقبّض .و شبّهت : اشتبهت و أوقعت الشبهه .و حام الطائر : دار .و الخطّه . الحال و الأمر .و الناب : الناقه المسنّه .

و الضروس : الّتى تعصّ حالبها .و العذم : العضّ و هو الكدم أيضا :و الزبن : الدفع .

و شوها : جمع شوهاء و هى قبيحه المنظر ،و سامه خسفا . أولاه إلّا .و العنف : شدّه السوق .و تحلسهم:

أى تلبسهم الحلس و هو الكساء تحت بردعه البعير .و الجزر : القطع و منه سميّت الجزور لما ينحر من الإبل .

اللغه

اشاره

و مقصود هذا الفصل التنبيه على فضيلته و شرف وقته به،و على رذيله بنى اميّه بذكر فتنتهم و ما يكون منهم ليشتدّ النفار عنهم و تقوى الرغبه إليه من وجهين:أحدهما:بإخباره عمّا سيكون،و الثانى:بذكر الشرور من غيره .

فقوله:فأنا فقأت عين الفتنه

استعاره مرشحه-استعاره بالكنايه فقوله: فأنا فقأت عين الفتنه .إشاره إلى فتنه أهل البصره و غيرها،و استعار لها لفظ العين،و إنّما خصّ العين لأنّها أشرف عضو فى الوجه،و بها تصرّف الشخص و حركته،و رشّح الاستعاره بذكر الفقاء و كنّى به عن زوال فتنتهم بسيفه ،

و قوله:و لم يكن ليجترئ عليها أحد غيرى

و قوله: و لم يكن ليجترئ عليها أحد غيرى :أى إنّ الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال أهل القبله و يخافون من ذلك الحرج و الإثم و لا يعلمون كيفيّه قتالهم هل يتّبعون مدبرهم و هل يجهزون على جريحهم و هل تسبى ذراريهم و تقسم أموالهم إذا بغوا أم لا حتّى أقدم عليه السّلام على فتنتهم ففقأ عينها فسكنت بعد هياجها،و مبدء ذلك حرب عايشه،و قد صرّح عليه السّلام بذلك فى ألفاظ اخرى فقال: أمّا بعد فأنا فقأت عين الفتنه شرقيّها و غربيّها و منافقها و مارقها لم يكن ليجترئ عليها غيرى و لو لم أكن لما قوتل أصحاب الجمل و لا صفّين و لا أصحاب النهر،و يحتمل أن يكون المراد فقأت عين أهل الفتنه فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه و يكون فقاؤه لعيونهم كنايه عن قتلهم،و روى أنّ من المتوقّفين عن الحرب الأحنف بن قيس و جماعه معه، كنايه و كنىّ بتموّج غيهبها عن انتشار ظلمات الشبهه عن تلك الفتن فى أذهان الناس فجهلوا أنّ خلاف طلحه و خروج عايشه كان حقّا أو باطلا

فکان ذلک سببا لاضطرابهم و قتالهم و قتلهم استعاره بالکنایه ،و کذلک کنیّ باشتداد کلبها عن شدّه ما وقع منها من الشرور،و کلب أهلها و حرصهم علی القتل و القتال کنایه بالمستعار فی الموضعین .

و قوله:فاسئلونی.إلی قوله:و من یموت منهم موتا .

و قوله: فاسئلونی .إلی قوله: و من یموت منهم موتا.

تعرّض للأسوله عمّا سیکون و لم یکن لیجترئ علی ذلک أحد غیره من بین سایر الصحابه و التابعین،و لو ادّعی غیر ذلک لکذّبه العیان و فضّحه الامتحان،و روی أنّ قتاده دخل الکوفه فالتفّت علیه الناس فقال:سلونی عمّا شئتم.و کان أبو حنیفه حاضرا و هو إذن غلام حدث السنّ فقال:سلوه عن نمله سلیمان أ کانت ذکرا أم انثی.فسئلوه فانقطع فقال:

أبو حنیفه کانت انثی فقیل له:بم عرفت ذلک فقال:من کتاب اللّه،و هو قوله: «قالَتْ نَمْلَةٌ» و لو کان ذکرا لقال:قال نمله و ذلک أنّ النمله تقع علی الذکر و الانثی کالحمامه و الشاه،و إنّما یمیّز بینهما بعلامه التأنیث فانظر إلی هذا المعجب بنفسه کیف انقطع عن سؤال یمکن الفطن أن یجیب عنه بأدنی سعی فکیف به إذا سئل عن الامور المستقبله الّتی لا یتنزّلها من عالم الغیب إلاّ من أیّد بقوّه إلهیّه تکشف لنور بصیرته معها حجب الأسرار،و قد بیّنا فیما سبق وجه تمکّنه من الإخبار عمّا سیکون و کیفیّه ذلک،و أراد بالساعه القیامه، استعاره و استعار أوصاف الإبل و رعاتها و أصحابها من الناعق و القائد و السائق و المناخ و الرکاب و الرحال للفئه المهدیّه و الضالّه و من یهدیهم و یضلّهم ملاحظه لشبههم بالإبل فی الاجتماع و الانقیاد لقائد و داعی ،و الضمیر فی أهلها یعود إلی الفئه .

و قوله:و لو قد فقدتمونی.إلی قوله:المسئولین.

و قوله: و لو قد فقدتمونی.إلی قوله:المسئولین.

کرائه الامور ما یکرهون منها و حوازب الخطوب ما یصیبهم من الامور العظیمه المهمّه و أطراق السائلین لحیرتهم فی عواقب تلک الخطوب و ما یکون منها و کیفیّه الخلاص و فشل کثیر من المسئولین :أی جنبوا عن ردّ الجواب لجهلهم بعواقبها و ما یسئلون عنه منها .

و قوله:ذلک.

و قوله :ذلک.

إشاره فی أطراق السائلین و فشل المسئولین.

ص:۳۹۰

و قوله:إذا قلصت حربكم

استعاره و قوله: إذا قلصت حربكم تفسير لكرائه الامور النازله بهم،و استعار لفظ التقليص و التشمير عن ساق الحرب و وجه الاستعاره تشبيهها بالمجدّ فى الأمر الساعى فيه،و كما أنّه إذا أراد أن يتوجّه قلّص ثيابه و شمّرها عن ساقه لئلاّ تعوقه و تهيّأ و أجمع عليه كذلك الحرب فى كونها مجتمعه عن النزول بهم و اللحوق لهم ،و الواو فى قوله: و ضاقت للعطف على شمّرت،و موضع تستطيلون النصب على الحال .

و قوله:حتّى يفتح اللّه لبقيّه الأبرار منكم.

و قوله: حتّى يفتح اللّه لبقيّه الأبرار منكم.

أى الّذين يسلمون بنى اميّه فى دينهم و أعمارهم و يفتح اللّه لهم بهلاكهم و زوال دولتهم .

و قوله:إنّ الفتن إذا أقبلت تشبّهتشبّهت خ.

و قوله: إنّ الفتن إذا أقبلت تشبّهت[شبّهت خ].

أى يكون فى مبدأها متشبّهه بالحقّ فى أذهان الخلق و إذا أدبرت نبّهت لأذهان الخلق على كونها فتنه بعد وقوع الهرج و المرج بين الناس و اضطراب امورهم بسببها و أكثر ما يكون ذلك عند إدبارها كالفساد فى الدول مثلا الّذى يعرف به عامّه الخلق كونها فتنه و ضلالا عن سبيل اللّه أكثر ما يكون فى آخرها فيكون مؤذنا بزوالها و علامه مبشّره .

و قوله:ينكرن مقبلات و يعرفن مدبرات.

و قوله: ينكرن مقبلات و يعرفن مدبرات.

تفسير له:أى لا يعرف فى مبدء الحال كونها فنه و تشتبه بكونها حقّا و دعاء هدى فاذا استعقبت عرفت أنّها عن الحقّ بمعزل و إنّ دعاتها كانوا دعاه ضلاله .

و قوله:و يحمن حومحول خالرياح.

استعاره و قوله: و يحمن حوم[حول خ]الرياح.

استعار لها لفظ الحوم ملاحظه لشبهها فى دورانها الموحوم و وقوعها عن قضاء اللّه من دعاه الضلال فى بلد دون بلد بالطائر و الريح،و لذلك شبّهها بحومها و كذلك لفظ الخطاء .

و قوله:ألا إنّ أخوف الفتن عندى إلى آخر.

استعاره و قوله: ألا إنّ أخوف الفتن عندى إلى آخر.

شروع فی تعیین ما یریـد أن یخبر به و هو بعض ما تعرّض للسؤال عنه،و إنّما کانت هذه الفتن أخوف الفتن لشدّتها علی الإسـلام و أهله و کثره بلوی أهل الدین فیها بالقتل

ص:۳۹۱

و أنواع الأذى و يكفى فى عظم تلک الفتنه هتكهم حرمه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و قتل الحسين عليه السّلام و ذريّته،و هتک حرمه الإسلام بهدم الكعبه و حرقها،و قتل ابن الزبير و سبّ علىّ عليه السّلام ثمانين سنه،و ما انتشر من البلاء و عمّ بتوليتهم للحجّاج دماء المسلمين إلى غير ذلک من منكراتهم المسطوره فى التواريخ و أشار بكونها فتنه عمياء إلى ذلک، و استعار لفظ العمى لها لجريانها على غير قانون حقّ كالأعمى المتصرّف فى حركاته فى غير جادّه،أو لكونها لا يسلک فيها سبيل الحقّ كما لا يهتدى بالعين العمياء و كذلک لفظ المظلمه و قوله: عمّت خطّتها لكونها ولايه عامّه ، و خصّت بليّتها :أى بأهل التقوى و شيعه علىّ عليه السّلام و من بقى من الصحابه و التابعين الّذينهم أعيان الإسلام،و قوله: أصاب البلاء من أبصر فيها و أخطأ من عمى عنها :أى من اهتدى لكونها فتنه كان فيها فى بلاء من نفسه و منهم أمّا من نفسه فالحزن الطويل من مشاهده المنكر،و أمّا منهم فلأنّ المتّقى العالم بكونهم أئمّه ضلال منحرف عنهم و غير داخل فى تصرّفهم الباطل،و كان من شأنهم تتبع من هذا حاله بالأذى و القتل فكان البلاء به أخصّ،و أمّا من لم يهتد لكونها فتنه بل كان فى عمى الجهل عنها فهو منقاد لدعوتهم الباطله منساق تحت رايات ضلالهم جار على وفق أوامرهم فكان سالما من بلائهم ثمّ أردف ذلک بالقسم البارّ ليجدنّهم الناس أرباب سوء لهم تشبيه و شبّههم فى أفعالهم المضرّه لهم بالناب الضروس لحالبها،و أشار إلى وجه الشبهه بأوصاف:

فكدمها و عضّها و خبطها بيدها و زبها برجلها و منعها درّها إشاره إلى جميع حركاتها الموذيه الرديئه و هى تشبه حركاتهم فى الخلق بالأذى و القتل و منع الوفد و الاستحقاق من بيت المال ثمّ أردف ذلک بذكر غايتين لحركاتهم الشريّه و بلائهم للناس:إحداهما:أنّهم لا يتركون من الأذى و القتل إلاّ أحد رجلين إمّا نافع لهم سالک مسلكهم أو من لا يضرّهم بإنكار منكر عليهم.و لا يخافون على دولتهم من ساير العوامّ و السوقه،الثانيه أنّه لا يكون انتصارهم منهم إلاّ مثل انتصار العبد من سيّده و الصاحب ممّن استصحبه:أى كما لا يمكن العبد أن ينتصر من سيّده و التابع المستصحب الّذى من شأنه الضعف و عدم الاستقلال بنفسه ممّن يستصحبه كذلک لا يمكن بقيّه هؤلاء أن ينتصروا من بنى اميّه أصلا، و يحتمل أن يريد هناک ما يشبه الانتصار من الغيبه و نحوها كما قال عليه السّلام فى موضع

آخر:و یکون نصره أحدکم کنصره العبد من سیّده إذا شهد أطاعه،و إذا غاب اغتابه .ثمّ أردف ذلک بذکر فتنتهم و أنّها مشتمله علی فتن فوق واحده تأتی شآبیب و قطعا کقطع اللیل المظلم،و من روی فتنهم بلفظ الجمع فأراد جزئیّات شرورهم فی دولتهم، استعاره و استعار لفظ الشوهاء لقبحها عقلا و شرعا،و وجه المشابهه کونها منفورا عنها کما أنّ قبیحه المنظر کذلک ،و کذلک استعار لفظ القطع لورودها علیهم دفعات کقطع الخیل المقبله فی الغاره و الحرب ،و أشار بکونها جاهلیّه إلی کونها علی غیر قانون عدلیّ کما أنّ حرکات أهل الجاهلیّه کانت کذلک ،و لذلک قال: لیس فیها منار هدی و لا علم یری :

أی لیس فیها إمام عدل،و لا قانون حقّ یقتدی به .

و قوله:نحن أهل البیت منها بمنجاه و لسنا فیها بدعاه

و قوله: نحن أهل البیت منها بمنجاه و لسنا فیها بدعاه .

أی إنّا ناجون من آثامها و الدخول فیها و الدعوه إلی مثلها،و لیس المراد أنّا سالمون من أذاهم غیر داعین فیها إلی الحقّ بشهاده دعوه الحسین علیه السّلام إلی نفسه و قتله و أولاده و هتک ذریّته،و یحتمل أن یرید أنّا بمنجاه من آثامها و لسنا فیها بدعاه مطلقا و الحسین علیه السّلام لم یکن داعیا منبعثا من نفسه للدعوه،و إنّما کان مدعوّا إلی القیام من أهل الکوفه و مجیبا لهم .

و قوله:ثمّ یفرّجهایفرج خاللّه کتفریج الأدیم.إلی قوله:إلاّ الخوف.

و قوله: ثمّ یفرّجها[یفرج خ]اللّه کتفریج الأدیم.إلی قوله:إلاّ الخوف.

إشاره إلی زوال دولتهم بظهور بنی العبّاس علیهم و قلعهم و استیصالهم و تتّبعهم لآثارهم و حصول الفرج منهم لبقیّه الأبرار من عباد اللّه المقصودین بإذاهم کما یفرج الجلد:أی یشقّ عمّا فیه،و لقد أولاهم بنوا العبّاس من الذلّ و الهوان،و أذا قوهم کأس العذاب طعوما مختلفه،و أروهم عیان الموت ألوانا شتّی کما هو مذکور فی کتب التاریخ ، استعاره و لفظ الکأس و التصبیر و العطیّه مستعار ،و کذلک لفظ التحلیس .و وجه المشابهه جعلهم الخوف شعارا لهم کما أنّ حلس البعیر کذلک .

و قوله:حتّی تودّ قریش إلی آخره.

کنایه و قوله: حتّی تودّ قریش .إلی آخره.

إشاره إلی غایه هذه الفرقه المتقلّبه من قریش علی هذا الأمر أی أنّ حالهم فی التراذل و الضعف عن محاربتهم ینتهی إلی أن یحبّوا رؤیته مقاما واحدا مع أنّه أبغض الخلق

ص:۳۹۳

إليهم ليقبل منهم حينئذ ما يطلب اليوم بغضه من نصرتهم له و اتّباعهم لأمره و انقيادهم لهداه و يمنعونه إيّاه ،و كنّى عن قصر ذلك المقام المتمنّى له بمقدار زمان جزر الجزور ،و صدقه عليه السّلام فى هذا الخبر ظاهر فإنّ أرباب السير نقلوا أنّ مروان بن محمّد آخر ملوك بنى اميّه قال يوم الزاب حين شاهد عبد اللّه بن محمّد بن علىّ بن عبد اللّه بن العبّاس:

مارّا به فى صفّ خراسان لوددت أنّ علىّ بن أبى طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا الفتى.و القصّه مشهوره .و باللّه التوفيق.

۹۱-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِى لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ- وَ لَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ- الْأَوَّلُ الَّذِى لَا غَايَهَ لَهُ فَيَنْتَهِى- وَ لَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِىَ

المعنى

اشاره

أقول: تبارک :قيل:مشتقّ من البروک المستلزم للمقام فى موضع واحد و الثبات فيه،و قيل:من البركه و هو الزياده،و بالاعتبار الأوّل يكون إشاره إلى عظمته باعتبار دوام بقائه و استحقاقه قدم الوجود لذاته و بقاء وجوده لا عن استفتاح و لا إلى انقطاع،و بالاعتبار الثانى إشاره إلى فضله و إحسانه و لطفه و هدايته و وجوه الثناء عليه .

و قوله:الّذى لا يبلغه بعد الهمم و لا يناله حدس الفطن.

و قوله: الّذى لا يبلغه بعد الهمم و لا يناله حدس الفطن.

كقوله فى صدر الخطبه الاولى لا يدركه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن إلّا أنّه أبدل الغوص هنا بالحدس:و الحدس فى اللغه الظنّ،و فى اصطلاح العلماء لمّا كان الفكر عباره عن حركه الذهن منتقلا من المطالب إلى المبادىء ثمّ منها إلى المطالب كان الحدس عباره عن جوده هذه الحركه إلى اقتناص الحدّ الأوسط من غير طلب و تجشّم كلفه،و هو مقول بحسب التشكيك،و هو بجميع اعتباراته و بأعلى رتبته قاصر عن تناول ذات الحقّ تعالى كما سبق .

و قوله:الأوّل إلى آخره.

و قوله: الأوّل .إلى آخره.

و قد مرّ تفسير أوّليّته و آخريّته غير مرّه.و باللّه التوفيق.

القسم الثانی

اشاره

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِی أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ- وَ أَقَرَّهُمْ فِی خَیْرِ مُسْتَقَرٍّ- تَنَاسَخَتْهُمْ کَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَی مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ- کُلَّمَا مَضَی مِنْهُمْ سَلَفٌ- قَامَ مِنْهُمْ بِدِینِ اللَّهِ خَلَفٌ- حَتَّی أَفْضَتْ کَرَامَهُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَی إِلَی؟مُحَمَّدٍ ص؟- فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً- وَ أَعَزِّ الْأَرُومَاتِ مَغْرِساً- مِنَ الشَّجَرَهِ الَّتِی صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِیَاءَهُ- وَ انْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ عِتْرَتُهُ خَیْرُ الْعِتَرِ- وَ أُسْرَتُهُ خَیْرُ الْأُسَرِ وَ شَجَرَتُهُ خَیْرُ الشَّجَرِ- نَبَتَتْ فِی حَرَمٍ وَ بَسَقَتْ فِی کَرَمٍ- لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَ ثَمَرٌ لَا یُنَالُ- فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَی وَ بَصِیرَهُ مَنِ اهْتَدَی- سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَ شِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ- وَ زَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ سِیرَتُهُ الْقَصْدُ- وَ سُنَّتُهُ الرُّشْدُ وَ کَلَامُهُ الْفَصْلُ وَ حُکْمُهُ الْعَدْلُ- أَرْسَلَهُ عَلَی حِینِ فَتْرَهٍ مِنَ الرُّسُلِ- وَ هَفْوَهٍ عَنِ الْعَمَلِ وَ غَبَاوَهٍ مِنَ الْأُمَمِ اعْمَلُوا رَحِمَکُمُ اللَّهُ عَلَی أَعْلَامٍ بَیِّنَهٍ- فَالطَّرِیقُ نَهْجٌ «یَدْعُوا إِلی دارِ السَّلامِ» - وَ أَنْتُمْ فِی دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَی مَهَلٍ وَ فَرَاغٍ- وَ الصُّحُفُ مَنْشُورَهٌ- وَ الْأَقْلَامُ جَارِیَهٌ- وَ الْأَبْدَانُ صَحِیحَهٌ- وَ الْأَلْسُنُ مُطْلَقَهٌ- وَ التَّوْبَهُ مَسْمُوعَهٌ- وَ الْأَعْمَالُ مَقْبُولَهٌ

اللغه

أقول: النسخ : النقل .و أفضت : انتهت .و الارومه : الأصل .و الصدع : الشقّ .و عتره الرجل : نسله و رهطه الأدنون .و اسرته : قومه .و بسقت : طالت ،و الزند : العود الأعلی یقدح به .و نهج : واضح .

ص:۳۹۵

المعنى

و قوله،و استودعهم.إلى قوله:خلف .

و قوله، و استودعهم .إلى قوله: خلف .

إشاره إلى الأنبياء عليهم السّلام القائمين بدين اللّه.و اعلم أنّ دين اللّه واحد بعثت جميع الأنبياء لتسليك الخلق إيّاه و له أصل و فروع فأصله الطريق إلى معرفته،و الاستكمال بها،و جماع مكارم الأخلاق،و نظام أمر الخلق فى معاشهم و معادهم و هذه الامور هى المراه من الشرع و هو أصل لا يخالف فيه نبىّ نبيّا.فأمّا الاختلاف الواقعه فى الشرائع فهى امور جزئيّه بحسب مصالح جزئيّه يتعلّق بوقت الرسول المعيّن و حال الخلق المرسل إليهم يوقع عليها ذلك الأصل،و تكون كالمشخّصات له و العوارض الّتى يختلف بها الطبيعه الواحده النوعيّه.و أفضل مستودع استودعهم فيه حظائر قدسه و منازل ملائكته و هو خير مستقرّ أقرّهم فيه و محلّ كرامته «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ » و تناسخ الأصلاب لهم إلى مطهّرات الأرحام نقلهم إليها نطفا،و كرائم الأصلاب :ما كرم منها و حقّ لأصلاب سمحت بمثلهم أن توصف بالكرم.و مطهّرات الأرحام:ما طهر منها و حقّ لما استعدّ منها الإنتاج مثل هذه الأمزجه و قبولها أن تكون طاهره من كدر الفساد.و الشيعه يطهّرون اصول الأنبياء من طرف الآباء و الامّهات عن الشرك و نحوه قول الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:نقلنا من الأصلاب الطاهره إلى الأرحام الزكيه.و يحتمل أن يريد بأفضل مستودع و خير مستقرّ فى مبدئهم أصلاب الآباء و أرحام الامّهات و يكون قوله: تناسختهم تفسيرا له و بيانا .

و قوله:كلّما مضى منهم سلف قام بدين اللّه منهم خلف.

و قوله: كلّما مضى منهم سلف قام بدين اللّه منهم خلف.

إشاره إلى ضروره وجود الأنبياء عند الحاجه إليهم على التعاقب،و قد سبقت الإشاره إليه .

و قوله:حتّى أفضت كرامه اللّه إلى محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم.إلى قوله:امناءه.

و قوله: حتّى أفضت كرامه اللّه إلى محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم.إلى قوله:امناءه.

إشاره إلى غايه سلسله الأنبياء عليهم السّلام،و كنّى بكرامه اللّه عن النبوّه استعاره و استعار لفظ المعدن و المنبت و المغرس لطينه النبوّه و هى مادّته القريبه الّتى استعدّت لقبول مثله،و وجه الاستعاره أنّ تلك المادّه منشأ لمثله كما أنّ الأرض معدن الجواهر و مغرس الشجر الطيّب،و ظاهر أنّ أصلا سمح بمثله أفضل المعادن و أعزّ الاصول ،و قيل:

أراد بـذلك مكّه-شرّفها اللّه تعالى-و قيل:بيته و قبيلته ثمّ ميّزه بما هو أخصّ و أشرف استعاره بالكنايه فقال :من الشجره الّتى صدع منها أنبياءه فاستعار لفظ الشجره لصنف الأنبياء،و كما أنّ الشجره أشرف من طينتها كذلك صنف الأنبياء أشرف من قوابل صورهم،و وجه الاستعاره هو ما كنّى بالانصداع عنه من تفرّع أشخاص الأنبياء عن صنفهم كما يتفرّع أغصان الشجره منها .و أمناءه :أى على رسالته .

و قوله:عترته خير العتر و اسرته خير الاسر.

و قوله: عترته خير العتر و اسرته خير الاسر.

بدء بالعتره لما عرفت أنّها أخصّ و أقرب من الاسره،و مصداق أفضليّه عترته قوله صلى اللّه عليه و آله و سلّم:ساده أهل المحشر ساده أهل الدنيا أنا و علىّ و حسن و حسين و حمزه و جعفر.و وجه أفضليّه اسرته قوله صلى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ اللّه اصطفى من العرب معدا،و اصطفى من معد بنى النضر بن كنانه،و اصطفى هاشما من بنى النضر،و اصطفانى من بنى هاشم.

و قوله صلى اللّه عليه و آله و سلّم:قال لى جبرئيل:يا محمّد قد طفت الأرض شرقا و غربا فلم أجد فيها أكرم منك و لا بيتا أكرم من بنى هاشم.و قوله صلى اللّه عليه و آله و سلّم:الناس تبع لقريش برّهم لبرّهم و فاجرهم لفاجرهم .

و قوله:و شجرته خير الشجز.

و قوله: و شجرته خير الشجز.

قيل:أراد بالشجر فى الموضعين إبراهيم عليه السّلام،و قيل:أراد هاشما و ولده بقرينه استعاره مرشحه قوله : نبتت فى حرم و أراد مكّه،و رشّح تلك الاستعاره بوصف الإنبات و البسق ، كنايه و كنّى بالكرم الّذى فيه عن زكاء أصله و ما استلزم من الفضل ،و كنّى بالفروع عن أهله صلى اللّه عليه و آله و سلّم و ذريّته و ساير النجباء من بنى هاشم ، استعاره مرشحه و بوصفهم بالطول عن بلوغهم فى الشرف و الفضل الغايه البعيده ،و هو ترشيح للاستعاره . كنايه و كذلك الثمر ،و كنّى به عن العلوم و الأخلاق المتفرّعه عنه و عن أئمّه امّته،و بكونها لا تنال عن شرفها و غموض أسرارها:أى أنّها لشرفها و علوّها لا يمكن أن يطاول فيها،و أو لغموض أسرارها لا تصل الأذهان إليها .

و قوله:فهو إمام من اتّقى.إلى قوله:لمعه

استعاره مرشحه و قوله: فهو إمام من اتّقى.إلى قوله:لمعه .

استعار لفظ البصيره و السراج و الشهاب و الزند له صلى اللّه عليه و آله و سلّم،و وجه الاستعاره

كونه سبب هدايه الخلق كما أنّ هذه الامور الثلاثه كذلك و رشّح استعاره السراج بلمعان الضوء و الشهاب بسطوع النور و الزند ببروق اللمع،و يحتمل أن يكون وجه استعاره الزند هو كونه مثيرا لأنوار العلم و الهدايه .

و قوله:سيرته القصد.

و قوله: سيرته القصد.

أى طريقته العدل و الاستواء على الصراط المستقيم و عدم الانحراف إلى أحد طرفى الإفراط و التفريط ، و سنّته الرشد :أى سلوك طريق اللّه عن هدايته ، و كلامه الفصل:

أى الفاصل بين الحقّ و الباطل كقوله تعالى «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ » و حكمه العدل الواسط بين رذيلتى الظلم و الانظلام .

و قوله:أرسله على حين فتره من الرسل و هفوه من العمل.

و قوله: أرسله على حين فتره من الرسل و هفوه من العمل.

أى زلّه عنه و غباوه من الامم :أى جهل منهم و عدم فطنه لما ينبغى،و قد سبق بيان الفتره .

و قوله:اعملوا رحمكم اللّه على أعلام بيّنه.

استعاره بالكنايه و قوله: اعملوا رحمكم اللّه على أعلام بيّنه.

استعار لفظ الأعلام لأئمّه الدين و ما بأيديهم من مصابيح الهدى،و كنّى بكونها بيّنه عن وجودها و ظهورها بين الخلق .

و قوله:و الطريق نهج «يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ» .

مجاز و قوله: و الطريق نهج يدعو إلى دار السلام.

فالطريق:الشريعه.و نهجه:وضوحها فى زمانه عليه السّلام و قرب العهد بالرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و ظاهر كون الشريعه داعيه إلى الجنّه.و إسناد الدعوه إلى الطريق مجاز إذ الداعى قيّم الطريق و واضعها .

و قوله:و أنتم فى دار مستعتب.

و قوله: و أنتم فى دار مستعتب.

أى دار الدنيا الّتى يمكن أن يستعتبوا فيعتبوا:أى يطلبوا رضا اللّه بطاعته فرضى عنكم،و على مهل :أى إمهال و إنظار و فراغ من عوائق الموت و ما بعده .

و قوله:و الصحف منشوره إلى آخره.

و قوله: و الصحف منشوره .إلى آخره.

الواوات السبع للحال،و المراد صحائف الأعمال و أقلام الحفظه على الخلق أعمالهم .

و فايده التذكير بهذه الامور التنبيه على وجوب العمل معها و تذكّر أضدادها ممّا

ص:۳۹۸

لا- یمکن معه العمل و لا ینفع الندم من الموت و طیّ الصحف و جفاف الأقلام و فساد الأبدان و خرس الألسنه و عدم سماع التوبه کما قال تعالی «فَیَوْمَئِذٍ لا یَنْفَعُ الَّذِینَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ» (۱)و باللّه التوفیق.

۹۲-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

بَعَثَهُ وَ النَّاسُ ضُلَّالٌ فِی حَیْرَهٍ- وَ حَاطِبُونَ فِی فِتْنَهٍ- قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ- وَ اسْتَزَلَّتْهُمُ الْکِبْرِیَاءُ- وَ اسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِیَّهُ الْجَهْلَاءُ- حَیَارَی فِی زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ- وَ بَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ- فَبَالَغَ ص فِی النَّصِیحَهِ- وَ مَضَی عَلَی الطَّرِیقَهِ- وَ دَعَا إِلَی الْحِکْمَهِ «وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ »

أقول:الفصل لتقریر فضیله الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم

اشاره

،و الواو فی و الناس للحال:أی فی حال ما هم ضالّون عن سبیل اللّه فی حیره من أمرهم ما ذا یتبعون .و خابطون فی فتنه :

أی کانت حرکاتهم علی غیر نظام فی ضلال البدع،و من روی حاطبون فهو استعاره،و وجهها کونهم یجمعون فی ضلالهم و فتنتهم ما اتّفق من أقوال و أفعال کما یجمع الحاطب، و منه المثل:حاطب لیل.لمن جمع الغثّ و السمین،و الحقّ و الباطل فی أقواله .

و قوله:قد استهوتهم الأهواء.

و قوله: قد استهوتهم الأهواء.

أی جذبتهم الآراء الباطله إلی مهاوی الهلاک أو إلی نفسها ، و استزلّتهم الکبریاء:

أی قادتهم إلی الزلل و الخطل عن طریق العدل و اقتفاء آثار الأنبیاء فی التواضع و نحوه ، و استخفّتهم الجاهلیّه الجهلاء فطارت بهم إلی ما لا ینبغی من الغارات و الفساد فی الأرض فکانوا ذوی خفّه و طیش،و لفظ الجهلاء تأکید للأوّل کما یقال:لیل ألیل و وتدواتد .

ص:۳۹۹

۱- ۱) ۵۷-۳۰.

و قوله:حیاری فی زلزال من الأمر و بلاء من الجهل.

و قوله: حیاری فی زلزال من الأمر و بلاء من الجهل.

أی لا یهتدون لجهلهم إلی مصالحهم فهو منشأ اضطراب امورهم و بلائهم بالغارات و سبی بعضهم بعضا و قتلهم .

و قوله:فبالغ إلی آخره.

و قوله: فبالغ .إلی آخره.

مضیّه علی الطریقه سلوکه لسبیل اللّه من غیر انحراف،و دعوته إلی الحکمه و الموعظه هی دعوته إلی سبیل اللّه بهما إمتثالا لقوله تعالی «ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ» (۱)فالدعوه بالحکمه الدعوه بالبرهان،و بالموعظه الدعوه بالخطابه، و قد سبقت الإشاره إلی ذلک فی المقدّمات.و اللّه ولیّ التوفیق.

۹۳-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلاَ شَیْءَ قَبْلَهُ- وَ الْآخِرِ فَلاَ شَیْءَ بَعْدَهُ- وَ الظَّاهِرِ فَلاَ شَیْءَ فَوْقَهُ- وَ الْبَاطِنِ فَلاَ شَیْءَ دُونَهُ

المعنی

أقول:أثنی علی اللّه سبحانه باعتبارات أربعه:الأوّلیّه و الآخریّه و الظاهریّه و الباطنیّه،و أکّد کلّ واحد منها بکماله فکمال الأوّلیّه بسلب قبلیّه شیء عنه، و کمال الآخریّه بسلب بعدیّه کلّ شیء له،و الظاهریّه بسلب فوقیّه شیء له،و الباطنیّه بسلب شیء دونه .و المراد بالظاهر هنا العالی فلذلک حسن تأکیده بسلب فوقیّه الغیر له،و بالباطن الّذی بطن خفیّات الامور علما و هو بهذا الاعتبار أقرب الأشیاء إلیها فلذلک حسن تأکیده بسلب ما هو دونه:أی ما هو أقرب إلیها منه و حصلت حینئذ المقابله بین الدانی و العالی،و یحتمل أن یرید بالظاهر البیّن و یکون معنی قوله:

فلا شیء فوقه :أی لا شیء یوازی وجوده و یحجبه عن معرفه خلقه به .و بالباطن الخفیّ و معنی فلا شیء دونه:أی فی الخفاء،و قد سبق بیان هذه الاعتبارات الأربعه غیر مرّه.

۱- ۱) ۱۲۶-۱۶.

و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منها فى ذكر الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم

اشاره

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ- وَ مَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ- فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَهِ- وَ مَمَاهِدِ السَّلاَمَهِ- قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَهُ الْأَبْرَارِ- وَ ثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّهُ الْأَبْصَارِ- دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ- وَ أَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً- وَ فَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً- أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّهَ- وَ أَذَلَّ بِهِ الْعِزَّهَ- كَلاَمُهُ بَيَانٌ وَ صَمْتُهُ لِسَانٌ

اللغه

أقول: المماهد : جمع ممهد،و الميم زائده .و ثنيت إليه : أى صرفت .و الضغاين :

الأحقاد .و النوائر : جمع نائره،و هى العداوه و المخاصمه :و الأقران : الأخوان المقترنون .

المعنى

و أشار بمستقرّه إلى مكّه و كونها خير مستقرّ لكونها امّ القرى و مقصد خلق اللّه و محلّ كعبته،و يحتمل أن يريد محلّه من جود اللّه و عنايته و ظاهر كونه خير مستقرّ، استعاره و استعار لفظ المنبت و المعدن ،و قد مرّ بيان وجه استعارتهما ، كنايه و مماهد السلامه محالّ التوطئه لها،و هى كنايه من مكّه و المدينه و ما حولها فإنّها محلّ لعباده اللّه و الخلوه به الّتى هى مهاد السلامه من عذابه،و إنّما كانت كذلك لكونها دار القشف خاليه عن المشتهيات و القينات الدنيويّه،و يحتمل أن يريد بمماهد السلامه ما تقلّب فيه و نشأ عليه من مكارم الأخلاق الممهّده للسلامه من سخط اللّه و فى قوله : و قد صرفت نحوه أفئده الأبرار .تنبيه على أنّ الصارف هو لطف اللّه و عنايته بهم بالفات قلوبهم إلى محبّته و الاستضاءه بأنوار هداه، استعاره مرشحه-استعاره بالكنايه و لمّا استعار لفظ الأزمّه للأبصار ملاحظه لشبهها بمقاود الإبل رشّح تلك الاستعاره بذكر الثنى و كنّى بذلك عن التفات الخلق إليه بأبصار بصايرهم و تلقّى الرحمه الإلهيّه منه استعاره ثمّ استعار لفظ الدفن لإخفاء الأحقاد به بعد أن كانت ظاهره مجاهرا بها .و لفظ الإطفاء لإزاله العدوات بين العرب بالتأليف بين قلوبهم كما قال تعالى فى إظهار المنّه على عباده «وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ»

ص:۴۰۱

«فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً » (۱)و الأقران المفرّق لهم هم المتألّفون على الشرک.

و قوله : أعزّ به الذلّه.

أی ذلّه الإسلام و أهله ، و أذلّ به العزّه :أی عزّه الشرک و أهله،و بین کلّ قرینتین من هذه الستّ مقابله و مطابقه فقابل بالتفریق التألیف و بالذلّه الإعزاز و بالعزّه الإذلال.

و قوله : و کلامه بیان.

إی لما انغلق من أحکام کتاب اللّه کقوله تعالی «لِتُبَیِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ» .

استعاره و قوله : و صمته لسان.

استعار لفظ اللسان لسکوته،و وجه المشابهه أنّ سکوته صلی اللّه علیه و آله و سلّم مستلزم للبیان من وجهین:أحدهما:أنّه یسکت عمّا لا ینبغی من القول فیعلّم الناس السکوت عن الخوض فیما لا یعینهم الثانی:أنّ الصحابه کانوا إذا فعلوا فعلا علی سابق عادتهم فسکت عنهم و لم ینکره علیهم علموا بذلک أنّه علی حکم الاباحه.فکان سکوته عنهم فی ذلک بیانا له و أشبه سکوته عنه باللسان المعرب عن الأحکام .و باللّه التوفیق.

۹۴-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

وَ لَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ- فَلَنْ یَفُوتَ أَخْذُهُ- وَ هُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَی مَجَازِ طَرِیقِهِ وَ بِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِیقِهِ- أَمَا وَ الَّذِی نَفْسِی بِیَدِهِ- لَیَظْهَرَنَّ هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ عَلَیْکُمْ- لَیْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَی بِالْحَقِّ مِنْکُمْ- وَ لَکِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَی بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَ إِبْطَائِکُمْ عَنْ حَقِّی- وَ لَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا- وَ أَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِیَّتِی- اسْتَنْفَرْتُکُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا- وَ أَسْمَعْتُکُمْ فَلَمْ

۱- ۱) ۹۸-۳.

تَسْمَعُوا- وَ دَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَ جَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا- وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا- أَ شُهُودٌ كَغُيَّابٍ وَ عَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ- أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا- وَ أَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ- فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا- وَ أَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ- فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي- حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ- وَ تَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ- أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَ تَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً- كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَ أَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ- أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ- الْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ- الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ- الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ- صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَهُ- وَ صَاحِبُ أَهْلِ؟الشَّامِ؟ يَعْصِي اللَّهَ- وَ هُمْ يُطِيعُونَهُ- لَوَدِدْتُ وَ اللَّهِ أَنَّ؟مُعَاوِيَةَ؟ صَارَفَنِي بِكُمْ- صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ- فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ- وَ أَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ- يَا أَهْلَ؟الْكُوفَةِ؟- مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلاَثٍ وَ اثْنَتَيْنِ- صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ- وَ بُكْمٌ ذَوُو كَلاَمٍ- وَ عُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ- لاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ- وَ لاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلاَءِ- يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا- كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ- وَ اللَّهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ- أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَ حَمِيَ الضِّرَابُ-

قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ؟ابْنِ أَبِى طَالِبٍ؟- انْفِرَاجَ الْمَرْأَهِ عَنْ قُبُلِهَا- وَ إِنِّى لَعَلَى بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّى وَ مِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّى- وَ إِنِّى لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ- أَلْقُطُهُ لَقْطاً انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ- فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ- وَ اتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ- فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى- وَ لَنْ يُعِيدُوكُمْ فِى رَدًى- فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا- وَ إِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا- وَ لاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا- وَ لاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا- لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ؟مُحَمَّدٍ ص؟- فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ- لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً- وَ قَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَ قِيَاماً- يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَ خُدُودِهِمْ- وَ يَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ- كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى- مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ- إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ- حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ- وَ مَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ- خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ وَ رَجَاءً لِلثَّوَابِ

اللغه

أقول: المرصاد : الطريق يرصد بها،و الرصد الراقب .و الشجى : الغصص بلقمه و غيرها .و الحثّ : السوق الشديد .و أعضل : أشكل .و الحنيّه: القوس .و منى : ابتلى .

و تربت : أصابت التراب دون الخير .و أخال : أحسب .و الوغى : الحرب و أصله من الأصوات .و حمس : اشتدّ .و السمت : الطريقه .و لبد الطائر : لصق بالأرض .

المعنى

فقوله: و لئن أمهل اللّه الظالم .إلى قوله: ريقه.

فى معرض التهديد لأهل الشام بأخذ اللّه لهم و عدم قوّتهم.و أنّه لهم بالرصد على جميع حركاتهم و على مجاز طريقهم الّتى هم سالكوها ضلّالا و على موضع الشجى من مساغ ريقهم و هو الحق،و فى ذكر الشجى و كون اللّه بالرصد تنبيه على أنّ

اللّه تعالی فی مظنّه أن یرمی الظالم بعقوباته عند اطّلاعه علی ظلمه کما قال تعالی «أَوْ یَأْخُذَهُمْ فِی تَقَلُّبِهِمْ فَما هُمْ بِمُعْجِزِینَ أَوْ یَأْخُذَهُمْ عَلی تَخَوُّفٍ » (۱)ثمّ أردف ذلک بالقسم البارّ لیظهرنّ أصحاب معاویه علیهم تنفیرا لهم إلی مقاومتهم،ثمّ نفی ما عساه یتوهّمه أنّه علّه غلبهم لهم کیلا یتخاذلون بسبب ذلک و هو قوله : لیس لأنّهم أولی بالحقّ منکم ،و أردفه بتعیین السبب الحقّ فی ذلک و هو قوله : لکن لإسراعهم إلی باطل صاحبهم :أی أمره الباطل و إبطائکم عن حقّی إذ کانت النصره باجتماع الکلمه و طاعه الإمام لا- باعتقاد حقیّه إمرته مع التخاذل عنه،ثمّ أردف ذلک بتوبیخهم و تنفیرهم عمّا هم علیه من مخالفه أمره بقوله : و لقد أصبحت الامم.إلی قوله:رعیّتی .لأن شأن الرعیّه الخوف من سلطانها فإذا کان حاله مع رعیّته بالعکس کانت اللائمه علیهم بعصیانه دون حجّه لهم علیه،و أمّا التنفیر فیذکر أنّهم فی محلّ ظلم نفسه و لقد أشفق علیه السّلام منهم فی مواطن کثیره کیوم التحکیم إذ قالوا له:إن لم ترض فعلنا بک کما فعلنا بعثمان.

و نحو ذلک ،ثمّ أردف وجوه تقصیرهم ببیان ما فعل فی حقّهم من الأیادی الجمیله و الهدایه إلی وجوه المصالح من استنفارهم لجهاد عدوّهم و حفظ بلادهم و إسماعهم الدعوه إلی مصالحهم سرّا و جهرا و نصیحته لهم بالوجوه الصائبه من الرأی و هو کقوله تعالی حکایه عن نوح علیه السّلام «قالَ رَبِّ إِنِّی دَعَوْتُ قَوْمِی لَیْلاً وَ نَهاراً فَلَمْ یَزِدْهُمْ دُعائِی إِلاّ فِراراً وَ إِنِّی کُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا» إلی قوله «إِسْراراً» (۲)تشبیه ثمّ شبّههم بالغیاب مع شهادتهم و بالأرباب مع کونهم عبیدا ،و وجه الشبه أنّ الفایده فی شاهد الموعظه دون الغایب عنها هی سماعها و الانتفاع بها فإذا لیسوا کذلک فهم کالغیاب عنها فی عدم الانتفاع بها،و أمّا الثانیه فلأنّهم رعیّه من شأنهم التعبّد لأوامر امرائهم ثم إنّهم لتعزّزهم و شموخهم کبرا و عدم طاعتهم کالأرباب الّذین من شأنهم أن یأمروا و لا- یأتمروا ثمّ وبّخهم بنفارهم عمّا یتلو علیهم من الحکم و تفرّقهم عن مواعظه البالغه.و أهل البغی إشاره إلی أهل الشام.و أیادی سبا :مثل یضرب فی شدّه التفرّق و ضربه لتفرّقهم عن مجالس الذکر و هما لفظان جعلا اسما واحدا کمعدی کرب،و سبا قبیله من أولاد سبا ابن

ص:۴۰۵

۱- ۱) ۴۸-۱۶.

۲- ۲) ۵-۷۱.

يشحب بن يعرب بن قحطان،و أصل المثل أنّ هذه القبيله كانت بمأرب فلمّا آن وقت انفتاح سدّ مأرب و رأت طريقه الكاهنه ذلك الأمر و عرفته ألقته إلى عمرو بن عامر الملقب بمزيقيا فباع أمواله بمأرب و ارتحل إلى مكّه فأصابت هولاء الحمى،و كانوا لا يعرفونها ففزعوا إلى الكاهنه فأخبرتهم بما سيقع،و قالت إنّه مفرّق بيننا فاستشارونها فى أمرهم فقالت:من كان منكم ذاهمّ بعيد،و حمل شديد،و مراد حديد فليلحق بقصر عمّان المشيد،فكانت أزد عمّان،ثمّ قالت:و من كان منكم ذا جلد و قسر،و صبر على أزمات الدهر فعليه بالإدراک من بطن نمر.فكانت خزاعه،ثمّ قالت:و من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس و الخزرج،ثمّ قالت:و من كان منكم يريد الخمر و الخمير و الملك و التأمير و يلبس الديباج و الحرير فليلحق ببصرى و غوير،و هما من أرض الشام فكان الّذين يسكنونها آل جفنيه من غسان،ثمّ قالت:و من كان منكم يريد الثياب الرقاق و الخيل العتاق و كنوز الأرزاق و الدم المهراق فليلحق بأرض العراق فكانت آل جذيمه الأبرش،و من كان بالحيره و آل محرّق.فضربت العرب بتفرّقهم فى البلاد هذا المثل و سار فيمن يتفرّق بعد اجتماع ،ثمّ لمّا كانت المخادعه هى الاستغفال عن المصلحه قال: يتخادعون :أى أنّهم إذا رجعوا من مجلس وعظه أخذ كلّ منهم يستغفل صاحبه عن تذكّر الموعظه و يشغله بغير ذلک من الأحاديث و إن لم يكن عن قصد خداع بل تقع منهم صور المخادعه ،و تقويمه لهم بالغدوه إصلاح أخلاقهم بالحكم و المواعظ تشبيه المعقول بالمحسوس و رجوعهم إليه عشيّه كظهر الحيّه :أى معوّجين كظهر القوس و هو تشبيه للمعقول من اعوجاجهم و انحرافهم عن جميل الأخلاق بالمحسوس.

و قوله : عجز المقوّم.

إشاره إلى نفسه و اعتراف بعجزه عن تقويمهم و أعضل المقوّم :أى أشكل أمرهم و أعيته إدواؤهم علاجا ،ثمّ عاد إلى ندائهم و تنبيههم بذكر معايبهم لينفر عقولهم عنها فوصفهم بشهاده الأبدان مع غيبه العقول ثمّ باختلاف الأهواء ثمّ بكونهم ممّن ابتلى بهم أمراؤهم ثمّ نبّههم على رذيلتهم من مخالفه أمره مع كونه مطيعا للّه،و ما عليه خصومهم من فضيله طاعه إمامهم مع كونه عاصيا للّه،و جعل ذلک مقايسه بينهم ليظهر الفرق

ص:۴۰۶

فیدرکهم الغیره ثمّ أردفه بتحقیرهم و تفضیل عدوّهم علیهم فی البأس و النجده و استقامه الحال فأقسم أنّه لیودّ أن یصارفه معاویه بهم صرف الدینار بالدرهم و ذلک قوله: رجلا منهم .ثمّ أردف ذلک ببیان ما ابتلی به منهم،و أشار إلی خمس خصال،و إنّما قال بثلاث و اثنتین لتناسب الثلاث و کون الثنتین من نوع آخر فالثلاث:الصمم مع کونهم ذوی أسماع و البکم مع کونهم ذوی کلام و العمی مع کونهم ذوی أبصار،و جمعه لهذه الثلاث مع أضدادها هو سبب التعجّب منهم و التوبیخ لهم و أراد بها عدم انتفاعهم فی مصالحهم الدینیّه و نظام امور دولتهم بآله السمع و اللسان و العین فإنّ من لم یفده سمعه و بصره عبره و من لم یکن کلامه فیما لا یعنیه کان کفاقد هذه الآلات فی عدم الانتفاع بها بل کان فاقدها أحسن حالا منه لأنّ وجودها إذا لم یفد منفعه أکسب مضرّه قد أمنها عادمها،و أمّا الثنتان فکونهم لا أحرار صدق عند اللقاء :أی أنّهم عند اللقاء لا تصدق حریّتهم و لا تبقی نجدتهم من مخالطه الجبن و التخاذل و الفرار إذا الحرّ هو الخالص من شوب الرذائل و المطاعن ،ثمّ کونهم غیر أخوان ثقه عند البلاء:أی لیسوا ممّن یوثق باخوّتهم فی الابتلاء بالنوازل،ثمّ عاد إلی الدعاء علیهم علی وجه التضجّر منهم و تشبیههم بالنعم فقوله : تربت أیدیکم دعاء بعدم إصابه الخیر.

تشبیه و قوله : یا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها کلما جمعت من جانب تفرّقت من جانب .

ذکر للتشبیه و المشبّه به،و وجه الشبه أردفه بذکر رذیله یظنّها منهم بإماراتها و هی تفرّقهم عنه علی تقدیره اشتباک الحرب،و شبّه انفراجهم عنه بانفراج المرأه عن قبلها لیرجعوا إلی الأنفه،و تسلیم المرأه لقبلها و انفراجها عنه إمّا وقت الولاده أو وقت الطعان ثمّ عاد إلی ذکر فضیلته لیستثبت قلوبهم و یتألّفها و البیّنه الّتی هو علیها من ربّه آیات اللّه و براهینه الواضحه علی وجوده و الثقه بما هو علیه من سلوک سبیله و هو کقوله تعالی «قُلْ إِنِّی عَلی بَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّی» و المنهاج من نبیّه طریقه و سنّته،و الطریق الواضح الّذی هو علیه سبیل اللّه و شریعه دینه،و التقاطه له لقطا تتّبعه و تمیّزه علی طریق الضلال بالسلوک له ثمّ أردف فضیلته بالأمر باعتبار أهل البیت و لزوم سمتهم و اقتفاء أثرهم،

و أشاره إلى جهه وجوب اتّباعهم بكونهم يسلكون بهم سبيل الهدى لا يخرجون عنه و لا يردونهم إلى ردى الجاهليّه و الضلال القديم،و فيه ايماء إلى أنّ اتّباع غيرهم يرد إلى ذلك و قوله : فإن لبدوا :أى إن سكنوا و أحبّوا لزوم البيوت على طلب أمر الخلافه و القيام فيه فتابعوهم فى ذلك فإنّ سكونهم قد يكون لمصلحه يغيب علمها عن غيرهم و إن نهضوا فى ذلك فانهضوا معهم،ثمّ نهاهم عن أن يسبقوا فيضلّوا:أى إلى أمر لم يتقدّموكم فيه فإنّ متقدّم الدليل شأنه الضلال عن القصد و أن لا يتأخّروا عنهم فيهلكوا:أى لا يتأخّروا عن متابعتهم فى أوامرهم و أفعالهم بالمخالفه لهم فيكونوا من الهالكين فى تيه الجهل و عذاب الآخره.و الإماميّه تخصّ ذلك بالاثنى عشر من أهل البيت عليهم السّلام.

و قوله : و لقد رأيت أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم .إلى آخره.

مدح لخواصّ الصحابه و ذكر مكانهم من خشيه اللّه و دينه ترغيبا فى مثل تلك الفضايل،و حرّك بقوله : فما أرى أحدا يشبههم .ما عساه يدرك السامعين من الغيره على تلك الفضايل أن يختصّوا بها دونهم و ذكر من ممادحهم أوصافا:

أحدها :الشعث و الاغبرار و هو إشاره إلى قشفهم و تركهم زينه الدنيا و لذّاتها.

الثانى :بياتهم سجّدا و قياما،و أشار به إلى إحيائهم الليل بالصلاه و هو كقوله تعالى «وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً» .

الثالث :مراوحتهم بين جباههم و خدودهم،و قد كان أحدهم إذا تعبت جبهته من طول السجود راوح بينها و بين خدّيه.

الرابع :وقوفهم على مثل الجمر من ذكر معادهم و أشار به قلقهم و وجدهم من ذكر المعاد و أهوال يوم القيامه كما يقلق الواقف على الجمر ممّا يجده من حرارته.

الخامس: تشبيه كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ،و وجه المشابهه أنّ محالّ سجودهم من جباههم كانت قد اسودّت و ماتت جلودها و قست كما أنّ ركب المعزى كذلك.

السادس:أنّهم كانوا إذا ذكر اللّه هملت أعينهم حتّى تبلّ جيوبهم ،و من روى جباههم فذلك فى حال سجودهم ممكن . و مادوا كما تميد الشجر بالريح العاصف خوفا

ص:۴۰۸

من عقاب ربّهم و رجاء لثوابه فتاره يكون ميدانهم و قلقهم عن خوف اللّه،و تاره يكون عن ارتياح و اشتياق إلى ما عنده من عظيم ثوابه و هو كقوله تعالى «الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» و باللّه التوفيق.

٩٥-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

وَ اللّهِ لاَ يَزَالُونَ- حَتَّى لاَ يَدَعُوا لِلّهِ مُحَرَّماً إِلاَّ اسْتَحَلُّوهُ- وَ لاَ عَقْداً إِلاَّ حَلُّوهُ- وَ حَتَّى لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَ لاَ وَبَرٍ- إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ- وَ نَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ وَ حَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ- بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ- وَ بَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ- وَ حَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ- كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ- إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ- وَ إِذَا غَابَ اغْتَابَهُ- وَ حَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللّهِ ظَنّاً- فَإِنْ أَتَاكُمُ اللّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا- وَ إِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا- فَ «إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ»

اللغه

أقول: نبا به المنزل : إذا لم يوافقه .و العناء : التعب .

المعنى

و الإشاره فى هذا الفصل إلى بنى اميّه فأقسم لا يزالون ظالمين فحذف الخبر للعلم به و ذكر لظلمهم غايات :

إحداها:أنّهم لا يدعون محرّما إلاّ استحلّوه،و أعظم كباير المحرّمات الظلم و قتل النفس و حالهم فيهما مشهور فما ظنّك بغيرهما،و معنى قوله:استحلّوه:استعملوه كاستعمال الحلال فى عدم التحرّج و التأثّم به .

الثانيه:أن لا يدعوا عقدا إلاّ حلّوه:أى من عقود الإسلام الّتى نظم بها أمر العالم من قوانين الشرع و ضوابطه،و حلّه كنايه عن حزم تلك القواعد بمخالفتها .

الثالثه: كنايه أنّه لا يبقى بيت مدر و لا وبر إلاّ دخله ظلمهم ،و هو كنايه عن عموم عداوتهم و بغيهم على جميع الخلق من البدو و الحضر ،و قوله: و نبا به سوء رعيهم :أى أوجب

سوء رعيهم لأهله نبوّهم عنه .

الرابعه:أن يقوم الباكيان باك يبكی لدينه،و باک يبكی لدنياه .

الخامسه: تشبيه و حتّى تكون نصره أحدكم من أحدهم كنصره العبد من سيّده ،ذكر المشبّه و المشبّه به ثمّ أشار إلى وجه الشبه بقوله: إذا شهد أطاعه و إذا غاب اغتابه .

العاشر: و حتّى يكون أعظمكم فيها عناء أحسنكم باللّه ظنّا ،و إنّما كان كذلك لأنّ من حسن الظنّ باللّه كان أشدّ الناس بعدا منهم و توكّلا عليه فيكونون عليه أشد كلبا و له أقوى طلبا فكان منهم أكثر تعبا ،ثمّ أردف ذلك بأمر من أتته العافيه أن يقبلها، و يشكر اللّه عليها نعمه،و أراد العافيه من الابتلاء بشرورهم لبعض الناس أو بقائم عدل مخلص من بلائهم،و يأمر من ابتلى بهم بالصبر على ما ابتلى به و وعده على ذلك بحسن العافيه لازما للتقوى و الصبر كما قال تعالى «فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ»

ص:۴۱۰

فهرست أهمّ مطالب ما فى هذا الجزء

الخطبه الثانيه و العشرين ألقاها لتأديب الفقراء بترك الحسد و الأغنياء بالشفقّه على الفقراء و مواساتهم.۳

ذمّ الرياء و العمل لغير اللّه تعالى.۹

حسن الاعتضاد بالعشيره و لين الجانب للخلق.۱۳

الخطبه الثالثه و العشرين ألقاها فى ردّ من يقول إنّ متابعته عليه السّلام لمحاربيه و مخالفيه و مداهنتهم أولى من محاربتهم.۱۴

معنى الفرار إلى اللّه،و بيان ما له من المراتب.۱۵

الخطبه الرابعه و العشرين ألقاها حين تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاويه على البلاد،و غلبه بسر بن أرطاه على عامليه بيمن.۱۶

الخطبه الخامسه و العشرين ألقاها فى ذكر بعض أسباب غايه البعثه.۲۳

شرح حاله عليه السّلام بعد وفات رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم.۲۶

ذكر عمرو بن العاص و مبايعته معاويه.۲۸

الخطبه السادسه و العشرين ألقاها حين بلغه أنّ سفيان بن عوف الغامدى قد ورد فى خيل المعاويه إلى الأنبار و قتل عامله حسّان بن حسّان البكرى.۲۹

بيان الفرق بين الجهاد و سائر العبادات.۳۳

الخطبه السابعه و العشرين يذكر فيها تنبيهات لطيفه على وجوب النفار عن الدنيا و عدم الركون إليها.۳۹

بيان أنّ من لم ينفعه الحقّ يضرّه الباطل.۴۷

الخطبه الثامنه و العشرين ألقاها حين بلغه غاره ضحاك بن قيس بعد قصّه الحكمين.۴۹

كلامه الجاری مجری الخطبه التاسعه و العشرین فی معنی قتل عثمان.۵۴

كلامه الجاری مجری الخطبه الثلاثین لابن العبّاس لمّا أرسله إلی الزبیر.۵۹

الخطبه الإحدی و الثلاثین ألقاها فی بیان حقیقه الزهد،و تصنیف الناس ۶۲

بیان أقسام الخوف و أعلی أقسامه.۶۹

الخطبه الثانیه و الثلاثین ألقاها عند خروجه لقتال البصره.۷۱

الخطبه الثالثه و الثلاثین ألقاها فی استنفار الناس إلی أهل الشام.۷۶

الخطبه الرابعه و الثلاثین ألقاها بعد التحكیم.۸۴

الخطبه الخامسه و الثلاثین ألقاها فی تخویف أهل النهروان.۸۹

كلامه الجاری مجری الخطبه السادسه و الثلاثین ذكر فیه حاله منذ توفّی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم إلی آخر وقته.۹۲

الخطبه السابعه و الثلاثین ألقاها فی بیان معنی الشبهه.۹۷

الخطبه الثامنه و الثلاثین خطب بها فی غاره النعمان بن بشیر بعین الثمر.۹۹

كلامه الجاری مجری الخطبه التاسعه و الثلاثین فی الخوارج لمّا سمع لا حكم إلاّ للّه.۱۰۱

الخطبه الأربعین ألقاها فی بیان معنی الوفاء و الصدق.۱۰۴

كلامه الجاری مجری الخطبه الإحدی و الأربعین فی النهی عن الهوی و طول الأمل.۱۰۶

كلامه الجاری مجری الخطبه الثانیه و الأربعین و قد أشار علیه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جریر ابن عبد اللّه البجلی إلی معاویه.۱۰۹

كلامه الجاری مجری الخطبه الثالثه و الأربعین لمّا هرب مصقله بن هبیره الشیبانی إلی معاویه،۱۱۵

ص:۴۱۲

الخطبه الرابعه و الأربعين ألقاها يوم الفطر.۱۱۷

كلامه الجارى مجرى الخطبه الخامسه و الأربعين عند عزمه على المسير إلى الشام.۱۲۱

كلامه الجارى مجرى الخطبه السادسه و الأربعين فى ذكر الكوفه.۱۲۳

الخطبه السابعه و الأربعين ألقاها عند المسير إلى الشام.۱۲۵

الخطبه الثامنه و الأربعين ألقاها فى بيان جمله من الصفات الربوبيّه.۱۲۶

الخطبه التاسعه و الأربعين ألقاها فى بيان بدء وقوع الفتن.۱۳۳

كلامه الجارى مجرى الخطبه الخمسين لمّا غلب أصحاب معاويه أصحابه على الشريعه للفرات بصفّين و منعوهم الماء.۱۳۵

الخطبه الإحدى و الخمسين ألقاها فى المتّقين على الدنيا و التنبيه على عظيم ثواب اللّه و عظمه نعمه.۱۳۷

كلامه الجارى مجرى الخطبه الثانيه و الخمسين فى ذكر يوم النحر.۱۴۲

كلامه الجارى مجرى الخطبه الثانيه و الخمسين أشار فيه إلى صفات أصحابه بصفّين.۱۴۳

كلامه الجارى مجرى الخطبه الرابعه و الخمسين لمّا استبطأ أصحابه إذنه لهم فى القتال بصفّين.۱۴۵

كلامه الجارى مجرى الخطبه الخامسه و الخمسين فى توبيخ أصحابه على ترك الجهاد و التقصير فيه.۱۴۶

كلامه الجارى مجرى الخطبه السادسه و الخمسين فى الإخبار بما سيكون لأصحابه من الابتلاء بسبّه.۱۴۸

كلامه الجارى مجرى الخطبه السابعه و الخمسين كلّم به الخوارج.۱۵۱

كلامه الجارى مجرى الخطبه الثامنه و الخمسين لمّا عزم على حرب الخوارج.۱۵۲

كلامه الجارى مجرى الخطبه التاسعه و الخمسين لمّا خوف من الغيله.۱۵۶

ص:۴۱۳

الخطبه السّتين ألقاها فی التحذير من الدنيا.۱۵۸

الخطبه الإحدى و السّتين ألقاها فی التنفير عن الدنيا و الترغيب فی الآخره.۱۶۱

الخطبه الثانيه و السّتين أشار فيها إلى مباحث لطيفه من العلم الإلهیّ.۱۶۸

كلامه الجاری مجرى الخطبه الثالثه و السّتين كان يقوله لأصحابه فی بعض أيّام صفّين.۱۷۸

كلامه الجاری مجرى الخطبه الرابعه و السّتين فی معنى الأنصار.۱۸۳

كلامه الجاری مجرى الخطبه الخامسه و السّتين لمّا قلد محمّد بن أبی بكر مصر فملكت عليه فقتل.۱۸۶

كلامه الجاری مجرى الخطبه السادسه و السّتين فی توبيخ أصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه إلى حرب أهل الشام.۱۸۸

كلامه الجاری مجرى الخطبه السابعه و السّتين فی سحره اليوم الّذی ضرب فيه.۱۹۱

الخطبه الثامنه و السّتين فی ذمّ أهل العراق.۱۹۲

الخطبه التاسعه و السّتين ألقاها لتعليم الناس الصلاه على النبیّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم.۱۹۵

كلامه الجاری مجرى الخطبه السبعين قاله لمروان بن الحكم بالبصره.۲۰۳

كلامه الجاری مجرى الخطبه الإحدى و السبعين لمّا عزموا على بيعه عثمان.۲۰۴

كلامه الجاری مجرى الخطبه الثانيه و السبعين لمّا بلغه اتّهام المشاركه فی دم عثمان.۲۰۶

الخطبه الثالثه و السبعين استنزل فيها الرحمه لعبد استجمع ما ذكر فيه من الامور.۲۰۷

كلامه الجاری مجرى الخطبه الرابعه و السبعين فی الردّ على سعيد بن العاص ۲۱۲

كلامه الجاری مجرى الخطبه الخامسه و السبعين كان عليه السّلام يدعو به.۲۱۳

كلامه الجاری مجرى الخطبه السادسه و السبعين قاله لبعض أصحابه لمّا عزم على المسير إلى الخوارج.۲۱۵

ذكر ما يلوح من سرّ نهى الحكمه النبويّه عن تعلّم النجوم.۲۱۶

وجوه المشابهه بين المنجّم و الكاهن و الساحر و الكافر.۲۲۱

الخطبه السبعه و السبعين أنشأها بعد حرب الجمل فى ذمّ النساء.۲۲۳

كلامه الجارى مجرى الخطبه الثامنه و السبعين فى التفسير الزهد و لوازمه.۲۲۵

كلامه الجارى مجرى الخطبه التاسعه و السبعين فى صفه الدنيا.۲۲۷

الخطبه الثمانين تسمى الغراء يذكر فيها بعض نعوت جلاله،و الوصيّه بتقوى اللّه و التنفير عن الدنيا،و بعض مباحث المعاد الجسمانىّ.۲۳۰

دفع ما يتوهم من الشبهه فى المعاد الجسمانىّ.۲۴۰

بيان مراتب الايمان بما جاء من عذاب القبر و السئوال.۲۶۵

كلامه الجارى مجرى الخطبه الحاديه و الثمانين فى ذكر عمرو بن العاص.۲۶۹

الخطبه الثانيه و الثمانين ألقاها لإثبات ثمانى صفات من صفات الجلال.۲۷۳

الخطبه الثالثه و الثمانين ألقاها فى الموعظه و المشوره.۲۷۹

الخطبه الرابعه و الثمانين ألقاها فى بيان صفات المتّقين.۲۸۸

الخطبه الخامسه و الثمانين ألقاها فى توبيخ الامّه على اختلاف آرائهم.۳۰۵

الخطبه السادسه و الثمانين ألقاها فى تذكيرهم بنعمه اللّه و منها بعثه الرسول.۳۱۰

الخطبه السابعه و الثمانين ألقاها فى تمجيد اللّه سبحانه باعتبارات إضافيّه له.۳۱۵

الخطبه الثامنه و الثمانين تعرف بخطبه الأشباح.۳۲۲

الردّ على المشبهه بدليل العقل و النقل.۳۳۹

الردّ على من تحلّاه سبحانه بحليه المخلوق.۳۴۱

بيان كيفيّه خلق السماء.۳۴۷

ذكر ما للنيرين من البروج و المنازل.۳۴۹

فی وصف الملائکه الّذین هم أشرف الموجودات الممکنه بکمال العبودیّه للّه.۳۵۴

شرح ما أوهب اللّه تعالی لآدم و شرفه به من العقل و استحقاق القرب إلیه.۳۷۹

الخطبه التاسعه و الثمانین ألقاها لمّا ارید قبل البیعه بعد قتل العثمان.۳۸۵

الخطبه التسعین ألقاها فی بیان فضیلته،و رذیله بنی امیّه.۳۸۷

الخطبه الحادیه و التسعین ألقاها فی بیان وحده الدین و بعض أوصاف عتره النبیّ.۳۹۴

الخطبه الثانیه و التسعین ألقاها فی فضیله النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم.۳۹۹

الخطبه الثالثه و التسعین أثنی علی اللّه سبحانه باعتبارات و أشار إلی أوصاف النبیّ ۴۰۰

کلامه الجاری مجری الخطبه الرابعه و التسعین فی أصحابه و أصحاب رسول اللّه.۴۰۲

کلامه الجاری مجری الخطبه الخامسه و التسعین یشیر فیه إلی ظلم بنی امیّه فهرست.۴۰۹

۴۱۱.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الکرتونية والألعاب الکمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب کيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمکن تحميلها علی ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ٤ الأسواق الإلکترونية للکتاب علی موقع القائمية ويمکن تحميلها علی الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الکلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فی طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹